

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والإعلام

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
- قسنطينة -



الصحافة الساخرة في الجزائر

وضوابطها الأخلاقية

من خلال أسبوعية "الصم - آفة"

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إشراف أ. الدكتور:

فضيل دنيز

إعداد الطالبة:

كريمة عرامة

السنة الجامعية: 1418هـ - 1419هـ / 1997م - 1998م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير عبد

الاسلامية

خاتمة شكر

* أقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور الأستاذ: " محمد الرحمن محزي " ، حيث قبل الإشراف على رسالتي في وقت كان يعاني من التعب الكبير الذي لحقه من جراء كثرة الرسائل والأطروحات التي يشرف عليها .

* كما أشكر الدكتور الأستاذ: " فضيل حليو " الذي قبل مواصلة الإشراف على الرسالة ، بعد أن تعذر مواصلتها مع الدكتور عزري . وساعدني كثيرا في إنجاز هذا العمل .

* وأشكر كل أساتذة جامعة الأمير عبد القادر الذين ساعدوني خاصة أساتذة الإعلام .

* ولا أنسى أن أشكر شقيقتي " هليكة " على مساعدتها لي في الاستفادة من الكتب والمقالات الإنجليزية .

* وأخيرا . أشكر الدكتور " محمد يزلبي " رئيس تحرير صحيفة "الصبح - آفة " على المساعدة الجليلة التي قدمها لي .

وبارك الله فيهم جميعا .

المقدمة

تعد الصحيفة من أقدم وسائل الإعلام، كما أنها من أبرز الوسائل في المجتمعات المعاصرة، فقد أصبحت عنصرا أساسيا في مكونات الحياة اليومية للفرد، الذي لم يعد بإمكانه الاستغناء عنها، واستطاعت الصحافة المكتوبة أن تجمع كثيرا من خصائص الوسائل الأخرى، و على الرغم من تميز هذه الوسائل عن الصحيفة ببعض الخصائص، إلا أنها تمكنت و في فترات كثيرة من التاريخ أن تقوم بدور فعال، بل و بأكثر مما تقوم به الوسيلة المسموعة أو المرئية، و استطاعت و لفترات كثيرة أيضا أن تكون مرآة ناصعة، تتعكس عليها اتجاهات الشعوب و أحداثها و مذاهبها و آرائها، و ذهبت إلى حد انتزاع لقب "السلطة الرابعة" على اعتبار أنها مكنت الرأي العام بما تتيحه له من معلومات و أخبار من مراقبة السلطات الثلاثة الأخرى؛ التنفيذية و التشريعية و القضائية، و مع ذلك فالصحافة المكتوبة لا تَنع بكل ما جمعته و حققته، فهي تطلب دائما المزيد، و نهمها ليس له حدود خاصة في مجال حرية التعبير و الانتشار.

و أمام هذا النهم المتزايد و الطلب الملح لمزيد من الحرية، نجد أن الصحافة تصيبتها حساسية معينة إذا تعالت صيحات مطالبة بتقويم أدائها، أو ضرورة تحليها بالمسؤولية، كما نجد أيضا أن المبادرات في هذا المجال - و خاصة من طرف الصحفيين - قليلة، بل كثيرا ما نجد العاملين في هذا الميدان، لا يضعون هذا المنطلق "المسؤولية" ضمن منطلقات أدانهم، و وجد كثير من هؤلاء أنه من السهل أن ننقد أي مؤسسة اجتماعية، أو نلذع رجلا، أو ننقد ذلك الحزب و تلك الجماعة و ذلك القانون، و لكن عندما يُنبه هؤلاء إلى ما يجب أن تكون عليه الصحافة من تحلي بالمسؤولية - و من ثمة الإلتزام بأخلاقيات المهنة في ممارستهم- فإن هذا النقد يقابل بامتعاض، و يُرفض لسبب أو لآخر.

على أن هذه الرؤية ليست للتعميم، لأنه هناك مهنيين جادين، في ميدان الصحافة، لديهم فكرة واضحة حول معرفة الجيد من غيره، و يدركون الترتيب الهرمي للقيم و لديهم مقاييس لذلك، كما أن لديهم شعورا كبيرا بالمسؤولية إزاء جمهورهم و مجتمعهم عموما، و يدركون أن نجاح الوسيلة و مصداقيتها منوطان باحترام الجمهور الذي توجه إليه المادة الاعلامية.

و من هنا فإن حرية الصحفي و مسؤوليته أمران لا ينفصمان، فالحرية التي لا تقترن بالمسؤولية، تغري بتحريف الأنباء و بانتهاكات أخرى، غير أنه إذا انعدمت الحرية استحالَت ممارسة المسؤولية، و يتضمن مفهوم الحرية مع المسؤولية بالضرورة الاهتمام بأخلاقيات المهنة، و يستلزم معالجة عادلة و موضوعية للأحداث أو المواقف أو العمليات، مع المراعاة اللازمة لجوانبها المتعددة، و ليس ذلك هو الحال دائما.

و في الجزائر، عاشت الصحافة المكتوبة -منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر- ظروفًا مختلفة، و تأثرت أساسا بالوضع السياسي و الثقافي في البلاد، فكانت إبان الإحتلال الفرنسي تخضع للتشريع الفرنسي، فلم يكن للجزائري - الذي عرف الصحافة عن طريق المستعمر - أن يطور هذه الوسيلة،

و يجعل منها أداة فعالة في جهاده ضد الفرنسيين، إلا بعد فترة طويلة من نشأة الصحافة المكتوبة في الجزائر، و عانت صحافة الجزائريين طويلا من مضايقات السلطات الفرنسية، و حتى التشريعات التي أعطت مزيدا من الحرية للصحافة، لم تستفد منها الصحافة الجزائرية كثيرا، و مع ذلك فقد وجدت تقاليد للممارسة الصحفية، كان بإمكانها أن تكون أرضية صلبة للصحافيين بعد الاستقلال، غير أن الوجة السياسية التي اختارتها السلطات الحاكمة في الجزائر، لم تسمح بتطوير هذه التقاليد كما ينبغي، كما أدت طبيعة نظام الحكم إلى مركزية الصحافة المكتوبة، و خضعت بذلك إلى سيطرة الحزب الواحد - الحاكم - مما حال دون إتاحة الفرصة لحرية التعبير، و هذا بدوره أدى إلى عدم التنوع، و عدم الازدهار .

و مع بداية الثمانينات، بدأت مناقشات، و محاولات جادة للخروج من ذلك الوضع، فظهرت بعض عناوين الجديدة، و بدأ التنوع، بظهور الصحافة المحلية في البداية، ثم تطورت و تعمقت هذه المحاولات أكثر بعد التحول السياسي الذي عرفته الجزائر بعد دستور 1989، الذي أقر التعددية السياسية و من ثمة التعددية الإعلامية التي تعززت أكثر بقانون الإعلام لسنة 1990، فحدث انفجار إعلامي على مستوى الصحافة المكتوبة، و ظهرت على الساحة عناوين كثيرة و متنوعة، و عرفت الجزائر - لأول مرة بعد الاستقلال - الصحافة المستقلة، التي حاولت على الرغم من جدتها، ان تنتقل من مجرد ناقل للمعلومات و الأنباء، إلى منبر للمناقشة و نشر الأفكار و المبتكرات، و تبادل الخبرات و التجارب، و كانت الظاهرة الأكثر إثارة و تشويقا في هذا المجال، الصحافة الساخرة، التي كان ظهورها في الوقت المناسب، خاصة و أن الجزائريين كانوا يعانون من الضغط الكبير الناتج عن تأثير المرحلة الانتقالية، الذي جعلهم في أمس الحاجة إلى ذلك النوع من الصحافة، للتخفيف عنهم و ابلاغهم بما يحدث بطريقة قد تضحكهم، و لكن توعيتهم بما يحدث في وطنهم.

و لقد استفادت الصحافة الساخرة في الجزائر من الفترة الحرجة التي سادت بعد الانسداد السياسي، و التراجع في بعض المكتسبات، خاصة بعد أحداث جوان 1990، و بداية الاضطرابات السياسية، و تدهور الوضع الأمني، الذي أدى إلى التضييق على الصحافة المكتوبة، و أصبح بإمكان السلطات أن تصدر أو تعلق أي صحيفة، بموجب القوانين التي استحدثت تبعا للوضع الأمني، و كان هذا الوضع و هذه الاضطرابات مادة للصحف الساخرة التي تتغذى أساسا من هذه الأجواء، و استطاعت هذه الصحف و لفترة قصيرة أن تحقق لنفسها تواجدا قويا على الساحة الإعلامية، كما استطاعت أن تجذب إليها جمهورا لا بأس به، غير أن هذه الصحافة - بمعظم عناوينها خاصة العربية - لم تسلم من المضايقات، بل كانت أكثر أنواع الصحافة تعرضاً لها، لمعارضتها المكشوفة للنظام و سياسته.

و قد تذرعت السلطات حين أوقفت تلك الصحف، بأنها وقعت في تجاوزات أخلاقية كثيرة أدت إلى مصادرتها، و إزاء هذا الموقف، تمسكت الصحف الساخرة بالرأي الذي يذهب إلى أن السلطات تعسفت في استعمالها للحق، و أصبحت أكثر إلحاحا في طلبها للحرية و توسيع مجالها، لكن هل فعلا

وقعت الصحف الساخرة في تجاوزات أخلاقية خطيرة؟ و لم تتحل بالمسؤولية، و احترام الجمهور الذي التفت حولها؟ و بصفة عامة، هل كانت الصحف الساخرة ملتزمة بأخلاقيات المهنة في ممارستها أم لا؟ و ما هي خلفيات و وضعية هذه الظاهرة في الجزائر؟.

هذا السؤال الكبير أدى بدوره إلى تساؤلات فرعية، كانت هي محور الدراسة التي أتقدم بها، والتي حاولت من خلال الجزء النظري فيها الإجابة على البعض من التساؤلات، و من خلال الجزء التطبيقي الإجابة عن البعض الآخر، و بذلك يمكن اعطاء صورة عامة حول الصحافة الساخرة في الجزائر، ثم التركيز على مسألة الأخلاقيات و مدى التزام الصحف الساخرة بها، و أهم هذه التساؤلات مايلي :

- 1 - ما هي الخلفية التاريخية للصحافة الساخرة في العالم؟
 - 2 - هل تتميز الصحافة الساخرة بلغة و أسلوب خاص، و ما هي صورته؟
 - 3 - ما هي الأهداف التي ترمي إليها الصحافة الساخرة؟
 - 4 - كيف هي علاقة الصحافة الساخرة بالنظام السياسي، و ما تأثير كل واحد منهما في الآخر؟
 - 5 - كيف كانت وضعية الصحافة الساخرة في الجزائر قبل الاستقلال، و كيف أصبحت بعده؟
 - 6 - ما هي أهم الفلسفات و المذاهب الأخلاقية المعتمدة في الصحافة، و هل هناك مجهودات بذلت لوضع موانيق تضم أهم المبادئ الأخلاقية؟
 - 7 - ما هي المنطلقات الأخلاقية الإسلامية، التي ينبغي أن يعتمدها الصحافي المسلم، و هل هناك تخصيص في هذا المجال يتعلّق بالصحافة الساخرة؟
- هذه أهم التساؤلات التي سيتكفل الجانب النظري بالإجابة عنها، أما التساؤلات الخاصة بالجانب التطبيقي، فقد استلهمتها من الجزء الرئيسي في البحث و الذي يتعلّق بالضوابط الأخلاقية للصحافة الساخرة، و كانت عبارة عن تساؤلات محورية، أكثر منها تفصيلية كما تعلقت بصحيفة "الصح - آفة" التي اخترتها كنموذج، و هي كالآتي :

- 1 - ما مدى التزام صحيفة "الصح - آفة" بالموضوعية و الدقة؟
- 2 - ما مدى التزام "الصح - آفة" بمبدأ احترام قيم المجتمع؟
- 3 - هل التزمت "الصح - آفة" بالواقع، في تقديمها للمادة الإعلامية، و هل توافقت في ذلك مع

جمهورها؟

و قد حاولت أن أجعل من هذه التساؤلات سياجا، يحول دون التفرع أكثر مما يتطلبه الموضوع، و الهدف من دراسته و الأغراض المتوخاة منه، و جعلت منها محاور، استطعت بعد ذلك أن أجعل منها فصول و مباحث هذه الدراسة.

و لعل التطور السريع الذي شهدته الصحافة المكتوبة في الجزائر - و الصحافة الساخرة خاصة- كان من أهم الدوافع و الأسباب الموضوعية التي جعلتني أختار هذه الموضوع، حيث أن

ظاهرة الصحافة الساخرة في الجزائر بعد الإستقلال، وبالضبط بعد دستور 1989، تنامت بسرعة مذهلة، وسجلت بعض الصحف الساخرة، أرقاما كبيرة في السحب، (الصح-آفة حوالي: 300 ألف نسخة) مما يدل على إقبال كبير عليها، كما أن التطور مس الشكل والأسلوب أيضا، حيث عمدت هذه الصحف إلى التأسيس لعمل صحافي ساخر، له تقنياته وأصوله وطريقته، كما أن قلة الدراسات في هذا الميدان، كانت سببا آخر في اختيار الموضوع، حيث وبعد الإطلاع على ماهو موجود من دراسات، أدركت أن الميدان بكر وأن عنصر الجودة مضمون، وهذه عناصر شجعتني أكثر لخوض غمار البحث في هذا الموضوع، مقتنعة تماما أن "الصحافة الساخرة في الجزائر" بعد الإستقلال كان لها اثر كبير على الساحة الإعلامية، وعلى مستوى الجمهور، ثم أن الدراسات الإعلامية في الجزائر قليلا ما تنطرق إلى جانب الممارسة المهنية، وبالضبط في جزنها المتعلق بالمسؤولية الإعلامية للمهنيين، والإهتمام بالضوابط الأخلاقية، وقد رأيت أن هذا الجانب في الصحافة الساخرة أوكد وألح في التناول والطرق.

وإلى جانب هذه الأسباب الموضوعية، هناك أسباب ذاتية دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، فقد كنت ومنذ وقت بعيد وخاصة في مرحلتي الجامعية من المهتمين بأسلوب السخرية في التحرير، نثرا ورسما، فكان هذا الإهتمام الشخصي يلح ويدفعني نحو إختيار موضوع في هذا المحور، فوقع هذا الإختيار على موضوع الصحافة الساخرة في الجزائر. تلبية لهذا الإهتمام الشخصي، ولإقتناع انذاتي بالحاجة إلى الخوض في مثل هذه الموضوعات.

وتهدف هذه الدراسة في عمومها إلى ما تهدف إليه بحوث الصحافة من كشف عن.. وتفسير حركة العملية الصحفية في إطار السياق الإجتماعي الكلي، وعلاقتها بالنظم والمؤسسات الاجتماعية، وبالجمهور الذي توجه إليه مادتها، وذلك من أجل إختيار مدى الإتساق في هذه الحركة وعلاقتها، وأثارها بما يعكس الإتفاق والتباين في اتجاهات الصحف من القضايا والمواقف المختلفة، وذلك من خلال مداخل مختلفة كالمدخل الوظيفي، ومدخل النظم، والمدخل الاجتماعي، والمدخل التاريخي. هذه المداخل حاولت طرقها ولو بصورة عامة لتحقيق الهدف العام من هذا البحث، وهو التعرف أكثر على ظاهرة الصحافة الساخرة في الجزائر، وحقيقة التطور الذي حققته بعض الصحف، وكان تركيزي الأكبر على مدخل الممارسة المهنية، وذلك للتمكن من الإجابة على تساؤلات الدراسة، والتعرف على مدى اهتمام الصحافي الجزائري بمسألة أخلاقيات المهنة، والمجهودات المبذولة من أجل ذلك.

وتأتي أهمية البحث من حيث أنه يركز على جانب، كثيرا ما أهمل من طرف الباحثين في هذا الميدان، وهو الجانب الخاص بأخلاقيات المهنة في الصحافة الساخرة، والذي زاد من أهمية البحث أنني حاولت قدر المستطاع مقاربة الموضوع بشقيه النظري والميداني (بآلياته المنهجية) إنطلاقا من الخلفية المعرفية الإسلامية، التي من الطبيعي أن توجه كما هو معروف الدراسات الإنسانية، وهي محاولة

أردت من خلالها إشعار الباحثين في الجامعة الإسلامية إلى ضرورة طرق الموضوعات التقنية في ميدان الإعلام واعتماد مرجعيتنا الإسلامية، بغية التأسيس للإعلام الإسلامي من الناحية الفكرية، أو من ناحية الممارسة أو من الناحية العلمية.

وتتأكد أهمية البحث أيضاً، في كونه محاولة لتحسيس طلبة فرع "الدعوى والإعلام" في الجامعة الإسلامية بضرورة تناول هذه الموضوعات التي تحتاج منا أن نسجل آراءنا وراء الشرع فيها، ونعطي البدائل إذا كان الأمر يستدعي ذلك، وأسجل هنا أنني عندما اخترت هذا البحث كددت أراجع عنه، لخوفي من بعده عن الأهداف المتواخاة من دراستي الإسلامية البعد، غير أنني وبعد تفحص الموضوع من معظم جوانبه، وجدت أنه غني وبكر ويستحق أن نتناوله بجد، سواء من الناحية العلمية أو من الناحية الشرعية الإسلامية، ووجدت في جانب أخلاقيات المهنة أهم جانب يمكن أن أجسد فيه هذا الإهتمام، بالربط بين البعد العلمي العام والبعد الشرعي الإسلامي.

وأمام هذه الرغبة في تناول الموضوع بعمق وجد، واجهتني بعض الصعوبات أهمها: أن الصحيفة التي اخترتها كنموذج تطبيقي صودرت منذ سنة 1992، مما أدى إلى الصعوبة في الحصول على عينة تخضع للمقاييس العلمية الدقيقة، هذا فضلاً عن قلة الدراسات السابقة في هذا الموضوع، ما عدا بعض المذكرات التي لا يعتبرها علماء مناهج البحث دراسات سابقة، إلا أنني ذكرت بعضها منها لجدية الطرح فيها من جهة وأهميتها من جهة أخرى، وقد ذكرت في الفصل التطبيقي، ولم أعتز على دراسات أكاديمية لما بعد التدرج في هذا الموضوع، إلا ما تعلق بالكاريكاتور، ودراسته كأحد وجود التعبير الإعلامي وكثيراً ما يفصل عن الصحافة، وكل ما عثرت عليه هو بعض البحوث المتعلقة خاصة بالأدب والفكاهة، والأدب والسخرية، وكانت الاستفادة من هذه الكتب في بعض الجوانب الخاصة بالأسلوب مثلاً، وأشكال التحرير، أما المذكرات التي سقتها في الجانب التطبيقي فقد كان استغلالها للتأكيد فقط ولم أعتمدها كمراجع.

ولأجل تحقيق الأهداف المرجوة -أيضاً-، حاولت قدر المستطاع إختيار منهج البحث اللائق والمناسب، لأن المنهج في البحث العلمي هو الكفيل بالإجابة المناسبة على الأسئلة التي تثيرها المشكلة موضوع البحث، وهو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة، وهو نظام من القواعد والإجراءات المنظمة الواضحة التي يؤسس عليها البحث تجاه متطلبات تقويم المعرفة.. وهو خطوات منتظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى نتيجة معلومة، ومن هنا يكون في مأمن من الوقوع في الخطأ العلمي.

وبما أن استعمال أكثر من منهج لبحث ظاهرة واحدة مسموح به وخاصة في بحوث الإعلام لإرتباطها بعدة فروع من العلوم الإنسانية، فقد عمدت في بحثي هذا إلى تطبيق منهجين متكاملين،

الأول المنهج الوصفي، الذي كان الإعتماد عليه في الجزء النظري من الدراسة، و الثاني منهج تحليل المحتوى، الذي استعملته في الجزء التطبيقي.

و المنهج الوصفي يعتمد على دراسة الموضوع أو الظاهرة، كما توجد في الواقع، و يهتم بوصفها، و صفاً دقيقاً، بما يسمح من اعطاء صورة متكاملة عن الظاهرة، و الاحاطة بأهم جوانبها، ثم أن المنهج الوصفي ينطلق من الملاحظات و الوصف الدقيق إلى الفرضيات، أي ملاحظة الأحداث و المعطيات، و صياغة بعض التعليمات للأحداث المتشابهة، ثم صياغة افتراضات تفسر هذه الأحداث على ضوء التعليمات السابقة، و التأكد من ملاءمة هذه الافتراضات للواقع المدروس، و أخيراً محاولة بناء نظرة متكاملة من منطلق تلك الافتراضات.

و تجدر الإشارة هنا، أن المنهج الوصفي لا يتبنى الروى و النظرات و الافتراضات، إلا بعد اخضاعها للتدقيق و التمحيص، و أن هم الباحث فيه، أن يشرح ما يقع تحت نظره شرحاً وصفيًا موضوعياً قدر المستطاع، دون اصدار أحكام جاهزة، لأن همه الوصف لافرض الأحكام.

و كان اعتمادي على المنهج الوصفي خاصة في الجزء النظري، من البحث، أما في الجزء التطبيقي، فإن ضبيعة الدراسة التي أتقدم بها، استدعت، استعمال منهج تحليل المحتوى، ثم أنني مقتنعة بصلاحيته لتفسير الظواهر الإعلامية، و تحقيق الفروض العلمية، و الإجابة عن التساؤلات، كما أثبتت الدراسات الكثيرة في هذا المجال صلاحيته على التنبؤ، خاصة إذا أحسن الباحث استعماله، و تطبيق إجراءاته على أحسن وجه، و سأطرق إلى الحديث عن هذا المنهج باستفاضة، في الجزء التطبيقي، و بالضبط في الاطار المنهجي للدراسة.

و في حدود الهدف العام للبحث، الذي أسعى من خلاله إلى إعطاء صورة عامة حول الصحافة الساخرة المكتوبة في الجزائر، و كيف كان تعاملها مع الجمهور، بالتحقق من مدى التزام إحدى الصحف الساخرة، بالمبادئ و الاخلاقيات الصحافية، فقد قسمت هذه الدراسة إلى خمسة فصول، أربعة منها خصصت للإطار النظري، و الفصل الخامس خصصته للإطار التطبيقي، فجاءت خطة هذا البحث كمايلي :

- الفصل الأول : و هو فصل تمهيدي، يمثل الإطار العام للبحث، و ضم هذا الفصل أربعة مباحث، تناول المبحث الأول التعاريف الخاصة بالإعلام و الاتصال، و كان لا بد من هذا المدخل التعريفي، لوضع الخلفية العامة للدراسة، ثم أن هذا المدخل يعتبر مدخلا تقليدياً في جل البحوث الإعلامية.

و مواصلة لوضع هذا الإطار العام، تناول المبحث الثاني، أهمية الإعلام، محاولة بذلك، أن أحسن، بمدى أهمية البحث في هذا المجال.

أما المبحث الثالث فقد تناول عجالة في التطور التاريخي و التكنولوجيا لوسائل الإعلام، لأنطرق بنوع من التركيز إلى الصحافة المكتوبة، مع الإشارة بنوع من الاختصار إلى الوسائل الأخرى، وتأثيرها على الإعلام المكتوب.

و أخيرا ختمت الفصل، بمبحث تناول الوظائف الأساسية للإعلام، - و الصحافة المكتوبة على الخصوص - و كان التركيز على ما ينبغي أن تكون عليه وسائل الإعلام، و ما يجب أن تقوم به من وظائف، مع الإشارة في نهاية المبحث إلى واقع هذه الوسائل، و غياب الرسالة العظمى المنوطة بها. - الفصل الثاني : و في هذا الفصل حاولت أن أنتقل إلى التخصيص في الإطار، فتناولت الصحافة الساخرة، من عدة جوانب، حوتها ثلاثة مباحث و مدخل تعريفي، هذا المدخل، كان بمثابة التمهيد الذي تناول بعض المصطلحات بالتعريف، و ذلك كالتسخرية و الفكاهة و التهكم و الهزل. و هذا من أجل تبرير اختياري لمصطلح "ساخرة" كوصف للصحافة التي تناولتها بالدراسة، و إزالة اللبس الذي قد يقع بسبب تداخل المصطلحات المذكورة.

و تناول المبحث الأول عجالة تاريخية، في نشأة و تطور الصحافة الساخرة في العالم، و ذلك في مطلبه الأول، الذي بينت من خلاله أهم الصحف الساخرة، و الصحفيين الذين اهتموا بهذا الميدان، خاصة في إنجلترا و فرنسا و أمريكا، و بعض الدول الأخرى الشرقية و الغربية، و حاولت الإشارة إلى أهم الجوانب التي اهتمت بها الصحافة الساخرة في هذه الدول عبر مختلف مراحل تطورها السياسي و الثقافي و الاجتماعي، و التي من خلالها يمكن التعرف على أهم التطورات التي مست الصحافة الساخرة في أساليبها و أشكالها.

و في المطلب الثاني من هذا المبحث، حاولت المرور إلى جانب أقرب، و هو المجال العربي، و هذا التخصيص، يستدعيه الانتماء العام للجزائر، و كذلك لأهمية التجربة في الوطن العربي، و قد ركزت على أهم الصحف الساخرة من حيث ثراء التجربة و تجذرها، ثم أن هذه الخلفية، تمثل جانبا من الرصيد الذي استفادت منه الصحافة الساخرة في الجزائر قبل و بعد الاستقلال، و من هنا جاءت ضرورة الإشارة إليه لأهميته.

أما المبحث الثاني في هذا الفصل فقد تناول مطلبين هامين، تناولتهما بنوع من الاختصار على أهميتهما، و حاولت الربط بينهما و بين الموضوع الرئيسي.

المطلب الأول دار حول لغة الصحافة الساخرة و أساليبها، موضحة بذلك ما ينبغي أن تتميز به لغة الصحافة، ليقال عنها ساخرة، و كان تناولتي لجوانب الموضوع، من باب الإشارة إلى أهمها، و أشهرها و أكثرها استعمالا.

و انتقلت في المطلب الثاني، إلى ذكر أهم الأهداف التي تتوخاها الصحافة الساخرة و دورها الهام في المجتمع، محاولة بذلك توضيح أن هذه الأهداف لا تسوغ للصحف الساخرة، تجاوز بعض الحدود التي تخرجها عن إطار احترام الجمهور، و مراعاة أخلاقيات المهنة.

و أخيرا توج هذا الفصل بمبحث هام جدا، له علاقة وطيدة بالصحافة الساخرة، و يتناول الصحافة الساخرة و العلاقة المتبادلة بينها و بين السياسة، و يضم نظرة عامة حول أهم النظم الاعلامية، التي هي عبارة عن نتاج للنظم السياسية في أي بلد، كما تم التطرق فيه إلى تأثير الجانب السياسي في الصحف الساخرة، من حيث التوجه، و أسلوب التحرير، و حرية الانتشار و الاستمرار في الصدور، ثم تناولت العلاقة الثانية، و هي مدى تأثير الصحافة الساخرة، في المجال السياسي و الأحداث السياسية و التركيز على رجال السياسة و جعلهم مادة هامة لها، و حاولت ضرب أمثلة في كلا الجانبين.

- الفصل الثالث : الصحافة الساخرة في الجزائر : انتقلت من خلاله، إلى الإطار المباشر للموضوع، فسلطت الضوء أولا على الصحافة المكتوبة في عجلة تاريخية ركزت فيها على أهم المنعطفات في تاريخ الصحافة المكتوبة في الجزائر قبل الاستقلال و بعده، ثم خصصت المعالجة أكثر فتناولت الصحافة الساخرة قبل الاستقلال و بعده.

ففي المبحث الأول : الذي ضم مطلبين، الأول : تناول الصحافة المكتوبة في الجزائر قبل الإستقلال، من حيث التطور التاريخي، و التركيز على بعض الجوانب التشريعية مراعاة لطبيعة الدراسة، و تناول المطلب الثاني : الصحافة المكتوبة في الجزائر بعد الاستقلال، متتبعا أهم المراحل التي مر بها الإعلام المكتوب في هذه الفترة مع التركيز دائما على الجانب التشريعي.

و ضم المبحث الثاني : مطلبين أيضا، الأول تطرق إلى الصحافة الساخرة في الجزائر قبل الإستقلال، بالتفصيل و ذلك من خلال تتبع مراحل التطور، و أهم الصحف التي عرفت في هذه الفترة، و أهم الأقلام الساخرة أيضا، مع عدم إهمال جانب التحرير، و مدى التزام الصحف آنذاك بالمبادئ و الأخلاقيات العامة، و في المطلب الثاني : تم التعرض إلى الصحافة الساخرة في الجزائر بعد الإستقلال، و أشرت من خلاله إلى مرحلة ما قبل دستور 1989م، التي شهدت قحطا في هذا المجال، و كان التركيز في هذا المطلب على ما بعد دستور 1989، على اعتبار أنها مرحلة شهدت انتعاشا في الصحافة الساخرة، كما شهدت تسارعا في الأحداث أثرت كثيرا على مسيرتها، و تعرضت في هذا المطلب كسابقه إلى أهم الصحف الساخرة التي عرفتها الساحة الإعلامية في هذه الفترة.

- الفصل الرابع : فلسفة الأخلاق في الصحافة الساخرة : و يمثل هذا الفصل الإطار النظري للجانب التطبيقي، عالجت من خلاله مسألة الأخلاق، عبر النظم المختلفة للإعلام، و تطرقت إلى البديل الإسلامي، و هذا ما تناوله المبحث الأول.

و في المبحث الثاني : تطرقت إلى الجهود المبذولة في إطار التشريع الإعلامي في مجال أخلاقيات المهنة، و المحاولات الكثيرة التي كانت تهدف إلى إيجاد أرضية مشتركة لأخلاقيات المهنة. و انتهت في المبحث الثالث إلى الحديث عن أخلاقيات المهنة في الصحافة الساخرة، مركزة على الأخلاقيات الإسلامية، التي تشترك في كثير من نقاطها، مع أخلاقيات المهنة العالمية.

- الفصل الخامس : و ضم هذا الفصل الدراسة التطبيقية : التي حاولت من خلالها تطبيق منهج تحليل المحتوى" على نموذج من الصحافة الساخرة المعربة، و هي "الصح - آفة" التي تعتبر أهم تجربة في الصحافة الساخرة في الجزائر، و ذلك من أجل الكشف عن مدى التزام هذه الصحيفة بأخلاقيات المهنة، و الأخلاق الإسلامية - خاصة-.

و ضم هذا الفصل مبحثين، الأول : الاطار المنهجي ، و هو يمثل الجانب النظري في الدراسة التطبيقية، القيت فيه نظرة على البحث في مجال الاتصال الجماهيري في عجلة تاريخية، ثم تطرقت إلى الدراسات السابقة في مجال البحث الذي أتقدم به، و أشرت إلى أن هذه الدراسات سقنتها للاستئناس، لأنها مذكرات ليسانس، و ليست بحوثا في الماجستير أو الدكتوراه، و مع ذلك فقد كانت من الاهمية بمكان، مما أدى إلى عدم إهمالها، و تناولت في نقطة أخرى الحديث عن العينة، إطارها، حجمها، و نوعها، كما تعرضت أيضا إلى المنهج المستعمل في الدراسة التطبيقية بالتفصيل، و في آخر هذا المبحث وضعت تصميم كشف الدراسة متبعية الخطوات المنهجية في ذلك.

المبحث الثاني : عرض البيانات و تحليلها، و يمثل الجانب التطبيقي الذي تعرضت فيه إلى الموضوع مباشرة، فوضحت بداية الأشكال المعتمدة في صحيفة "الصح - آفة" و التي تعد هي وحدات التحليل، مدعمة ذلك، بجدول يبين مساحة و نسبة كل شكل على حدة، في أعداد العينة، ثم تم التفسير الكيفي للأرقام المسجلة بعد التحليل الكمي، و ذلك من أجل إعطاء صورة عامة على شكل الصحيفة، و القوالب التي تصب فيها مادتها، بعدها دخلت في صميم الموضوع من خلال عرض البيانات الخاصة بأخلاقيات المهنة في "الصح - آفة" عبر العينة المختارة، و تم تحليلها و تفسيرها، بما يوضح مدى التزام "الصح - آفة" بهذه الأخلاقيات، و في هذا الجزء، أسقطت الفئات المختارة على وحدات التحليل الممثلة في الاشكال الصحفية و ذلك باعتماد وحدات العد و القياس المناسبة.

و أخيرا، عرضت النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة، في جانبها النظري و التطبيقي، و هي في الوقت ذاته، إجابات عن التساؤلات التي طرحت حول هذا الموضوع، كما أنها خلاصة لجميع جوانب الموضوع، تناولت أهم ما انتهى إليه البحث.

و الخاتمة، حاولت من خلالها توضيح الرؤية العامة التي تشكلت، بعد دراسة جوانب الموضوع، كما أشرت فيها إلى أهم الحقائق التي تأكدت بعد دراسة هذا الموضوع.

و هكذا، فإن كان موضوع الصحافة الساخرة في الجزائر متعدد الجوانب، و متشعب و كان من الصعب في البداية تحديد السؤال الكبير الذي يشغلي - بعد الاهتمام بالموضوع عامة - فقد توصلت بعد القراءات الكثيرة، إلى وضعه في هذا الشكل، و توصلت إلى تحديده، و تحديد أهم الجوانب المتعلقة به، و ذلك من أجل الوصول إلى دراسة متكاملة نسيبها، و واضحة المعالم، و الله أسأل أن أكون قد وفقت - و لو بدرجة متوسطة - في الإيفاء بشروط البحث، و في تقديم، دراسة يمكن أن تعتبر لبنة جديدة أو إضافة من الإضافات الجادة، في هذا المجال من البحث.

المبحث الأول : تعريفات

تعتبر الصحافة، و الصحف -بصفة محددة- إحدى وسائل الإعلام، أو وسائل الإتصال الجماهيري، و هي الوسائل الحديثة التي يمكن بواسطتها توجيه رسائل إلى الجماهير و يمكن بواسطتها توصيل الأفكار و الآراء و المعلومات لهم، في كل مكان يوجدون فيه، و هذه الوسائل قد تكون مطبوعة مثل الصحف و الكتب و النشرات و الصور و الرسوم، أو مسموعة مثل الراديو، أو مسموعة مرئية مثل التلفزيون و السينما، و تقوم هذه الوسائل بوظائف أهمها الإعلام و التعليم و التوجيه و الترويج و غيرها من الوظائف الهامة.

و من هذا المنطلق، نتطرق إلى كلمتي "إتصال" و "إعلام" لتعريفهما، و بالتالي التعرف على الإطار العام الذي تدرج فيه " الصحافة"، و قبل التطرق إلى هذه التعريفات، نشير إلى أن المصطلحين و إن كان لكل منهما مدلوله و تعريفه، غير أن الكتب في هذا المجال كثيرا ما نجد فيها إلتباس بين المصطلحين، دون أن يوضح أصحابها بعض التحديدات التي تزيل ذلك اللبس، لذلك كان هذا المدخل، محاولة مني لتحديد المصطلحين و وضع كلا في موضعه الملائم.

(1) مفهوم الإتصال :

لقد أصبحت كلمة "الإتصال" "Communication" من الكلمات الشائعة و المستخدمة في حياتنا العامة و الخاصة، و النشاط الاتصالي للإنسان لا ينصرف إلى ساعات تعرضه لوسائل الإعلام الجماهيرية فحسب، بل إنه يشمل كل أنواع الاتصالات التي تنشأ بين الفرد و ذاته و بين الفرد و الآخرين، و حتى بين الحيوانات، و في الوحي و النوم...

و قد استعملت كلمة "إتصال" استعمالا واسعا، فتعددت معانيها، فهي تعني نقل الأفكار و المعلومات من فرد إلى آخر و تعني كذلك أي خطوط للمواصلات أو قنوات تربط بين مكان و آخر، أو تقوم بنقل سلع أو أفراد و يستخدمها المهندسون للإشارة إلى التليفون و التلغراف و الراديو و يستخدمها الأطباء في الإشارة إلى الأمراض المعدية، و يستخدمها علماء الإجتماع في الإشارة إلى العمليات التي تؤثر عن طريقها الأفراد فيمن حولهم، و ينظر علماء الإجتماع إلى المجتمعات على أنها نظم إتصال.(1)

و هذه التفرعات الكثيرة تجعل تحديد المفهوم مطلبا ملحا، و المنطلق الملائم في تحديد أي معنى هو التطرق إلى المعنى اللغوي.

فالإتصال لغة، من وصل يصل وصلأ، نقول وصلت الشيء وصلأ و وصلأ و وصلأ، و الوصل ضد الهجران، و يقول ابن سيده : الوصل خلاف الفصل، و في القرآن الكريم جاء قوله تعالى : ﴿ وَ لَقَدْ سَأَلْنَا لَكُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (1) أي وصلنا ذكر الأنبياء و أقاصيص من مضى بعضها ببعض

(1) كرم شلي، معجم المصطلحات الإعلامية، إنجليزي-عربي، ض:1، (بيروت : دار الشروق 1409هـ - 1989 م) كلمة : Communication

(2) سورة: القصص، الآية : 51.

لعلهم يعتبرون، و اتصل الشيء بالشيء لم ينقطع، و وصل الشيء إلى الشيء وصولاً و توصل إليه. انتهى إليه و بلغه (1)، و جاءت المعاني نفسها -تقريباً- في القاموس المحيط للفيروز ابادي(2).

و نشير إلى أن لفظ اتصال تقابله في اللاتينية كلمة (Communication) هذه الكلمة التي انبثقت من اللفظ اللاتيني (Communis) الذي يعني : (عام أو مشترك) أو من اللفظ (Communicare) و الذي يعني : (تأسيس جماعة أو المشاركة) و من الواضح على الأقل أن اللفظ يدل على المشاركة أو تلاقي العقول، و على إيجاد مجموعة من الرموز المشتركة في اذهان المشاركين.(3)

و بعيداً عن التعريف اللغوي لكلمة «إتصال» - و كما سبق أن أشرنا - فإننا نجد صعوبة معتبرة في الحصول على تعريف إصطلاحي محدد، و اضح و شامل، و لا بأس أن نسوق بعض التعريفات، حسب المنظور الذي ينطلق منه أصحاب التعريفات، و سنسوق كل هذه التعريفات لنستأنس بها للخلوص إلى تعريف أقرب إلى الشمول و الوضوح.

إن الذين عرفوا كلمة «إتصال» أو عرفوا الظاهرة ككل لم يتفقوا في الاتجاه، حيث ظهرت عدة اتجاهات تحاول تعريف «الإتصال» من زوايا مختلفة.

1 - فمنهم من عرفه من خلال تحديد عناصر أو محتويات النظام الاتصالي، و لعل أقدم تعريف من هذا المنظور، تعريف "أرسطو" (384 - 322 ق.م) الذي يرى أن عملية الإتصال تحتوي على ثلاثة عناصر : (أ) المتحدث، (ب) ما يقوله هذا المتحدث، (ج) الجمهور أو متلقي الرسالة.(4) أما "بورك" (Edmund Burke) (1729 - 1797م) فقد عرف «الإتصال» من خلال تحديده لخمسة مناظير مترابطة يمكن من خلالها رؤية الأحداث الاتصالية و هي (أ) الفعل، (ب) مكان وقوع الفعل، (ج) القائم بالاتصال، (د) الوسائل المستخدمة (هـ) الهدف أو الغرض. و يعرف "لازويل" (Lasswell) (1902 - 1978م) «الإتصال» من خلال تساوله الشهير، من؟ قال ماذا؟ بأي وسيلة؟ لمن؟ و بأي تأثير؟ فيحدد بذلك خمسة عناصر للإتصال و هي المصدر، الرسالة، الوسيلة، الجمهور أو المتلقي و التأثير.

و اعتمد "جيربندر" (Gerbner) على تعريف لازويل فحدد عناصر الإتصال و صاغها كمايلي : شخص ما، يدرك حدثاً، و يستجيب، في موقف ما، من خلال بعض الوسائل ليجعل مواد متاحة في شكل ما، و سياق ما، تنقل محتوى له نتائج، و نلاحظ أنه أضاف عناصر جديدة.

(1) ابن منظور، لسان العرب، (اللسان - القاهرة : دار المعارف)، مادة "وصل" (دون طبعه عن سنة).

(2) عب الدين الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ط 3، (مصر : المطبعة الميرية 1302 هـ) ج:4، مادة "الوصل" ص: 64.

(3) جون ميرل و رالف لوينشتاين، الإعلام وسيلة و رسالة، تعريف ساعد خضر العرابي (الرياض: دار المريخ للنشر، 1409 هـ - 1989م)، ص: 25، (دون طبعه).

(4) حمدي حسن، مقدمة في دراسة وسائل و أساليب الإتصال، (القاهرة : دار الفكر العربي : 1987م)، ص : 64 (دون صفة).

و يعد تعريف شانون و ويفر (Weaver (1894). Channon. (1916))، من أكثر تعريفات "الإتصال" شهرة إذا اعتبر أساساً لتعريفات و نماذج جاءت من بعد، و يضم هذا التعريف خمسة عناصر لعملية الإتصال و هي : المصدر، المرسل، الإشارة*، المستقبل و المقصد.

أما تعريف "برلو" (Berlo) فإنه يحتوي على أربعة عناصر هي : المصدر، الرسالة، الوسيلة و المستقبل، يضاف إليها عنصران فرعيان المرمز (Encoder) و يتصل هذا العنصر بالمصدر، و جهاز فك الشفر (Decoder).

و في الاتجاه نفسه نجد تعريفات مشابهة عند : ولبر شرام (Wilbur Sahram) و ويستلي و ماكلين (Westley, Maclean)، و فيرينج (Fearing) و جونسون (Johnson) و آخرين (1). و من خلال هذا العرض للتعريفات و النماذج يتضح لنا أنها اتفقت على أربعة عناصر أساسية و هي : المصدر، الرسالة، الوسيلة و المستقبل، على أنه لم يحدث اتفاق في درجة الاهتمام بكل عنصر.**

2 - و هناك من عرف الإتصال باعتباره صيرورة (Processus) و يرى الدكتور "حمدي حسن" أن هذه التعريفات أقرب إلى تحديد المفهوم ذلك أن وصف الإتصال بأنه صيرورة يعني أنه ظاهرة مستمرة و متغيرة لا بداية لها و لا نهاية و لا يخضع لتتابع معين ثابت، و القول بأن الإتصال يتكون من مصدر و وسيلة و مستقبل مثلاً، و بهذا الترتيب إنما هي مجرد محاولة لبيان سريان الإتصال حسب ترتيب منطقي يستوعبه الانسان، و هو رأي أقرب إلى الصواب لأن تعريف الإتصال باعتباره عملية، يضمن الشمولية أكثر. (2)

و من التعريفات التي أخذت هذا الإتجاه : تعريف "هايدر" و "نيوكمب" (Heider, New Comb) حيث استخدم "هايدر" (1946) النموذج المعرفي لتوضيح المبدأ العام في عملية الإتصال، فحدد أبعاد نموذج في : (أ) اتجاه الشخص نحو المصدر، (ب) اتجاه الشخص نحو قضية من القضايا، (ج) ادراك الشخص لاتجاه المصدر نحو هذه القضية أي أن هناك، شخص و مصدر و قضية.*** أما تعريف "نيوكمب" (1953) فقد قام بتوسيع نموذج "هايدر" ليشمل اتجاه المصدر نحو الشخص فطور نموذج "هايدر" من نموذج الإتصال الذاتي (Intrapersonel) إلى نموذج للإتصال الشخصي (Interpersonel).

(*) الإشارة : هنا تعرب لكلمة (Noise) أي الضوضاء، على اعتبار أن هذه الكلمة يقصد بها مصطلح (Signal) أي الإشارة، و هذا النموذج في الأصل استخدم لوصف الإتصال الإلكتروني و اعتبره بعض العلماء قابلاً للتطبيق في مجال الإتصال الإنساني.

(1) حمدي حسن، مرجع سابق، ص-ص : 64-65-66.

(**) بورك يؤكد على هدف أو دافع المصدر، و لازويل و جويرنر يؤكدان على تأثير الإتصال، في حين يشير رايلي إلى أهمية البيئة.

(2) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 67 (هامش).

(***) و كمثل لشرح هذا التعريف: إذا كان لشخص اتجاه إيجابي نحو شخص ما و اعتقد أن هذا الشخص له اتجاه إيجابي نحو القضية نفسها فإنه يشعر بارتياح اتجاه الموقف الإتصالي بوجه عام.

ثم طور كل من ويستلي و ماكلين (Westly. Maclean) نموذجي "هايدر" و "تيوكمب" و يفترض هذا النموذج أن عملية الاتصال تتكون من مجموعة من الأحداث، التي يدركها، مصدرها، الذي يقوم بدوره بنقل المعلومات التي توفرت له إلى وسيلة إعلامية ما، و تقوم هي الأخرى باعادة نقل هذه الرسالة أو المعلومات إلى مستقبل*.

فهذا النموذج كما نرى يضيف عناصر مثيرة تتمثل في : أن عملية الاتصال فيها رجع صدى (Feed back)**، و أن بث المعلومات يمكن أن يكون من الوسيلة متجاهلا المصدر، و هذا النمط من البث غالبا ما يكون في الإتصال الجماهيري، و أضاف التعريف أيضا أن وسائل الاتصال الجماهيري تلعب دور حراس البوابة*** الذين يختارون و يحررون و يعيدون إذاعة المعلومات أو الرسائل، و يقترب هذا النموذج من آراء "لازرسفيلد" و "برلسون" و "جوديت" في نظرية تدفق المعلومات على مرحلتين. (1)

3 - التعريفات التي حاولت تحديد مفهوم الإتصال من خلال تحديد وظائفه، و منها تعريف "ستيفنز" (1950 Stevens) أحد علماء النفس الذي يرى أن الاتصال هو الإستجابة المميزة لكانن بتأثير حافز، و "ستيفنز" كان يرى أن الإتصال وجه من وجوه التعليم.

و يرى "هول" (Hall 1873 - 1930) و هو أحد علماء الأنثروبولوجيا أن الاتصال هو الثقافة و الثقافة هي الإتصال و ذلك في عبارته المشهورة (Communication is culture and culture is communication).

و من خلال هذا العرض يتضح أن الصعوبة واردة في تحديد معنى واضح للإتصال، و هذا لا يمنعنا من الإجتهد في جمع هذه التعريفات و استخلاص تعريف أقرب إلى الشمول.

و التعريف الذي يمكن أن نخلص إليه هو : «الإتصال هو العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي و مرسل الرسالة (كائنات حية، أو بشر أو آلات) في مضامين اجتماعية معينة، و في هذا التفاعل يتم نقل أفكار و معلومات (منبهات) بين الأفراد عن قضية معينة أو معنى مجرد أو واقع معين» فنحن حينما نتصل نحاول أن نشرك الآخرين و نشترك معهم في المعلومات و الأفكار، فالإتصال يقوم على مشاركة المعلومات و الصور الذهنية، الآراء (2) و لا يقصد بالمعلومات الأخبار أو الحقائق فقط، بل المقصود بذلك أي مضمون يعمل على التقليل من عدم اليقين أو عدد البدائل المحتملة في أي ظرف من الظروف.

(*) كمثال توضيحي : لو افترضنا أن الحدث هو اغتيال شخص، و أن المصدر هم شهود عيان، فإن هؤلاء سيتقلون الخبر إلى مندوبي الأخبار في وسائل الإعلام و تقوم وسائل الإعلام بدورها بنقل هذا الخبر إلى الجماهير.

(**) الأثر العائد أو التغذية المرتدة و هو مصطلح يستعمل في الإتصال و يراد به رد فعل المتلقي انحاء رسالة ألقى بها مرسل (راجع : محمد زيد محمود عثرت، قاعوس المصطلحات الإعلامية - دراسة دار المسروق، 1964، ص 140).

(*** مصطلح إعلامي يقصد به الذين يعيدون صياغة الأخبار، (راجع : معجم المصطلحات الإعلامية)

(1) للإستزادة في التفصيل راجع : جيهان رشتي، الأسس العلمية في نظريات الإعلام، ص: 442.

(2) جيهان أحمد رشتي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1971)، ص: 53 (دون طبعة).

و هكذا فإن هذا التعريف بقدر ما هو واسع، بقدر ما يمكن اعتباره أقرب إلى الوضوح، و قد حوى هذا التعريف كل العناصر التي تكون الإتصال كعملية أو كعناصر، أو من ناحية الوظائف.

و في التأسيس الإسلامي لهذا المفهوم، ذهب الدكتور "عبد العزيز شرف": إلى أن مفهوم "الإتصال (Communication) هو المفهوم الذي يذهب إليه "البيان" * في اللغة العربية، و في القرآن الكريم اشارات كثيرة إلى البيان منها قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ مَلَكُ الْعَزَّازِ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (1) و قوله عزوجل ﴿مَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَ مُدَى وَ مَوْجِزَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (2) و قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِمَلِكِكَ الْحِكْمَةَ تِيبًا مَّا لِحُلِّمْهُمْ﴾ (3) و غير هذه المواضع كثيرة في القرآن الكريم، بالإضافة إلى ما ذكر سابقا من أن الله - عزوجل- أمر رسله -عليهم السلام- "بالتبليغ" و هو أوضح صور الإتصال الانساني و أرقاها، فالله - عزوجل- يذكر جميل بلانه في تعليم البيان و الإتصال الإنساني و عظيم نعمته في تقديم الاتصال اللفظي، و مدح الافصاح و حسن التفصيل و الايضاح و جودة الإفهام، فالبيان في المفهوم الاتصالي يعني إظهار المقصود بأبلغ لفظ، و الإتصال يعني انتقال المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهات أو العواطف (4)، و لم تقتصر الاشارات في القرآن الكريم على الاتصال اللفظي بل تعدته إلى الاتصال غير اللفظي و ذلك في أكثر من موضع، حيث يرشدنا القرآن إلى قواعد السلوك القويم، واضعا في اعتباره طبائع الإنسان و أنماط اتصاله الظاهرة و الباطنة، ففي قوله تعالى - مثلا ﴿وَلَا يَخْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْكَ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِكُمْ﴾ (5) إشارة واضحة إلى أن أصوات الخلائيل تحمل أيضا رسالة و تعتبر اتصالا - غير لفظي - بين طرفين. (6)

و في السنة نجد أن النبي -صلى الله عليه و سلم- قد امتثل لأمر الله -عزوجل- بالتبليغ احسن امتثال، و كان صدعه بالحق و مضيه في الدعوة -رغم المشاق-، كان ذلك منه، حرص كبير على الأصل في الإقناع، و هو الإتصال بالناس و إفهامهم و التوضيح لهم، فمثل بذلك أجمل صور الاتصال الإنساني، و احتوت أحاديث النبي -صلى الله عليه و سلم- على كثير من التوجيهات في هذا المجال و من ذلك قوله -صلى الله عليه و سلم- (نصّر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني) (7) و قوله

(*) البيان : جزء من اللسانيات، أي علم المعاني.

(1) سورة: الرحمن، الآية : 1-2-3-4 .

(2) سورة: آل عمران، الآية : 138 .

(3) سورة : النحل، الآية : 89.

(4) عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، ط:2، (القاهرة : دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1409هـ - 1989م)، ص:ص 17 إلى 34.

(5) سورة : النور الآية : 31.

(6) راجع، حسن رجب، "أدب الاسلام و علم الاتصال"، ط:1، قطر كتاب الأمة 28، مقالات في الدعوة و الاعلام، (رجب 1411 هـ - 1991)، ص: 80.

(7) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب: "من بلغ علما"، حديث رقم: 236، ج:1، (طبعة : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع)

- عليه الصلاة والسلام- (بلغوا عني ولو آية، فرب مبلغ أوعى من سامع، و رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)(1).

و يروي البخاري، باب من خص بالعلم قوما كراهية ألا يفهموه : (.. و قال علي : حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله و رسوله..)

و أهتم المسلمون بعد ذلك بهذه المسألة، و اصلوا درب النبي -صلى الله عليه و سلم- في الإبلاغ و البيان لأن أمة محمد تدخل في كل خطاب للنبي -عليه الصلاة و السلام- يأمر بالتبليغ و البيان و الدعوة إلى ما أمر الله تعالى.

و لقد تنبه علماء البلاغة إلى هذا المفهوم و تطرقوا له بالشرح و التفصيل و التدقيق، و أعطوا له مدلولاً اصطلاحياً خاصة عندما أخرجوا المفهوم من حيز اللغة إلى إطار الدراسات البلاغية، و ظهر ذلك -خاصة- عند الجاحظ، حيث يبين المفهوم الإتصالي للبيان، خاصة في كتابه "البيان و التبيين" الذي جمع فيه الكثير من الأقوال حول البيان "الإتصالي"، ذلك أن "البيان" عند الجاحظ مرادف لمفهوم "الإتصال" الحديث، من حيث الكشف و الإيضاح، و الفهم، و الإفهام.. و من أحسن التعريفات عنده التعريف الذي يقول: «البيان إسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، و هتك الحجاب دون الضمير حتى يفرضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كأننا ما كان ذلك البيان، و من أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري إليها القارئ و السامع، إنما هو الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»(2)

و فصل الجاحظ كثيراً في كتابه "البيان و التبيين" في مسائل "البيان" فكان بذلك قد تناول مسائل دقيقة من صميم موضوع "الإتصال"، و جاء بعده علماء كثيرون في البلاغة زادوا الموضوع تفصيلاً و إيضاحاً و منهم "أبو الحسين الكاتب" في كتابه "البرهان في وجوه البيان"(3) الذي جاء فيه "البيان على أربعة أوجه : فمنه بيان الأشياء بذواتها و إن لم تُبَيَّنْ بلغاتها، و منه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر و اللب، و منه البيان باللسان، و منه البيان بالكتاب و هو الذي يبلغ من بعد (4).

و هذا الكتاب "البرهان في وجوه البيان" ألف بعد سنة 335هـ، و بذلك فإن أبا الحسين الكاتب صاحب هذا الكتاب له السبق في مجال الإتصال و في تقسيماته و في التنظير له بصفة عامة، فهو كما نرى يوضح في كتابه أقسام الإتصال، فيذكر الإتصال الذاتي، و الشخصي و الجماهيري.(5)

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الفتن، الباب : الثامن، و في كتاب : الأنبياء، باب : "ما ذكر عن بني اسرائيل"، ج : 4 ص : 328.

(2) عبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص : 17.

(3) هذا الكتاب نسب خطأ لقدامة بن جعفر بعنوان نقد النز (كما أقر عبد العزيز شرف في كتابه المدخل إلى وسائل الإعلام ص : 272)

(4) عبد العزيز شرف، المرجع نفسه، ص : 272.

(5) المرجع نفسه، ص : 272.

و من هنا نستطيع أن ننتهي إلى القول بأن الفكر الإسلامي لم يخل من دراسة "الاتصال" كظاهرة و ان الإهتمام وارد عند علماء الإسلام سواء منهم علماء البلاغة -كما سبق ذكره- أو الفلاسفة (1)، أو المهتمين بفقهاء الدعوة و البلاغ فكان استلزامهم في هذه المسائل من طبيعة الدعوة الإسلامية و نبينا الداعية و الإعلامي الأمتل.

و كخلاصة لهذا العرض، نؤكد أن المقاييس المعتمدة في تقديم تعريف على آخر هي أن يتسع التعريف ليشمل كل عناصر الظاهرة المعروفة، و ألا يتسع بطريقة تجعله فضفاضاً فيحدث الغموض بدخول عناصر غريبة عن المعرف، و التعريف الذي أوردناه نعتقد أنه يضم جل عناصر الاتصال، و يمنع من دخول عناصر غريبة فيتميز الاتصال عن غيره من المصطلحات المشابهة، و ندرك من خلاله أن هناك الاتصال اللفظي و غير اللفظي، و هناك الاتصال الذاتي و الاتصال الشخصي و الاتصال الجماهيري. (2)

2 - مفهوم الإعلام :

الإعلام -بمفهومه العام و كمضمون و محتوى- قديم قدم المجتمع الإنساني، فحيث ظهرت الجماعة المنظمة، ظهرت معها وسائل الإعلام و الحاجة إليها، و قد بدأت هذه الحاجة مع قيام أول خلية اجتماعية و هي الأسرة، فقد كان على رب الأسرة أن يحذر أولاده مما يعرض لهم من أخطار -و هي صورة من صور الإعلام- فلما قامت العشيرة ازدادت الحاجة إلى الأمن و الحماية، مما حملها على انتهاج كل ما يحقق لها هذه الغاية، بطرق إعلامية مختلفة، فلما نمت العشيرة و تحولت إلى قبيلة، تطورت هذه الحاجة أكثر و أخذت صوراً جديدة غير الصور التي سبقت، فلما نما المجتمع و اتسع حجمه نمت حاجته -أيضاً- إلى التواصل و الترابط، و كان الدافع في كل ذلك أن الإنسان اجتماعي بالفطرة، و لم تكن الوسائل التي تحقق هذه الحاجة الفطرية لتقف عند حد معين إنما تطورت و نمت تبعاً لتطور و نمو المجتمعات الإنسانية. (3)

و يرى بعض من كتب عن نشأة "الإعلام" و تطوره (4)، أن أول إعلام كان الإعلام الرسالي باعتبار أن الرسل -عليهم السلام- من لدن آدم -عليه السلام- حتى خاتم النبيين "محمد بن عبد الله" -صلى الله عليه و سلم- كانوا مأمورين بالتبليغ*، و قد أخذ الإعلام -في هذا الصدد- ألواناً و أشكالاً،

(1) كالكندي: الذي يرى أن الإنسان همزة الوصل بين الموجودات و المعارف، و الفارابي: الذي يرى أن العقل الفعال هو عنصر أساسي في تأكيد السعادة الإنسانية عن طريق الإتحاد و الاتصال بين النفوس الإنسانية و بين العقل الفعال. أنظر (عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام).
(2) للإستفاضة في هذا الموضوع يرجع إلى كتب الإعلام، فقد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل، مثل: الاتصال الجماهيري و المجتمع الحديث: النظرية و التطبيق: لسامية محمد جابر، و مقدمة في دراسة وسائل و أساليب الاتصال، خمدي حسن، و غيرها..
(3) حسين فوزي النجار، الإعلام المعاصر، سلسلة اقرأ (مصر: دار المعارف، ع، 495 يناير، 1984) ص: 65.
(4) يوسف محي الدين أبو هلال، الإعلام نشأته -أساليبه ووسائله- ما يؤثر فيه، (مصر: مكتبة الرسالة الحديثة)، ص: 7 (دون ضعة، دون سنة).
(*) نشير أن هناك فرق بين المصطلحين، غير أن إيراد هنا كمرادف للإعلام بمفهومه العام و ليس بمفهومه الحديث.

فمن آدم كان الاتصال بينه وبين "الله" -عز وجل-، فعلمه التصور الاجتماعي و ما يحكم الأوضاع الاجتماعية من خلق و خير و فضيلة، و من هنا كان عقد الاستخلاف قائما على تلقي الهدى من الله قال -عز وجل- : ﴿ تَتْلُوهُ مِنْ رَبِّهِمْ لِقَاءَ رُوحِ الْقُدُّوسِ إِذْ نُوحِيَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَدْعُوا بِحَدِيثِ آيَاتِنَا لِيُؤْمِنُوا بِهَا وَيَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ (1) ﴾، و من هنا بدأت الحياة و بدأ التواصل بين الأفراد الذين يعيشون هذه الحياة.

ثم جاءت الرسل بعد ذلك تترى، كلهم مأمورين بابلاغ أمر الله -عز وجل- في رسالاتهم ﴿ فَعَلَّ مَلَكُ الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ (2) ﴾ ﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۝ (3) ﴾ أي لا نجاة إلا بتبليغ رسالات الله، و غير هذه المواضع في القرآن الكريم كثيرة، كلها تقر أن أول مهام الرسل تبليغ ما أمروا به، و التبليغ و الإبلاغ : الاتصال، نقول بلغ فلان مراده إذا وصل إليه.

و في حديثه عن التطور الاجتماعي لمفهوم "الاتصال و الاعلام" يرى الدكتور زهير احدادن في كتابه "مدخل لعلوم الاعلام و الاتصال" (4) أن هذا المفهوم لم يعرف تطورا كبيرا و ملحوظا من الناحية الاجتماعية إلا ما كان من شأن الأديان السماوية و خصوصا الدين المسيحي و الإسلام، و هي فكرة تؤيد الفكرة السابقة و تقرر أن أول إعلام كان هو الإعلام الديني.

و "الإعلام" كمفهوم عصري و لم يستعمل قديما كمصطلح إلا ما عرف في الإسلام بالتبليغ و الدعوة، مع الإختلاف في التسمية غير أن مفهوم "الدعوة" و "التبليغ" أقرب إلى مفهوم "الإعلام"، و مع حداثة المصطلح فإن كثيرا من الذين كتبوا في الإعلام و الإتصال خلطوا بين المصطلحين، مما يجعل تحديد مفهوم الإعلام ضروري أيضا.

فالإعلام لغة من علم علما، و العلم نقيض الجهل، تقول العرب استعلمه الخير فأعلمه إياه يعني صار يعرف الخير بعد أن طلب معرفته، و تقول علمت الشيء أعلمه علما، عرفته (5)، و الإعلام اختص بما كان باخبار سريع، و التعليم اختص بما يكون بتكرير و تكثير، و حينها يحصل منه أثر في نفس المتعلم لهذا قال يعقوب: إذا قيل لك اعلم كذا، قلت قد علمت و إذا قيل لك تعلم لم تقل قد تعلمت، (6) و تعدد المعاجم اللغوية مادة علم و اشتقاقاتها و هي في كثير من استعمالاتها لا تبتعد كثيرا عن المعنى

(1) سورة: البقرة، الآية : 37 - 38 - 39 .

(2) سورة: النحل، الآية: 35.

(3) سورة: الجن، الآية: 23.

(4) زهير احدادن، مدخل لعلوم الاعلام و الاتصال، ط: 2، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م)، ص: 21.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة "علم".

(6) الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، مجلد: 8، (بيروت: منشورات مكتبة الخبابة)، ص 405، مادة "علم". (دون طبعة، دون سنة)

الاصطلاحى للإعلام، و استعملت الكلمة في التراث الإسلامى للدلالة على الإخبار و الإنباء، كما جاء ذلك في كتاب أبى الحسن العامرى المسمى : "الإعلام بمناقب الإسلام" و كذلك كتاب الماوردى الفقيه الذى عنون كتابه ب "إعلام النبوة" (1).

أما التعريف الاصطلاحى للإعلام فإنه قريب من التعريف اللغوى، و من التعريفات الخاصة بهذا المصطلح :

"الإعلام هو بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية و الإجتماعية و الثقافية و السياسية و ينتشرون في مناطق متفرقة" (2) و هذا التعريف -كما نرى- يستبعد الاتصال الذاتى و الشخصى، فحصره في "أعداد كبيرة من الناس" أى الاتصال الجماهيرى.

و هناك من عرف الإعلام بأنه «تزويد الناس بالأخبار الصحيحة و المعلومات السليمة و الحقائق الثابتة» التى تساعدهم على تكوين رأى صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعتبر هذا الرأى تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير و اتجاهاتهم و ميولهم (3) و هو تعريف ينبغى أن يكون عليه الإعلام خاصة عندما وصف المعلومات بالسليمة و الحقائق بالثابتة، و هناك تعريف آخر يقول : «الإعلام هو نشر الوقائع و الآراء في صيغة مناسبة بواسطة ألفاظ أو أصوات أو صور و بصفة عامة بواسطة جميع العلامات التى يفهمها الجمهور» (4) و هو تعريف ينص على أمرين أساسيين في الإعلام و هما الصيغة التى تتأثر بنوع الوسيلة المستعملة و حسب الحاسة الموجهة إليها، و شيوع الخبر و نشر الوقائع أى معرفة الخبر و الوقائع من طرف عدد كبير من الناس.

و عرفه الدكتور "ابراهيم إمام" * بأنه "نشر الحقائق و الأخبار و الأفكار و الآراء في وسائل الإعلام المختلفة".

و من خلال هذه التعريفات، نصل إلى أن الإعلام كمفهوم عصري ينطبق خاصة على عملية الإتصال التى تستعمل الوسائل العصرية من صحافة و إذاعة و تلفزة و هو مشتق من كلمة "Information" و قد حاول واضعوها تضمين الكلمة أحسن ما يمكن أن تؤديه عن الكلمة الأصلية.

(1) عماد كمال الدين إمام، النظرية الإسلامية للإعلام - محاولة منهجية، ط:2، (الكويت : دار البحوث العلمية، 1403هـ - 1983م)، ص: 13.

(2) المرجع نفسه، ص: 14.

(3) عبد اللطيف حمزة، الاعلام و الدعاية: (مصر : دار الفكر العربى 1404 هـ - 1984م) ص : 131، (دون طبعة)، .. و يؤيد غرض الكاتب من تعريفه هذا، قوله تعليقا على التعريف : "و معنى ذلك أن الغاية من الاعلام هي الاقناع بنشرها و ذلك عن طريق المعلومات و احقائق و الأرقام و الاحصاءات.

(4) تعريف لفرنان تورو، في كتابه « L'INFORMATION » .

(*) أحد كبار علماء الإعلام في مصر :

و يمكننا هذا العرض الإجمالي الذي تطرقنا فيه إلى تعريف "الإتصال" و "الإعلام" من التفريق بينهما و من عدم الخلط بينهما في الإستعمال، ذلك أن "الاتصال" و "الإعلام" ظاهرتين مختلفتين، فالإتصال هو "عملية" تتسم بالشمول و تتسع حتى تحوي كل العلاقات الانسانية منذ بداية الحياة البشرية، و يختص الإعلام بجانب معين من العملية الكلية للإتصال، فهو أشد ارتباطاً بالوسائل الحديثة و يدرج الإعلام في الإتصال عامة و يقابله الإتصال الجماهيري، لذلك نستعمل مصطلح "وسائل الإتصال الجماهيري" كمرادف لمصطلح "وسائل الإعلام".

و نظراً لهذا التداخل يحدث أحيانا أن يستعمل مصطلح "الإعلام" و يراد به "الإتصال" و هذا يمكن التجاوز عنه إذا روعيت الدقة في محتوى المصطلح المستعمل و لم يخش من الخلط و الغموض. و يذهب أصحاب التقرير الخاص بالمذكرات و التعريفات، الملحق بكتاب "أصوات متعددة و عالم واحد" المّعد من طرف اليونسكو(1) أن الإتصال هو عملية تبادل الأنباء و الحقائق و الآراء و الرسائل فيما بين الأفراد و الجماعات، بينما الإعلام هو "المنتج"، أي الأنباء و البيانات و سائر مضامين و مخرجات وسائل الإعلام و الأنشطة أو الصناعات الثقافية، وهم بذلك يؤكدون أنّ الإتصال أشمل من الاعلام.

(1) شون ماكرايد و آخرون، أصوات متعددة و عالم واحد : الإتصال و المجتمع اليوم و غدا، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، اليونسكو، 1981)، ص : 576 (دون ضبعة).

المبحث الثاني : أهمية الإعلام

منذ فتح الانسان عينيه على حقائق الوجود، و منذ وجد البشر على هذه الأرض و هم يتعارفون و يتعايشون، كسان الاعلام موجودا يؤدي رسالته و يحقق غايته، كما ظهرت العلاقة بين الاعلام و الدعوات و الأفكار و الرسائل جلية واضحة، و هي علاقة ترابط و التحام و تلازم، فما من دعوة قامت لخير، و ما من دعاية* قامت لشر إلا و كان لها إعلامها و وسائلها، و ما من فكرة راجت و بلغت الآخرين إلا بواسطة الإعلام، و من هنا جازلنا أن نقول أنه لا يمكن أن نتصور مجتمعا يخلو من الإعلام، بكل صورته و أشكاله (1) و ان للإعلام أهمية في المجتمعات و تطورها، و لقد كان للإعلام هذه الأهمية الكبرى، عبر عصور التاريخ، ففي العصور القديمة كان ملوك مصر يوجهون الإعلام لخدمتهم، و توطيد أركان دولتهم، و هذا ما تضمنته إحدى وسائل الإعلام عندهم و هو ما يعرف بالبريديات - حيث تنص على تعليمات موجهة للشعب، بشأن العلاقة التي ينبغي أن تنشأ بين الشعب و كبار رجال الدولة، الذين يبعث بهم ملوك مصر لتفقد أحوال الناس و التفتيش عن الموظفين الذين يديرون المرافق العامة، كذلك كان الموظفون الذين يشغلون مناصب إدارية هامة يكلفون، بإحضار كبار رجال الدولة بما يصل إليهم من أنباء و معلومات، و تسجل بريرية أخرى تعليمات و أوامر تتعلق بتحذير الشعب من الفاحشة و سوء السلوك و تحديد العقاب لمن يخالف الأوامر و التعليمات، كما تشرح الوسائل الكفيلة بالقضاء على أمثال هذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة. (2) بل إن هذه الظاهرة، و وجدت و كانت لها أهميتها منذ العصور الموعلة في التاريخ القديم، فالله - عز و جل - لم يترك أمة إلا و خلا فيها نذير، يدعو الناس إلى الخير و ينهاهم عن المنكر، و رسالات الانبياء جميعا ما بلغت إلا عن طريق الإعلام، و أخبار هذه الرسائل من لدن آدم إلى خاتم المرسلين محمد بن عبد الله - صلى الله عليه و سلم - مسجلة في القرآن الكريم و كتب التاريخ. (3)

و إذا جئنا إلى العصر اليوناني، نجد ان الخطابة - و هي صورة من صور الإعلام - لها شأن مهم حيث سجل سقراط هذه الأهمية في قوله: «كانت الخطابة صاحبة الأمر في الجمهوريات القديمة، فقد كان كل شيء في أيدي الشعب، و كان الشعب في أيدي الخطباء» (4)

(*) يجب هنا أن نفرق بين مصطلح: "إعلام"، و مصطلحي: "الدعوة"، و "الدعاة"، فال"دعوة" إلى شيء هي الرغبة في هذا الشيء، و تليغه و إيصاله إلى الغير، أما "الدعاة" فلها معنيان: الدعاة الطيبة و التي تقابل الدعوة في بعض المواطنين، و الدعاة الخبيثة: و التي تستعمل كل الوسائل طيبها و خبيثها لتصل إلى الغرض، و هو التعريف الغالب "للدعاة" في عالم اليوم. و الدعوة و الدعاة يدورهما يحتاجان الاعلام للبروغ غايتهما، راجع في ذلك، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، محمد سيد محمد، ص 47....

(1) يوسف محي الدين أبو هلاله، مرجع سابق، ص-ص: 17-18.

(2) محمد عبد القادر حاتم: الرأي العام و تأثيره بالاعلام و الدعاة، (بيروت: مكتبة لبنان مساحة رياض الصلح، 1973)، ص: 16 (بون ضعة).

(3) يوسف محي الدين أبو هلاله، مرجع سابق، ص-ص: 18.

(4) المرجع نفسه ص: 19، نقلا عن عبد الحميد متولي، الوجيز في النظريات و الأنظمة السياسية، طبعة: 1959، ص: 34.

و أما بالنسبة للعصر الاسلامي فقد أخذ الإعلام و الاتصال أهمية كبرى، مكنته من التطور الملحوظ خاصة من الناحية الاجتماعية، و يرجع ذلك إلى طبيعة الاسلام العالمية، إذ جاء للناس كافة، وقامت دعائمه من أول أمره على فكرة التبشير و التبليغ و نشر الدعوة، فحمل المسلمون من دعاة و قراء و فقهاء و مجاهدين هذه الدعوة إلى كل مكان حتى بلغت أرجاء الأرض، و ذلك بعد أن كانت الدعوة الإسلامية في مرحلتها الأولى - و التي اتسمت بالسرية - تعتمد على الاتصال الشخصي و الوسائل الفردية. (1)

و بقيت للإعلام مكانته في الدولة الإسلامية على مر العصور، و كان يستفيد في كل مرحلة من مستحدثات ذلك العصر، و من ذلك أن الفاطميين كانوا يقومون بالدعوة إلى عقيدتهم، و إستتباب الحكم و جلب الناس إليهم بوسائل أقرب إلى الوسائل الحديثة، و من آثار ذلك بعض الوثائق الفاطمية، و هي عبارة عن مراسيم، تنص على إقامة منصب خاص له وظيفة معينة، متصل بالسلطان و يسمى شاغله باسم "داعي الدعوة"، و هو منصب إعلامي هام. (2)

ثم كان للتطور الصناعي، دور كبير في تعميق أهمية الإعلام، و مكانته في المجتمع، و قد ظل للاتصال الجماهيري أهمية خاصة، لما أحدثه من مضاعفات كبرى، فكما استطاعت الثورة الصناعية أن تكشف عن القوة البشرية و تحفزها، استطاعت ثورة الاتصال أن تضاعف الرسائل الانسانية إلى درجة لم يسمع عنها من قبل.

و بقي الاتصال الجماهيري طوال تاريخه، كله فعالا في التأثير على المجتمعات و الحضارات. إلى أن ظهرت الطباعة في القرن الخامس عشر، حيث انتقل الاتصال إلى مرحلة جديدة، اتسمت بانتقال النقل الذي اقتصر قرونا طويلة على الاتصال الشفوي المباشر، و تحويله إلى الاتصال البصري المنسوخ على نطاق واسع، و لم تقف عند هذا الحد فحسب، بل عمم - و هو الأهم - نطاق المعرفة، فلم تعد مقصورة على حفنة من المحظوظين، و أصبحت الطباعة في فترة قصيرة أداة للتغيير السياسي و الاجتماعي، فالثورات التي اندلعت في أوروبا و شمال أمريكا، لو لا الطباعة، ربما ظلت في ظي العدم، و المدارس العامة كان من غير المحتمل - إن لم يكن مستحيلا - أن تقوم لها قائمة لو لا انطباعة (3)، فقد كان التعليم حكرا على طبقة من المجتمع من الأغنياء و رجال الدين دون غيرهم، قبل انتشار الطباعة.

و قد قربت وسائل الإعلام في العصور الحديثة بين الناس، و كان لها أثر كبير عليهم و ساعد التقدم الفني في أساليب الاتصال على توسيع الأحجام العددية للجمهور فأصبحت تلك الجماعات تتعرض للأفكار نفسها .. فارتفع شأن الذين يستطيعون على

(1) زهير احمدان، مرجع سابق، ص-ص : 21-22.

(2) يوسف محي الدين أبو هلاله، سابق، ص : 20.

(3) ولبرشام، أجهزة الإعلام و التنمية الوظيفية، ترجمة : محمد فتحى، مراجعة: يحي أبو بكر، (القاهرة:الهيئة المصرية للتأليف و النشر،

1390م/1970م)، ص : 123، (دون ضعة).

وسائل الإعلام وازدادت قدرته على التأثير و توجيه الآراء، و ضعفت في مقابل ذلك طاقة الذين لا يجدون إلى الإعلام سبيلا و لا حيلة لهم باستخدام وسائله، فأمريكا مثلا زاد اهتمامها بالاعلام عندما أدركت اهميته الكبرى، فكان (جورج واشنطن) يكلف عددا من أصدقائه المقيمين في مناطق متفرقة بالولايات المتحدة، و الذين لا يشتغلون مناصب حكومية، بأن يزودوه بالأنباء و المعلومات المتعلقة بالأحوال في المناطق التي يقيمون بها، و قد كتب إلى أحد أصدقائه يقول : أود أن أحاط علما عن طريق وسيط جيد من وسائل الاتصال، بالرأي السائد بين الناس و برأي هؤلاء الناس في القوانين و في شخصي و في سلوكي (1)، و لما حدثت الثورة الفرنسية، كان الذين أشعلوا فتيلها و حرضوا عليها، و كان لهم نصيب كبير في التمهيد لها، هم رجال "الذّب انكركم من أمثال "فولتير"، و "مونتسكيو"، وغيرهم. و في القرن التاسع عشر، استغل "نابليون بوناپرت" الصحافة إلى أبعد حد لتقوية الروح المعنوية لجيشه، و كان في الوقت الذي يستعد فيه لممارسة سيادته على أوروبا كلها، رئيسا لتحرير الجريدة الوحيدة (*) الناطقة باسم الجانب الفرنسي، و أصبح نابليون بذلك، الصحافي الحر الوحيد، و الكاتب الذي يرد بمقالاته على حملات الصحف الأجنبية، و قد كان يبذل في إعداد هذه المقالات من الجهد ما جعلها متميزة -كما قال المؤرخون- بالمنطق البارع و البلاغة و الأسلوب الجميل (2)، و هذا يدل على الاهتمام البالغ الذي كان يولييه الحكام للإعلام لتأثيره الكبير و مكانته في المجتمعات.

و لم تغفل الشيوعية -كأي حركة تغييرية- أهمية الإعلام، بل كان الشيوعيون يدركون جيدا مدى فعاليته، و نستنتج ذلك من مقولات أصحاب هذا المذهب، "فلينين" مثلا أدرك أهمية السينما من الناحية الدعائية فكان يقول :«يمكن بل يجب أن تصبح السينما أقوى أسلحة روسيا الثقافية»(3)، و كان أيضا من الذين قاموا بدور كبير في توجيه و تكوين الصحافة، و ذهب إلى حد ضبط عدد الصحف التي تكرر للاقتصاد، و الصحف السياسية و غيرها، و في رأيه، فإن الصحافة الاشتراكية ليست أداة للدعاية أو محرك اجتماعي فحسب، و إنما هي أيضا مكون اجتماعي، و كان مضمون الصحف يشغل لينين كثيرا، فدفعه ذلك إلى الثورة ضد التعبير السياسي، و طلب من المحررين الاهتمام أكثر بالاقتصاد و القضايا الاقتصادية (4)، و هذه أهمية كبرى يوليها للإعلام، من أجل نشر الأفكار و المذهب ككل، و يقول -أيضا و في المجال نفسه- أحد رجال هذا المذهب، و هو "يوريد بريجنيف" في المؤتمر الرابع و العشرين للحزب الشيوعي -مؤكدًا على هذه الأهمية- «إن وسائل الاعلام و الدعاية الجماهيرية هي أداة للحزب في القضية الكبيرة المعقدة، قضية تكوين الإنسان الجديد»(5)

(1) محمد عبد القادر حاتم، مرجع سابق، ص : 30.

(*) جريدة (المونيتور - Le Moniteur).

(2) يوسف محي الدين بو هلاله، مرجع سابق، نقلا عن محمد رمضان لاوند، الإعلام و العلاقات الإنسانية ص: 43-44.

(3) المرجع نفسه، ص : 68.

(4) Brahim Brahmi, « La Doctrine liberale et la Doctrine leneniste de l'information : Essai de definition », Revue Algerienne de communication, N°8, (hiver 1992/ISSN 1111- 4479), p.p : 75-76-78-81.

(5) يوسف محي الدين أبو هلاله، مرجع سابق، نقلا عن مجلة المجتمع الكويتية، ع: 457، (شباط 6 نوفمبر 1979) " نحو إعلام أفضل" ص: 18.

أما اليهود و الحركة الصهيونية بصفة خاصة، فقد كان اهتمامهم بالإعلام كبيرا جدا، فحين حاولوا جمع شتاتهم و اقامة دولتهم على أشلاء المسلمين، كان للإعلام دوره المهم في تحقيق مآربهم، و كان بدء المعركة إعلاميا، حيث كتب "موسى هيس" - و هو أحد الشخصيات اليهودية- كتاب "روما و القدس" يحتوي الفكرة الصهيونية التي أوحى لمن بعده من الصهيوينيين أن يعملوا على تحقيقها حتى أقاموا دولة اليهود في فلسطين، و هو عمل اعلامي كما هو واضح.

ثم جاء "هرتسل" * الذي نظم الصهيونية و وجهها توجيها معينا، و عقد مؤتمر بازل. و جاءت قراراته تحت على تنمية الحركة الاستعمارية اليهودية في فلسطين بطريقة منظمة، و تحت أيضا على ايقاظ الوعي القومي بين يهود العالم، و كانت خطورة هذه القرارات تستدعي اهتماما كبيرا بما يحققها و كان أهم قطاع يحققها هو الاعلام، فأصدر "هرتسل" نشرة عن الدولة اليهودية ترجمت إلى الانجليزية و الفرنسية فكان لها صدى عميقا، ثم أصدر من ماله الخاص صحيفة "داي فيلت"، على ورق أصفر اللون رمزا للعار الذي كان وصمة لليهود في العصور الوسطى، ثم أصبح في تلك الظروف رمزا لمجدهم القومي. (1)

و بعد أن قامت دولة اليهود انطلق الاعلام الصهيوني في رحابها و خارجها خادما للمصلحة اليهودية، و سهما مصوبا لنحور اعدائها، يقول "ايغال ألون" -أحد اعلام اليهود- «إن الاعلام في اسرائيل له مهام كثيرة لكن المهمة الرئيسية هي أن يرسم صورة الحياة الاسرائيلية في صورة عصرية جديدة» (2) و هكذا نجد رسالة الاعلام، و أهميته في اثبات الذات و الأفكار، في كل أمة، لخدمتها و توطيد أركانها.

و الأمة التي لا تولي اهتماما للإعلام، سواء في عملية البناء الفكري و الثقافي و نشر الوعي، أو من جهة التحصين ضد الهجمات الاعلامية التي تريد أن تقوِّظ أركانها، أمة قضت على نفسها بالفناء، فهي أمة لا تملك القدرة على إنتاج حبر الكلمة، و تملأ أقلامها المستوردة بحبر مستورد، و لا توجد بها صحيفة جادة و لا إذاعة، و لا تلفاز و لا جهاز عرض إلا مستورد الهيكل و الفكرة، و هي بذلك تؤكد قابليتها للتأثر بكل إنتاج غريب عن شخصيتها و بالتالي ضياع هويتها.

و لعنا لا نكون مغالين إذا قلنا أن التجدد المتسارع، و الرقي الممتد، سببه المباشر و الأكثر تأثيرا هو النمو العظيم لوسائل الاعلام، «فقد أصبح قطاع الإعلام و الاتصال طبيعة المحددات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، التي تقوم عليها التصورات الخاصة باقامة أي مجتمع جديد، و بمعنى آخر فقد أضحي هذا الميدان المحرك الأساسي في الحركة الاجتماعية و الاقتصادية و المعرفية في مجتمع اليوم والغد» (3)

(*) (هرتزل : HERTZEL Theodor) : كتب يهودي مجري، ولد ببودابست (1860-1904)، صاحب كتاب الدولة اليهودية 1896.

(1) يوسف محي الدين ابو هلال، مرجع سابق، نقلا عن حامد محمود، الدعاية اليهودية ، ص : 23 - 26.

(2) المرجع نفسه، نقلا عن مجلة المجتمع الكويتية : ع: 457 (الثلاثاء 6 نوفمبر 1979)، ص : 18.

(3) عبد الرحمن عزي، "وسائل الاتصال الجماهيرية في ضوء العربي بعض الاستشرحات الأولية"، لجنة جزئية للاتصال. العدد: الثامن، (شتاء 1992)، ص : 35.

و لانغالي أيضا إذا قلنا مع "عمر عبيد حسنة" «إننا نعيش اليوم مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود، و أزالّت السدود، و اختزلت المسافات و الأزمان.. اختصرت التاريخ و تكاد تلغي الجغرافيا، حتى بات الانسان يرى العالم و يسمعه من مقعده، و لم يقتصر ذلك على اختراق الحدود السياسية، و السدود الأمنية، و إنما تجاوز إلى إلغاء الحدود الثقافية، و يتدخل في الخصائص النفسية، و تشكيل القناعات العقيدية فيعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الاكثر تأثيرا، و البيان الاكثر سحرا، و التحكم الاكثر تقنية» (1)

و منذ الحرب العالمية الأولى، قفزت إلى الساحة العالمية قوة الاعلام، التي أصبحت مصدر تشكيل السلوك و بلورة الرأي و هندسة الفكر، و في عصر الأقمار الصناعية و أشعة الليزر، و ما سيأتي من تطورات عظيمة في وسائل الإعلام لن ترع الاختلافات الثقافية و الحضارية، و ستندعم السرية، و لن تستطيع القوى السياسية تحديد ما تريد أن يقرأه أو يسمعه أو يشاهده مواطنوها، و سوف تضعف القوى المذهبية و الدينية و القومية و العرقية أمام تدفق المعلومات، هذا طبعا إن لم تكن هناك حصانة إعلامية، تكونها وسائل الإعلام التي نالت قسطا وافرا من الاهتمامات، لكي تؤدي دورها إزاء هذه الهجمة الاعلامية العالمية و المتجهة من الدول القوية إلى الدول الضعيفة خاصة.

هذا في الحقيقة - كما يقول الدكتور "ساعد خضر العرابي الحارثي" مترجم كتاب الاعلام وسيلة و رسالة (2) هو الواقع المعاش حاليا، إلا أن الذي يلوح في الافق يكون أكثر و أكبر، فهناك محاولات جادة *، ضمن المحاولات الكثيرة، بدأت تجاربه على البث التلفزيوني عبر القارات، كالإذاعة تماما و هنا لن تستطيع قوة أن تمنع الإشارة القادمة بالصوت و الصورة من الانتقال بحرية تامة داخل المنازل عبر الكرة الأرضية، و لن يسلم من تأثيرها إلا في حالة واحدة - كما سبق الإشارة إليه- و هي القدرة على البناء الذاتي لخلق نوع من التحصين و ذلك من خلال امتلاك الوسيلة و القدرة على صناعة المضمون الاعلامي المنافس. **

و اقد استطاعت قوة الاعلام المعاصر قلب المفاهيم حتى في مجال الاستعمار فلم يعد يتحدث اليوم عن الاستعمار العسكري، و إنما اتبحت الفرصة للاعلام لكي يؤدي دوره في هذا المجال، و حتى و إن احتيج إلى شن حرب بالسلاح من أجل اخضاع بلد معين لبلد آخر فإن الاعلام يبقى له الدور نفسه أو أكثر و لا يستغنى عنه بحال***، و مسح الأدمغة أصبح هو الهدف الذي توجه له الجهود و تتنافس

(1) عمر عبيد حسنة، من تقديمه لكتاب، مقالات في الدعوة و الاعلام الاسلامي، كتاب الأمة : 28، (فطر : رجب 1411)، ص 8-9.

(2) ساعد خضر العرابي الحارثي، من تقديمه لكتاب، ر ألف لوينشتاين، و جون ميل، الاعلام وسيلة و رسالة، مرجع سابق.

(*) و قد تكون هذه المحاولات قد نجحت، لأن هذا الكتاب صدر سنة 1989، و سرعة الاختراع في وقتنا و خاصة ميدان الاتصال فائقة حقا.

(**) على الرغم من أن هناك محاولات كثيرة، من طرف الأمم المتحدة، و خاصة اليونسكو، لحل مشكلة التدفق الإعلامي و المعلومات في أنحاء واحد، إلا أن النتيجة إلى يومنا لم تأت بشمار، و كل الجهود نظرية لم يتوصل إلى تطبيقها.

(***) و هذا ما حدث في حرب الخليج، عندما ضربت الولايات المتحدة الأمريكية العراق سنة 1990، فقد كان لقناة CNN دور كبير قبل الحرب و أنائها و بعدها.

عليه قوى العالم عبر الكلمة و الصوت و الصورة، و أصبح شعار هذا الزمن "الكلمة قبل الحرب"*. و لم تعد الأدمغة فقط التي تهاجر و إنما امتدت الهجرة لتتال حتى من الأجنة في بطون أمهاتهم، فنظرا للاستلاب الاعلامي، أصبحت كثيرًا من الأمهات يتمنين الولادة في الدول الغربية، حتى يعيش مولودهن الرفاهية الموجودة هناك، و من هنا نستطيع القول بأن الإعلام لم يعد وسيلة و رسالة فحسب، و إنما أصبح فكر منظم، و« علم له مقوماته، و معاهده، و شروطه و تقنياته و متخصصوه، و فناله مستلزماته و أدواته، كما أصبح ثمرة تشارك في انضاجها كل المعارف و العلوم، و توظف لها أرقى الخبرات، و صناعة من الصناعات الفكرية الثقيلة التي لها مؤسساتها و خططها و نفقاتها، بل لعل نصيب الدعم الاعلامي في كثير من الدول اليوم من الميزانيات، يفوق الدعم الغذائي الذي به قوام الحياة.. و لنن كان الإعلام في الماضي يوظف ليكون أداة ترفيه و ترويح و تسلية يعيش على هوامش المجتمع و في خارجه، فهو اليوم في صميم المجتمع، يوظف الترفيه و التسلية لأداء رسالة، و إيصال فكرة، و تشكيل عقل، و صناعة ذوق عام، و زراعة اهتمامات معينة، حتى إنه لم يعد يكتف برصد الحدث، و إيصال المعلومة، بل أصبح بما يمتلك من قوة و عوامل تأثير و ضغط و تحكم، يقوم بصنع الحدث، و التحضير له في الوقت نفسه»(1)

و أخيرا فإن أقل ما يقال عن الاعلام و أهميته، أنه أصبح قوة عظيمة أحدثت تغييرا عظيما في حياة البشر و مجتمعاتهم، و تحول الثقل إلى هذه القوة التي هيأت للدول القوية قنوات ذات طاقات تستطيع بواسطتها أن تصل إلى جماهير أكبر من أن تحصى، و أن تخاطب الجماهير غير المحظوظة برغم عائق الأمية، و أن تعلمها مهارات صعبة بأن تربيها كيف تصنع، و أن تكلمها بفعالية لا تقل عن فعالية الاتصال المباشر، و تبث أفكارها بكل ما أوتيت من قوة، و أحيانا لا يستدعي الأمر إلى هذه القوة لأن معظم شعوب الدول الضعيفة لها قابلية التلقي و الأخذ.

(*) و نسجل هنا أن الخاسر في هذه الحرب هي الدول الضعيفة التي تغف عاجزة أمام سيطرة القوى الكبرى للسيطرة على الفضاء و بالتالي على عقول العالم، و لعل المشكلة الإعلامية في العالم الثالث تتمثل في ضعف المفهوم لماهية الإعلام و سوء استخدامه، بالإضافة إلى النقص الكبير في المجال التقني و في مجال الكوادر البشرية.

(1) عمر عبيد حسنة، مرجع سابق ص: 9.

المبحث الثالث : وسائل الإعلام و تطورها التاريخي و التكنولوجي .

الإعلام هو الكلمة تصدر من فم المتكلم إلى أذن السامع، فإذا حل الرمز محل الكلمة، فإن الرمز لا يكتمل إلا من خلال الكلمة، و الكلمة -مع هذه الأهمية- كانت محدودة بالقدرة على السماع، فكان الحديث و كانت الخطبة وسيلتي الإعلام، و لقيًا اهتمامًا كبيرًا منذ القدم، حيث ظهر في اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد، فكان المتفنون و المعلمون يقومون بتعلم فنون البيان و الخطابة و طرق الجدل، و في الجاهلية كان للخطابة دور كبير، فلا يشتهر سيد إلا و الخطابة صفة من صفاته، و في الإسلام كانت من أهم الوسائل في تبليغ الدعوة و إيصالها إلى الناس، فحينما أمر الرسول -صلى الله عليه و سلم- بأن يجهر بما بعث من أجله و نزل الوحي : ﴿ وَأَنْذِرْ مَخِيْرَةً الْأَقْرَبِينَ، وَ أَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ مَسَّكَ قَمَلٌ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (1) و أمر النبي -صلى الله عليه و سلم- بالصدع بما يؤمر ﴿ فَأَنْذِرْ بِمَا تُوَمَّرُ، وَ أَخْرِجْ مِنَ الْمُضْرَجِينَ ﴾ (2) سعد -عليه الصلاة و السلام- على الصفا و نادى يا معشر قريش، فخطب فيهم و أعلمهم بالأمر.. و ازدهرت الخطابة في العصور التي تلت و لم تفقد مكانتها حتى في العصر الحديث.

و ظلت الكلمة المباشرة هي وسيلة الإعلام الأولى، امدا طويلا، غير أن تعقد الحاجات الاتصالية و الاعلامية للإنسان، كانت ملحة في استحداث وسائل جديدة تصل بالكلمة إلى أقصى مدى، فكانت كل وسيلة اتصال جديدة يبتكرها الإنسان هي بمثابة تعبير عن حاجة اجتماعية ملحة تمكن الإنسان من التطور و الرقي.

و لما ظهرت الكتابة انتقلت بالإعلام إلى مدى أبعد، و أصبحت الرسالة المدونة وسيلة لإذاعة الكلمة تذهب إلى أبعد مما كانت عليه، فلما عبت الطرق انتظم البريد و كان مدى الكلمة هو البعد الذي يصل إليه البريد، و قد استطاعت الامبراطورية الرومانية أن تحكّم قبضتها على ولاياتها البعيدة في أفريقيا و بلاد الغال و الجزر البريطانية، بما يسرت لها الطرق المعبدة -التي شققتها- هذه السيطرة.

و مع التطور التكنولوجي تطورت وسائل الإعلام في خط متسارع حتى جعلت من العالم قرية صغيرة* و أصبحت وسائل الاعلام الحديثة جزءا أساسيا من حياة الإنسان المعاصر، يتفاعل من خلالها كل الشعب مع العالم المحيط به، و اوجدت بذلك -هذه الوسائل- لدى الإنسان مفهوم العالمية، و أصبح لها مسؤولية كبرى في تصور الإنسان للعالم من حوله باعتبارها امتدادا صبيغيا لبيئته الاجتماعية و الثقافية. (3)

و بصفة عامة يعد تاريخ اختراع الطباعة بداية للاتصال في العصر الحديث، و نشير هنا إلى أن

(1) سورة : الشعراء، الآي : 214-215-216 .

(2) سورة : الحجر، الآية : 94.

(* هذا الرأي يؤخذ بتحفظ، لأنه ينطلق من نظرية في ختمة تكنولوجية و حقيقة الترابط هنا بيني عن المصحة لكن يمكن استعماله في معناه العام.

(3) حمدي حسن، مرجع سابق، ص : 161

ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر لم يكن له التأثير المباشر على الحياة الاجتماعية، إنما بدأ تأثيرها الاجتماعي في القرن السادس عشر، و لم تتطور الطباعة في الغرب لولا تأثير حضارة الاندلس في أوروبا و التي انتقلت عبرها صناعة الورق التي كان لها دور كبير في هذا التطور.

وقد كان الكتاب، أول صور الإعلام المكتوب، فكان المستودع الذي لا يدنى للفكر و المعرفة في الحضارات الكبرى، مثل حضارة الصين و الهند و مصر و الحضارة الاغريقية و الرومانية، وأتاح الفرصة لجمع رصيد كبير من المعلومات في حيز ضيق، و جاء أول تقدم هام في إنتاج الكتاب مع اختراع الورق، المادة التي حلت محل البريدي القديم أو الرق، و قد بدأ استعمال الورق في الصين في القرن الأول بعد الميلاد، و في العالم العربي في القرن الثامن، و في أوروبا في القرن الرابع عشر.. و ترجع الوسيلة الفنية لاستنتاج الصور و الكتابات المحفورة على الحجر أو الخشب، إلى عام 500 قبل الميلاد تقريباً، و كانت الخطوة الكبرى التالية إلى الأمام هي اختراع الطباعة، التي سمحت بالنشر و الاستزادة من نسخ الكتاب و المطبوع بصفة عامة، و كان ذلك سبباً في انتشار هذه الوسيلة حتى بين العامة، بعد أن كانت مقتصرة على فئات معينة من فئات المجتمع، كما كان ذلك -أيضاً- سبباً في تحولات كبيرة أدت إلى عصر النهضة و الإصلاح الديني في أوروبا(1).

تبع ظهور الكتاب، ظهور نشرات في موضوعات رئيسية في القرن السابع عشر ثم ظهرت الصحف بعد ذلك، و قد ائشنت بعض الصحف الأولى، لتوفر المعلومات عن التجارة و السلع و حركات الشحن بالسفن و ما شابه ذلك، و قامت بخدمة أصبحت ضرورية تحت تأثير النظام الرأسمالي الوليد، و قام البعض الآخر بإفشاء الأسرار و الفضائح و التعليق الساخر على المسرحين السياسي و الاجتماعي، و اهتمت صحف أخرى بتعبئة الرأي من أجل مساندة قضية شعبية أو ديمقراطية. (2)

و هكذا فإن المطبعة لم تكن وحدها، هي العامل الأول في ظهور الصحافة، بل إن التغيير الجذري الذي ألم بالعالم في أعقاب العصور الوسطى، و ظهور الدولة القومية و الأسواق التجارية، و الكشوف الجغرافية التي امتدت إلى أبعد بقاع من الأرض ظلت مجهولة أمداً طويلاً، و انتشارا المصارف و حاجة أوروبا إلى محطات البريد، كل هذا أدى إلى ظهور هذه الصور الأولى من الصحف (3).

و ظلت الصحافة في نمو مطرد لا تقف دونه عوائق، يمدّها العلم و الاختراع بكل ما يدفعها قدماً إلى الامام بداية من تطور الطباعة إلى تقدم وسائل المواصلات إلى أن بلغت مكائنها الحاضرة، و لا يزال العلم و التكنولوجيا يزودانها بكل ما يمكنها من الانتشار، حتى أصبحت في الوقت الحاضر صناعة ضخمة متميزة لها أصولها الفنية و الادارية و الفكرية. (4)

(1) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص- ص: 34-35-36.

(2) المرجع نفسه، ص: 36.

(3) حسين فوزي شحار، مرجع سابق، ص: 110.

(4) المرجع نفسه، ص: 110.

و قبل أن تصل الصحافة إلى الصورة المعاصرة، مرت بمراحل تعتبر معالم تاريخ تطور الصحافة، و لم تكن البداية مباشرة مع اختراع الطباعة، إنما تأخر ظهور الصحافة -بمفهومها الحديث- * ثلاثة قرون بعد هذا الاختراع، ذلك أن الصحافة الجماهيرية -ككل المخترعات- تمثل مزيجاً من العناصر الثقافية و الاجتماعية فلم تنتشر حتى توفرت لها الظروف الأساسية و الضرورية. **

و أول ظهور للصحافة الجماهيرية كان في أوروبا، التي شهدت -قبل اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر- تغيرات اجتماعية و سياسية، أدت إلى تعقد الحياة، مما دفع بالإنسان الأوربي إلى ارتياد مجالات عديدة لاشباع الحاجات المتنامية و الناتجة عن هذه التغيرات، و من ثم كانت أوروبا مهد الصحافة الحديثة و كان ذلك في بداية القرن السابع عشر، حيث بدأت منتظمة تنزل شوارع المدن الأوربية، و بالضبط في ألمانيا ثم الأراضي القريبة منها ثم انتقلت إلى غيرها. (1)

و نؤكد هنا أن الصحافة لم تواكب ظهور الطباعة و لم تسايرها، ففي بريطانيا مثلاً، و على الرغم من انتقال الطباعة إليها في أواخر القرن الخامس عشر فإن الصحف لم تظهر بها حتى حوالي عام 1612م***، و كان محتوى هذه الصحف يدور حول الأخبار الخارجية، كما أنها لم تكن تظهر دورياً إلا فيما بعد، حيث ظهرت صحيفة "Oxford Gazette" بشكل دوري و أصبحت فيما بعد صحيفة "London Gazette"، و في عام 1637م ظهرت أول صحيفة فرنسية "Gazette de France"، و في إيطاليا ظهرت أول صحيفة حوالي عام 1645م، و مر على هذه الصحف وقت طويل قبل أن تستعمل التقنيات العلمية في هذا المجال، و لم يحدث ذلك إلا مع النصف الثاني من القرن الثامن عشر حينما ظهرت ثلاث صحف، أصبحت نموذجية في المجال الصحفي و هي :

- صحيفة : Neue Zurcher Zeitung السويسرية عام 1780م.

- صحيفة : Allgemeine Zeitung عام 1797م في ألمانيا.

- صحيفة : The Times في بريطانيا عام 1788م (2).

و بصفة عامة، فإن تطور الصحافة في أوروبا كان مرتبطاً بنظام الحكم، حيث أنه كلما كانت الحكومة مركزية قوية، كلما كان تطور الصحافة بطيئاً و متعثراً، و العكس، كلما كانت الحكومة غير

(*) اشارة إلى أن هناك من يؤرخ للصحافة منذ بداية الحياة الاجتماعية، أنظر: النظرية الإسلامية للإعلام، لكامل الدين أمام (اتفرقة بين الصحافة الجماهيرية و الصحافة عامة)

(**) للاستفادة، يرجع إلى كتاب مقدمة في دراسة وسائل الأساليب الاتصال الفصل الثاني، كذلك إلى كتاب الصحافة المكتوبة و السمعية البصرية ل: رولان كايرون، 1984، ص: 29 إلى 80.

(1) راجع : رولان كايرون : الصحافة المكتوبة و السمعية البصرية ترجمة محمد مرشلي، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1984)، ص: 31. (دون طعة)

(**) بشار في مراجع أخرى إلى تاريخ 1622.

(2) حمدي حسن، مرجع سابق، ص : 28

مركزية، -أي المجتمعات التي ظهر بها الرأي العام مبكرا- يكون تطور الصحافة فيها متناميا و واضحا.

و في هذه الظروف ظهرت فكرة "حرية الصحافة" (1)، هذا المبدأ الذي لا يمكن الغاء الحديث عنه، كلما تحدثنا عن نشأة الصحافة الجماهيرية و تطورها، لأن الصحافة من دون هذا المبدأ تبتعد عن الهدف الذي من أجله وجدت، و هو إعلام الناس بما يجري حولهم و توعيتهم به. و قد بدأ الصراع الطويل من أجل ارساء مبدأ حرية الصحافة، خلال الفترة التي شهدت بدء تدهور الاقطاعات الملكية القديمة و ظهور مفاهيم سياسية ديمقراطية جديدة، فقبل أن تنمو بذور الثورة الفرنسية و الأمريكية*، كان المجتمع الغربي بوجه عام يمر بمراحل تغيرات شاملة، حيث أن ممارسات القرون الوسطى أدت إلى بزوغ فجر النهضة و زوال المجتمع الاقطاعي، و حل محله بناء اجتماعي جديد ظهرت فيه طبقة جديدة، و هي الطبقة المتوسطة التي أصبحت تتحمل مسؤولية كبرى في ظل الوضع الجديد، هذه الطبقة لم تكن لتهتم بأخبار الصفقات التجارية فحسب بل كانت تهتم بالصحافة من أجل التعبير السياسي و الآداب الشعبية أيضا. (2)

و في النصف الأول من القرن الثامن عشر، ظهر عدد من الصحف الصغيرة عانى بعضها فشلا ماديا، و استطاع البعض الآخر الصمود لمدة أطول، و لم يكن للصحف آنذاك جمهور كبير بسبب الأمية المتفشية، فكان بيع الصحف يقتصر على المراكز الحضرية دون الريفية، و لم تتوقف التكنولوجيا عند اختراع الطباعة، و لكن حدث تطور كثير في الاستعمال، و أدى تراكم التغيرات الكثيرة، إلى أن أصبح من المتاح لكل فرد أن يقرأ الصحف، هذا التطور الجماهيري أدى بدوره إلى تطور في طبيعة إدارة الصحف و طباعة محتواها فحاول عدد من ناشري الصحف تغيير نظام بيع الصحف من نظام الاشتراك السنوي، إلى البيع بالنسخة الواحدة، غير أن هذه التجارب لم تلق نجاحا كبيرا، إلى أن جاء "بنيامين داي B.H Day"، الذي أصدر صحيفة "The New York Sun" في 30 سبتمبر 1833م، و كان شعارها "إنها تضيء من أجل الجميع" يشير إلى اتجاه جديد في الصحافة، و بهذا فان "داي : Day" بدأ بهذه الصحيفة حقبة جديدة من تاريخ الصحافة، و التي -في غضون سنوات قليلة- أدت إلى ثورة في نشر الصحف، و قد أهتم "داي" في صحيفته بالأخبار المحلية و القصص الصحفية ذات الجوانب الإنسانية، و استأجر داي محررا اكتسب شهرة و شعبية عارمة بفضل أسلوبه الساخر في معالجة القضايا التي ترد إلى أقسام البوليس، كما أنه كان أول من استعان بالصبيبة لبيع الصحف في الشوارع و كان طبيعيا أن يقفز بتوزيعها إلى أرقام عالية خلال فترة قصيرة**، و لقد أدى تطور أدوات الطباعة

(1) راجع بالتفصيل، مدخل نعلوم الإعلام و الاتصال، زهير احداد، ص: 39 - 46.

(*) و قد كان للصحافة دور كبير في حدوث الثورتين، و بدون الصحافة كان من المحتمل أن يحدث عصر النهضة، و لكن كان من غير المحتمل حدوث الثورة الفرنسية أو الأمريكية بدون الصحافة، راجع جيهان رشدي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص: 5.

(2) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 29

(**) قفز توزيعها إلى 2000 نسخة بعد شهرين من صنورها ثم قفز إلى 5000 ثم إلى 8000 نسخة بعد 6 أشهر من صنورها و كان هذا الرقم مذهلا آنذاك (مقدمة في دراسة وسائل و أساليب الاتصال)

إلى زيادة قدرة الناشر آنذاك، على تلبية الاحتياجات اليومية المتزايدة للقراء من نسخ الصحف، مما أدى في النهاية إلى أن أصبح مفهوم الصحافة الجماهيرية أمراً واقعياً. (1)

و بعد أن أصبحت الصحافة الجماهيرية شيئاً واقعياً و مألوفاً، وقع تحول كبير في بعض المفاهيم الصحفية، فبعد أن كان الخبر الصحفي عبارة عن تقرير عن حادث، أصبح أكثر تنوعاً، و هذا بفضل اجتهادات "داي" في هذا الميدان، و الذي أدى نجاحه إلى ظهور منافسة له من طرف عدد من الصحف*، و هذا التنافس أدى بدوره إلى انتهاج كل الطرق من أجل تحقيق النجاح، فكانت هذه الصحف تعتمد أسلوب الإثارة، بالإضافة إلى اخبار السياسة و الاقتصاد، فانتشرت هذه الصحف و ذاعت، و ساعد في انتشارها المستوى التعليمي البسيط للقراء، الذين تلقوا هذا النوع من الصحف بالقبول، و أصبحت هذه الصحف تمثل تياراً جارفاً، و عرفت فيما بعد باسم الصحافة الصفراء.**

و على الرغم من أن الصحافة الجماهيرية أصبحت واقعاً منذ ثلاثينيات القرن الحالي، إلا أنها ظلت محدودة القدرة في مجالات عديدة مثل جمع الأخبار و تكنولوجيا الطباعة و التوزيع، و ظلت الصحف أسيرة وسائل النقل، حتى مدت السكك الحديدية، و انشئت القوارب البخارية و اخترع التلغراف فزادت هذه الاختراعات في سرعة نقل الأخبار.

و بتطور الصحافة على هذا النحو ظهرت أهمية الأخبار، فكانت هي عماد المحتوى الصحفي، و أصبح للأخبار مندوبوها المتخصصون، و ظهر المرسلون الخارجيون، و نتج عن ذلك التعقد في عملية جمع و نقل الأخبار، و كالات متخصصة، أصبحت تزود الصحف بالأخبار بطريقة سهلة و سريعة، فزاد توزيع الصحف بفضل وكالات الأنباء، التي ساعدت مساعدة فعالة في تطوير الصحافة، فكانت بذلك أهم اختراع أفاد الصحافة بعد اختراع المطبعة.

يرجع بداية تاريخ وكالات الأنباء إلى عام 1825 تاريخ بداية جهود "هافاس" - و هو شاب فرنسي من أصل مجري- و التي تمثلت في التجول عبر عواصم أوروبا لكي يتعاقد مع مراسلين يمدون مكتب الأنباء الذي أنشأه في باريس بأخبار تلك العواصم، و كانت الأخبار ترد إلى المكتب المذكور في بداية الأمر إما بالبريد أو بواسطة أناس متخصصين، ثم تترجم و تعاد صياغتها، و قد قابلت الصحف عمل "هافاس" بالرفض باعتبار أن الصحف في ذلك الوقت كانت تعتمد على المقال، و لم يكن الخبر يشكل مادة مهمة لها، و ما أن حل عام 1836، تاريخ إنشاء الصحافة الشعبية في فرنسا***، ظهر بوضوح اتجاه يعتمد على الأخبار و الاستزادة منها، و توقع "هافاس" هذا التحول و استعد له بشراء

(1) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 30.

(*) أشهرها صحيفة "هارولد نيويورك" المرجع نفسه، ص: 31.

(**) مصطلح يطلق على الصحف التي تنشر أخبار الجرائم الأخلاقية و أخبار الجنس و الفضيحة، أنظر كرم شبلي : معجم المصطلحات الاعلامية :

مرجع سابق، Yellow Kid : Yellow Newspaper.

(***) أول صحيفة من هذا النوع هي لاپرس La Presse أنشأها "اميل دي جراردان".

مؤسسة صغيرة، حققت له مزيدا من المساهمين و من مصادر الأنباء، ثم أدمج المؤسستين و أنشأ وكالة "هافاس"، التي أصبحت عام 1857 وكالة اشهار أيضا، و عرفت هذه الوكالة تطورا في استعمال الوسائل من أجل ضمان سرعة نقل الخبر، فبعد أن استعمل البريد و الأشخاص المتخصصين، استعمل الحمام الزاجل، ثم التلغراف الذي اخترع سنة 1837، ثم الحبل السلكي تحت الماء عام 1850، و أخيرا التليسكوبيتور. (1)

و أكبر الوكالات التي أنشئت في أوروبا "وكالة هافاس"، كانت من طرف متربصان كونهما "هافاس" و هما : "برنارد وولف" الذي أنشأ مكتب "ولف" في ألمانيا : عام 1849، و "جوليونس رايتور" الذي أنشأ وكالة "رايتور" في لندن عام 1851، و ازدادت عوامل السرعة في ارسال الأخبار يوما بعد يوم، ثم كانت الوكالات الامريكية، ففي عام 1857 انشئت "نيويورك اسوسياتد برس"، التي أصبحت أخيرا (الشركة الصحفية) و ذلك عام 1892، ثم كانت الوكالاتان الكبيرتان الأخريتان، الأولى التي انشئت من طرف (اسكريبس) الاتحاد الصحفي عام 1907، و الثانية من طرف هيرست (مصلحة الاخبار العالمية) عام 1909، ثم اندمجت الوكالاتان عام 1958 تحت اسم (الاتحاد الصحفي العالمي)، و أخيرا الوكالة الكبرى الخامسة، و هي وكالة سوفيتية (وكالة التلغراف الروسية) ابتداء من 1918 ثم تبعتها وكالة (تاس) عام 1925، و بعد الحرب العالمية الثانية، تطورت المنافسة بحرية، و انشئت الوكالات الوطنية أو المحلية عبر العالم كله تقريبا و هو وجه من وجوه التحرر من سيطرة أمريكا خاصة. (2)

أما عن الصحافة خارج الدول الغربية (أوروبا الغربية و الولايات المتحدة الأمريكية) فإن الحديث عنها يختلف عما كان عليه في تلك الدول، ذلك أن الواقع الإفريقي، و الآسيوي و واقع أمريكا اللاتينية يختلف عن واقع الدول الغربية، ففي الوقت الذي ظهرت فيه الصحافة في تلك الدول نتيحة لتراكم التغيرات الإجتماعية و تعقد الحاجات الاتصالية في المجتمع، فإن ظهور الصحافة في الدول النامية لم تكن الأسباب فيه هي نفسها، فالإفريقيون و الآسيويون كانوا يقنعون بالحديث و الكتابة كأشكال اتصالية تلبي حاجاتهم، و لم تظهر الصحافة عندهم إلا لتلبي حاجة الرجل الأوربي أو الغربي.

و مع أن صناعة الورق عرفت في الصين و كوريا، قبل أن تُعرف في أوروبا، غير أن تطور الإعلام الطباعي فيها كان بطيئا، فالصحف بالمفهوم الحديث لم تظهر في آسيا إلا في القرن السابع عشر، و كان ظهورها كرد فعل للصحف الأوربية، و غالبية الصحف -إن لم تكن جميعها- تدين بوجودها للمستوطنين الأوربيين، و كانت أول صحيفة ظهرت في آسيا صحيفة "Mémoire des nouvelles" في أندونيسيا سنة 1616م و كذلك صحيفة "Pengal Gazette" التي ظهرت في الهند، و كانت الصحف تصدر بلغة المستعمرين، أما الصحف الوطنية فلم تصدر إلا مؤخرا. (3)

(1) محمد كمال الدين امام، مرجع سابق، ص : 110، و رولان كايرون: مرجع سابق، ص-ص : 102 - 103.

(2) رولان كايرون، مرجع سابق، ص-ص : 103 - 104.

(3) حمدي حسين، مرجع سابق، ص : 34.

و في افريقيا أيضا لم يكن الواقع يقدم تطورا اتصاليا يدعو إلى ظهور الصحافة. فقد كانت الحاجات الاتصالية فيها بسيطة، يسيطر عصر الحديث على معظم تاريخ الاتصال الافريقي. و ذلك في معظم انحاء القارة، فحيث لا توجد لدى الكثير لغة قابلة للكتابة فإنه من الصعب القول أن الأفارقة قد دخلوا عصر الكتابة و بالتالي يمكن أن يدخلوا عصر الطباعة و النشر. *

و رغم المحاولات الكثيرة التي كان يقوم بها المبشرون البيض في أفريقيا، من أجل تحويل بعض اللغات إلى لغات مكتوبة، إلا أن الغرض من هذه الجهودات و هو التبشير بالدين المسيحي و شرح الكتب المقدسة، لم يترجم حقيقة الحاجة الافريقية لمثل هذه الوسيلة.

فتاريخ الصحافة في افريقيا لا يتجاوز فترة تزيد عن خمس وثلاثين عاما باسثناء بعض دول شمال افريقيا كمصر و الجزائر و تونس و المغرب و ليبيا...، و معظم الصحف الافريقية يرجع تاريخ تأسيسها إلى الستينات من هذا القرن، و هي سنوات الاستقلال و معظم الصحف التي وجدت قبل الاستقلال، كانت صحف بيضاء تعبر عن حاجة الرجل الابيض و لم تكن هذه الصحف تهتم بالافارقة و إذا اهتمت بهم فلأغراض استعمارية أو تبشيرية.(1)

و في الوقت الذي تطرح فيه مسائل كبيرة -مثل فكرة حرية الصحافة- في الدول الغربية، فإنه في افريقيا مثلا لا تطرح هذه الفكرة لأن المشكلة أعظم، و تتمثل في ندرة الصحف أصلا، فإلى غاية عام 1982 لم تكن هناك صحف يومية في ثماني دول افريقية بالإضافة إلى تسع دول أخرى تظهر فيها صحف يومية أشبه بالنشرات و هي منسوخة، و لا تصدر بشكل منتظم و توزع في بعض الأحيان مجانا، مثلما هو الحال في بتسوانا.(2)

هذه الوضعية ساعد في تكريسها عوامل كثيرة أهمها انتشار الأمية بكثرة في بلدان العالم الثالث، ففي افريقيا مثلا يوجد 97% من مجموع بلدان افريقيا، يعتبر أكثر من نصف السكان أميين، بالإضافة إلى محور الإعلام و الصحافة بالخصوص في العواصم أو في المدن الكبرى، في حين أن 80% - تقريبا- من السكان يعيشون في الأرياف و في القرى النائية، فضلا عن الدخل السنوي الذي لا يتعدى 100 دولارا لنسبة 70% من السكان، و تشكل اللغة أهم عائق لانتشار الصحافة في هذه الدول فافريقيا مثلا يوجد بها تقريبا 800 لهجة و لغة و لا يتفق السكان على النطق بلغة واحدة في معظم البلاد الإفريقية، فالانجليزية تنطق في 18 بلدا، و الفرنسية في 21 بلدا، و هي لغات مستوردة لا يتكلم بها إلا أقلية ضئيلة من السكان فقط و هؤلاء في الغالب من النخبة السياسية و التكنوقراطية، ثم أن الاستعمار قد تسبب في تقسيم القارة الافريقية إلى حوالي 40 دولة مستقلة إلى جانب بنية سياسية جديدة - و أحيانا

(*) هذا على الأقل في أول عصر الطباعة، ففي الوقت الحاضر هناك تطور، لكن يبقى الوضع متأخرا عما هو عليه في الغرب.

(1) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 34.

(2) المرجع نفسه، ص: 37، أنظر هامش الفصل الثاني.

هشة- و عدم صلابة بعض النظم ، هذه الأمور كلها جعلت من وجود و تطور الجرائد أمرا غير مستقر. (1)

و تجدر الإشارة هنا إلى أن أفريقيا في الوقت الذي لم تعرف فيه تطورا كبيرا في الوسائل المطبوعة، فإنها بعد الاستقلال وجدت نفسها مضطرة إلى الإنفتاح مباشرة على عالم الالكترونيات، و لعل العوامل التي سبق الإشارة إليها و أهمها الأمية، هي التي ساعدت على اختيار الوسائل الالكترونية*، بدلا من الوسائل المطبوعة، و هذا لا يعني إلغاء دور الصحافة في هذه الدول، إنما يعني بالمقارنة مع الدول الغربية -و بفضل ما كرسته من عوائق تحول دون انتشار و تطور الصحافة المكتوبة- اضمحلال هذا الدور للتوجه نحو الالكترونيات.

و للصحافة قوة ذاتية و خصائص دقيقة مكنتها من النمو و التطور و مواصلة المشاركة في الحياة الاجتماعية، بتأثير مماثل أو أكثر مما كانت عليه، و إن ساد الاعتقاد بأن الصحف كانت تواجه خطر الموت عند ظهور الوسائل الالكترونية، -حتى و إن نجحت في مواجهتها فسوف يضعف تأثيرها، فإن مثل ذلك الاعتقادات و التنبؤات كانت بادية الصدق خاصة عندما أخذت الصحف الكبرى تموت الواحدة تلو الأخرى، و لكن مع بداية السبعينات، اتضح أن عالم الصحف كان يمر فقط بمرحلة إعادة تشكيل -و كانت مرحلة قاسية، و في الوقت الذي كانت فيه كثير من الصحف العملاقة تموت عاشت صحف أخرى، لأنها كونت لنفسها مثلاً علياً و قوية للعمل، كما أن الصحف اليومية في الضواحي أخذت تنمو بقوة. (2)

و تمتاز الصحافة عن غيرها من وسائل الاعلام الأخرى بمميزات خاصة تجعلها تتفوق على غيرها من هذه الوسائل**، ذلك أن للصحف جاذبيتها التي تتفوق بها، فهي تنقل إلى القارئ صورة المجتمع في كافة ملبساته و ظروفه، و كل ما يدور فيه و ما يعنيه، و تقدم الطريف و الجديد خيرا أو تحقيقاً أو روبرتاجاً أو مقالاً يدعو القارئ لشيء أو يكشف له عن شيء، أو عاموداً يفسر أمرا من الأمور أو تدل على شيء قد يكون غائبا عن القارئ أو يدلي إليه برأي ما، كما أن الصحيفة لا تهمل ما يمد القارئ بما يسليه أو بما يستهويه من الاعلانات و تنقل الصورة سواء كانت لشخص أو لحدث و لا تحرم القارئ من الكاريكاتير الساخر، و هي كلها محتويات تختص بها الصحيفة دون غيرها. (3)

(1) ابن عرف الله الطاهر، "واقع الصحافة في أفريقيا"، عام الاتصال، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، جانفي 1992)، ص: 207.

(*) الوسائل الالكترونية، مصطلح يقصد به وسائل الإعلام غير المكتوبة (التلفزيون، الراديو....).

(2) يوسف محي الدين أبو هلاله، مرجع سابق، ص: 37.

(**) هناك دراسات عديدة أجريت حول خصائص كل وسيلة من وسائل الإعلام أهمها تجارب "لازرسفيلد Lazarsfield"، و "دوب" Doop، و "وابلز Wables"، و "بيرلسون Berelson".

(3) حسين فوزي النجار، مرجع سابق، ص: 111.

كما أن من أهم مميزات الصحافة «أن القارئ يستطيع أن يسيطر على الوسيلة بالطريقة التي تلائمه، فهو يستطيع أن يطلع على الموضوعات التي يرغب في الاطلاع عليها، و يراجع ما يريد أن يراجعها بالسرعة التي تناسبه، و في أي وقت يشاء، فليس غريبا أن تكون الوسائل الطباعية ملائمة لنشر الموضوعات المعقدة في الدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة، و غني عن البيان أن المطبوعات تمكن الناس من النقد المدروس، و العناية بالتفاصيل، التي ترد عادة في الدراسات المسهبة، و الموضوعات الطويلة» (1)، هذا بالإضافة إلى إمكانية الاحتفاظ بالمطبوع.

و للصحافة ألوانها و ميادينها، فالجريدة اليومية غير المجلة الأسبوعية أو الشهرية أو الدوريات الفصلية، فالجريدة اليومية ميدانها الحياة اليومية و الأحداث الجارية، و المجلات كل في ميدانها، تمد القارئ بالمعارف و المعلومات و التحقيقات الضافية لحدث من الأحداث لا يمكن للجريدة أن تتناوله بأسهاب أو أن تلم بكافة جوانبه، كما أن المجلات المتخصصة تمد القارئ بكل جديد فيما تخصصت له من العلوم و الآداب و الفنون، و هذه المجلات تسير نحو التخصص أكثر من ذي قبل. (2)

و هكذا فإن الصحف تعد من أقدم وسائل الإعلام، و ماتزال إلى يومنا من أبرز الوسائل. فقد أضحت حلقة في سلسلة الحياة اليومية، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها للإنسان المعاصر، الذي أصبح يرى فيها كرسي الاعتراف العام للناس جميعا، لأنها تكشف عن الرؤية العامة لجماعة من الناس و تفاعلها معها، كما أنها تعمل على إثراك القارئ في الأحداث، فهي مرآة الرأي العام و منبر الدعاية. و لقد تطورت صناعة الصحافة كثيرا و أصبحت تسابق غيرها من الصناعات الكبرى في سلم التطور، فتسفيد قبل غيرها من التقدم العلمي و التقني، و من أي اختراع جديد حتى غدت وسائل الإعلام الأخرى خادما ذلولا لها، و غذى هذا التطور التنافس بين الصحف، فالصحيفة التي تملك أحدث ماكينات الطباعة يمكنها أن تحقق سبق الصحفي و تفي بحاجة القارئ و هذا يساعد فيه مستوى التحرير و قدرة المحررين على معرفة اتجاهات القارئ و رغباته.

فلم يعد -إذن- إصدار الصحيفة اليومية، عملا فرديا يموله شخص ما يتخذ من الصحافة حرفة، بل أصبح إصدار صحيفة يومية فوق جهد الفرد و قدرته المالية، و حتى إذا أتاحت له القدرة المالية، فإنه في حاجة إلى مؤسسة ضخمة تقترب إلى حد كبير من العمل الاستثماري، و إن كانت من صحف الرأي أو الصحف الحزبية، فالصحيفة لا تستطيع البقاء ما لم تعتمد على موارد ثابتة من الاعلان، و المعلن يتوخى الذبوع و الانتشار و لا يعلن إلا في صحيفة ذاتة، و الاعلان هو المصدر الرئيسي لسد نفقات إصدار الصحيفة، و تحقيق نوع من العائد للمستثمر، و هذا الذي أردنا بقولنا أن الصحافة أصبحت صناعة. (3)

(1) عد العزيز شرف، مرجع سابق، ص: 345.

(2) حسين فوزي النجار، مرجع سابق، ص: 111.

(3) حمدي حسن، مرجع سابق، ص - ص: 113 - 114.

و هكذا فإن الصحافة - رغم كونها من أقدم وسائل الاعلام - تبقى لها أهميتها و مكانتها في المجتمع، فقد فرضت نفسها بين القوى الموجهة في كل بلد، فسميت السلطة الرابعة*، و بقيت لها مرتبتها التي وصفها عبقرى الحرب نابليون بقوله : إن صحفاً ثلاثاً تعاديني تشير من خوفي أكثر مما تخيفني ألف بندقية.

بعد هذا، اعتبرت ثورة الطباعة ثورة الالكترونيات، فمنذ اختراع الطباعة لم يتوصل الإنسان إلى مستحدث اجتماعي له تأثير ضخم مثلما هو الحال بالنسبة للإذاعة، هذا الاختراع الذي ميز العصر بالسرعة الكبيرة، و مدى وعي الإنسان بالغرض و الاحتياجات الاتصالية الملحة التي كانت وراء كل الاختراعات الخاصة بوسائل الاتصال.

و قد احتفظت الوسائل المطبوعة بمكانتها الوطيدة وقتاً طويلاً، حتى ظهر المذياع الذي أصبح وسيلة للإعلام تخطت حدود الزمان و المكان، لا تقف دون حدود و لا يعوقها عن الامتداد إاقوة الموجة التي تحكمها، و رجع الانسان بذلك إلى الإعلام المسموع ثانية، و كان ذلك مع بداية العشرينات لهذا القرن ففي عام 1865 تنبأ عالم الطبيعيات الانجليزي "كلارك ماكسويل" بوجود الموجات الكهرومغناطيسية، و بعد ذلك بعشرين عاماً أثبت "هيزليش هيرتز" العالم الالماني صحة هذه النظرية، و جاء "ماركوني" المخترع الايطالي ما بين عامي 1894 و 1899 ليطور هذه التجارب و يحقق في السنة الأخيرة أول اتصال لا سلكي، ثم تمكن "ماركوني" عام 1901 من الاستماع إلى رسالة بعث بها عبر الاطلنطي من محطة إرسال من "كورندول" بإنجلترا "لسان جون" في نيوفاوندلاند، و في عام 1906، ذهب (دي فورست) إلى فرنسا و أقام محطة إذاعة في برج ايفل، و تمكن من إذاعة الموسيقى عام 1910، و بدأت شركة (جنرال الكتريك) عام 1919، في صناعة المعدات و الأجهزة (1).

و قد تعطلت هذه التجارب نوعاً ما بسبب الحرب العالمية الأولى، و بعد الحرب مباشرة ظهرت بصفة جدية الوسيلة الجديدة للاتصالات، فكان تاريخ 31 أوت 1920 بداية أول برامج يومية مذاعة من (ديترواينوز) في الولايات المتحدة الأمريكية.

و لم ينتصف العقد، حتى عمت محطات الإذاعة عديداً من بلدان العالم، و عرفها العالم العربي في أخريات العقد، فأنشئت في مصر و الجزائر و المغرب في العشرينيات الأخيرة محطات إذاعة خاصة، ما لبثت أن خضعت لإشراف الدولة و تنظيمها. (2)

و لكن الراديو بقي قطعة فجة من الأثاث المنزلي قاصراً عن الحركة يسعى المستمع إلى مكانه، حتى ظهر "الترانزستور"، فطور في هذه الوسيلة، و أصبح بإمكان الإنسان أن يحمله معه في حله و ترحاله.

(*) إن هذه التسمية تطلق تجاوزاً، لأنه هناك من انتقد هذه التسمية، و رأى فيها أنها تتنافى و المكانة التي نريد للصحافة، أنظر الإعلام وسيلة ورسالة ص : 234.

(1) يوسف محي الدين أبو هلاله، مرجع سابق، ص : 52.

(2) حسين فوزي الشحار. مرجع سابق، ص : 128.

ثم أن الإذاعة -الراديو- جاءت بأدوات حديثة حررت الاتصال من أسر النقل، و كان ذلك واحدا من معاني التحرر البشري، و أصبح بمقدور الرسالة الاتصالية أن تعبر محيطات وجبالا و بحارا و تصل إلى حيث لا يستطيع الانسان ذاته أن يصل، فضلا عن كون "الراديو" بإمكانه الوصول إلى جميع السكان بسهولة متخطيا حاجز الأمية و الحواجز الجغرافية، كما أنه يصل إلى جماعات خاصة، مثل الأفراد كبار السن و الأطفال، و الأقل تعليما و المتعلمين، و غير ذلك من الجماعات التي قد يصعب الوصول إليها بوسائل الإعلام الأخرى، و لا يحتاج الراديو إلى أي مجهود من جانب المستمعين سواء من أجل فهم الرسالة، أو من أجل الحصول عليها كما هو الحال بالنسبة للرسالة المطبوعة، فلا يتطلب الاتصال بالراديو إلا وجود الجهاز الذي يبث الرسالة، أما تكلفة إنتاج البرامج فإن غيرهم سيدفع عنهم، فمع الراديو يكفي أن يكون المتلقي انسانا حتى يمكنه استقبال رسائلها الاتصالية. (1)

و تمثل الإذاعة اليوم النتاج المعاصر لعملية تطور طويلة و مستمرة، تشمل في الغالب على عدد كبير من المستحدثات التكنولوجية و الانجازات العلمية و تشمل على أشكال اجتماعية و اقتصادية جديدة.

و مثلما تطورت وسائل الاعلام الأخرى، فإن تطور الإذاعة كوسيلة اتصال جماهيرية قد تأثر بصراعات عديدة، و لعل خصائصها التي تتميز بها الآن قد تشكلت عبر ما تمخضت عنه هذه الصراعات، فلقد خاضت هيئات كبرى حربا من أجل براءات الاختراع و تنافس أصحاب المحطات على الترددات نفسها، و قد خاض الراديو في بداية طريقه، حربا شرسة من أجل الحصول على حق إذاعة الاخبار و الحصول عليها، هذه الصراعات بالاضافة إلى تطور الإذاعة ذاتها يزودنا بإطار ضروري لتفسير الطريقة التي تشكلت بها الإذاعة كوسيلة إعلام جماهيرية. (2)

و قد أفاد "الراديو" كثيرا من التطور التكنولوجي، فبينما كانت الستينات تتميز بأنها عصر الفضاء، فإن السبعينات تتميز بأنها ميدان أكثر تخصصا في ميدان الاتصالات و خاصة اللاسلكية، فلقد شهدت العشر سنوات الأخيرة تطورات سريعة في ميدان الإرسال الإذاعي، فتطورت الموجات اللاسلكية الحاملة للصوت من موجات متوسطة الطول إلى قصيرة، ثم إلى متناهية في القصر، و هي ما يسمى بموجات المايكر أو السنتمترية، و مع كل مرحلة من مراحل التطور كان استحداث الاجهزة التي تأتي بميزات جديدة بالنسبة للإرسال، فبينما تقتصر الموجات المتوسطة على تغطية مدى إرسال محدودة تتوسع الموجات القصيرة لتغطية مدى أبعد، و تعمل الموجات المتناهية في القصر على حمل الإرسال عبر وسائل الاتصالات الحديثة.. كالتوابع و الأقمار الصناعية. (3)

و قد أثار هذا التطور الكبير قضية هامة، عملت الأمم المتحدة على معالجتها و تتمثل هذه المسألة في أنها أدركت أهمية الأقمار الصناعية بالنسبة لوسائل الإتصال، فبعثها ذلك إلى العمل على

(1) حمدي حسن، مرجع سابق، ص:40، و جيهان أحمد رشدي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص: 367.

(2) حمدي حسن، مرجع نفسه، ص:41

(3) عبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص-ص: 454-460.

تعميم استعمال هذه الأقمار، لكي تتاح الفرصة لكل شعوب العالم بما فيها البلاد النامية، و تتالت الجهود، و أحرزت المواصلات السلكية و اللاسلكية تطورا كبيرا باستعمال الأقمار الصناعية، و طُور الفن الاذاعي، و اهتم المختصون باضافة المؤثرات الصوتية إلى الصوت البشري و تنوعت البرامج و كثرت ألوانها فتجاوزت حدود التصور العادي، و نشأ عن ذلك كله تحميل الاذاعة مسؤولية هي من أعظم المسؤوليات، فبعد أن كانت الاذاعة في بداية أمرها، مجرد العوبة تستدر الفضول و ترفه عن الإنسان، أصبحت قوة حيوية في النواحي السياسية، و الاجتماعية، و الاقتصادية و الدينية و التعليمية، و الثقافية من حياة البشر. (1)

و أصبحت الاذاعة بذلك أداة اجتماعية فريدة، تتميز بقوة الصوت البشري، و جاذبية كبيرة تجذب إليها السامع بما تقدمه له من خبر يعنيه أو يشغله أو نوع من المعرفة الجديدة، على أن الذي يجذب المستمع فيها أكثر، ما تقدمه له من بواعث الترويح و الاسترخاء، و إلى هذا كله فهي رفيق مريح لا يتقل على صاحبه ينطق بحساب و يصمت حين يريد له الصمت و لا يضنيه بحيز و لا يشغله عن عمله. بعد أن شهدت الساحة الاعلامية سيطرة الوسائل المطبوعة، لمدة طويلة، ثم جاء الراديو الذي تقاسم مع المطبوع مهمة الإعلام، انتقل الدور إلى الوسائل السمعية البصرية.

و في البداية ظهرت السينما الصامتة و لم يكن الراديو قد ظهر إلى الوجود و كانت الكلمة المطبوعة هي سلطان الاعلام آنذاك، و على الرغم من أن الصور التي تحركت كانت صامتة، إلا أنها تمكنت من اللعب باللباب الجماهير، و أصابهم الذهول و جذبت هذه الوسيلة في البداية، جمهورا واسعاً، مع ما كانت تثيره بعض المناظر فيها من جزع.

«بدأت السينما و نيدة الخطى، و إن سبقت غيرها من تكنولوجيا الاعلام السمعية و المرئية الحديثة، إذ ظهر أول عرض للصور المتحركة عام 1895 قبل ظهور الراديو بنيف و عقدين من الزمن و قبل ظهور التلفزيون بخمسة عقود، و ما لبثت العروض السينمائية أن اجتاحت العالم أجمع بعد أول عرض لها في باريس، و حتى قيام الحرب العالمية الأولى كانت فرنسا مركز الانتاج السينمائي الراجح، حتى تفوقت امريكا و غدت هوليوود هي المسيطرة على الانتاج السينمائي في العالم، و أطاح الفيلم الأمريكي بغيره من الأفلام الأخرى فاقترصر عرضها على البلاد التي انتجت فيها، إلا القليل منها الذي وجد له مكانا في سوق المنافسة الامريكية، و لم ينافس امريكا بلد آخر في هذا الميدان رغم وجود الامكانيات» (2)

و اتصفت السينما بالقوة، إلا أن الفيلم الصامت حين اقتصرت كلماته على العناوين المطبوعة، كان قاصرا في تناوله للأفكار، فلما نطقت السينما عظم اتساع أهميتها كوسيلة تعبير ذات جمهور خاص، و بقدر ما نالت الحرب العالمية الثانية من صناعة السينما في أوروبا -كما حدث في الحرب

(1) عبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص-ص : 459-460.

(2) حسين فوزي النجار، مرجع سابق، ص: 137.

العالمية الأولى - فإنها كانت زادا لصناعة السينما الأمريكية، وحتى أمريكا اهتمت بصناعة السينما وهي تخوض الحرب و لم تتأثر بظروف هذه الحرب، بل سمح ذلك بتوجيه الانتاج السينمائي و اقتحام ميدان الأفلام التعليمية و الثقافية و العلمية و الاخبارية.(1)

و رغم أن السينما كانت ترفيهية في بدايتها، غير أنها أصبحت بعد ذلك و في دول مختلفة (ديكتاتورية - اشتراكية - ديمقراطية) وسيلة مهمة تخدم السياسات و الأغراض كما استعملت في ميدان الدعاية التجارية و الاقتصادية و أكد على هذه الأهمية زعماء كثيرون، و خاصة زعماء الشيوعية، فقال "لينين" عنها أنها أهم وسيلة ثقافية في روسيا (2)، كما عملت بعض الدول على تأييد أفكارها من خلال الفيلم السينمائي، و حتى في شكله الفكاهي و الغنائي لم تكن هذه الأفلام لتخلو من الدعاية لأفكار أصحابها.

و لعل قدرة السينما على التصوير الواقعي، هي التي اكسبتها قوة مكنتها من الصمود و نبل المكانة بين وسائل الاعلام الأخرى، بل أصبحت اداة إعلامية تتسع لكل وظائف الإعلام، فهي وعاء لبعث الماضي، و سجل للحاضر، و هي صورة ناطقة تواكب الأحداث في تطورها و لا تقف عند حدث في ساعته، و هي ملهاة و مسلاة للكثيرين* .

و من المخترعات التي خلفتها الثورة الالكترونية، التلفزيون بعد أن سبقه في هذا المجال الراديو، و قد ورث التلفزيون كثيرا من تراث الراديو، و تطافرت عوامل كثيرة و متعددة لتجعل التطور التكنولوجي في مجال التلفزيون أكثر سرعة مما كان عليه الراديو، و لم يتعين على التلفزيون أن يخوض المعارك التي خاضها الراديو في مجالات التمويل و إذاعة الأخبار و السيطرة الحكومية، فقد سبق و أن حسم الراديو هذه المعارك، و جاء التلفزيون ليجد الجو مهياً لسيره و تطوره السريع.(3) و كالعادة و مع ظهور أي اختراع جديد في عالم الإعلام، بدت هناك تهديدات الاختراعات السابقة، فساد الذعر عالم الانتاج السينمائي، و قيل إن الراديو عفى عليه الزمن، و أن الصحيفة ستفقد جمهورها، غير أن الخصائص التي تنفرد بها كل وسيلة، مكنت هذه الوسائل من الصمود و التكيف مع الوضع الجديد، إلى أن وجدنا كل وسيلة مكانة لها بين كل الوسائل.

و بدأت تكنولوجيا الالكترونيات في المجال التلفزيوني منذ العشرينيات و الثلاثينيات و في عام 1938 كانت هناك إذاعات تلفزيونية في الولايات المتحدة، و كان "روزفلت" أول رئيس أمريكي يظهر على شاشة التلفزيون و لم يتمكن من مشاهدته إلا قليل من الناس، حيث أن أجهزة الاستقبال لم تكن قد أخذت شكل الانتشار الجماهيري بعد، و في عام 1941 وافقت لجنة الاتصالات الفيدرالية على استخدام

(1) حسين فوزي النجار، مرجع سابق، ص: 137.

(2) يوسف عي الدين ابو هلاله، مرجع سابق، ص 68، نقلا عن جامعة الدول العربية، السياسة الدعاية الصهيونية، ص: 4، ص: 1963.

(*) ضعا، هذا النعت، لما ينبغي أن تكون و ما كانت عليه السينما في بداية نشأتها، ثم ما لبت أن تحولت إلى الابتغال في تصوير بعض الأمور، والاعراف عن الهدف النبيل.

(3) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 57.

التلفزيون في المنازل، وقد حدثت الحرب العالمية الثانية من تطور هذه الوسيلة، واقتصر في هذه الفترة على إجراء البحوث المتعلقة بالتلفزيون. (1)

و استأنف تطور التلفزيون و صناعته بعد الحرب العالمية الثانية، و لم يبدأ إرساله الواسع إلا في الخمسينات، حيث ارتفع عدد أجهزة الاستقبال، و في عام 1952 ظهرت الشاشة الملونة، و ما وافى عام 1970 حتى عمت أجهزة الاستقبال 90% من البيوت الأمريكية، و كان الإرسال التلفزيوني قد عم أكثر بلاد العالم. (2)

و أما في وقتنا الحاضر فلا نستطيع حصر عددها إذ ليس إلى ذلك من سبيل، فقليلا ما نجد بيتا يخلو من وجود التلفزيون فيه، و يعتبر التلفزيون شاهد مهم في مجال الإبداع العلمي في تاريخ البشرية، و إذا كانت الصحافة المطبوعة تحكمت في مجال صياغة الرأي العام و التعبير عنه فترة من الزمن، فإن التقدم العلمي وضع حدا لاحتكار الصحافة المطبوعة، و كان ظهور الوسائل الجديدة سبب في تقسيم الأدوار من أجل أداء المهمة الاعلامية. (3)

و قد تتابع التطور التكنولوجي للتلفزيون، و ساهمت انجازات تكنولوجية كثيرة في تطويره، فكان الإرسال بواسطة الأقمار الاصطناعية قد أدى خدمة جليلة للتلفزيون، فأصبح الإرسال عالميا بعد أن كان محليا، علما بأن هذا التطور لا يقف عند حد معين خاصة في الفترة الأخيرة التي أصبح فيها الاختراع التكنولوجي مطردا و سريعا، ثم أضيفت فكرة (الإرسال عن طريق الكابل Cable) (4) الذي سهل استعمال هذا الجهاز، خاصة في مجال الترفيه و التوزيع الهام الذي يدخله في استخدام التلفزيون، و جاء التلفزيون المحتفظ به (الفيديو - كاسات) ليضفي على التلفزيون صورة جديدة، تمكن المشاهد من تكوين برنامج التلفزيوني الخاص، سواء بأن يسجله بنفسه أو يسجل أوتوماتكيا في غيابه، هذا فضلا عن التطورات الكبيرة جدا التي أدخلت مؤخرا على هذا الجهاز، لتجعل منه أداة طيعة، تستخدم بطرق شتى و تحقق رغبات المشاهد بأيسر السبل. (5)

و هكذا نلاحظ أن نمو التلفزيون الهائل، لم يقتصر على مدى انتشار أجهزة استقباله فحسب بل تجاوز ذلك إلى نوعية إنتاجه و إرساله، فقد ضاعف التلفزيون من كمية المعلومات المرئية و امكانيات التسلية المتاحة للجمهور على نطاق واسع، و أدخل جوانب مثيرة أشركت المشاهد في أحداث بعيدة عنه، و من الحق أن يقال أن التلفزيون يلخص أكثر من أي وسيلة أخرى -أوجه التقدم الذي أحرزته وسائل الإتصال في السنوات الخمس و العشرين الماضية. (6)

(1) حمدي حسن، مرجع سابق، ص : 57.

(2) حسين فوزي النجار ، مرجع سابق، ص : 139.

(3) يوسف عبي الدين أبو هلاله، مرجع سابق، ص : 62.

(4) أنظر بالتفصيل، الصحافة المطبوعة و السمعية البصرية لرولان كايرو، ترجمة: محمد مرشلي، ص : 14.

(5) المرجع نفسه، ص : 96.

(6) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص : 143.

و يتميز التلفزيون عن غيره من وسائل الإعلام، بكونه يستحوذ على حاستين تستغرق اهتماما كاملا من جانب الجماهير، وهما السمع و البصر، ثم أنه أقرب وسيلة للاتصال المواجهي* الذي يعتبر انجع طرق الاتصال، كما أنه يشعر المشاهد بأنه ابن يومه لأنه يقدم له مادة اعلامية في زمن حدوثها، و بينما يتوجه التلفزيون إلى جماهير عريضة**، تتجه الوسائل الأخرى، إلى جماهير متخصصة أو محددة.

و يكفي في الأخير -و حتى نؤكد على أهمية هذه الوسيلة-، أن نشير إلى أن بعض الدراسات التي أجريت على التلفزيون تؤكد هذه الأهمية، و من هذه الدراسات، تلك التي أجريت من طرف (ف.ج. كازانوف و ج. أوليف) و كان من بين نتائجها : أن احصائيات*** حققتها التلفزيون الفرنسي في بداية عام 1960، تذكر أنه عندما يعرض التلفزيون ما لا يعجب الجمهور فإن 53% يطفنون أجهزتهم بينما 40% يتابعون المشاهدة، و على سؤال "إذا حرمت من ثلاثة أشياء فما الذي ينقصكم أكثر"، كانت الأجابة كالآتي : التلفزيون 44%، البراد 33%، الغسالة 16%، و حققت دراسة أمريكية قام بها "ج. سننيز" النتائج نفسها في الفترة ذاتها في استقصاء وطني في الولايات المتحدة الامريكية. (1)

و بعد هذا العرض الموجز لوسائل الإعلام و تطورها، نستطيع أن نؤكد أن هذا التطور المطرد، لم يأت من فراغ، و إنما تأثر بعوامل كثيرة كما أنه في مقابل ذلك أثر في ميادين متعددة أيضا. «فالتطور المؤسسي للإعلام يتبع التطور السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي الخاص بكل بلد، و يرتبط في مقام ثان- بثلاثة عوامل مخصصة : أحدها التطور المادي لوسائل و التقنيات، و كذلك التطور في البنى، و ثانيها : توسع الوظائف، و ثالثها اختلاف التصورات حول الحرية و أهداف الإعلام و أساليب تطبيق هذه التصورات»(2)

«و يمكن استخلاص نتيجتين من التطور المستمر و المطرد لوسائل الاتصال أولاها أن هذه التغيرات تمثل اتجاها لا رجعة فيه، و الثانية أن العلاقة بين مختلف الوسائل الاعلامية هي أساسا علاقة تكامل و ليست علاقة تطاحن، فالدول التي تختار التركيز على أسلوب فني واحد، ينبغي ألا تفعل ذلك بما يؤدي إلى القضاء على الآخر أو إهماله، و بينما يقال كثيرا أننا ندخل "العصر الالكتروني" فليس ثمة ما يشير إلى اختفاء وسائل الطباعة، و سوف تستمر الصحف و المجلات و الكتب لعشرات قادمة من السنين، كمصادر هامة للإعلام و المعرفة و الترويج، و ينبغي تأمين الجهود التي تبذل لاستمرارها

(*) نوع من أنواع الاتصال (راجع الإعلام وسيلة و رسالة...)

(**) هذا الأمر يتعلق خاصة بالجماعات القرية المتقدمة و بشكل خاص في الولايات المتحدة، (جيهان رشدي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص: 369)

(***) طبعا تعتبر هذه الاحصائيات قديمة و لم تسجل في كتاب معاصر جدا إلا لاستمرار تلك النتائج.

(1) شون ماكرايد، و آخرون مرجع سابق، ص: 635.

و لمضاعفة كمياتها و تحسين نوعياتها، كما أن الراديو و التلفزيون مازالا بحاجة إلى مزيد من التوسع و إلى حجم أكبر من الاستثمارات، و على الأخص في الدول النامية*، و هو ما يصدق أيضاً على أحدث الابتكارات التكنولوجية، فجميع الدول تحتاج إلى التخطيط لادخالها على الأقل بطريقة تدريجية، و ينبغي للبلدان النامية بوجه خاص أن تبادر إلى وضع خططها لكي تتقاسم مزايا التكنولوجيا الحديثة و تكيفها مع احتياجاتها و ظروفها الخاصة» (1) فلإعلام أهمية فائقة في الدول الصناعية الغنية الكبرى، و هي بذلك تمتاز على كل أقطار العالم الثالث -على كثرتها و تعدد دولها- و هذا سبب يدعوها إلى أن تحتفظ لنفسها بامتياز التقدم سواء كان في التنظير الإعلامي أو في الوسائل المتطورة التي تمارس من خلالها دور الاعلام. (2)

و رغم أننا لا نذهب إلى ما ذهب إليه "مارشال ماكلوهان" في القول بأن (الوسيلة هي الرسالة) (3)، غير أننا لا نستطيع أن ننكر ما للتطور التكنولوجي في وسائل الاعلام، من دور عظيم في مجالات كثيرة و حتى في الأدوار التي تقوم بها، فقد أصبح نوع الوسيلة تأثير على دورها، إلى جانب الرسالة التي تحملها.

(*) و بالفعل، فقد تحركت هذه الدول، و نادى بإيجاد نظام إعلامي جديد.

(1) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 154.

(2) مصطفى المصمودي، النظام الاعلامي الجديد، عالم المعرفة: 94، (الكويت محرم 1407هـ/ أكتوبر 1985)، ص: 70.

(3) أنظر نقد هذه النظرية في كتاب: أصوات متعددة و عالم واحد ص- ص 46-47، و الإعلام وسيلة و رسالة، و الأسس العلمية لنظريات

الإعلام ص- ص : 394 - 395.

المبحث الرابع : دور وسائل الإعلام و وظائفها

إن الحديث عن وظائف الاعلام و دوره، لا ينفصل عن الحديث عن التطور في وسائل الإعلام و خاصة التطور التكنولوجي، الذي كان له أثر كبير في تطوير وظائف الاعلام، مما حدا ببعضهم*، كما أشرنا سابقا -إلى القول بأن "الوسيلة هي الرسالة"، دلالة على الأهمية الكبيرة للتطور التكنولوجي لوسائل الاعلام و تأثير ذلك على الوظائف و الدور.

و إلى وقت قريب**، مازال الباحثون يتحدثون عن وظائف الصحافة على أنها وظائف الإعلام لأن الصحافة ظلت تعني الإعلام في الدراسات الاعلامية وقتنا طويلا، و مع إتساع حقل الدراسة و البحث الاعلامي، لم يعد هذا التعميم ملائما للعصر، فالوسائل تختلف عن بعضها البعض، مما يكسب كل وسيلة مميزات خاصة بها و وظائف تفرد باتقانها و التخصص فيها.(1)

و لذلك نستطيع أن ننظر إلى الوظائف المعاصرة للاعلام نظرة جديد تعتمد على التوسع و التطور الذي طرأ على وسائل الاعلام و بالتالي التطور الذي طرأ على الوظائف و على الخدمة الاعلامية في المجتمعات المعاصرة، على أن هذا التطور لم يغير كثيرا في الإطار العام الذي يجمع وظائف وسائل الإعلام و إنما أحدث تغييرا في طبيعة الخدمات و سرعتها و عموم الانتفاع بها، كما أن تميز كل وسيلة بخصائص معينة و بذاتية واضحة، لا يمنعنا من جمع وظائف وسائل الإعلام في إطار عام، مع الحرص على فاعلية كل وسيلة في وظيفة من الوظائف دون غيرها.(2)

و نستطيع أن نجعل وظائف الإعلام تحت أطر عامة تجمع أهم الفصائل التي تضطلع بها وسائل الإعلام، و تأتي الوظيفة الإعلامية أو الاخبارية في مقدمة الوظائف التي تقوم بها وسائل الاعلام، كما أن لها دورا اجتماعيا كبيرا و ذلك من خلال اسهامات وسائل الإعلام الكبيرة في مجالي التربية و التعليم و الإصلاح الاجتماعي بصفة عامة، و تعتبر وسائل الاعلام أيضا أداة هامة لخدمة الاقتصاد و التنمية، من خلال الوظيفة التسويقية و وظيفة الاعلانات، و يعتبر الترفيه و الامتاع من أهم وظائف الإعلام، و هي وظيفة قديمة متجددة لم يخل مجتمع من المجتمعات منها لأنها وظيفة لا تقل أهمية عن الوظائف الأخرى، ثم الوظيفة السياسية.

و هناك من ذهب إلى تقسيم وظائف الإعلام بطريقة أخرى، لا تختلف في جوهرها عن التقسيم المذكور، و يشمل هذا التقسيم، الوظائف العامة لأجهزة الإعلام، و التي تشمل الوظيفة الإعلامية، ووظيفة توحيد منطلقات المجتمع التي تضمن التآزر و التعايش و خلق الحوافز و الدوافع، و اثاره النقاش و الحوار، و احداث التفاهم و التكامل، و خدمة المجتمع بصفة عامة، كما يشمل هذا التقسيم الوظائف

(*) هذا ما ذهب إليه مارشال ماكلوهان و قد سبق الإشارة إلى ذلك في المبحث السابق.

(**) حتى بداية الربع الأخير من القرن العشرين (كما أشار إلى ذلك محمد سيد محمد في كتابه: المسؤولية الإعلامية في الإسلام ص: 30).

(1) محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، ط: 2، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص: 31-32).

(2) المرجع نفسه، ص-ص: 31-32.

الثقافية التي تمتاز بخصوصيتها الثقافية، و تشمل التثقيف و التربية، و النهوض بالانتاج الفكري و الترفيه.(1)

و في المجتمع الإسلامي ينظر إلى وظائف الإعلام نظرة مختلفة قليلا عن النظرة السابقة فتقسم هذه الوظائف إلى وظائف بنائية تعتمد على التربية و التعليم، و وظائف معيارية، مهمتها تحصين و حماية المتلقي و ذلك بالكشف عن زيف الحملات المضادة، و التأكيد على صلاحية المنطلقات الذاتية و انماء الهوية الاسلامية و الوطنية.(2)

و نشير إلى أن هذه التسميات لوظائف الإعلام لا تختلف كثيرا في جوهرها -كما ذكرنا سابقا- و من هنا فلا بأس في الأخذ بأحدها، طالما أنه يغطي الوظائف الأساسية للإعلام، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الكيانات الجماعية الاجتماعية، فالمجتمعات ككل لا يمكن أن تحيا اليوم ما لم يتم اعلامها على نحو صحيح بالشؤون السياسية و الأحداث الدولية و المحلية و الأحوال الجوية و ما إلى ذلك، و تحتاج الحكومات إلى معلومات متنوعة ترد من كافة أرجاء العالم فيما يتعلق باتجاهات نمو السكان و غلات المحاصيل و موارد المياه (3) " و غيرها مما يفيد في التخطيط للمستقبل و تحقيق الأمن.. و هكذا تظهر أهمية الإخبار و الإعلام كوظيفة أساسية لوسائل الإعلام، فنبدأ بتوضيح هذه الوظيفة أولا.

1-وظيفة الإعلام و الإخبار : تتلخص هذه الوظيفة في جمع و تخزين و معالجة و نشر الأنباء و البيانات و الصور و الحقائق و الرسائل و الآراء و التعليقات المطلوبة من أجل فهم الظروف الشخصية و البيئية و القومية و الدولية و التصرف اتجاهها عن علم و معرفة، و الوصول إلى وضع يمكن من اتخاذ القرارات السليمة.(4)

و على هذا يكتسب الخبر أهمية كبيرة في العملية الاعلامية، فهو بمثابة العمود الفقري، لأن البحث عن الخبر و التقاطه و السيق إليه و نشره أصبح جوهر صناعة الاعلام المعاصر، و النظرة البسيطة لواقعنا العالمي المعاصر، تؤكد أن الخبر اليوم أساس المعرفة، و من غير الأخبار لا نستطيع أن نفهم ما يجري حولنا.(5)

و لا يعتبر خبرا، الحدث اليومي العادي، إنما الخبر ما كان يستأهل البحث عنه، و السيق إليه، و هو ما يعبر عنه بالمقولة المشهورة "الكلب الذي يعض رجلاً ليس بخبر، لكن رجلاً يعض كلباً هذا

(1) عماد زكي، تخصير الطفل العربي للعام 2000، (القاهرة: اذنية المصرية العامة للكتاب، 1990)، ص: 113، (دون طبعة)، و شون ماكرايد، و آخرون، مرجع سابق، ص- ص: 51- 52.

(2) و هذا ما ذهب إليه كمال الدين امام في كتابه، النظرة الإسلامية للإعلام، ص: 181.

(3) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص- ص: 52- 53.

(4) المرجع نفسه، ص: 51.

(5) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص: 31.

يعتبر خبراً (1) و يتعين على وكالات الأنباء اختيار الأخبار التي ترى أنها أكثر أهمية، إذ يقال أن الإعلام هو الاختيار و عليه فإن وكالات الأنباء لا تسجل كل أخبار العالم، و وسائل الإعلام - وخاصة الصحف لأنها أكثر وسائل الاعلام استخداما للأخبار - لا تستطيع حمل إلا جزء قليل من الانتاج اليومي لوكالة كبيرة، و الوسائل الأخرى كالراديو و التلفزيون لا تمثل إلا بعض الأعمدة في صحيفة كبيرة.

و تدخل في عملية اختيار الأخبار عناصر مهمة، كالعامل السياسي و التجاري و الأخذ بعين الاعتبار الرأي العام و حاجاته و توجهاته، و يؤدي هذا الاختيار إلى توزيع المادة الاخبارية حسب أهميتها، سواء على صفحات الجرائد أو في نشرات الراديو و التلفزيون.

و يجب أن تشير بأن الصحافة قد توزع أخبارا خاطئة، و يرجع ذلك إلى التسرع و الإهمال و أحيانا يكون مبعث ذلك الرغبة في الضحك أو الاضحاك (2) كما يتعامل أحيانا أخرى مع الأخبار بأساليب معينة (3)، كالمتابعة و التكرار الذي ينظر إليه أنه من أنجع السبل لتغيير الآراء و الاتجاهات، فتكرير الخبر و كثرة اعادته يوصل إلى درجة الاقناع، و في مقابل ذلك قد يعتمد أسلوب الصمت و التجاهل إزاء القضايا التي ينظر إليها أنها لا تخدم الجهة المخبرة، أو إزاء خطأ في مجال من المجالات الاعلامية فلا تكرر هذه الأخبار و لا يرد عليها أصلا، لأن الحديث عنه و الرد عليه سيزيد من إشاعة الخبر و انتشاره، و يتعامل مع الأخبار في مواضع أخرى بأسلوب التسلسل و تحويل الانتباه، كان تثار قضية مهمة، لا تكون في صالح الجهة المرسله، فلا تعتمد هذه الجهة إلى معارضة هذه الأخبار بطريقة مباشرة، لأن ذلك لا يأتي بنتيجة، و إنما تنشر أخبارا أخرى تحوز الانتباه إلى موضوع آخر تحاول أن تظهره على أنه أكثر أهمية، و يستعمل أسلوب آخر في نشر الأخبار، و هو التعليق المثير المحرك للعاطفة، فتستمال الآراء و توجه الجهة و مصلحتها.

و الحديث عن الدور الاخباري كوظيفة أساسية لوسائل الإعلام، لا يلغي وظيفة التعليق و التعبير عن الآراء، و إن كان التفريق التام بين الوظيفتين من الصعب بمكان، و التعبير عن الرأي من دون شك إحدى الوظائف الهامة للإعلام، و يطلب في هذه الحالة أن تكون هذه الوظيفة أكثر ليونة و أكثر تسترا أي أقل انفتاحا و اشهارا و هي أحد المهام الهامة لأجهزة الإعلام، و ذلك من أجل ضمان قدر كافي من الموضوعية. (4)

(1) رولان كايرو، مرجع سابق، ص : 09.

(2) المرجع نفسه، ص : 11.

(3) راجع في ذلك، الإعلام : نشأته، أساليبه، وسائله ما يؤثر فيه، ليوسف محي الدين أبو هلاله، ص: 25 إلى 29.

(4) رولان كايرو، مرجع سابق، ص- ص : 11، 12.

2- الوظيفة الاجتماعية : تعمل وسائل الإعلام و بشكل واضح على توفير رصيد مشترك من

المعرفة يُمكن الأفراد من أن يعملوا كأعضاء ذوي فعالية في المجتمع الذي يعيشون فيه و دعم التآزر و الوعي الاجتماعيين، و بهذا تكفل مشاركة نشطة في الحياة العامة.(1)

و تتسم العلاقة بين وسائل الإعلام الجماهيرية و بين الأنظمة الاجتماعية في المجتمع، بنوع من الاعتماد المتبادل فكلاهما يعتمد على الآخر في تحقيق أهدافه، ففي المجتمعات الحديثة أو بتعبير أدق الدول الحديثة، أي التي استكملت شكل الدولة لا يمكن للنظام السياسي أن يعتمد على الاتصال الشخصي في الوصول إلى ملايين الأفراد و آلاف الجماعات و المنظمات لا بلاغها و اقتناعها بالأهداف السياسية التي يسعى النظام السياسي إلى تحقيقها، ذلك أن وسائل الإعلام الجماهيرية تسيطر على المعلومات و الموارد الاتصالية التي يحتاجها النظام السياسي أو النشاط الاقتصادي أو الانظمة الاجتماعية الأخرى لكي تؤدي وظائفها بفعالية كبيرة.

و من الناحية الأخرى فإن وسائل الإعلام الجماهيرية تعتمد على الموارد التي يسيطر عليها النظام السياسي و الاقتصادي و الأنظمة الأخرى داخل المجتمع، لكي تؤدي وظائفها بكفاءة و فاعلية، فالعلاقة بين وسائل الإعلام و بين الأنظمة الاجتماعية داخل المجتمع هي علاقة متبادلة لا يمكن لأحد طرفيها أن يؤدي وظائفه بكفاءة دون الاعتماد على الآخر.(2)

و مع اعتقادنا بأن أسطورة الإيمان بقوة وسائل الاعلام* و عظم تأثيرها، لم تعد بالقوة نفسها، فإن هذا لا يمنع من القول بأن لوسائل الإعلام دور كبير في المجتمع، سواء عن طريق دعم الاتجاهات** أو تغييرها، أو عن طريق صناعة الرأي العام، و بالتالي مساعدة أفراد المجتمع على التفاعل مع قضايا المحيط المحلي و الدولي، و يعتبر تأثير وسائل الإعلام متغير يعمل متغيرات أخرى*** داخل المجتمع.

3- وظيفة التربية و التعليم : و هي وظيفة تلحق بالوظيفة الاجتماعية و تعتبر من أهم وظائف

الإعلام، و تعتبر وسائل الإعلام من أهم وسائل محو الأمية***، و تعليم اللغة، وقد أخذت هذه الوظيفة أهمية كبيرة خاصة بعد تطور الوسائل السمعية البصرية، هذه الوسائل لم تستعمل كوسائل ثانوية في التعليم و إنما أصبحت - الصحافة معها- مصادر للتعليم الموازي للشباب و الأطفال،

(1) شون ماكبرايد و آخرون، مرجع سابق، ص : 51.

(2) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 125.

(*) لقد نظرت الدكتورة "جيهان رشدي" إلى هذه الفكرة بالشرح و التفصيل أنظر، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص: 565 إلى 574.

(**) الرأي العام ليس مرادفا للإتجاه، و الفرق بينهما هو أن الرأي العام يتطلب وجود موضوع أو مشكلة لابتداء الرأي فيها، بينما الإتجاه، يميل إلى انبثاق النسبي و الإستقرار و الإستمرار، راجع طلعت همام : سين و جيم عن علم النفس الاجتماعي، ط : 1، ص: 129.

(***) مثل شخصية الفرد، و عائلته، و الجماعات التي ينتمي إليها إلخ.

(****) يرى الدكتور محمد كمال الدين إمام في كتاب: النظرة الإسلامية للإعلام، ص: 183 - 184، أن تجارب محو الأمية لم تأت بشمارها المرغاه و هو واقع لا يحتاج إلى تدليل.

و كذلك وسائل للتعليم الدائم الذي يفرضه التجديد المتواصل للمعارف النظرية و التطبيقية و أصبح من الأهمية، المطالبة بنظام مدمج بين التعليم و الاعلام خاصة في البلدان السائرة في طريق النمو (1) و هكذا أصبحنا أمام حقيقة هامة و هي أن وسائل الإعلام تقوم بدور تعليمي مباشر.

أما الدور التربوي الرئيسي و المستمر لوسائل الإعلام فيتمثل في أنها تمثل جامعة للذين تركوا مقاعد الدراسة، و أن التعليم فيها مستمر مدى حياتهم، و لقد أصبح رجل الاعلام في المجتمع يقوم بدور المعلم في المدرسة، و الوظيفة التربوية لوسائل الإعلام تتمثل بالمعنى الشامل لمفهوم التربية، الذي يعني التعليم و التهذيب و حماية التراث الثقافي للأمة و نقله من جيل إلى جيل، و قد ساعدت العملية الاعلامية ذاتها على تحقيق ذلك. (2)

و في الظرف الراهن، لا أحد يمكنه أن ينكر أن وسائل الاعلام تشكل عامل تنمية، و سببا من أسباب اسهام المواطن في المجتمع بشكل نشط، و عنصرا متزايد الأهمية من عناصر الثقافة المعاصرة، حيث أخذت الإمكانيات التربوية تتجلى شيئا فشيئا.

و قد أجريت دراسات كثيرة* من أجل الكشف عن حقيقة الدور التربوي الذي تقوم به وسائل الإعلام، و أثبتت أن هذا الدور كبير و هام جدا، و انشئت هيئات تعمل على دراسة العلاقة القائمة بين المدرسة و وسائل الاتصال و تقييمها، كاللجنة الدولية لدراسة مسائل التربية**، التي طرحت من بين ما طرحته مشكلة التربية الموازية، و اثبتت بعض التجارب التي أجريت في هذا الإطار، أنه بإمكاننا تنمية ذكاء الأطفال في سن ما قبل المدرسة بفضل التلفزيون و خاصة الأطفال الذين ينتمون إلى فئات اجتماعية ذات دخل ضعيف، و يشير أحد الدارسين في هذا الميدان إلى أن المربين المحترفين ينزعون إلى تصور العملية التربوية و توجيهها دون الأخذ بعين الاعتبار دور وسائل الإعلام، و يعلق صاحب الدراسة على هذا الواقع بقوله : إن هذا التجاهل لأجهزة الاعلام يتماشى تماما و النزعة الحالية المتمثلة في إعداد المتعلمين لذنبا الماضي، عوض منحهم القدرة على العيش في عالم يتطور بسرعة و على التحكم في هذه السرعة، و بناء على ذلك فإن إحدى مهام التربية هي تنمية استعدادات النشئ حتى يصبح قادرا على تقييم وضع المجتمع الذي يعيش فيه، و تؤدي ضمنه وسائل الإعلام دورا مهما للغاية، كما أشار الباحث أنه من الجوهرى لأي تربية متجهة نحو المستقبل أن تجعل المتعلمين قادرين على

(1) Fernand Terrou, OP. Cit, P-P : 42-43.

(2) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص- ص: 32-33.

(*) أثبتت بعض هذه الدراسات أن الطفل الذي يبلغ خمس سنوات -في استراليا- يقضي 2000 ساعة أمام جهاز التلفزيون قبل أن يتحق بالمدرسة، أي ما يعادل ستين دراستين و تكشف نفس الدراسة أن المواطن الاسترالي يمضي ما يعادل 7 سنوات من حياته في الاستفادة من وسائل الاعلام، و قد أفادت دراسات أخرى أن الوقت المخصص للتلفزيون بالبلدان المتقدمة يتراوح بين 58 و 190 دقيقة في اليوم، (أنظر : مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، ص ص: 171 - 172)

(**) اجتمعت هذه اللجنة الدولية المكونة من 7 خبراء عالميين في بداية عام 1972 برئاسة السيد ادغار فور لدراسة مشاكل التربية في العالم و توجت أعمالها بنشر تقرير دولي حول الموضوع، المرجع نفسه، ص: 174.

التعبير عن ذواتهم بأنفسهم و ان يبلغوا أفكارهم بواسطة كل الوسائل التي يمكن أن يمتلكوها حسب الظروف. (1)

أما الهيئة الثانية و هي : اللجنة الدولية لدراسة مشاكل الاتصال (2) فقد أكدت آهناك علاقة متبادلة بين الإتصال و التربية لا تنفك تزداد نموا، و ذلك يعود حسب تقدير هذه اللجنة لأسباب كثيرة منها : الإعلام و ما له من قيمة تربوية و تأثير في تكوين الفكر، مما ينشأ عنه عمل الاعلام التربوي المهيأ للتكيف مع الوسط الاجتماعي، و هو عمل يندرج في إطار التنمية الشاملة، كما أن توفر الاتصال الشامل و القائم في المجتمع الحديث هو علامة عن انبثاق محيط جديد ذي خاصية تربوية عالية، و هو ما يولد الانطباع بان الوصول إلى المعرفة أصبح الآن ميسورا، و أضحي من السهل القضاء على العوائق الاجتماعية التي تحول دون المعرفة و لا يمكن انكار أهمية البرامج الإعلامية التي تهدف إلى إكمال البرامج المدرسية و الجماعية و تعميقها أو البرامج التقنية المعدة لأصناف مهنية مختلفة، و أثرت اللجنة أيضا النقاش حول ضرورة مراجعة وظائف المدرسة و تقسيم المهام بين معاهد التربية و وسائل الإعلام، و آخر مظهر من مظاهر الترابط بين الاعلام و التربية حسب لجنة الإتصال الدولية يتمثل في عملية التدريب على حسن استعمال الاتصال، مما يمكن نظام التربية من تحرير الفرد من الانبهار التقني، و تبرير اختياراته بين مختلف طرق الاتصال.

و كان ثمرة هذه الملاحظات عقد الماتقي الدولي حول تربية الجمهور على حسن استعمال وسائل الاتصال، و قد قدم الخبراء فيه ملاحظات ذات أهمية كبيرة، و منها الحث على ادراج التدريب على استغلال وسائل الاتصال ضمن برامج التربية العامة، مع عدم اغفال التطور التقني في مجال الاتصال، رغم أن الثورة الالكترونية قد غيرت معطيات المشكلة، حتى و إن تباينت الإنعكاسات الحالية حسب السياسات التربوية الثقافية، و لنن تساعل الخبراء عما إذا كان بإمكان هذا التقدم أن يفتح آفاقا جديدة أمام التربية، و يؤدي إلى تقاسم التأثير بين وسائل الاتصال القديمة كالصحف و الاذاعة، و الجديدة كبنوك المعلومات و النصوص المتلفزة و أقمار الاتصال الصناعية و غيرها، فإنهم يميلون إلى الاعتقاد بضرورة عدم الفصل بين وسائل الاتصال التقنية و الوسائل الأخرى الأقل حداثة، ذلك أنهم يرون أن هذه و تلك توفر إمكانات متميزة لكنها قادرة على التكامل، و أخيرا فهم يرون أنه ينبغي أن يبذل جهد متواصل في مجال البحث و التدريب بخصوص ملائمة وسائل الاتصال مع التربية. (3)

و خلاصة ماذهب الخبراء في هذه الهيئات الدولية، أن التربية تتجاوز حدود الاعلام و الاتصال و تقتصر عنها في ذات الوقت، فعندما تتعدم التربية تصبح قدرات الاتصال محدودة و عندما تنمو

(1) مصطفى المصمودي، مرجع سابق، ص: 174.

(2) هي لجنة احدثتها اليونسكو و اجتمعت عامي 1977 - 1974، برئاسة شون ماكرايد و أعدت تقريرا بعنوان "أصوات متعددة و عام واحد"، مصطفى المصمودي، المرجع نفسه، ص: 175، الهامش.

(3) المرجع نفسه، ص-ص: 176 - 177.

التربية فإنها توسع قاعدة الاتصال، و يؤدي هذا الترابط المتين الذي يجمع بين الاتصال و التربية إلى البحث عن وسائل تجعل علاقاتها مثمرة و ايجابية إلى أبعد حد ممكن، و تعود إلى المدرسة وظيفة تكوينية تتمثل في تلقين المعارف و التجارب، و إدماجها و تنظيمها في حين يخصص جهاز الإعلام و الاتصال للعناية بلغة الصور التي تهملها المدرسة، أي بمختلف أنماط الاتصال المرسوم و المصور (1).

و هكذا فقد أصبح من الواضح جداً أن الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام في مجالي التربية و التعليم كبير جداً، و المهم هو أن تستعمل الوسائل بأقل كمية، و أقصى ما يستطاع من الفعالية و الشمول، و يستعان في ذلك بالتقنية المعاصرة مع ملازمة الحذر و توخي الوضوح حتى لا تسيطر على الجمهور هذه التقنية، و يقع في هفوات الاستلاب.

«و إذا كان التعليم إماماً بالمعارف الثابتة و التعبير عنها بصورة موضوعية مجردة أو بعبارة أخرى نقل التراث الاجتماعي و الثقافي من جيل إلى جيل أو بلغة التربويين، تزويد الناشئة بخبرات الماضي لتكون أساساً و قاعدة للتعامل و التكيف مع معرفة جديدة طارئة، فإن معارف الماضي الثابتة أو حقائق الماضي الثابتة أو حقائق الحاضر المعلومة، قد تفسر وفقاً لمفهوم السلطة السائد بما ينقلها من ميدان المعرفة الخالصة، إلى ميدان المعرفة الموجهة، و في هذا يختلط إطار التعليم بإطار الدعاية، و تكون رسالة التعليم : تفسير هذه المعارف الثابتة تيسيراً يتفق و اتجاه السلطة القائمة» (2) و بهذه الطريقة يمكن توجيه الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في هذا المجال، و تحويله مما ينبغي أن يكون عليه، إلى ما يرضى و يدعم أهداف القائمين على هذه الوسائل سواء عاد ذلك على الجمهور بالسلب أو الإيجاب.

و مع اختلاف الآراء حول التأثير التربوي لوسائل الاعلام، فإن هناك اجماعاً يعترف بهذا التأثير، و يقر بفاعليته، رغم أنه لا يوجد تكرار في الاتصال المباشر بين المربي و المتلقي، و رغم أن الاتصال يكون باتجاه واحد.. كما أن وسائل الاعلام تتميز عن المؤسسات التربوية بعدم وجود القارئ المحدد أو المشاهد المحدد أو المستمع المحدد متمماً في المؤسسات التربوية، و إنما أمامها جماهير واسعة من الناس غير معروفين، و من ثقافة و وعي مختلفين و مع ذلك فهي قادرة على أن تصل إلى الجميع..*

و يفهم أخيراً أن وسائل الإعلام، و سيط و مصدر في آن واحد للقيم التربوية فهي إلى جانب تأثيرها الخاص في التربية، فإنها تكون أيضاً منبراً للتأثير التربوي للمؤسسات الأخرى و المنظمات المتعددة.. و التي تتحقق بالعمل المشترك مباشرة، أو بصورة غير مباشرة. (3)

(1) مصطفى المصمودي، مرجع سابق، ص : 178.

(2) حسين فوزي النجار، مرجع سابق، ص : 32.

(*) للإستزادة يرجع إلى كتاب : أصوات متعددة و عالم واحد، ص: 74 إلى 82.

(3) عزة عحان : "التأثير التربوي لوسائل الإعلام و الدعاية الجماهيرية"، حوليات جامعة الجزائر: العدد: السادس: ج : 1، (1991 - 1992)

ديوان المطبوعات الجامعية، ص : 80.

4- وظيفة الإعلام في التنمية و الاقتصاد : إن أجهزة الاعلام العام ضرورية لاحداث التغيير الاقتصادي و الاجتماعي المستهدف، في أقصر وقت، و دون أضرار، لما لها من قدرة على بلوغ الجماهير العريضة و تبصيرها، و تعليمها، و اقناعها بأسلوب محبب.

و بقدر حاجة المجتمع إلى وسائل الاعلام للتنمية شاملة فإنه لا بد أن يكون هناك قدر كاف من التنمية في وسائل الاتصال بالجماهير، و على ذلك فإن جميع المجتمعات قديمة كانت أم حديثة، صناعية أم غير صناعية، عالية النمو أو متخلفة يتعين عليها الاهتمام المناسب بتنمية نظمها الخاصة بالاتصال. (1)

و الأسباب الداعية إلى وضع استراتيجيات محددة للاتصال، كثيرة و أهمها القدرة على التحكم في الاقتصاد - خاصة في دول العالم الثالث- لأن الاتصال يتداخل مع الاقتصاد، كما أن التنمية في المجال الاقتصادي تتطلب استخداماً أفضل لموارد الاتصال. (2)

ثم أن الحديث عن دور الإعلام في التنمية و الاقتصاد، ينطلق من اعتبار الإعلام عنصر تنمية، فقد أضحت قوة اقتصادية مهنية، ذلك أن الإعلام في ذاته قطاع منتج و تتوقف عليه قطاعات تنموية أخرى.

ويتضح دور الاعلام جلياً، عند اعتباره أداة توعية و إسهام، لأن النظام الاقتصادي داخل أي مجتمع من المجتمعات، يعتمد على الامكانيات و الموارد المتاحة لوسائل الاعلام في دعم الفلسفة الاقتصادية، بنشر كل ما يؤيد هذه الفلسفة و رد كل ما يتعارض معها.

فوسائل الاعلام في تقريبها للبعيد و توضيحها للغامض و في توسيعها لأفق المواطن، تساعد على نقل المجتمعات من حال إلى حال، و تساهم في تقريب مستويات المعيشة، و تحرير المجتمعات من التواكل و انجمود، و هذا بالنسبة للمجتمعات المتخلفة. عندما تعرض عليها صور لطريقة المعيشة في البلدان المتقدمة فإنها تسعى و تجتهد في تحقيق ذلك المستوى و تحرر من خمولها و سلبيتها.. و كما تساهم وسائل الاعلام في دعم الفلسفات الاقتصادية، فقد تعمل على تقويضها، و هذا ما حدث في العديد من دول العالم الثالث، حيث كان الانتقال من نظام اقتصادي إلى نظام آخر، يحدث بفضل وسائل الإعلام التي كانت تشن الحملات الأولى لاسقاط نظام، و الدعوة إلى نظام آخر. (3)

و من هنا تؤكد أن المعلومات الاقتصادية أصبحت أساس كل تحرك و انجاز، فما من بلد في العالم يستطيع اليوم الاستغناء عن المعلومات ذات الصبغة الحيوية التي يبنى عليها الاقتصاد الوطني، سواء في ميدان الاكتشاف أو زيادة الأسعار أو أخبار البورصة، و هنا يأتي دور الاعلام الذي يتمثل في

(1) ولبر شرام، مرجع سابق ص- ص: 7- 11.

(2) نشير هنا أن الواقع لا يدع شكاً في أن هذه الموارد موزعة بصورة غير متساوية على نطاق عالمي فبعض البلدان لها القدرة الكاملة على تخزين المعلومات التي نحتاجها، بينما هناك بلدان كثيرة لا تستطيع ذلك مما يعتبر عائقاً أساسياً في سبيل تنميتها، أصوات متعددة و عام واحد، ص: 72.

(3) حمدي حسن، مرجع سابق، ص- ص: 123- 124.

تشخيص و تسجيل كل هذه المعطيات و نقلها بأقصى ما يمكن من الدقة، و إنه من الأساسي لكل بلد أن تعمل وسائل الاعلام فيه على الاشعار و التعريف بالأخطار التي تحدد بالمجتمع في هذا المجال، كما ينبغي أن تكشف بمنتهى الأمانة كل الانعكاسات التي قد تكون عائقا أمام الاقتصاد و تطوره.

و في هذا الإطار يظهر دور الاعلان، الذي ينبغي حسن التحكم فيه، حتى تكون له نتائج ايجابية على صعيد التنمية، لأن سوء التحكم فيه قد يؤدي إلى بروز النزعة الاستهلاكية و تطورها السلبية المخل بالاقتصاد.*

و تعمل وسائل الاعلام كمحفز أساسي للتعاون الاقتصادي الدولي، فالاعتماد على النفس هو الدعامة الأساسية للمجهود الانمائي على المستوى الوطني، إلا أنه لا يمكن تجاهل دور التعاون الدولي، كعامل رئيسي في بلوغ مختلف الأهداف القومية و اقرار علاقات الدول النامية بالدول المتقدمة على أساس من الاحترام و العدالة، و الحديث عن الترابط الاقتصادي بين الأمم أصبح حديثا متداولاً، و قد صيغ في النداء إلى نظام اقتصادي دولي جديد و يأتي دور الاعلام هنا في التوعية بهذه الضرورة، و إعلام البعض بمشاغل البعض الآخر، ففتتح الدول الفقيرة على العالم و تخرج من عزلتها و تسمح بذلك باستغلال فرص التنمية المتاحة. (1)

و لا مجال للشك اليوم في جدوى الاعلام و الاتصال في ميدان التخطيط الاقتصادي و العمل الانمائي، و لا حق في التردد أمام الاعتمادات التي أصبح من الضروري تخصيصها لهذا القطاع، و رصدها له في كل قطر على حده، و على الصعيد الدولي في الوقت نفسه. (2)

5- الوظيفة السياسية لوسائل الاعلام : تعتبر هذه الوظيفة من أهم وظائف الإعلام وقد جعلها "فيرناند تيررو" في كتابه "الاعلام" (3) هي الأولى من بين الوظائف الأخرى باعتبار التحرك المضاعف لوسائل الاعلام كأداة توجيه للقضايا الشعبية و وسيلة للتعبير و مراقبة الرأي، و كوسيلة للحوار بين السلطة أو السلطات و الرأي، و كما جاء في تقرير اليونسكو "أصوات متعددة و عالم واحد" (4) أنه «لا يمكن فهم الإتصال، حين ينظر إليه في مجموعه، بدون الرجوع إلى بعده السياسي، و مشكلاته التي لا يمكن حلها بدون أن نضع في اعتبارنا العلاقات السياسية فللسياسة إذا ما استخدمنا العبارة بمعناها "الرفيع" علاقة لا تنفصم بالاتصال»

(*) المقصود هنا هو الإستهلاك بهم، و ليس الإستهلاك العادي لأن نزوع المجتمع إلى الإستهلاك المعتدل يشجع على الريادة في الإنتاج و هذا جانب ايجابي، لكن إذا زاد الإستهلاك عن حده فإن هذا يؤدي إلى ككرة الاستيراد، فهلك الإقتصاد بهذه الصورة.. راجع في ذلك، (النظام الإعلامي الجديد، لمصطفى المصمودي، ص: 134).

(1) مصطفى المصمودي، مرجع سابق، ص- ص: 135- 136.

(2) المرجع نفسه، ص: 137، و شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 74.

(3) FERNAND TERROU, OP.Cit. P:42.

(4) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 60.

و يعتمد النظام السياسي في كل دول العالم اعتمادا كبيرا على وسائل الاعلام الجماهيرية لتحقيق أهدافه، و هي أهداف تنطوي على دعم قيم و مبادئ النظام السياسي على اختلافها، و التوعية و المشاركة السياسية و التعبئة للقيام بالأنشطة الفردية، مثل خوض المعارك أو المشاركة في الانتخابات العامة و تدعيم الإحساس بالمواطنة و غيرها من الأهداف السياسية، و أهم أشكالية تطرح في هذا المجال هي ، إلى أي حد تؤثر السياسة، على الإتصال و ما هي أساليبها في ذلك؟ و إلى أي حد و بأي طريقة يؤثر الإتصال على السياسة؟، و الجزء الثاني من هذه الاشكالية هو الذي يهمننا أكثر، و إن كان التلازم وارد، و لا بد من طرق تأثير السياسة على الإعلام و الإتصال، و العلاقة الحاسمة التي يجب طرفها قبل كل ذلك هي العلاقة القائمة بين الإتصال و السلطة، و بين الإتصال و الحرية، لأن دور الإعلام في المجال السياسي منوط بمدى وضوح هذه العلاقة و مدى تطبيقها على الواقع.

«لقد أصبحت حاجة الناس إلى وسائل الإعلام ملحة جدا، بعد انتشار الوعي، و معرفة الانسان اليوم لدوره، مما يستوجب حصوله على حقه الكامل في الاعلام، و على ضرورة الاتسياب الحر لهذا الحق، و كلما توسعت وسائل الاعلام في القيام بهذا الدور كلما تقدم المجتمع، و كلما ضيقت كلما تدهور المجتمع، و مع تشابك و تعقد المصالح في المجتمعات المعاصرة أصبحت قضية تعبير وسائل الاعلام عن انشغالات الجمهور، قضية حيوية و خطيرة، ففي ظل الاحتكارات من جانب و في ظل الدكتاتوريات من جانب آخر، تنقلص الوظيفة الحرة لوسائل الاعلام، و ينذر تقلصها بالمهالك، لأن التعقيد و التشابك في المجتمعات المعاصرة يزيد في الحاجة إلى وسائل الاعلام، و إذا حيل بين هذه الوسائل و الجمهور بالحد من حريتها، فإن المجتمع يقع له الغبن في حقه في الإعلام، و بذلك لا تضمن المشاركة الفعالة للفرد في الحياة السياسية» (1)

و من أجل ذلك فإن الحوار حول أهمية تحرر وسائل الاعلام من السيطرة مازال قائما، و في معظم دساتير بلدان العالم ينص على حق الفرد في التعبير عن رأيه، و حقه في الاعلام و المعرفة، و سجل ذلك أيضا في الاعلان العالمي لحقوق الانسان* و جاءت موثيق (2) أخرى عديدة تؤكد هذا الحق، و مازالت هذه الموثيق، تعمل إلى يومنا هذا من أجل إقرار هذا الحق، و آخرها الإعلان الأممي بتاريخ 03 ماي 1991، الذي ينص على هذا الحق، و ما تكرر هذه الموثيق في التأكيد على المسألة نفسها إلا لأن المشكلة أدامت في تطبيق هذه الموثيق و ليس في ايجادها.

و "الحرية" في هذا المجال، كلمة غير محددة، شأنها شأن مفاهيم أخرى كثيرة كـ "الأشترابية"، و "الديمقراطية" و "السلام". يتم تفسيرها بطرق مختلفة، و من ثم تتنوع أساليب ممارسة هذه الحرية، و قد تطورت هذه المفاهيم و أساليب الممارسة كثيرا مما يدل على عدم ثبوت مفهوم دقيق للحرية، و على

(1) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص -ص: 33-34.

(*) تم الاعلان العالمي لحقوق الانسان عام 1948، و تعتبر المادة 19 هي المادة المتعلقة بحق الانسان في حرية الرأي و التعبير.

(2) أنظر شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 94 (اهامش).

و يعتمد النظام السياسي في كل دول العالم اعتمادا كبيرا على وسائل الاعلام الجماهيرية لتحقيق أهدافه، و هي أهداف تنطوي على دعم قيم و مبادئ النظام السياسي على اختلافها، و التوعية و المشاركة السياسية و التعبئة للقيام بالأنشطة الفردية، مثل خوض المعارك أو المشاركة في الانتخابات العامة و تدعيم الإحساس بالمواطنة و غيرها من الأهداف السياسية، و أهم إشكالية تطرح في هذا المجال هي ، إلى أي حد تؤثر السياسة، على الإتصال و ما هي أساليبها في ذلك؟ و إلى أي حد و بأي طريقة يؤثر الإتصال على السياسة؟، و الجزء الثاني من هذه الاشكالية هو الذي يهمننا أكثر، و إن كان التلازم وارد، و لا بد من طرق تأثير السياسة على الإعلام و الإتصال، و العلاقة الحاسمة التي يجب طرقها قبل كل ذلك هي العلاقة القائمة بين الإتصال و السلطة، و بين الإتصال و الحرية، لأن دور الإعلام في المجال السياسي منوط بمدى وضوح هذه العلاقة و مدى تطبيقها على الواقع.

«لقد أصبحت حاجة الناس إلى وسائل الإعلام ملحة جدا، بعد انتشار الوعي، و معرفة الانسان اليوم لدوره، مما يستوجب حصوله على حقه الكامل في الاعلام، و على ضرورة الانسياب الحر لهذا الحق، و كلما توسعت وسائل الاعلام في القيام بهذا الدور كلما تقدم المجتمع، و كلما ضيقت كلما تدهور المجتمع، و مع تشابك و تعقد المصالح في المجتمعات المعاصرة أصبحت قضية تعبير وسائل الاعلام عن انشغالات الجمهور، قضية حيوية و خطيرة، ففي ظل الاحتكارات من جانب و في ظل الدكتاتوريات من جانب آخر، تنقلص الوظيفة الحرة لوسائل الاعلام، و ينذر تقلصها بالمهالك، لأن التعقيد و التشابك في المجتمعات المعاصرة يزيد في الحاجة إلى وسائل الاعلام، و إذا حيل بين هذه الوسائل و الجمهور بالحد من حريتها، فإن المجتمع يقع له الغبن في حقه في الإعلام، و بذلك لا تضمن المشاركة الفعالة للفرد في الحياة السياسية» (1)

و من أجل ذلك فإن الحوار حول أهمية تحرير وسائل الاعلام من السيطرة مازال قائما، و في معظم دساتير بلدان العالم ينص على حق الفرد في التعبير عن رأيه، و حقه في الاعلام و المعرفة، و سجل ذلك أيضا في الاعلان العالمي لحقوق الانسان* و جاءت موثيق (2) أخرى عديدة تؤكد هذا الحق، و مازالت هذه الموثيق، تعمل إلى يومنا هذا من أجل إقرار هذا الحق، و آخرها الاعلان الأممي بتاريخ 03 ماي 1991، الذي ينص على هذا الحق، و ما تكرر هذه الموثيق في التأكيد على المسألة نفسها إلا لأن المشكلة ^{تكمُن} أدانما في تطبيق هذه الموثيق و ليس في إيجادها.

"و الحرية" في هذا المجال، كلمة غير محددة، شأنها شأن مفاهيم أخرى كثيرة ك"الاشتراكية"، و "الديمقراطية" و "السلام". يتم تفسيرها بطرق مختلفة، و من ثم تتنوع أساليب ممارسة هذه الحرية، و قد تطورت هذه المفاهيم و أساليب الممارسة كثيرا مما يدل على عدم ثبوت مفهوم دقيق للحرية، و على

(1) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص -ص: 33-34.

(*) تم الاعلان العالمي لحقوق الانسان عام 1948، و تعتبر المادة 19 هي المادة المتعلقة بحق الانسان في حرية الرأي و التعبير.

(2) أنظر شون ماكرييد و آخرون، مرجع سابق، ص: 94 (اغامش).

الاتصال عموماً و الإعلام خاصة*، هو جدل سياسي، و ذلك لما تتسم به الهوموم و الأهداف و الحجج من طبيعة سياسية في المقام الأول، و ليس ثمة مكاسب يمكن الحصول عليها إذا اخفيت الطبيعة الحقيقية للمشكلات، و إذا كان لنا أن نصل إلى حلول عملية و واقعية فإنه يتعين علينا أن نضع الأمور في نصابها و لا نخفي الحقائق.(1)

و في الأخير، نؤكد أنه لا مناص من القبول بأن الدور السياسي لوسائل الإعلام دور رئيسي، لا تستغني عنه الأفراد و الدول، و أن الأشكال اليومية لهذا الدور تتضاعف و يزداد تأثيرها على الأفراد و المجتمعات.

6- الوظيفة الترفيهية : لقد كانت السينما هي الوسيلة الأولى للترفيه الجماهيري و لما وصلت إلى القمة في ذلك، سعت الوسائل الأخرى إلى مزاحمتها في السوق الجماهيرية، و توسيعها، و يعني الحجم الكبير للانتاج المتنوع في هذا المجال، أن دور وسائل الإعلام و توسيعها في الترفيه و أنشطة أوقات الفراغ، يتطلب اهتماماً خاصاً بسبب تأثيرها الثقافي الحيوي و تسعاتها الاقتصادية البعيدة المدى.(2)

و يمكن تحديد ثلاثة اتجاهات رئيسية (3)، تصف التطور الذي حدث في هذه الوظيفة، وفقاً للتطور الصناعي و التقني الذي أصبح يترك حيزاً مهماً للتسلية، هذه الاتجاهات هي :

- النمو الضخم في وسائل الترفيه و امكاناتها على النطاق العالمي، مع ما يقترن بذلك عملياً من مشاركة كافة الوسائل في شكل الترفيه.
- المبتكرات التكنولوجية التي تنتج مزيداً من وسائل الاتصال، يمكن للمرء أن يعد برامجها بنفسه، و بالتالي تتاح له فرصة الترفيه متى شاء.
- نمو صناعة ضخمة توفر انتشاراً واسعاً للإنجازات و العروض الفنية و الثقافية و كذلك لوسائل التسلية و للمنتجات الثقافية المصنعة المرتبطة بها.
- و تستجيب جميع وسائل الإعلام، استجابة كبيرة لما ينتظره الجمهور من ثقافة و ترفيه، و تتفاوت درجة الاستجابة من وسيلة إلى أخرى** غير أن صناعة الترفيه أصبحت محل اهتمام جميع الوسائل - كما سبق ذكره-، خاصة أن الإعلام الجاد أصبح يشكل نوعاً من النمطية و بالتالي نوعاً من الملل، مما أكد هذه الضرورة و جعلها ملحة، و بعث إلى زيادة أنشطة الثقافة و الترفيه و تنوعها و استمرارها.

(*) على اعتبار أن الاتصال في هذا الإطار أشمل من الإعلام.

(1) شون ماكريد و آخرون، مرجع سابق، ص : 70.

(2) المرجع نفسه، ص: 172.

(3) المرجع نفسه، ص-ص: 172 - 173.

(**) نشير هنا أن الإذاعة تحظى بنفس وافر في هذا المجال، و تلقي الوسيلة السمعية البصرية أوفر هذه الحظوظ.

و يشارك الترفيه الوظائف الأخرى في غايتها، فليس الترفيه للامتناع و التسلية فحسب، و لكنه التعليم مغلفا بالحلوى، و السياسة متسترة وراء الملحمة أو الطرفة أو القصة المزجاة أو الأسطورة السارية.. و كذلك الدعاية، و خير دعاية لسلعة من السلع ما كان في أغنية أو تمثيلية قصيرة... (1)

و إن كَوْن الترفيه أصبح صناعة عالية النمو، يؤكد أهمية هذه الوظيفة، و أنها ليست وظيفة ثانوية، رغم عدم الاعتراف بذلك، و الإصرار الواسع على أن هذه الصناعة لا تتطوي على أي تأثير على الاطلاق، و مستقلة عن القيمة، و لا تتطوي على وجهة نظر، و بصفة عامة فهي توجد خارج العملية الاجتماعية.

و يستفيد من ترويج هذا الاعتقاد القائل بثانوية الوظيفة الترفيهية للإعلام، الجهات المهتمة بتشكيل الوعي العالمي و تضليله، و التي تستخدم كافة الأشكال المألوفة للثقافة الشعبية من كتب هزلية، و رسوم متحركة و أفلام سينمائية و برامج مذياع و تلفزيون، و أحداث رياضية، و صحف و مجلات، مستغلة هذا الفهم الناقص، إذ تضح صناعة وسائل الاعلام ألوانا مختلفة من التسلية و الترفيه محملة بالقيمة منكرة طول الوقت وجود أي تأثير فيما وراء الهروب المؤقت من الواقع و حالة الاسترخاء المنتشية. (2)

و الواقع أن الفكرة القائلة بأن الترفيه لا ينطوي على أية سمة تعليمية -أو أي وظيفة أخرى- ينبغي أن ينظر إليها بوصفها إحدى أكبر الحيل في التاريخ و هو ما يصوره (أريك بارنو)، مؤرخ التلفاز الأمريكي على النحو التالي: إن مفهوم الترفيه في تصويري، هو مفهوم شديد الخطورة، إذ تتمثل الفكرة الأساسية للترفيه في أنه لا يتصل من بعيد، أو قريب بالقضايا الجادة للعالم، و إنما هو مجرد شغل أو ملء ساعة من الفراغ، و الواقع أن هناك أيديولوجية مضمرة بالفعل في كل أنواع القصص الخيالية، فعنصر الخيال يفوق في الأهمية العنصر الواقعي في تشكيل آراء الناس» (3)، و بطبيعة الحال فإن هذه الملاحظة لا تقتصر على وسيلة دون أخرى إنما تشكل الوسائل جميعا.*

و يسهم التطور التكنولوجي بصفة مستمرة في تدفق أدوات الترفيه، و بالتالي تنمو صناعة الترفيه، و تشهد الدول المتقدمة هذا التطور و النمو بوضوح، و تحاول تصدير هذه الصناعة، و بالفعل فإن صناعة الترفيه بدأت تغزو الدول النامية، و من المرجح أنها سوف تزداد انتشارا، و سيؤدي هذا التطور في الوسائل و بالتالي في وظيفة الترفيه إلى اعتبارات كبيرة، أهمها :

(1) حسين فوزي النجار، مرجع سابق، ص-ص: 35-36.

(2) هيربرت شيلزر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة: 106، (الكويت: معزم 1407 هـ / أكتوبر 1986م)، ص-ص: 103 - 104.

(3) هيربرت شيلزر، مرجع سابق، ص: 104.

(*) في دراسة لثلاث مؤسسات ثقافية أمريكية، يتأكد هذا الرأي جليا، راجع، المرجع السابق، ص: 105 إلى 135.

- أنه من الواضح أن جميع وسائل الاتصال و ادواته سوف تلعب دورا متعاظما في مجالات الثقافة و الترفيه.

- و ان الأعداد المتزايدة من المستهلكين ربما باستثناء قراء الصحف، يتوقعون من هذه الوسائل أن تزودهم بالمتعة و الاسترخاء و الثقافة و الترويح لا بالمعلومات فحسب.

- و إذا تطور هذان الاتجاهان، فإنه يحسن تشجيع اتجاهات أخرى تعزز استخدام أوقات الفراغ على نحو يفي بالحاجات الحقيقية التلقائية للأفراد و الجماعات بدلا من السماح بأن تسيطر عليها المصالح التجارية و حدها بشكل مفرط.(1)

و التعامل مع مادة الترفيه التي تملئها الضرورة، و يفرضها العصر، و يرتضيها الطبع السليم يقتضينا - نحن المسلمين و خاصة من أجل التأكيد على هويتنا و شخصيتنا- يقتضينا أن نحيطها بقناعات مؤكدة في الحس، و مركوزة في الفطرة، و هي أننا ننسب إلى أمة ليس في قواميسها المرجعية أن الفن للفن و أن الترفيه لمجرد التسلية و انتزاع الضحك و تضيعة الوقت... و إنما هي ممارسات ترتبط بمثل عليا، قوامها الالتزام و القصد، و تتفاعل في إطار من التوجيهات التي تولت العناية الإلهية إضاعتها»(2)، و ذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة. (*)

و أخيرا فإن هذا الرصد لوظائف الإعلام رصد تأطيري، أي وضعنا من خلاله الأضر العامة لهذه الوظائف، لأنه توجد وظائف عديدة لم ندرجها بالتفصيل لأنها مقسمة على الوظائف التي ذكرنا، و من ذلك وظيفة الخدمات العامة و التي تتمثل في النشرات الجوية، و نشر مواقيت الصلاة في الدول الاسلامية، و في الاستشارات القانونية، و التعارف و غيرها من الأشياء الصغيرة، كذلك لم نتكلم على وسائل الاعلام كأداة تنقيفية على اعتبار أن الوظيفة الثقافية يوجد منها قسط كبير في الوظيفة التربوية و التعليمية ثم أن المفهوم المعاصر للثقافة يجعل كل وظائف الاعلام تؤدي الدور التنقيفي.(3)

كما أننا لا نستطيع حصر وظائف الإعلام و الوصول إلى تحديد هذه الوظائف تحديدا جامعاً مانعا لأنها تتبع التطور في الوسيلة، و إن كانت في جوهرها لا تتغير كثيرا، فمهمة الإعلام قديما تختلف عن مهمته في الوقت المعاصر، لكن ليس إلى درجة تغير هذه المهمة تغيرا كبيرا و أحيانا لا يكون التغير إلا في بعض الأمور الشكلية أو في ناحية السرعة.

و عموما فإن وظائف الإعلام لا تنفصل عن بعضها البعض، و لا تستقل واحدة منها عن الأخرى، بل إنها تتصل و تتداخل و تبدو و كأنها تدور في فلك واحد، و إن كان علينا أن لا نخلط بينها، فلكل منها إطاره و مداه، فالاعلام مصطلح حديث رغم أن دلالاته و صورته قائمة منذ القدم، إلا أنه في وقتنا هذا و مع اتساع المجتمع الانساني و تقاربه، و وحدة الحضارة العالمية و التقدم التكنولوجي في

(1) شورن ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص-ص: 175 - 176.

(2) حسن فضل المولى، " الدور التربوي لوسائل الإعلام"، كتاب الأمة: 28، مقالات في الدعوة و الإعلام، ط: 1، فطر: 1991، ص: 106.

(*) (مثل أنواع الثانية: بس/12، الداربات/56، احشر/59، الملك/2، و الأحاديث كثيرة، لا يسع المقام لذكرها.

(3) و هذ ما ذهب إليه، و أوافقه في ذلك، الدكتور محمد سيد محمد في كتابه: المسؤولية الإعلامية في الإسلام، ص-ص: 35 - 36.

الفصل الثاني

الصحافة الساخرة

- منخل تعريفي.

- المبحث الأول : نشأة و تطور الصحافة الساخرة في العالم.

المطلب الأول: في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

المطلب الثاني : في انعام العربي.

- المبحث الثاني : لغة الصحافة الساخرة و أهدافها.

المطلب الأول : لغة الصحافة الساخرة و أساليبها.

المطلب الثاني : أهداف الصحافة الساخرة.

- المبحث الثالث : الصحافة الساخرة و السياسة.

جامعة
الأمير
الفتاح
الإسلامية

وسائل الإعلام و أدواته، قد أصبح علما له أصوله و فلسفته التي يقوم عليها، كما أصبح لكل وظيفة من وظائفه صورها و أنماطها العديدة، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن قدرة التأثير لوسيلة معينة تختلف عنها في وسيلة أخرى، فالاختلاف بين وسائل الاعلام في الطريقة التي تنقل بمقتضاها المضمون هو أساس مصدر الاختلافات في تأثير تلك الوسائل، معنى هذا أن مقدرة أي وسيلة من وسائل الاعلام على جعل المضمون أكثر واقعية و حيوية قد يزيد من تأثير تلك الوسيلة، و بالتالي يمكن إعطاء الأبعاد العميقة لوظائف الاعلام.

و نشير هنا -أيضا- إلى أن دور وسائل الإعلام -و إن كنا قد عرضناه حسب التصنيفات المشهورة- فإنه لا يسهم فقط في حل المشكلات و تلبية الاحتياجات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية، و إنما يذهب إلى أبعد من ذلك، كما قال أحد العاملين في هذا الميدان* «إن على الصحف** أن تهض بمسؤولية إعداد قرائها لمواجهة التغييرات الاجتماعية.. و رؤساء التحرير مسؤولين عن انتاج صحف تلبى احتياجات المجتمع و تكون أكثر عمقا.»(1) كما أنه في المجتمع الإسلامي تتعدد وظائف الاعلام و تتنوع لتشمل أجل المهمات و الوظائف و هي بيان الحق، و دفع الباطل و الفساد، و تبليغ الدعوة، و التربية و تحقيق التعارف و التعاون و التآلف، و رفع الناس إلى المثل الاعلى و الحفاظ على الأوقات، هذا كله إلى جانب الوظائف التي سبق ذكرها.

هذه نظرة على الصورة التي ينبغي أن تكون عليها وظائف الاعلام، و يتعين علينا بعد ذلك هذا أن نوكد، أن كل وظيفة من هذه الوظائف يمكن أن تكتسب سمات مختلفة بل و متناقضة، حسب الظروف البيئية، و المنطلقات الفكرية و العقيدية، كما يمكن لوسائل الاعلام أن تحيد عن الوظائف التي ذكرنا، فيسهل عليها مثلا إفساد المعلومات من خلال نشر أنصاف الحقائق، بل الافتراءات و الاقناع من خلال التحايل و الدعاية، و بالمثل يمكن لوسائل الاعلام -و حسب علاقتها بالدولة- أن تستخدم في إعلام المواطنين أو السيطرة عليهم أو التلاعب بهم، كما يمكن أن تحيد عن دورها الاجتماعي، فتكرس حالة الاغتراب باسم التفتح على الغير، و يمكن أن تتركس أيضا الرذاعة في أداء الوظيفة التربوية و التعليمية، ثم أن تعرض هذه الوظائف إلى تأثير المحيط الدولي و ضغطه، أدى فعلا إلى هذا الانحراف، و أصبح مضمون الوظائف - التي ذكرناها سابقا- تطلعا تصبو إليه بعض الدول لأنها افتقدته على أرض الواقع.

(*) هو جون هيويز رئيس تحرير صحيفة "كريستيان ساينس مونيتور" و رئيس الجمعية الأمريكية لرؤساء تحرير الصحف.

(**) و غيرها من وسائل الاعلام.

(1) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 140 (أغامش).

تعريف السخرية و تحديد بعض المفاهيم.

إن تناول "الصحافة الساخرة" بالدراسة يستدعي التطرق إلى تحديد بعض المفاهيم الضرورية، والتي نراها، تدعم مادة البحث، و تزيل بعض اللبس، الذي قد يتولد عن عدم الشرح الوافي للمصطلحات، و عدم التفريق بينها، و لعل المصطلح الذي يعيننا هنا هو: "السخرية" التي نحاول أن نوضح معناها، و نتطرق إلى المعاني التي تتداخل معها أو تقترب منه، و أهمها الفكاهة، و الهزل، و التهكم.

1- السخرية :

أ- لغة : نجد في المعاجم مادة (س-خ-ر) من الإسم السخرية، و سخرِي، يقال : سخر منه و به، سخرًا، و مسخرًا و سُخرًا بالضم، و سُخرَةً و سُخرِيًا و سُخرِيًا، و سُخرِيَةً هزئ به، و إذا كانت للنعت، فقد تُذكر فيقال سُخرِيًا، و قد تؤنث فيقال سُخرِيَةٌ، و يصح التعبير ب : سخرت منه و سخرت به كما : ضحكت منه و ضحكت به، و هزوت منه و هزوت به، و الأصح : سخرت منه لأن التعبير القرآني جاء دائما بهذه الصيغة، قال الله تعالى : ﴿لَا يَسْخَرُونَ مِنْ رَسُولٍ﴾ (1) و كذلك قال -عز وجل- ﴿... إِنْ تَسَخَرْتُمْ مِنْهُمَا فَأَنَا تَسْخَرٌ مِنْكُمْ﴾ (2) و قال أيضا ﴿... سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ (3).

و السُخرَةُ : الضحكة، و رجل سُخرَةٌ : يسخر بالناس، و في التهديد يسخر من الناس، و الكلام عن المعنى اللغوي للكلمة يطول، و تنتهي منه إلى أن كلمة سخر أو "سخرية" تفيد معنى الاستهزاء، و الاستخفاف.(4)

ب - إصطلاحا : و من التعريف اللغوي نستطيع أن نتنقل إلى التعريف الاصطلاحي الذي يحتوي على عدة جوانب، فعلماء النفس مثلا لم يفردها بحديث خاص، و إنما بحثوها كجزء من ظاهرة عامة في الطبيعة البشرية، إلى جانب الابتسام و الضحك و المرح و الفكاهة و المزاح و الدعابة و الهزل و النكتة و الملححة... و غيرها من الألفاظ التي تدور في فلك السخرية، و التي تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة التي سرعان ما تمل حياة الجد و الصرامة و العبوس، فتلمس في النهو ترويحاً عن نفسها، و تبحث في الفكاهة عن منفذ للتنفيس عن آلامها، و تسعى عن طريق النكتة نحو التهرب من الواقع الذي كثيرا ما يتقل كاهلها.(5)

و بناء على هذا، فإن الأنواع التي ذكرت تكون ظاهرة واحدة، عنوانها الضحك، لأنه النتيجة المباشرة لكل هذه الأنواع، كما أنه جزء أساسي من هدف كل هذه الأنواع، و هناك من يرى أن الضحك

(1) سورة: الحجرات، الآية: 11. (2) سورة: هود، الآية: 38. (3) سورة: التوبة، الآية: 80.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ضعة دار المعارف، مجلد: 3، ص: 1963.

(5) عبد احليم حفي، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، (القاهرة: الهيئة المصرية لعامة للكتاب 1987)، ص: 13 (دون طبعة).

نوعان : إيجابي و هو الصحي المنعش الذي ينبعث عن شعور المرء بتفوقه على خصمه، و سلبي و هو ضحك حزين متجه، و هو المتولد عن الشعور بنقص الآخر أو ضعفه أو ضعفه، أي أنه ضحك إحتقار و ازدراء، و المعنى الثاني أقرب إلى السخرية لأن ضحك الإحتقار و الازدراء من معاني السخرية. (1)

و هناك تعريف آخر للسخرية مفاده : «أن السخرية أسلوب عدائي مصوغ بروح الفكاهة» و يطلقون عليها أحيانا مصطلح "الفكاهة العدوانية"، و يقولون أنها في مجملها تتجه إلى العموم فتعنى مثلا بنقد مثالب في المجتمع، أو نقائص تشيع شيوعا ملموسا، و بخلاف المأساة، فإن السخرية و إن تمثلت في فرد، أو بدا في ظاهرها أنها تعالج أمرا شخصيا فإنما القصد الحقيقي منها، جعل هذا الفرد أو الأمر الشخصي، نموذجا لظاهرة عامة أو نواح شائعة في المجتمع. (2)

و يقول من يذهب إلى هذا التعريف أن «السخرية باعتبارها نوعا من أنواع الفكاهة من شأنها أن تجتذب إنتباه الآخرين و تعاطفهم، و هي بالطبع لا تجتذب تعاطف من تقع عليه السخرية، و إنما تجتذب الذين يشاركون الساخر في شعوره و موقفه نحو من وقعت عليه السخرية، لأنها تهيء لشركاء الساخر سلاحا يهتمهم جميعا أن يوجهوه نحو الطرف الآخر.. و من هنا فالسخرية لا تؤدي وظيفة الجزاء الإجتماعي فحسب و إنما هي تعمل أيضا على تقوية الروح الجماعية و التعاطف الجمعي بين أفراد الجماعة الواحدة». (3)

و من تعريفات السخرية أيضا : «أنها تعبير حي عن المرارة و الإحساس بالقهر أو الظلم أو بأي عاطفة لا تجعل الإنسان راضيا سعيدا» (4) و هو تعريف يؤكد الوصف السابق للسخرية بأنها أسلوب عدائي، يستعمله الفرد للدفاع عن النفس أو لمواجهة ظاهرة غير مرضية، و من جهة أخرى، فإن السخرية تعني تفخيم عيب في شخص أو نسبة عيب إليه، بغرض التهذيب و الإصلاح ليبراً منه أو من بعضه أو ليخالفه إن لم يكن فيه، و لهذا فهي فضلا عن كونها أداة للتسلية فهي وسيلة لإصلاح الفرد و المجتمع، بما تتضمنه من زجر و ردع.

و ذهب علماء الإسلام إلى تقسيم السخرية إلى متطاولة و هي التي قصدتها الله -عز وجل- في قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ مِمَّنْ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ» (5) و هي

(1) عبد الخليم حفي، مرجع سابق، ص : 14.

(2) المرجع نفسه، ص : 15.

(3) المرجع نفسه، ص : 16.

(4) محمد منصورى، شعر التهكم و السخرية عند حافظ طوقان، رسالة ماجستير معهد الآداب و اللغة العربية، جامعة الجزائر، 1405 هـ - 1984، (غير منشورة) ص : 13.

(5) سورة: اخجرات، الآية : 11.

السخرية المحرمة، التي تكون بين المسلمين، أما النوع الثاني و هي السخرية المنتقصة من أهل البغي و الطغيان من المسلمين و غيرهم، قصد الإصلاح، أو رد العده ان، هـ. الحائزة.

2- الفكاهة :

أ - لغة : يقال فكه الرجل، يفكه، فكه، فُكاهة أي كان طيب النفس، و الاسم الفكاهة من التنكيه : أي انبساط النفس، و قال أبو معاذ النحوى : الفاكه الذي كثرت فكاوته، و الفكه الذي ينال من أعراض الناس ، و قال سيبويه : و لا يقال لبائع الفاكهة فكااه، و فكه القوم بالقوم أتاهم بها، و الفكاهة أيضا الحلواء على التشبيه، و فكهم بملح الكلام : أطرفهم و قال الجوهري : الفكاهة : مصدر فكه الرجل فهو فكه : إذا كان طيب النفس، مزاحا، و الفاكه المزاح، و في حديث أنس : (و كان النبي - صلى الله عليه و سلم- من أفكه الناس مع صبي..) و قيل التفاكه التمازح و فاكهت القوم بملح الكلام مازحتهم. (1).

وقد وردت كلمة أو مادة "فكه" في القرآن الكريم كثيرا، و كانت لها مدلولات مختلفة منها ما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي هُجُلٍ مَّا جُمُوعٌ﴾ (2) و قوله -تعالى- ﴿وَوَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أُمَّلِهِمْ انقَلَبُوا فَالْحُمِينُ﴾ (3) و ورد اللفظ بمعنى فاكهة في أكثر من آية، و لفظ الفكاهة الذي جاء في أغلب الآيات -وصفا للمؤمنين في الجنة- يعني في هذا السياق الفرح و السرور و التندر و ما يستتبع ذلك عادة من ضحك. (4)

ب- إصطلاحا : الفكاهة ظاهرة نفسية، تصدر عن الطبيعة البشرية، و فيها يجد الفرد راحة للنفس إذا تعبت و كلت، و نشاطا للخواطر إذا سئمت و ملت، و هذا ما يوافق ما قاله خالد بن صفوان : «لابأس بالمفاكهة تخرج الرجل من حال العبوس» و قد تتخذ الفكاهة النكتة وسيلة من وسائلها، إلى جانب الدعابة و المزاح و الطرافة. (5)

3- التهكم :

أ- لغة : وردت مادة هكَمَ و منها الهكَمُ : أي المتفحم على ملا يعنيه، الذي يتعرض للناس بشره، و فيه ورد البيت :

تهكم حرب على جارنا *** و ألقى عليه له كلكلا

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة "فكه" مجلد : 5، ص: 3453.

(2) سورة : يس، الآية : 54.

(3) سورة : المطففين، الآية : 31.

(4) حسين مغنية، فكاهة العرب، (لبنان : مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر - 1982)، ص: 7 (دون طبعة).

(5) جمال الدين الرمادي، صحافة الفكاهة و صنعوها: مذاهب و شخصيات، (القاهرة : الدار القومية للطباعة و النشر) ص : 4 (دون طبعة، دون سنة).

و تهكم على الأمر و تهكم بنا : زري علينا و عبث بنا، و التهكم : التكبر، و المتكبر : المتكبر و هو أيضا الذي يتهدم عليك من الغيظ و الحمق، و تهكم عليه : إذا اشتد غضبه، و التهكم : التبختر بطرا، و التهكم : السيل الذي لا يطاق، و التهكم : الطعن المدارك، و التهكم : الاستهزاء، و في حديث أسامة : فخرجت في إثر رجل منهم جعل يتهكم بي، أي يستهزئ، و يستخف، و في حديث عبد الله بن حدرد : و هو يمشي التهقري و هو يقول : هلم إلى الجنة، يتهكم بنا، و قول سكينه لهشام : يا أحول لقد أصبحت تتهكم بنا، و حكى ابن بري عن أبي عمر : التهكم : حديث الرجل في نفسه.. و قال : التهكم الوقوع في القوم، (1) و لم ترد لفظة "التهكم" في القرآن الكريم، إنما استشفها المفسرون من التصوير القرآني.

ب- اصطلاحاً : و من المعنى اللغوي، ننتهي إلى المدلول الإصطلاحي، الذي يفيد : الاستهزاء، كما يفيد التقييد بالمعنى اللغوي، أن التهكم لا يكون دائما ظاهرا، فقد يكون خفيا، و عموما فإن التهكم يعني الإستهزاء، و الإستخفاف و الزراية. (2)

4- الهزل :

أ- لغة : نقيض الجد، يقال : هزل، يهزل، هزلا، و هازلي، و رجل : هزيل كثير الهزل و الهزلة، و في هذا المعنى قال الشاعر :

أرانا على حب الحياة و طولها *** تجدُّ بنا في كل يوم و نهزل

و هزل الرجل في الأمر، إذا لم يجد.

ب - اصطلاحاً : الهزل يعني اللعب، و التسلي، و الترويح عن طريق الفكاهة و الضحك و من التعريفات التي ذكرت، نستطيع أن نقول أن السخرية و الفكاهة و التهكم و الهزل، ألفاظ تختلف في مدلولها، و قد تقترب أحيانا، و تتداخل أحيانا أخرى، و بقي أن نوضح العلاقة التي تربط هذه المعاني، فالفكاهة مثلا لها علاقة متينة بالسخرية و تأدية معناها -أحيانا- إذا وظفت بطريقة معينة، كما توازيها في أداء وظيفتها أحيانا أخرى، و تعتبر السخرية - استنتاجا من بعض التعريفات - أحد أنواع الفكاهة، و أنها من أرقى أنواعها لما تحتاج من ذكاء و خفاء و مكر.

أما علاقة التهكم بالسخرية، فهي علاقة وطيدة أيضا، إذ تستعمل السخرية التهكم كوسيلة من وسائلها، و هذا نستنتجه من تعريف السخرية الذي يقول : أن السخرية حين تستخدم للنكايه بالخصوم و يكون أسلوبها فيه نوع من التلطف و الرقة فهي تهكم، فالتهكم إذا ليس فيه قساوة، على عكس السخرية التي قد تكون قاسية و مؤلمة و تسمى حينئذ باللذع، كما أن التهكم لا يستهزئ بالحب و الجمال، فهو رقيق و فيه عطف، و ضحكه يكظم من الغيظ، و يعلم الإنسان كيف يسخر من الأشرار و الحمقى، و لولاه لأفضى ضعف الانسان به إلى كراهيتهم. (3)

(1) ابن منظور، مرجع سابق، عند: 6، مادة "هكـ"، ص-ص: 4681 - 4682.

(2) عند أخليم حفي، مرجع سابق، ص: 13.

(3) شفيق جبري: "حب التهكمين"، مجلة الثقافة، القاهرة، س: 1، ع: 29 (الثلاثاء 1 جمادى الآخرة 1358 هـ - 18 جويلية 1939م).

و يقترب الهزل من الفكاهة، على ما يتضمنه من معاني المزاح و الدعابة و الخلو من القسوة و الاستهزاء، و كثيرا ما يكون القصد الأول منه هو الإضحاح، على خلاف السخرية التي ترمي أولا إلى النقد، ثم ثانيا الإضحاح.

و في هذا المجال، يقع بعض الباحثين، في خلط بين المعاني، إذا لم يدقق في التفريق بينها، و تمييز بعضها عن بعض، فيضطروا إلى استعمال تراكييب، تجمع أحيانا بين نقيضين، في الوقت الذي كان بإمكانهم أن يستعملوا لفظا واحدا يجمع المعاني التي يريدون، فيقولون مثلا : الفكاهة العدوانية، و النوادر التهكمية، و الهجاء الساخر، و السخرية الهجائية، و التهكم اللاذع، و الهزل العابت، و الدعابة الهزلية، و الهزل الساخر، فالجمع مثلا بين السخرية و الهجاء هو جمع بين كلمتين مختلفتين، ذلك أن الهجاء يغلب عليه اقتصاره على الذم الموجه إلى شخص أو جماعة أما السخرية فهي وسيلة دفاعية قبل أن تكون هجومية.

و في اللغة الأجنبية يفرق بين هذه المصطلحات أيضا، فالفكاهة يقابلها كلمة "Humor" و "Humour"، و الهزل تقابله كلمة "Comique" "Comic"، و التهكم يقابله "Irony" "Ironie"، أما كلمة السخرية فيقابلها : "Satire"، "satir"، و لكل من هذه الألفاظ معناها و ما يميزها عن غيرها.

فنجد مثلا في بعض الكتب الأجنبية، تمييزا بين هذه المعاني، فتعرف الفكاهة على أنها تتجنب البذاءة التي تقع فيها السخرية، و أنها تتجه للمتنقين في عمومها، في حين تعتبر السخرية أكثر شعبية، و الفكاهة تنتبه إلى الجوانب الإيجابية، و يكون تركيز السخرية على النقص، و الفكاهي لطيف، بينما الساخر لا يرحم، و توصف الفكاهة بأنها غير واقعية، و أحيانا لا يكون لها هدف معين، و في تمييز الفكاهة عن التهكم يقول برغسون* "أن التهكم يصف المثالي ليصل إلى الاعتقاد بأنه الحقيقية، و الفكاهي يصف الحقيقة ليوحي الاعتقاد أنها المثال"، و تعرف الفكاهة بأنها التهكم الخفيف، كما تعرف بأنها "المرح الذي يختفي وراء المظهر الجاد، و أهم خصائصها، التهكم، و المفارقة". (1)

و تنتهي بعد هذا العرض، إلى القول بأن اختيار كلمة : "ساخرة" وصفا للصحافة، موضوع الدراسة، اختيار مقصود، و لم اختر كلمة "فكاهية" أو "هزلية" مثلا، لأن الفكاهة و الهزل، لا يؤيدان معنى السخرية، فلكل منها مدلول خاص، ثم أن الفكاهة و الهزل لا يعبران بالضرورة عن الشعور بالظلم و القهر و الإذلال، و السخرية يكون ذلك الشعور -غالبا- هو الباعث عليها، و الصحافة الساخرة بالجزائر، في معظم فتراتها كان الباعث الأول على ظهورها، هو الشعور بالظلم و القهر،

(*) برغسون : Henri Bergson (1859 - 1941) فيلسوف فرنسي، يجعل من الإدراك المباشر الوسيلة الوحيدة لمعرفة الزمن و الحياة، صاحب كتاب "المادة و الذاكرة" : 1896، و كتاب "التطور المبدع" سنة : 1907، نال جائزة نوبل في الآداب عام 1927.

(1) Michel Ragan, Le Dessin de l'humour : histoire de la caricature et du dessin humoristique en France, (Paris : Edition de SEUIL, Janvier 1992), P.P : 15-16.

سواء قبل الاستقلال أو بعده، هذا بالإضافة إلى أن معظم الصحف من هذا النوع، تصف نفسها
بالساخرة، و قليلا ما نجد من الصحف التي تصف نفسها بالفكاهية مثلا أو الهزلية.
و نستطيع بعد تعريف السخرية ، أن نعرّف الصحافة الساخرة، بأنها تلك الصحافة التي
تستعمل السخرية و النقد، و الكاريكاتور كوسائل للتعبير و تمرير الخطاب، أي أنها صحافة تتناول
الأحداث بأسلوب ساخر -رسما أو نثرا- و تتسم خاصة بالنقد و الجرأة في مواجهة الفساد السياسي
و الاجتماعي.

جمعية الأمير عبد القادر للقادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : نشأة و تطور الصحافة الساخرة في العالم.

المطلب الأول : نشأة و تطور الصحافة الساخرة في دول أوروبا و أمريكا.

إن الحديث عن نشأة الصحافة الساخرة في العالم، هو حديث عن نشأتها في أهم دول العالم، و بالتأكيد الدول التي عرفت الديمقراطية مبكرا، لأن الصحافة الساخرة يكاد يكون لها إرتباط مباشر مع الديمقراطية و حرية الصحافة، و بالتالي سيقصر الحديث عن بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية، و فرنسا، مع الإشارة إلى بعض البلدان التي تأثرت بهذه الدول في هذا المجال، كما أن الحديث عن نشأة و تطور الصحافة الساخرة في العالم يقودنا إلى الحديث عن الأعمال الساخرة كممهد، ثم إرتباطها بالصحافة.

البيدات كانت منذ القرون الوسطى عند الرومان و اليونانيين و حتى المصريين، حيث كان الرسامون الساخرون، يتكلمون من مظاهر كثيرة، و خاصة رجال الكنيسة و السياسة، و كان الشائع آنذاك رسم شخصيات معروفة برؤوس حيوانات، أو رسم حيوانات على شكل إنسان، و كانت هذه المرحلة الأولى للرسم الساخر، الذي تطور بدوره مع تطور الطباعة، ففي القرن السادس عشر بدأت تظهر خطورة الرسم الساخر، خاصة و أن الإصلاحات الدينية التي شهدتها أوروبا كانت سببا في جعل هذه الرسوم تتحدى كل التقاليد، و تجاوز رسامو الكاريكاتور كل الحدود، و ذهبوا إلى تصوير المسيح برأس حمار، و قد دفع هذا الخطر -إلى جانب خطر الكتاب و المطبوع بصفة عامة- إلى خوف الحكام و الملوك فحوصرت المطبوعات بما فيها المطبوعات التي كانت تحمل رسوما ساخرة، و فرضت عليها الرقابة، إلى أن قامت الثورة البروتستانتية، حيث تحررت المطبوعات الساخرة، التي أخذت شكل أوراق مما سهل تداولها، كما استعمل الرسامون الساخرون الأوسمة (الميداليات) للرسم عليها، و صورت تلك المرحلة في صور شتى، فصور البابا و الشيطان لصيقان، و صور الملك هنري الثالث و هنري الرابع في صور خليعة، و صور لوتر و كيلفن يتشاجران أمام رجل الكنيسة، دون أن يحرك ساكنا و هكذا..(1)

ثم أخذ الكاريكاتور يتراجع حين استعمله هنري الرابع في فرنسا ضد أعدائه، و توقف الرسامون عن مهاجمة الملوك، و تحت حكم لويس الثالث عشر اتجه الكاريكاتور إلى الإسبانيين الذين صوروا بصور شتى، و كانوا مادة شغلت الرسامين طيلة قرنين من الزمن، قبل أن يتجهوا إلى الإنجليز و الألمان، الذين استمر التشهير بهم إلى وقت قريب، و مع ذلك لم تقتصر الموضوعات على الأجانب، إنما كانت السياسة و السياسيين و المظاهر الاجتماعية في فرنسا موضوعا خصبا للرسم الكاريكاتوري.(2)

(1) Michel Ragon,OP.Cit . P-P : 19-20- 21.

(2) Ibit. P : 22.

و طيلة هذه المرحلة، ظلت جل الأعمال تهتم بهذه الميادين، رجال الكنيسة و بعض المظاهر الاجتماعية، و كان من أشهر رجال هذا الفن آنذاك، و الذي استطاع أن يعكس حالة مجتمعه في الأعمال التي كان يقدمها، "كالو : Callot * حيث بقيت أعماله تذكر إلى الآن، مثل "مأساة حرب : Malheurs de la guerre" و "جويا : Goya" و قد كان "كالو" مبدعا، كما كان "دوميني : Daumier" من بعد، و كان ينطلق من الكاريكاتور البسيط ليصل إلى رسم خالص (1)

أما الأعمال التي ظهرت خلال ثورة 1789 فقد حررت الاتجاه السيئ للكاريكاتور، كما كانت الأعمال آنذاك مشابهة و مقلدة لغيرها من الأعمال، و أخذت بعدا جديدا و هو البعد السياسي، و يظهر على هذه الأعمال أيضا الأثر الواضح للفنانين الإنجليز خاصة، "Gillray"، و أدى التقليد إلى فشل الفرنسيين في جعل الكاريكاتور سلاحا يوجهونه نحو أعدائهم. (2)

و في القرن الثامن عشر عرف الكاريكاتور عصره الذهبي، و ذلك بمجئ "دوميني : Daumier" و "قافرنى : Gavarni" و "قرانديفيل : Grandville" و كانت معظم أعمالهم سياسية، و بفضل هؤلاء عرف الكاريكاتور السياسي الفرنسي التحسن، كما استطاع أن يتخلص من عقدة التقليد، و تقليد الإنجليز بالخصوص، و لم يكن هذا التحرر من التقليد في طريقة الرسم فقط، بل كانت هناك نهضة و يقظة فكرية و سياسية، ترجمها هؤلاء في أعمالهم و انتقاداتهم، كما استطاع هؤلاء أن يجدوا مجالا آخر، لنشر أعمالهم و هو الجريدة، و بذلك بدأت مرحلة اقتران السخرية بالصحافة، و أنشأت الصحف الساخرة، التي ضمنت بدورها، تطورا و جمهورا خاصا للكاريكاتور. (3)

ظهرت أول جريدة فرنسية ساخرة في 4 نوفمبر 1830، و كان أسماها "الكاريكاتور : La Caricature"، أنشأها "سألز فيليبون : Chales Philipon" (1800-1862)، هذا الفضولي الذي جمع في شخصه اهتمامات متعددة سمحت له بالتألق و النجاح، فقد كان رساما و صحفيا، و ناشرا و تاجرا في المطبوعات، و كان مقتدرا في التصوير و الخيال، كما كان من المهتمين بما يدور في المجال السياسي، و قد ساهمت كل هذه العوامل في جعل صحيفته الساخرة "الكاريكاتور" الأولى من نوعها، و الصحيفة التي أعطت نقطة البداية لفترة زاخرة و مزدهرة، رغم أن هذه الصحيفة سبقتها محاولات أخرى، مثل :

(*) "حاك كالو : Jacques Callot" - كاريكاتوري و رسام فرنسي (1592 - 1635) كان له أثر كبير على كاريكاتور القرن السابع عشر.

(1) Michel Ragon . OP.Cit. P: 24.

(2) Charles Press, The Political Cartoon.(U.S.A. By Associated University Presses. 1981),P: 364.

(**) : هونوري دوميني : Honoré Daumier رسام فرنسي (1808م - 1878م) اشتهر بالكاريكاتور السياسي و الاجتماعي.

(***) : "بول قافارني : Paul Gavarnie"، رسام فرنسي (1804م - 1866م) و قد وجه أعماله لنقد النرجوازية، و الطلبة و بعض المظاهر الاجتماعية.

(****) : "جيرار فرندفيل : Jerard Grandville" : رسام فرنسي (1803م - 1847م) اتسم بأبعاده الخيالي، و تصويره الممتع في الخيال اشتهر بإخاره : "عاه آخر".....

(3) Charles Press. OP.Cit. P: 364, et Phillippé Jones : La Presse Satirique Illustrée entre 1860-1890.(Institut Français de Presse),P: 5 (sans édition,sans année).

"القرم الأصفر : Le nain jaune"، و "المرأة : Le Miroir"، و "الزنبق الصغير : Le petit mercure" لكن هذه المحاولات لم تكن ساخرة صرفة، و إنما كانت تنشر بعض الرسوم الكاريكاتورية كملحق أو بصور ثانوية، و في هذا السياق لا يمكن تجاهل صحيفة "الظل : La Silhouette" التي أنشأت سنة 1829، و عاشت في الخفاء ثمانية عشر شهرا، ثم أن اهتمامها بالسخرية لم يكن جادا مما جعلها لا تكون هي المنطلق. (1)

و قد استمرت "الكاريكاتور : La Caricature" لفترة طويلة، و لم يكن صاحبها "فيليبون" يبغى الربح التجاري فقط، إنما كان له هدف سياسي استطاع من خلال جريدته أن يصل إليه، كما استطاع و بفضل النجاح الذي حققته هذه الجريدة، أن يؤسس جريدة أخرى أسماها "Charivari" و هي تعني الصخب الذي يصم الأذان، و كانت ذات صيت ذائع، و استغل "فيليبون" جرائده ليتهكم من كثير من المظاهر السياسية مثل الاستبداد الذي وقع في جويلية في فرنسا، و الملك و الوزراء، و استعان في ذلك بثلة من الرسامين الكاريكاتوريين منهم : "دومي" و "قرانديل"، و "قافرني" و آخرين الذين، و بتهكمهم من النظام كانوا يثيرون ضحك الباريسيين و إعجاب المعارضة، و مقابل ذلك أثاروا سخط الجمهورية التي سلطت على "فيليبون" و متعاونيه عقوبات، و حبس بعضهم، و لم تكن هذه التعسفات من إرادة هؤلاء، مما دفع بالسلطات إلى التضييق أكثر، ففرضت قوانين الرقابة التي عرفت بقوانين 1835، و التي وضعت حدا لنشاط الكاريكاتوريين السياسيين و لعدة سنوات. (2)

و إذا كان الكاريكاتور يصور الحياة بطريقة هزلية، و استطاع أن يغطي جانبا كبيرا من مظاهر المجتمع، فإن الصحافة الساخرة استطاعت أن تفعل أكثر من ذلك، لأنها تتابع الحياة اليومية للفرنسيين، و ذلك عن كثب، و أصبحت تمثل مصدرا ثمينا للوثائق، و قد استعملت هذه الصحف الساخرة كل الأساليب لتصل إلى هذه المكانة، خاصة الرسم و الصورة، و بينما كانا في البداية يحتلان جزءا بسيطا من الجريدة، أصبحا بعد ذلك يمثلان أهم عنصر في بناء الصحيفة الساخرة بل العنصر الغالب.

و استمرت الصحف السابقة في الصدور إلى سنة 1890، غير أنها لم تبقى الأكثر تمثيلا خاصة في الفترة ما بين 1860 و 1890، التي صدرت فيها صحف ساخرة أخرى، و كانت الفترة الذهبية و الأكثر عمقا في تاريخ الصحافة الساخرة في فرنسا، و تنقسم هذه الفترة بدورها إلى مرحلتين، المرحلة الأولى و تمتد من سنة 1860 إلى غاية 1866، و كرسّت هذه المرحلة للسخرية الاجتماعية، و المرحلة الثانية -التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية- تميزت بشيء من الحرية التي سمحت لها بتناول الجانب السياسي، و تجد كل مرحلة تمثيلها في صحيفة أو اثنتين على الخصوص. (3)

(1) Philippe Jones : OP.Cit. P : 5.

(2) Ibid, P : 6.

(3) Ibid, P : 6.

جامعة الأميرة
عبد القادر للعالم الإسلامي

ثم اعتبرت الفترة ما بين 1870 و 1880 من أغنى مراحل تطور الصحافة الساخرة في فرنسا، حيث سُخرت للمجال السياسي و تعرضت صحف هذه الفترة -كما هو الحال كلما اهتمت الصحف بالجانب السياسي- لضغط كبير، و تميزت هذه الفترة أيضا باهتمام المعارضة بإنشاء صحف ساخرة تواجه النظام الجمهوري الذي كان يُؤسس في فرنسا رغم جهودها، و من أهم صحف هذه الفترة "Le Don Quichotte" سنة 1874، و صحيفة "Le Jeune Garde" سنة 1877 و التي تنتمي للمعارضة، و "Le Triboulet" سنة 1878.

أما العشر سنوات التالية (1880-1890) فقد انفتحت على جو أكثر ليبرالية، حيث سمح قانون الصحافة المؤرخ في 29 جوان 1881 بضبط و تأكيد حرية التعبير، مما أدى بدوره إلى رفع بعض القيود على الصحافة، و استمرت الحرب الصحافية بين المعارضة و الصحافة الجمهورية، بل و عرفت فترة قوية و شديدة، و من المفيد هنا أن نؤكد أن الصحافة الساخرة، كلما كانت أقل تهديدا، كلما كانت أقل إثارة و قوة.

و في ما يخص الضابع الذي ميز هذه العشرية (1880-1890)، هو الاهتمام أكثر بالجانب الأخلاقي، لأن المرحلة كانت غنية بالموضوعات الأخلاقية، و تمثل هذه المرحلة ثلاث جرائد شهيرة، "La Caricature" التي صدرت سنة 1880، و صحيفة "Le Chat Noir" سنة 1882، و "Le Courrier Français" سنة 1884، و تميزت هذه الصحف بالرسومات الملونة غالبا، و كانت صحيفة "Le Courrier Français" هي الصحيفة الأكثر تمثيلا لهذه المرحلة، و توبعت عدة مرات، على الرغم من أن الرقابة السياسية غابت تماما، إلا أن الرقابة الاخلاقية فرضت نفسها و بقوة، خاصة لمواجهة الاتجاه الأخلاقي في الصحافة الساخرة في نهاية ذلك القرن. (1)

هذا إذن رصد لتطور الصحافة الساخرة في فرنسا بين سنة 1860 و 1890، و لم يقتصر الأمر على ما ذكر، إنما شهدت الساحة الفرنسية، تطورات في اتجاهات أخرى، و من هنا فتقسيم الصحافة الساخرة الفرنسية إلى سياسية و اجتماعية (اخلاقية) لا يكفي لبيان التغطية الحقيقية لنشاط الصحافة الساخرة في فرنسا، فكانت هناك الصحف التي تهتم بالشخصيات و استعملت السخرية، و هناك الصحف الخاصة بالمسرح و التي تناولت مواضيعها بأسلوب ساخر، بل و ذهب إلى أبعد من ذلك حين اقتحمت الصحف العسكرية، و استعملت السخرية أيضا في المجال الأشهاري، و هكذا نسجل التنوع الكبير للصحافة الساخرة في فرنسا في هذه الفترة.

و شهدت أوائل القرن العشرين، ميلاد أشهر صحيفة ساخرة في فرنسا و هي صحيفة "Le Canard Enchaîné" سنة 1915، التي أسسها "موريس مارشال" و ذلك بعد أن توقفت جل الصحف الساخرة، غداة اندلاع الحرب العالمية الأولى، ثم ما لبثت أن إستعادت أنفاسها بعد الانتصار على الألمان في مارن Marne، حيث أصبح الضحك مباحا، و اتجهت الصحف الساخرة في هذه الفترة إلى

السخرية من الألمان و تشجيع المقاتلين الفرنسيين، و ميزت موضوعات الحرب و ما يتعلق بها، صحف هذه الفترة.

أما بعد الحرب العالمية، فقد اتخذت الصحافة الساخرة توجهها آخر، توجه اتسم بالجدية أكثر، خاصة مع فريق "Los à Moelle" احدى صحف هذه الفترة، و فريق "Le Canard Enchaîné"، هذه الصحيفة السلمية التي تكره الحرب، و التي كانت تحمل أفكارا يسارية، لكنها لم تكن متحيزة، و كانت ترفض المداخل الاشهارية لضمان حريتها، كما استعملت لغة شعبية أثرت بعض الفاظها على لغة الشارع و صارت من مكوناتها، و أخيرا أضافت هذه الصحيفة بعدا آخر، تمثل في مباشرتها للتحقيقات الكبرى، التي كانت تستهدف ذوي النفوذ و المراتب العليا في المجتمع و الجيش و الكنيسة و الادارة، و مرت هذه الصحيفة بمراحل عدة، و من محطاتها، استعادتها لحيويتها بعد تولي ديغول الحكم، حيث اشتدت معارضتها للحكم الملكي، و ابتداء من الجمهورية الخامسة أصبحت هذه الصحيفة أكثر شدة في نقدها، كما تمكنت في السبعينات من الكشف عن قضايا كبرى كان لها صدى كبيرا داخل فرنسا و خارجها، و وصفت هذه الصحيفة بأنها الصحيفة الوحيدة التي كانت تمارس حقها مهنتها، و أنها أجبرت المسؤولين على مراقبة أنفسهم حتى لا يتعرضوا لنقدها، و تشير أخيرا أن هذه الصحيفة أثبتت جدارتها بدليل أنها ما زالت تصدر إلى الآن (1) كما نسجل أن الأسلوب الساخر -رسما و نصا- وجد طريقة أيضا إلى الصحف الجادة و المشهورة مثل "Le Figaro"، و "Paris Match" و "Samedi Soir"، حيث كانت تخصص حيزا ثابتا للصحافيين الساخرين.

أما عن الصحافة الساخرة في الولايات المتحدة الامريكية، فقد كانت البدايات بالكارتون و الكاريكاتور، الذي كان يستلهم من الاعمال الانجليزية، و الكاريكاتوريين الانجليز خاصة جامس جيلراي : James Gillray**، و توماس راولندسن : Thomas Rowlandson*** و شهدت مرحلة ما قبل 1830 ثلاثة أنواع من الكارتون : الخيالي، و المقلد للاعمال الانجليزية، و الرمزي، و على الرغم من تطور الطباعة آنذاك إلا أن ربط الكاريكاتور بالصحافة لم يكن إلا في صور ضيقة، و كان الطابع الغالب على الكارتون الأمريكي في بدايته هو الطابع الاجتماعي، حيث صورت جوانب كثيرة من المجتمع. (2)

و من الصحف الساخرة الأولى في الولايات المتحدة الامريكية، صحيفة "Harpers Weekly" التي صدرت عام 1857، و قبلها بقليل ظهرت أسبوعية "Frank Leslie's Illustrated Newspaper"، كما شهدت الساحة الامريكية ظهور صحيفة قصيرة العمر و لكن ذات نوعية عالية و هي صحيفة "Vanity Fair"

(1) Michel Ragon, OP.Cit. P : 145 .

(*) جامس جيلراي : أحد أشهر الكاريكاتوريين الإنجليز في نهاية القرن الثامن عشر، و بداية القرن التاسع عشر .

(**) توماس راولندسن : رسام إنجليزي (1756 - 1827) ، و يعتبر معلم الرسم الساخر في وقته .

(2) Charles Press, OP.Cit. P :232 .

و كان ذلك عام 1859، و كانت هذه النماذج كلها، متأثرة بالأعمال الانجليزية و قليلة الاهتمام بالجانب السياسي. (1)

ثم بدأ اتجاه جديد للأسلوب الساخر في الرسم و التحرير، و بدأ الأمريكيون يجدون لأنفسهم طابعهم الخاص، و هذا الاتجاه يمثل نوعين من الكارتون و هما "Currier and Ives" و كانت بدايته عام 1835، و اشتهر في هذا الاتجاه المهاجر الألماني "لويس مورر : Louis Maurer" الذي كان ابرز الكاريكاتوريين لأنه استمر حتى سنة 1930، و تعتبر هذه الموجة الجديدة هي التي أعطت نقطة الانطلاق للسخرية السياسية، و بقي هذا الطابع يميز السخرية الأمريكية المستمرة طويلا .

و كانت الأحداث في الولايات المتحدة الأمريكية كثيرة، جعلت من رواد السخرية يتحمون الصحف بأعمالهم و خاصة السياسية، فالحرب الأهلية في عهد "أبراهم لينكهن : ABRAHAM LINKOLN" و الأحداث و الشخصيات التي رافقتها، كانت مادة خام للكاتب الساخرين، و الرسامين الكارتونيين، و كان من أبرز رجال هذه الفترة "توماس ناست : Thomas Nast"، الذي استطاع أن يعكس المرحلة التي كان يعيشها، و الذي مرت أعماله بفترات تطور، كانت هي نفسها مراحل تطور السخرية عبر الصحافة الأمريكية و كان ينشر أعماله بصحيفة : "Harpers Weekly". (2)

بعد "Thomas Nast" بدأ كل الفنانين يمضون أعمالهم و يضعون أسماءهم عليها، بعد أن كانت لا تمضي، أو يرمز إلى أسماء أصحابها بأسماء مستعارة، و بارتباط السخرية بالصحافة ازداد عدد هؤلاء المميزين بهذا الميدان، كما فتحت الصحافة أمام الكارتون أفاقا واسعة، فأصبح القراء بمجرد تصفح أوراق "Harpers Weekly"، يتعرفون على جميع أحداث الأسبوع.

و لم يكن الكاريكاتور - و الصحافة الساخرة عموما - للضحك و الترفيه فقط بل كان ي طرح قضايا هامة اجتماعية في البداية، ثم تحولت إلى القضايا السياسية الساخنة، كما اعتمدت بعض الصحف على الاثارة و الجنس، و هذا هو حال "Yellow Kid" التي صدرت في 16 فبراير من سنة 1896، و قد لاقى هذه الصحيفة نقدا شديدا لمحتواها، و من ذلك النقد الموجه من طرف صحيفة "The Los Angeles Times" حيث وصفت ما يظهر في صحيفة "Yellow Kid" بأنه يعمس الحياة الشخصية للأحياء الفقيرة و بصفة وضيعة، و يسيء إليها كثيرا، و على الرغم من النقد الذي تعرضت له هذه الصحيفة، سواء حول لغتها الركيكة و المليئة بالأخطاء، أو حول التشهير و الذهنية الاتهامية التي كانت منطلقا في تحريرها، إلا أنها استمرت في الصدور طيلة الثلاثينيات. (3)

(1) Charles Press, OP.Cit ,P : 236.

(2) Ibid, P :244.

(3) Ibid, P: 328.

ثم تحولت الصحافة الساخرة في الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد - خاصة خلال الحرب العالمية الأولى - إلى تجارة رابحة، لقدرتها في التأثير على الشباب، كما أخذت اتجاها نحو تناول الموضوعات التافهة، والتعليقات التي لم ترض عنها النقابات آنذاك، و مع ذلك، واصلت في الظهور، و أخذت تهتم بالجانب الاجتماعي على حساب القضايا السياسية.

و حوالي عام 1920 عادت الصحافة الساخرة إلى الاهتمام بالسياسة، ولم تبدأ بجدية إلا خلال الحملة الانتخابية للرئيس "روزفلت : Roosevelt"، و ذلك حوالي عام 1932، حيث ظهر "Percy Grosby"، الذي اشتهر برسومه الشهيرة "Skippy"، و تحدى "Grosby" بأعماله، الاشتراكية و واجهها، كما حارب الرئيس "روزفلت"، و حتى خصومه السياسيين من خلال صحيفة "New York Times". (1)

إبان الحرب العالمية الثانية، و بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، وجد الكاريكاتوريون من الحرب و أحوالها مادة دسمة لأعمالهم، و اشتهرت أعمال كثيرة كأعمال : "جورج ووندار : George Wunder" و "بوز صوير : Buzz Sawyer" و لم تتوقف هذه الأعمال بعد انتهاء الحرب العالمية، و اندخول في الحرب الباردة، و من هذه الأعمال التي تواصلت "اليتيمة أني الصغيرة : Little Orphan Annie".

و في العصر الحديث، أخذت الكتابة الساخرة في الولايات المتحدة الأمريكية بعدا أكثر جدية، و عمقت اهتمامها بالقضايا الكبرى - على الأقل في نظر الأمريكيين-، و مثل هذه الفترة مجموعة من الكتاب الساخرين، مثل "كاب : Capp"، الذي لم يكن يرق للسلطات، و قد عبر عن ذلك بنفسه، حين قال -معبرا عن مرحلة هامة في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية- : «كلما دافعت عن اليمين أصبحت على الواجهة و على شاشات التلفزيون، و كنت محبوب الإعلام، اما إذا تكلمت عن اليسار، فعندها أصبح منبوذا إلا بالنسبة للشعب». (2)، موضحا بذلك علاقة الصحافة الساخرة بالنظام السياسي و تأثيرها عليها.

كما ظهر في العصر الحديث : "ولت كيللي : Walt Kelly's" الذي اشتهر برسوماته المسماة ب : "Pogo" و التي تطرقت لموضوعات و أشخاص مختلفين، خاصة الشخصيات السياسية، و كانت هذه الرسومات ذات مستوى عالي، و تركت أثرا عميقا في النفوس أكثر من أي وسيلة اعلامية أخرى، و اشتهر في هذه الفترة أيضا : "جاري تريديو : Garry Trudeau" بأعمال ساخرة قيمة نال من أجلها جائزة : "Pulitzer Prize" لأحسن كارتونيست عام 1975 ثم مالبت أن ترك الأعمال الهزلية المسطحة، إلى النقد السياسي الجاد، والمظاهر الاجتماعية العالمية.

(1) Charles Press. OP.Cit. P : 329.

(2) Ibid . P :332.

و الذي يمكن أن نختم به الحديث عن تطور الصحافة الساخرة في الولايات المتحدة الأمريكية، أنها مرت بمراحل شبيهة بالمراحل التي مرت بها الصحافة الساخرة في دول العالم الأخرى، مع بعض الاختلاف حسب الخصوصيات، فبدأت بالإهتمام بالشؤون الإجتماعية، و بالتخفي وراء الرموز و الأسماء المستعارة، إلى مرحلة أكثر ازدهارا خاصة حين اهتمت بميادين السياسة، كما شهدت خلال فترات تطورها، فترات تدني في المستوى في الأسلوب و موضوعات الإهتمام و على العموم فقد كان لها دور فعال في الحياة السياسية و الاجتماعية للولايات المتحدة الأمريكية.

و في بريطانيا، لم تختلف مراحل تطور الصحافة الساخرة عن سابقتها، خاصة و انها تعتبر الدولة الأكثر تأثيرا في غيرها من الدول فـ في هذا المجال، فكانت البداية بأعمال " هوقارث : Hogarth" (1697-1764) حيث تميزت بالواقعية، ثم جاء "جيلراي : Gillray" بأعماله التي تميزت بانبعث عن السياسة و رجالها، و تلامد بول براى : Paul Pry " بأعماله المناهضة للدين، و كانت كلها أعمال كارتونية، و رسومات كاريكاتورية - كما هو الحال للبدائيات الأولى للسخرية قبل ارتباطها بالصحافة. (1)

و في ميدان السخرية السياسية، برز أعلام كبار في انجلترا، و أشهرهم "جون تانيال : John Tenniel" و " دافيد لوي : David Low"، وكان كل منهما يمثل مدرسة لها اتجاهها و رجالها، و البداية كانت مع "تانيال"، الذي تميزت أعماله بمناصرة "فيكتوريا : Victoria"، و واصل أتباعه على نفس النهج، حتى أن بعضهم كان يتقن عمله إلى درجة الاندماج مع الشخصيات التي يرسمها، و بقي هذا التيار على هذا الاتجاه إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية. (2)

و اشتهر "تانيال" برسوماته التي سميت بـ "بانشر : Punch" و التي أصبحت فيما بعد صحيفة ساخرة شهيرة، و ذلك سنة 1841، و قد سميت بـ "Charivari" اللندنية، لمشايتها لصحيفة "Charivari" الفرنسية، و تأثر أحد تلامذة "تانيال" بأعماله - هو "لينلاي صانبورن : Linley Sambourne" - و أعاد رسم سلسلة "Punch" و كانت ذات مستوى عالي، غير أنه لم يكن لها نفس التأثير الذي كان لأعمال "تانيال". (3)

ثم جاءت فترة أخرى، عرفت فيها أعمال مدرسة اتباع "Tenniel" تراجعاً في المستوى، و أخذت هذه الأعمال تفقد حيويتها، و تفقد البعد البناء في أسلوبها الهزلي و الساخر، و اتسمت في عمومها بالسذاجة و السطحية، و كانت جل أعمال هذه المدرسة لا تصل إلى أهدافها، خاصة تلك التي عالجت قضايا الحرب العالمية الأولى، و أخذ بذلك الكارتون الانجليزي يفقد البعد الفني، و لم يتميز إلا برسم

(1) Charles Press, OP.Cit. P :340.

(2) Ibid, P :342.

(3) Ibid, P : 342.

الشخصيات : "Le Portait Charge" الذي برعت فيه الأقلام الساخرة الانجليزية، كما تميزت هذه الفترة بالآثر السلبي، الذي بدأت تتركه "The Punch" على الكاريكاتوريين الانجليز، خاصة عندما اتجهت إلى تشجيع الغموض و الضبابية في الأسلوب.

و إزاء هذه الوضعية، استطاعت بعض الأقلام الساخرة، الانفلات من التدني الحاصل انذاك، و كونوا لأنفسهم إتجاهات خاصة بأعمالهم، و منهم " بوي : Poy" الذي أسس : صحيفة "New Paper Cartoons" و جعل لها بعض الشخصيات و كان اتجاهه يميل نحو اتجاه "لوي : Low". و شهدت فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، انتشار بعض الأعمال الساخرة عبر الصحف البريطانية، و كانت عبارة عن تعليقات خطيرة، لأنها كانت تهاجم النظام الفيكتوري بأسلوب ساخر، و منها ما كتبه " ويل ديسون : Will Dyson" الاسترالي الأصل ، الذي كان يؤيد النظام الاشتراكي من خلال ما يقدمه في جريدة "Socialist Daily Herald" و كانت رسومه الكاريكاتورية تحمل شعار : "Art Holding The Mirror Up To Nature" أي أن الفن و الرسم كان يمثل المرآة العاكسة للطبيعة و المجتمع، و كان نقده للنظام الفيكتوري بأنه غير شرعي، و قد تأكدت نظرتة بعد الحرب العالمية الأولى عند الاضاحة بالنظام الملكي انذاك.(1)

أما الاتجاه الثاني أو المدرسة الثانية، فكان يمثلها "لوي Low" و أتباعه، حيث رسمت هذه المدرسة- و بفضل "لوي : Low" اسلوبا جديدا في فن السخرية، فتميزت أعماله -من حيث الشكل- باستعمال الابيض و الأسود و الإطار، و طبعت ببعض المفاهيم الخاصة بالنوع المتطور للكارتون، حيث كان يتصور أن الأسلوب الساخر -رسما أو نثرا- يجب أن تكون له خليفة ثقافية و معلومات - خاصة سياسية- و خيال واسع، وهذا ما ميزه عن غيره، و قد واجه "لوي : Low" النظام الملكي لاستعماله القوة، كما صور بعض الشخصيات السياسية مثل تشرشل Churchill و كان مهذبا في تصويره للرجل، حتى أن بعضهم وصفوه بأنه يحابي تشرشل، و لم يواصل "لوي" في اتجاهه الصريح و انجريي، بل روض، و كان في آخر مطافه كمحطة توقف للديمقراطية.

و من أشهر منافسي "لوي : Low"، سيدناي ستروب : Sidney Strube" الذي واجه صعوبات جمه للبقاء في الساحة، لو لا بعض الناشرين الذين اوجدوا له مساحة لبث أعماله، خاصة من خلال دوريات، ك : "The Daily Express" و اتصفت أعماله أيضا بالجدة و التطور -على الرغم من محافظتها لبعض ميزات "Low" و استطاع "ستروب Sitrub" أن يعطى دفعا جديدا للكاريكاتور، خاصة ذلك الذي يظهر الشخصيات السياسية في وضعيات مضحكة، و الذي لم يكن يثير حفيظة- قواد و حكام بريطانيا، بل على العكس كانوا يضحكون من تلك الرسومات، و يبقى أن نسجل أن هذه الاعمال كانت تنقصها التعليقات المعبرة، و هذا ما كان يعوز كل أعمال تلك الفترة.(2)

(1) Charles Press, OP.Cit, P : 349.

(2) Ibid, P: 353.

و خلال الستينات، شهدت بريطانيا موجة جديدة من الأعمال الساخرة، كانت شديدة اللهجة اتجاه النظام الملكي، و كانت هذه الأعمال تدعو إلى الاطاحة بالنظام المريض، خاصة و أن بريطانيا خرجت من حربين مدمرتين، أمشأ الصحيفة الساخرة التي كانت تعكس بصورة واضحة تلك الفترة، هي صحيفة "Private Eye"، التي واكبت تطور الديمقراطية في المجتمع البريطاني، و تناولت مواضيع عميقة في هذا الجانب بأسلوب ساخر و هادف.. و هكذا كان فن السخرية، و الصحافة الساخرة في بريطانيا، يتأثران بالتطورات السياسية و الاجتماعية التي كانت تعيشها إنجلترا، كما كانت هي بدورها تؤثر في تلك الأوضاع، و تركت بصمات واضحة.

أما عن باقي البلدان الغربية، فقد عرف بعضها صحافة ساخرة مزدهرة، و منها "كندا" التي عرفت فن السخرية قديما، و بدأ ارتباط أسلوب السخرية بالصحافة عام 1879 حين نشرت أعمال جون بانفوق : John Bengough في صحيفة : "The Magazine Crip"، و تطورت الصحافة الساخرة في كندا مع تطور الأحداث، و كان الطابع العام لها اهتمامها بالسياسة و رجالها و نقدها، أما استراليا فلم تعرف أقلاما ساخرة أصلية، و كان التأثير بالأعمال البريطانية و الأمريكية كبير، و قد عرفت السخرية طريقها إلى الصحافة، و ذلك مع جريدة "Sydney Bulletin"، و عرفت الساحة الأسترالية جراند ساخرة لم تترك أثرا كبيرا، خاصة و أن العاملين بها سرعان ما هاجروا من استراليا، إلى بريطانيا و أمريكا.

أما بلدان الشرق أو البلدان الاشتراكية، فلم تشهد الصحافة الساخرة تطورا كبيرا بها خاصة و أن النظام الاشتراكي لم يكن يترك حيزا كبيرا من الحرية في مجال الصحافة، و النقد عموما، و يعتبر الصحافة الساخرة صحافة "نقد"، فإنها لم تكن موجودة بقوة في هذه المجتمعات، و حتى بعض الأعمال التي ظهرت كانت في عمومها توجه لخدمة النظام و ايدولوجية البلد، و إلا لاقى تضييقا كبيرا. و هكذا ننتهي إلى أن الصحافة الساخرة في العالم، عرفت تطورا مطردا تبعا للأحداث التي عرفها العالم، سواء في جانبه الاجتماعي أو السياسي أو حتى التكنولوجي، و شهدت الدول الليبرالية، الجزء الأكبر من التطور في هذا المجال، كما عرفت تنوعا كبيرا في هذا المجال إلى جانب اشتهاار أسماء كثيرة ارتبطت بعالم الصحافة الساخرة و الكاريكاتور.

المطلب الثاني : الصحافة الساخرة في الوطن العربي ، نشأتها و تطورها

ارتبطت السخرية بالصحافة في الوطن العربي منذ عشرات السنين، حيث ما أن جاء القرن التاسع عشر، حتى بدأت الصحافة الشعبية (كظاهرة سابقة على الصحافة الساخرة) في الظهور والانتشار، و ذلك في النصف الثاني من هذا القرن، و كان ذلك في مصر، التي تعتبر أول بلد عربي عرف هذا النوع من الصحافة ثم صدرت صحف هزلية شتى تهتم اهتماما عظيما بجانب الفكاهة و تحاول الترفيه عن المصريين بما تكتبه من مقالات و ما تنشره من نكات.

و ما أن طلع القرن العشرون على مصر حتى كانت الصحافة الفكاهية و الساخرة في مصر* قد شقت طريقها إلى الحياة و البقاء، و كان أول الصحف الفكاهية الصادرة بمصر، هي صحيفة "أبو نظارة زرقاء"، أنشأها "يعقوب صنوع" بتشجيع من "جمال الدين الأفغاني"، و ذلك عام 1877، و قد نجح في نشر خمسة عشر عددا قبل أن يؤمر بمغادرة البلاد، لأسباب سياسية حيث إتجه إلى فرنسا، و هناك لم يتأخر في إعادة نشر جريدته عام 1878، و قد انفلت من المنع الذي لاقاه في مصر، فقرر الذهاب إلى النهاية، و استحدث نسخا لجريدته الممنوعة في شكل من النوع الكبير، و نجح عن طريق بعض المشتركين في جريدته، في إعادة ادخال الجريدة إلى مصر و إيصالها إلى الخديوي نفسه.(1)

كان "أبو نظارة زرقاء" الاسم الأول لصحيفة "أبو نظارة" و التي عرفت أسماء شتى عندما كانت تصدر بباريس منها "رحلة أبي نظارة زرقاء"، "النظارات المصرية" في 1879، و مجلة : "أبو صفارة" في سنة 1880، و الواقع أن الصحافة الفكاهية، لم تشهد قلما رقيقا و لا أسلوبا جميلا مثل أسلوب "يعقوب صنوع" الذي كان يسخر سخرية مرة من الأوضاع الاجتماعية و السياسية في البلاد، و اتخذ له شخصيات ثابتة في صحافته تصور أقطاب السياسة و رجال البلد.(2)

و اصدر "يعقوب صنوع" صحفا أخرى غير "أبو نظارة" مثل "الحاوي" التي أصدرها في 5 فبراير 1881، و كانت صحفه -عموما- محشودة بالفكاهة و السخرية و كان أكثر مواضيعها يدور حول التهكم من السياسة و الحكم، و السخرية من الأوضاع الاجتماعية و انتقاد الخديوي انتقادا مرا.. كما كان لهذه الصحف رواج في أوروبا و الشرق العربي، و وصلت حتى الامريكيين، و كانت البلاد مجمعة على علو كعب "يعقوب صنوع" في هذا الفن من الصحافة الذي أصبح فيه فارس الميدان.(3)

(*) ورد في موضع آخر أن أول صحيفة، فكاهية عربية هي صحيفة "أبو نظارة" و ذلك عام 1878 بباريس، و لصاحبها (جيمس سانلوا) فرنسي يبيد العربية أحمد عصية أفند، سيكولوجية الضحك دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي و شركاه، ص 266 (الهامش).

(1) Elias Hanna Elias, *La Presse Arabe*, (Edition Maison Neuve et La Ruse Paris, 1993), P-P : 37-44.

(2) جمال الدين الرمادي، مرجع سابق، ص : 20.

(1) المرجع نفسه، ص : 22.

كما كانت صحف "يعقوب صنوع"، إعلان عن انطلاقة قوية لصحافة الفكاهة و السخرية في مصر، و قد عرفت هذه الفترة -فترة الاحتلال البريطاني- ازدهارا في الصحافة التي أصبحت عاملا هاما في مناهضة الاحتلال و الحماية .و إذا تتبع الباحث تاريخ الصحافة المصرية منذ أخريات عهد "الخدوي اسماعيل"، -عندما أخذت يد الاستعمار الأوربي تدق أول مسمار لها في استقلال هذه البلاد- يلاحظ وفرة المجلات الهزلية التي صدرت منذ ذلك التاريخ، بل إن كثرة صدور هذه المجلات في أوقات معينة كانت مقترنة بمراحل القضية المصرية نفسها، و اشتداد الأزمات التي تقع بين المحتل و أصحاب البلاد، فالعدد الأكبر من هذه الصحف و المجلات صدر في أوائل سنتي الاحتلال كمجلة "أبو نظارة" (التي تحدثنا عنها سابقا) و "التكيت و التكييت" و "الاستاذ" و "حمارة منيتي"... (1)

و عندما بدأت الحركة الوطنية في أوائل القرن العشرين، تنظم صفوفها بظهور الحزب الوطني بزعامة "مصطفى كامل باتسا"، و "محمد فريد بك"، اقترنت هذه الفترة بظهور عدد كبير من المجلات السياسية التي استخدمت الفكاهة و السخرية سلاحا في جهادها ضد الحماية البريطانية، مثل مجلة "خيال الظل" التي صدرت سنة 1907، و كانت تشبه "أبو نظارة" في استخدام الصور الكاريكاتورية، كما كانت تتاهض الإحتلال البريطاني من ناحية و "حزب الأمة" من ناحية أخرى، و صدرت في هذه الفترة مجموعة كبيرة من الصحف الفكاهية، أهمها "السيف" و "المسامير" اللتين كان لهما دور هام أثناء -الحماية البريطانية على مصر، و استخدمت الزجل و التعنيق الفكاهي، و التكييت. (2)

أما الموجة الثالثة لهذه الحرب الباردة ضد الاستعمار، فقد بدأت بنشوب الحرب العالمية الأولى، و اشتعال نار الثورة المصرية من جديد، و ماتبع ذلك من ظهور الأحزاب المصرية و تطاحنها، فتشيعت المجلات الهزلية، كما تشيعت الصحف السياسية لأحزاب ضد أحزاب، و من هذه الصحف "انصاعقة" و "الشباب" و "المقرعة" و "المطرقة" و "أبو قردان" و "الناس" و "الكشكول" (3)

و في هذه الصحف، دخلت النكتة في ميدان السياسة بشكل واضح و ملحوظ، فتناولت الصحف الأحداث السياسية بروح النكتة و الفكاهة، و لم تقتصر على أحداث مصر فقط، بل تعدتها إلى العالم العربي لأنها كانت تريد تظهير أرضه من الإستعمار، كما عرفت هذه الصحف استعمالا واسعا و بارعا للكاريكاتور -خاصة "الكشكول"، إلى جانب أساليب أخرى. (4)

ثم تلا المرحلة الثالثة، مرحلة أخرى تميزت باختفاء هذه المجلات الهزلية الصغيرة، لأن الصحف و المجلات السياسية الكبرى أخذت تستعين بالفكاهة المكتوبة و المصورة في أسلوبها، بعد أن تبيين لها الأثر الشعبي البالغ الذي تتركه النكتة أو المفارقة في رسالتها القومية أو الحزبية، و هذا ما

(1) أحمد عطية الله، مرجع سابق، ص: 266.

(2) المرجع نفسه، ص: 267.

(3) المرجع نفسه، ص: 268.

(4) همام الدين الرمادي، مرجع سابق، ص: 49.

تسير على نهجه الصحافة الأوربية، فأكبر الصحف الأنجليزية مثلا، كالدائلي ميل" و "الدائلي اكسبرس" و "الدائلي هيرالد"، و هي التي تمثل الأحزاب البريطانية الثلاثة الكبرى تنشر صورا كاريكاتورية تعقب عليها تعقيبا ساخرا، و يعتبر "محمد حسنين هيكل" أول من أدخل السخرية في الخطاب الصحفي، في هذه المرحلة، التي كانت بداية تاريخ جرائد اليوم الكبرى، كالمصور" التي استخدمت الكاريكاتور و التعليق الساخر استخداما بارعا، و كان أحد أسباب بقائها و تصديها. (1)

و قد استخدمت الصحافة الهزلية السياسية في مصر أساليب متنوعة في أداء رسالتها، مثل الزجل، و اللغة العامية، و التعليق على الحوادث السياسية و الجارية و هو ما يعرف باللدغ، و استخدمت إلى جانب ذلك القصة القصيرة و الساذرة، و النكتة و المفارقات، و المعارضات الشعرية و النثرية، ثم الصور الكاريكاتورية التي بدأت مع مجلة "أبو نظارة" ثم "خيال الظل" و بلغت أوجها في البراعة الفنية في مجلة "الكشكول".

كما اعتمدت الصحافة الهزلية في مصر على رجال الأدب إعتقادا كبيرا، إذ أن الفكاهات و النكات الشعبية الناجحة كثيرا ما تجد طريقها إلى هذه المجلات التي تعتبر من هذه الناحية صدى لنمزاج الشعبي العام، و عرفت بذلك شخصيات بارزة في هذا المجال، أمثال : "الشربتلي" الذي كان من أمتع الصحفيين في أوائل القرن العشرين، و كان يمتاز بأسلوب مرح و فكاهة عذبة، كما كان قلمه الساخر موضع إعجاب الكثيرين لدرجة أن الجريدة التي كان يكتب فيها - و هي جريدة "الظاهر اليومية" - كانت تختفي من السوق في فترة وجيزة، و أمثال "البابلي" الذي كان لا يقل عن ظرفاء عصره مرحا و لا يقل مكانة في صحافة الفكاهة، كما كان مادة خصبة لها، و أيضا "إمام العبد" الذي ظلت النصح تنشر بين الحين و الآخر قفساته، و تجعل منه مادة خصبة لها، أما "عبد العزيز البشري" فقد كان من أحب الكتاب إلى القراء، و أبعدهم أثرا في الصحافة الفكاهية و الساخرة الهادفة التي تقصد الإصلاح، و ترمي إلى التقويم، و كان "حسين شفيق المصري" من ابرع الكتاب في صحافة الفكاهة و السخرية أيضا، و قد ساهم في تحرير كثير من الصحف الهزلية مثل "الشجاعة"، و "المسامير"، و "الكشكول" التي كان يحرر أبوابها، و عمل أيضا رئيسا لتحرير مجلة "الفكاهة" و غيرها، و يعتبر الكاتب "فكري إياضة" من ابداع الكتاب المخضرمين الذين خاضوا ميدان الصحافة، و استخدموا الأسلوب الساخر، و سلاح الفكاهة في النقد الاجتماعي و السياسي و الفني، و عرفت الساحة الصحافية المصرية في نوعها هذا أقلما أخرى لا تقل أهمية عن ذكروا. (2)

و من خلال تصفح ما كتب حول الصحافة الفكاهية و الساخرة في مصر، يستطيع الباحث تقسيم

هذه الصحف من حيث أهدافها إلى ثلاث مجموعات:

(1) أحمد عطية الله، مرجع سابق ص: 269، و كذا، Ellias Hanna Ellias, La Presse Arabe P: 51.

(2) للاستزادة، راجع همام الدين الزمادي، مرجع سابق.

1- صحف غايتها التوجيه و الإصلاح، بعرض العيوب الاجتماعية عرضا فكها مثل مجلة "الأستاذ" و "الفكاهة"، و "الناس" إلخ
 2- صحف تهدف إلى هذه الغاية باستخدام الهجاء و التشهير كما تدل أسماء بعضها "كالسيف" و "المسامير" و "الصاعقة"

3- صحف ذات طابع سياسي "كخيال الظل" و "الكشكول" إلخ (1)

و قد نفذت الصحافة الهزلية في مصر، إلى كل الميادين فحاربت التبذل و الخلاعة، كما نازلت الاحتلال، و استخدمت العنف كما استخدمت الكياسة في أساليبها، وهاجمت الأفراد كما شنت حربا على الجماعات و الطوائف و الهيئات، بل على الحكومات القائمة في كل عهد، و لقد كان نصيب الميدان الاجتماعي كبيرا شاملا، فنظمت كثير من الصحف الفكاهية حملات شعواء على الخرافات الشائعة و التقاليد البالية كادمان المخدرات و التبرج و الخلاعة و التخنث، و كانت تهاجم في الوقت ذاته ثورة المرأة المصرية على التقاليد، فشهرت بحركة السفور، و بتقليد مستحدثات الحضارة الغربية..

و خاضت هذه الصحف في سبيل الإصلاح الحكومي، فهاجمت رجال الأمن، و اتهمتهم بالبلادة و الجهل، كما حاربت انتشار الرشوة و المحسوبية، و شهرت بوزارة الأوقاف بصفة خاصة، و إلى جانب هذا عنت بعض هذه الصحف بالنقد الأدبي "كعكاظ" و "الصاعقة" فهاجمت بعض رجال الشعر و الأدب و الحركة الفكرية هجوما عنيفا. (2)

هذا إلى جانب الدور السياسي الهام، الذي سبق الإشارة إليه، حيث شنت حملة نكراء على الأجانب و امتيازاتهم، و اتهمت الحكومات بممالة الاحتلال البريطاني، و شهرت بالمجالس الدستورية، كمجلس شورى القوانين و البرلمان المصري، و رمت أعضاء هذه المجالس بالجهل و الأمية و تقويت حقوق البلاد. (3)

أخيرا نقول أن الصحافة الفكاهية و الساخرة في مصر، استمدت روحها من روح النكتة عند المصريين الذين عرفوا بذلك منذ القدم، و سجلت هذه الصحافة تطورا ملحوظا في مراحلها الأخيرة، خاصة من جهة الأسلوب حيث اختفى الهجاء و التشهير المقذع، و استخدم النعوت الفاحشة، و خرجت في نقد رجال الحكم عن نطاق الإبتذال و التعريض بأشخاصهم، و اكتفت بالتعليق اللاذع على الحوادث العامة، و قد يكون ذلك دليل على تطور الذوق العام الذي لم يعد يستسيغ الولغ في الأعراض، كما قد يكون بسبب تحول النظام المصري، - و الانظمة العربية عموما- إلى نظام لا يسمح فيه بالحركة الحرة للصحافة، و التضيق عليها خاصة في مجال نقد الحكام و كل من يحيط بهم.

(1) أحمد عطية الله، مرجع سابق، ص: 291.

(2) المرجع نفسه، ص: 292.

(3) المرجع نفسه، ص: 293.

أما بلدان المشرق العربي الأخرى فقد عرفت الصحافة الفكاهية و الساخرة، في وقت مبكر أيضا، حيث كانت البداية في أوائل القرن العشرين، و كانت في مجملها ملتزمة بقضايا الأمة و الوطن، فهي صحف وطنية، نقدت كل الجهات التي استغلت شعوبها، ابتداء من الإدارة التركية إلى الانتداب الفرنسي، و البريطاني، وحتى الإدارة العربية حين كانت تحيد عن مبادئها، ولم تكن سخريتها لأجل التسلية و المرح، بل كانت صيغة لتمرير خطاباتها و انتقاداتها بأسلوب ساخر و تهكمي لكنه مسؤول و واعي و مقنع في كثير من الأحيان.

و قد كانت الصحف الساخرة في المشرق العربي، تتناول المسائل الوطنية مباشرة، و باللغتين العامية و الفصحى، كما تناولتها بطريقة غير مباشرة، و قد تكون هذه الصحف بالفصحى و تستعمل العامية -في بعض الأحيان-، كما قد تكون عامية تماما، أما عناوينها، فأحيانا تأخذ إسم احد رموز الفكاهة مثل "جحا" و "أبو النواس"، و تكون أيضا في شكل عبارات عامية أو فصحى ترمز إلى الفكاهة و السخرية، مثل "اسمع و سطح"، « اعطه جملة» و "العصا لمن عصا"، كما تأخذ إسم يرمز أو يستتبط من الفكاهة مثل "المضحك المبكي" و "ديوان الفكاهة" و أحيانا تأخذ إسم حيوان مثل "الحمارة" و "الدبور" .. الخ.

كانت البداية في لبنان - و هي التي عرفت الصحافة المكتوبة مبكرا أيضا- حيث صدرت سنة 1873م جريدة "الجمعة" و هي أسبوعية هزلية صغيرة الحجم، كانت تطبع على الهلام، و قد أصدرها "توفل الخازن" في قرية لبنانية، تضمنت هذه الجريدة شيئا كثيرا من النوادر و الحكم و اللطائف، التي اشتهر بها مؤسسها -خصوصا- و المشانخ الخازنيون -عموما- و إلى جانب ذلك كانت تحتوي على حوادث البطولات، و أخبار الحرب التي جرت بين أبطال لبنان و بين الأتراك، غير أن الجريدة لم تدم طويلا إذ عطّلها صاحبها بعد صدور أعداد قليلة منها. (1)

و شهدت الساحة اللبنانية في القرن التاسع عشر أيضا، صدور مجلة شهرية أدبية فكاهية تحت عنوان "ديوان الفكاهة" و تعتبر أول مجلة روائية صدرت بالعربية، و قد أنشأها "سليم بن مخائيل شحادة" و "سليم بن بولس طراد"، و مما يلاحظ فيها أنها كانت تتباعد عما يتعرض لمذهب ديني أو رأي سياسي. (2)

و بعد هذه البداية المتحفظة، جاءت "أبو النواس" عام 1911، و هي جريدة أسبوعية انتقادية، صدرت في بيروت و كانت تقع في أربع صفحات، أنشأها "محمد صبحي عقدة" الذي كان يحررها بنفسه، هذه الجريدة تعرضت للمضايقات من السلطات التركية منذ عامها الأول، ثم عطلت بعد أقل من عام، فاضطر صاحبها إلى إصدارها في اللاتينية بسوريا- و تحت عنوان جديد "عكاز أبو النواس" و ذلك عام 1912، و لم تتوقف المضايقات و المتاعب التي كانت تلاقيها الجريدة من طرف السلطات

(1) حسين العودات، بسين الشكر، الموسوعة الصحفية العربية: بلدان المشرق العربي: (سوريا - لبنان - فلسطين - الأردن)، (تونس: المؤسسة العربية للدراسات و الثقافة و العلوم، إدارة الثقافة، 1990) ص: 35.

(2) المرجع نفسه، ص: 42.

و الجهاز الاداري، فغطت ثانية بعد بضعة أشهر فقط، و عاد صاحب الجريدة إلى الساحة متحدياً، بجريدة تحت اسم "أبو نواس الجديد" و ذلك عام 1913، و للأسباب نفسها عطلت في شهرها الثالث، و لم تشبه هذه المضايقات عن إعادة المحاولة مرة أخرى، فخرج بجريدة أسبوعية تحت اسم جديد "أبو فراس" و اشترك في إصدارها مع "محمود هارون"، و كان ذلك عام 1913، و ما لبثت أن توقفت هذه الجريدة في بداية الحرب العالمية الأولى، و كانت جميع قرارات تعطيل هذه الجريدة، نتيجة لمعارضتها الصريحة للسلطة. (1)

و تمثل هذه الجريدة المنعطف في تاريخ الصحافة الساخرة في لبنان، ذلك أن الساحة اللبنانية لم تعرف محاولات أخرى في هذا المجال، إلا بعد الحرب العالمية الأولى و بالضبط سنة 1923، تاريخ صدور مجلة أسبوعية سياسية هزلية كاريكاتورية، و هي مجلة "الدبور" التي أنشأها "يوسف مكرزل" ببيروت، و كانت تعرف باستعمالها الواسع للكاريكاتور. (2)

أما سوريا فكانت البداية مع الصحافة الفكاهية و الساخرة عام 1909، بتاريخ صدور "زهرك بالك" الصادرة بدمشق، و التي كانت بداية لمسيرة غزيرة للصحف الساخرة، و في السنة نفسها ظهرت "حط بالخرج" و هي جريدة هزلية عامية انتقادية، أنشأها "محمد العارف الهبل" و قد صدرت في دمشق أيضاً، و تقع هذه الجريدة في أربع صفحات صغيرة، و تتألف صفحاتها من ثلاثة أعمدة، و مع أن الجريدة كانت بالعامية إلا أنها كانت تكتب افتتاحيات و بعض المقالات بالفصحى، و كانت بعض هذه المقالات تأتي على شكل سجوع فيها بعض التكلف.

تعرضت هذه الجريدة "حط بالخرج" للتعطيل أكثر من مرة منذ عامها الأول، لأنها أخذت تنتقد الإدارة، و تقسو على أرباب الدولة بكتاباتها الجدية أو الهزلية، فهي تتناول في افتتاحياتها كل من يمس الحريات، و تصفهم و تتسب إليهم كل سوء، حتى و إن كان هؤلاء من أبناء سوريا الذين كانوا يعملون بإدارة الأجانب، و توقفت هذه الجريدة لفترة ثم عادت من جديد عام 1924 تحت إشراف جديد. و في العام نفسه صدرت "أعطه جملة" التي لم تعمر طويلاً. (3)

و توالى المحاولات السورية في هذه المجال، فصدرت "المكنسة" عام 1910، و هي كما يدل عليه اسمها - كانت تعد نفسها مسؤولة عن كنس الاقدار و الأوساخ، و لم تعيش هذه الجريدة طويلاً إذ توقفت بعد فترة قليلة، و جاءت بعدها جرائد أخرى عرفت المصير نفسه أي لم تعمر طويلاً بسبب الخط الذي رسمته لنفسها، مثل جريدة "المرسح" التي صدرت عام 1911 بحلب، و جريدة "اسمع و سطح" التي صدرت عام 1910، و لم تعمر هي الأخرى طويلاً و صدرت أيضاً جريدة "بردي" عام 1911، التي كانت تحرر بالعامية و الفصحى، و اغلقت عام 1912 بسبب مقال فيها و نفي صاحبها. (4)

(1) حسين العودات، يسير الشكر، ص: 25.

(2) المرجع نفسه، ص: 41.

(3) المرجع نفسه، ص: 38.

(4) المرجع نفسه، ص-ص: 28-31-60.

و تعتبر جريدة "جحا" تجربة عرفت بالإستقرار نوعاما، و هي جريدة هزلية، تصدر أسبوعيا بدمشق، و قد أجريت محاولات لتطويرها، و كانت تنشر الفكاهة و الانتقاد و الجد، أما أول صدور لها فكان عام 1911، و قبل هذه المحاولات عرفت سورية محاولة أخرى تعتبر شكلا جديدا في الصحف السورية، و هي جريدة "النفخة" التي كانت تصدر أسبوعيا في دمشق بتاريخ 1910 و توقفت لتعود مرة أخرى باسم "النفخة المصورة" و ذلك سنة 1911 و كان شعارها (إذا لم يسمعوا فانفخوا لهم و زمروا)، و قد اعتمدت كثيرا على الرسومات و الكاريكاتور، لذلك كانت تمثل شكلا جديدا في الصحف السورية. (1)

و بعد هذه التجربة المتميزة، عرفت سوريا صحفا أخرى مصورة و كاريكاتورية، أهمها "الحمارة" و هي جريدة هزلية سياسية أدبية فكاهية انتقادية مصورة - كما جاء في تعريفها- تصدر مرتين في الأسبوع، و صاحبها "تجيب جانا"، صدر العدد الأول منها عام 1919 بدمشق، و تقع في أربع صفحات من القطع المتوسطة، تنصدرها رفقة العنوان صورة حمارة، و كانت تتناول الأحداث الساخنة، الاجتماعية و السياسية، خاصة المظاهرات التي تندد بالانتداب الفرنسي، و تنادي برحيله، و اصطبغت في بداية طريقها بالجدية البحتة، كما عرف عنها أنها بدأت بالصدور في لبنان ثم انتقلت إلى سوريا، و ذلك ما بين عامي 1910-1913، و تحت أسماء مختلفة "الحمارة" ثم "حمارة بلدنا" و أخيرا "حمارة الجبل"، و من الصحف الساخرة السورية التي استمرت لفترة طويلة، نجد مجلة "المضحك المبكي" و هي و من خلال عنوانها ساخرة موجهة، و تسخر من كل ما و من ينال من حرية الشعب السوري، صاحبها "حبيب كحالة"، و قد اعتمدت هذه المجلة على الكاريكاتور كثيرا، صدر أول عدد منها عام 1929 و استمرت حتى عام 1966، و عانت خلال هذه الفترة كثيرا من الضايقات فتعطلت عدة مرات. (2)

لقد كانت مجلة "المضحك المبكي" جريئة في مواجهة السلطات سواء منها سلطات الاحتلال أم الحكومات بعد الاستقلال، كما تميزت بالتنوع في مواضيعها، و استعمالها للفصحى أو العامية، و كانت تقع في 16 إلى 32 صفحة من الحجم المتوسط، و قد تولى إدارتها بعد وفاة صاحبها نجله "سمير كحالة" عام 1965 و الذي كان رسامها الأساسي، كما أخذت لها إسما آخر في إحدى فترات تعطيلها و ذلك عام 1932 و هو "ماشي الحال" (3)

أما فلسطين فقد عرفت عددا قليلا من الصحف الساخرة، منها ما استمر لفترة لا بأس بها، و منها ما احتجب في عامه، و أول هذه الصحف صدورا، مجلة "النفانس" و هي مجلة أسبوعية فكاهية أدبية، صدرت في القدس عام 1908 لصاحبها و محررها "خليل بيدس"، و قد تحول إسمها إلى "النفانس

(1) حسين العودات وليبين الشكر، ص - ص : 34-62.

(2) المرجع نفسه، ص-ص : 39-59.

(3) المرجع نفسه، ص : 59.

العصرية" منذ عام 1909، و كانت تطبع في حيفا ثم انتقلت إلى القدس، و هي من المجلات التي استمرت لفترة لا بأس بها، حيث توقفت خلال الحرب العالمية الأولى، و عادت عام 1919 لتستمر حتى سنة 1924، كما أن طابعها الأدبي، البعيد قليلا عن السياسة كان أحد عوامل استمرارها لهذه الفترة. (1) و في فلسطين نفسها كان "نجيب جانا" صاحب "الحمار" السوري، تجربة صحافية أخرى، و هي جريدة "العصا لمن عصا"، و هي جريدة أسبوعية سياسية هزلية أدبية، صدرت في حيفا عام 1912، و كباقي الصحف الصادرة في البلاد العربية، اضطرت هذه الجريدة إلى التوقف أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم عادت إلى الساحة عام 1920 تحت إشراف "ابراهيم أدهم"، و استمرت حتى عام 1922، و عرفت الساحة الفلسطينية تجربة أخرى لم تدم طويلا و هي جريدة "جراب الكردي" التي صدرت عام 1920 في حيفا و احتجبت في العام نفسه. (2)

و الذي يمكن أن نخرج به من خلال هذا العرض، هو أن الصحافة الساخرة في الشرق الأوسط، لم تكن كثيرة، سواء في الفترة التركية أو الاستعمارية لأن لغتها لم تكن ترضي هذه الاطراف، بل كانت هدفا لتندرها و سخريتها، و قد سبق و أن أشرنا أنها كانت في معظمها تهتم بالقضايا الوطنية و تدافع عنها، أما في عهد الاستقلال فإن ندرتها تعود إلى طبيعة النظام العربي الذي تميز بالدكتاتورية المقنعة، و إلى صبيعة بعض البلدان الأخرى كفلسطين المحتلة و لبنان التي عاشت و لفترة طويلة حربا أهلية.

كما يمكن استخلاص أن هذه الصحف كانت في معظمها تأخذ عناوينا من صميم لغة المجتمع الصادرة فيه، و هذا يؤكد النظرة التي تذهب إلى أن الفكاهة عموما و السخرية خصوصا تصطبغ بصيغة المجتمع المشاعة فيه، «و لا يمكن لها أن تعبر حدود بلد ما ببراءة و دون تحوير» - (كما يقول كارل كروس Karl Kraus) *، كما كانت لغة هذه الجرائد - خاصة في البداية و نظرا لانتشار الأمية - معظمها عامية لأن أصحابها رأوا أن هذه اللغة أقرب و اسرع في إيصال المراد.

أما الصحافة الساخرة في المغرب العربي - فبالإضافة إلى ما ذكر عن الصحافة الساخرة في الجزائر - فقد كانت لبيبا، و رغم كونها من الدول النامية، من الدول التي تحتفظ برصيد و تقليد صحافي غني، و كانت من الدول الأولى التي عرفت الصحافة الساخرة، حيث ظهرت أول جريدة ساخرة بها، عام 1827 تحت إسم "المنقب" و إلى سنة 1960 ظهرت 69 جريدة و مجلة فكاهية، و تبعت هذه الجريدة جرائد أخرى مثل التي أصدرها الحاكم "علي رضا باشا" عام 1866 و عاشت 45 سنة، و كذلك الجريدة التي أسسها "الشيخ علي عياد" في جوان 1897 تحت اسم "الترقى"، تلتها أسبوعية

(1) حسين أنعودات، بسن الشكر، مرجع سابق، ص : 62.

(2) المرجع نفسه، ص : 51.

(*) هو أحد الكتاب النمساويين، (1874-1936) عرف بنقده اللاذع و الساخر للأوضاع الاجتماعية المرجع : Deux, Gerald Steig,

Oiseaux qui Souillent leur propre nid * Austriaca; Volume : 12; N°:22, France (1981) p : 69.

"العصر الجديد" عام 1908 التي أسسها (محمد البارودي)، وكانت تحمل شعار (من الشعب و إلى الشعب)، و قد استطاعت بعض هذه الجرائد و المجلات الاستمرار في الصدور لفترة طويلة، خاصة و أنها صدرت في فترة الاستعمار الإيطالي، حيث عرفت ليبيا اثناءها نظاما ليبراليا. (1)

ثم جاءت مرحلة ثانية، مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، و كانت البداية عبارة عن عمل يتحدث عن الكاريكاتور، من حيث ظهوره و تطوره، و هي مجلة "المرأة" التي تعرفنا بأهم الكاريكاتوريين الذين كان لهم اسهامات عدة في الكتابة الساخرة عبر الصحف الليبية، منهم (فواد الكبازي) الذي و بعد العدد الأول من "المرأة" أصبح رائد الفن الساخر، و كان يتميز بطريقة خاصة في الرسم الكاريكاتوري - و في مجال تصوير سلوك الأشخاص بالضبط - و كانت بداية أعماله حوالي 1946، كما اشتهر (محمد شريف الدين) الذي عمل كرسام كاريكاتوري أولا في جريدة "طرابلس الغرب" سنة 1943، ثم في مجلة "الليبي" منذ سنة 1953. (2)

و من أبرز الشخصيات الساخرة -كاريكاتوريا- في ليبيا "محمد الزواوي" الذي خاض في الميدان السياسي، و تناول قضايا متنوعة، مثل الثورة الجزائرية، و تفجير القنبلة النووية الفرنسية في صحراء الجزائر، و بعد هذه الفترة تناول موضوعات عدة اجتماعية و سياسية و حاول أن يختصر نقده للسياسات المتبعة في ليبيا، و اطماع الغرب فيها في رسومات كاريكاتورية -عرفت عبر كامل العالم، و كان يتناول موضوعاته بجرأة كبيرة.

و لعل التركيز على الكاريكاتوريين -في ليبيا- هو من باب الاشارة إلى غياب الصحافة الساخرة في ليبيا في فترة الاستقلال أو ندرتها، و أن الكتابة الساخرة كانت عبر هذه الرسوم، و هؤلاء الكاريكاتوريين الذين وجدوا أنفسهم -و تحت الضغط المتكرر - مضطرين إلى الهجرة لمواصلة أعمالهم، كما عرفت مرحلة هؤلاء بسيطرة الإلتزام الوطني. (3)

أما في تونس، فكانت أولى المحاولات في هذا المجال هي صحيفة "ترويح النفوس" التي ظهرت عام 1906، و اعتمدت خاصة على نشر النواذر و الفكاهة و المقالات الانتقادية باللغة العربية، و لم تستخدم هذه الصحيفة الكاريكاتور، ثم تبعتها صحيفة "أبو قشة" لصاحبها "محمد الهاشمي المكي" عام 1908، و تعتبر هذه الصحيفة النموذج الأول لصحيفة ساخرة تونسية، و قد استعملت العامية، لتصل إلى الشعب و توقظ فيه روح الجهاد ليقاوم الحماية الفرنسية، كما عرفت هذه الصحيفة استعمالا واسعا للكاريكاتور خاصة و أن صاحبها كان كاريكاتوريا مقننرا، و كانت معارضتها المكشوفة سببا في ايقافها بعد أن ضاقت بها الحكومة ذرعا. (4)

(1) Muhamed az-zwawi, Ein Libyscher Karikaturist. (Vorgestellt Von Faath/Mattes/al-Warfalli. édition Wuqūf. Scheessel, August 1984), P. 9-10.

(2) Ibid, P : 10.

(3) Ibid, P: 10.

(4) FETHI HOUIDI, RIDHA NAJAR : Presse, Radio, Télévision en Tunisie. (Maison tunisienne de l'édition. Janvier 1983), P: 35.

ثم جاءت صحيفة "النديم" التي رسمت خطا جديدا في تاريخ الصحافة الساخرة في تونس، و قد أسسها الشاعر "حسين الجزيري" سنة 1921، وهي صحيفة فكاهية أخلاقية انتقادية، و مما زاد في تميزها أن صاحبها، جمع إلى ملاحظته الدقيقة، و روحه الساخرة، و نكته التهكمية و منطقته الفكاهية، ممارسته لفنون الأدب العربي، و دراية واسعة فيها، و ذوقا متصرفا بالنقد من مواقع الكلام و مجاز البلاغة، و كانت الصحف الفكاهية التي صدرت قبل ذلك تكتب باللغة الدارجة و تستعمل الزجل الشعبي و النكتة العامية.. و بذلك، فقد أسس "حسين الجزيري" روح الأدب العربي لتناول الحياة الماثلة بالتهكم و النقد و أبداع في التلاعب بالألفاظ و التراكيب و الأبيات و الأمثال، و مزج روح النقد الجدي بالدعابة، و التكتيت، فجدد للنثر العربي حيويته و مرونته و سما بأدب الصحافة الفكاهية إلى فن النثر العربي الجيد، و كان من أهم أهداف الصحيفة : الإصلاح الديني و الاجتماعي بمحاربة البدع و الاخلاق الفاسدة و الدعوة إلى التمسك بالدين، كما كانت موجهة إلى خدمة المبدأ الوطني الدستوري، و استمرت هذه الصحيفة في الصدور إلى سنة 1940م. (1)

و صدرت في أواخر 1921 صحيفة "النمو" لصاحبها "انحاج عثمان العربي"، و قد تناولت القضايا الأخلاقية و الاجتماعية بالنقد اللاذع و الساخر، و قد نالت الصحيفة شهرة واسعة لدى الأوساط الشعبية، و ركزت على مواجهة المحرمات و البدع، و التجنيس، و كانت تساند الحزب الدستوري القديم، ثم تبعتها صحيفتا "السرور" و "الشباب" سنة 1936، و تناولتا قضايا إجتماعية و أخلاقية، و اختفت الصحافة الساخرة في تونس أثناء الثورة الوطنية سنة 1952، و كانت صحيفة "الفرنزوز" التي أصدرها "الهادي العبيدي" في أواخر 1955 أول صحيفة ساخرة في تونس المستقلة، و تبعتها صحيفة "الستار" التي اعتمدت أسلوب المساومة و التهجم المغرض على بعض الأشخاص و التعرض لأعراض الناس. (2)

و تأثرت الصحف الساخرة في تونس بنموذج "Le Canard Enchainé" الفرنسية فصدرت صحيفة "القنفوذ" في جويلية 1962، لصاحبها "الحبيب البرجي" و كانت تنشر الصور الكاريكاتورية، و الأشعار الشعبية، و لكن سرعان ما أخذت هذه الصحيفة تتعثر و تصدر دون انتظام إلى أن احتجبت نهائيا في شهر جويلية 1964.

و نشير أن ازدهار الصحافة الساخرة في تونس كان في فترة الاضطراب قبل الاستقلال بالضبط- حين صدر قانون يسمح بتطبيق النظام الليبرالي على الصحافة الكولونيالية الفرنسية فقط، و انتشر غليان النهضة، مع عصرنة التعليم التقليدي، بعدها كانت الصحافة الساخرة بين أخذ و رد إلى

(1) محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية و الفكرية في تونس، (الدار التونسية للنشر، 1972)، ص-ص: 155- 156 (دون طبعة).

(2) Fethi Houidi, Ridha Najjar, OP.Cit, P: 36.

أن توقفت عن الصدور، و لم تشهد الساحة التونسية صحيفة ساخرة أو هزلية أخرى إلا في عهد الانفتاح الديمقراطي الذي بدأ في 7 نوفمبر 1987، و بالضبط في بداية شهر جانفي من سنة 1995، حيث صدرت جريدة "الصريح" و هي كما تعرف به نفسها لا تدعي أي شيء، و إنما هي تعدكم بقليل من الهبة و قليل من الضحك.. و قليل من الكلام الذي لا يوجع الدماغ، و يؤذي القلب، و يتسبب في الحائرا و قرح المعدة، و هي كما يصفها رئيس تحريرها "صالح الحاجة" جريدة تسير في اتجاه الوطن، و الوطن يسير باتجاه الحب و الأمل و الخير و الهناء و الاستقرار(1)

و تضمنت "الصريح" في عدها الأول مواضيع اجتماعية و سياسية متنوعة، و قد دعمت بالصورة الكاريكاتورية الساخرة و المعبرة، و لم تقتصر على المواضيع المحلية بل تعدتها إلى العالمية كما تنوعت هذه الجريدة، لتضم بين صفحاتها أحداثا رياضية، كتب عنها بلغة بسيطة و منكثة، و تجاوزتها إلى أخبار الثقافة و الفن، و قد جاءت الصريح في 32 صفحة من الحجم الصغير (الطابلويد)، و في إخراج زاه و متميز جعل منها منبرا إعلاميا ساخرا، دعم الساحة الإعلامية التونسية.(2)

و في المغرب الأقصى، لم تشهد الساحة الإعلامية في فترة الحماية الفرنسية صدور صحف ساخرة معروفة، و يرجع ذلك، إلى ضيعة القوانين التي فرضتها فرنسا آنذاك، حيث أنها كسبت تجربة في مجال التضييق على الصحافة -الأهلية- بعد احتلالها للجزائر و تونس، فقد كانت مع المغرب الأقصى أكثر صرامة و خاصة مع الصحف العربية، و عند الاستقلال، لم يبلغ الملك المعارضة. و لا صحافتها، ولكن لم تعد تتمتع إلا بنوع من الحرية المراقبة، وبالتالي لم يكن من المسموح بإنشاء الصحف الانتقادية و منها الساخرة خاصة السياسية، و من هنا غابت الصحافة الساخرة عن الساحة الإعلامية في المغرب الأقصى بعد الاستقلال، و لم توجد إلا بعض المحاولات النادرة في هذا المجال و هي في عمومها ذات طابع اجتماعي.(3) هذا على الرغم من اعتماد المغرب على النظام البرلماني، و على الرغم أيضا من أن المغرب تعتبر البلد الوحيد في بلدان المغرب العربي الذي سمح بوجود المعارضة، و فتح الباب أمام منشورات الماركسيين.(4)

أما دول الخليج العربي -و التي كانت تحت الحماية البريطانية منذ أواخر القرن التاسع عشر- فإنها لم تعرف رواجاً للصحف إلا في الستينات، و لم تدم هذه الصحف طويلا، كما أن العمل الصحافي لم يكن إلا عملا ثانويا، أو وظيفة يفتات منها أصحابها، و منذ بدايتها فإن الصحافة في الخليج -في

(1) "الصريح تدش عهد الصحافة الساخرة بتونس"، جريدة السلام اليومية الجزائرية، العدد : 983، السبت 19 شعبان 1415 هـ / 21 جانفي 1995ء) (دون إمضاء).

(2) المرجع نفسه.

(3) Elias Hanna Elias, OP.Cit. P: 71.

(4) Ibid, P: 96.

عمومها- كانت دائما في خدمة السلطات الحاكمة، و الأخبار التي كانت تنشرها أو تعلق عليها، كانت هي الأخرى مشروطة باتباع السياسة الرسمية لكل بلد. (1)

و على هذا يمكن القول أن هذه البلدان لم تعرف الصحافة الساخرة بالصورة التي عرفت بها في بعض دول المشرق و المغرب العربي، خاصة إذا اعتبرناها ذات طابع انتقادي صريح سواء كانت سياسية أو اجتماعية، و قد شهدت بعض هذه الدول هجرة بعض الكاريكاتوريين العرب، الذين اضطروا إلى الهجرة من جراء الضغط الذي مورس عليهم، و بهجرتهم إلى هذه الدول لم يستمر الكثير منهم في أداء رسالته، و أصبح القصد الأول تحصيل المال و ضمان المنصب، و بالتالي لم يكن لهم أثر واضح في الصحافة الخليجية أو في محاولات انشاء صحف ساخرة.

و في ختام هذا المبحث، نستطيع أن نسجل أن الصحافة الساخرة عرفت تطورا ملحوظا، فبعد أن كان أسلوب السخرية، يطبع أعمالا منفردة، تمثلت في رسوم كاريكاتورية، أخذت هذه الأعمال تعرف طريقها إلى الصحافة، فكان الاقتران بالصحافة، الذي سمح لهذه الأعمال بسرعة الانتشار. كما سمحت هذه العمال بفضل أسلوبها أن تميز الصحف، و أصبح لهذه الصحف ضريقتها في معالجة الأوضاع، و كونت لها جمهورها الخاص.

المبحث الثاني : لغة الصحافة الساخرة و أهدافها.

المطلب الأول : لغة الصحافة الساخرة:

إذا كان التركيز في الثقافة و الأدب عموما على المرسل و حاجته إلى التعبير أو التفتيس أو البث المعرفي أو إظهار الإبداع في صورة تعبيرية متنوعة، فإن التركيز في المعادلة الاعلامية يكون حول الجمهور، إذ أن الاعلام هو بث مادة معينة للجمهور، و مقياس نجاحه هو الإستجابة على أوسع نطاق من قبل الطرف الآخر.

و من هنا تكون لغة الاعلام دائما محكومة بتصوير مدى استعداد الجمهور للإستجابة و مقدرته على الإستيعاب، و لذلك و مهما كان لدى المرسل من اختيارات لغوية و ثروة دلالية و رمزية، فإنه مضطر للتعرف و الانتقاء وفقا لصورة الجمهور المقصود بالمادة الاعلامية، و بما أن المقصود عادة هو اتساع قاعدة المتلقي، فإن اللغة تتحو منحى السهولة و البساطة و قرب المأخذ و البعد عن التعقير و الإغراء الظاهري، مما يفترض أنه يتناسب مع المدركات العامة للجمهور، و بالطبع لابد من رموز مؤثرة و مثيرة تماما كما هي في لغة الثقافة، لكن هذه الرموز تتحكم فيها قدرات الجمهور المتلقي و مستواه الثقافي و الإجتماعي و الاقتصادي⁽¹⁾، إذ أن المرسل يبعث برسالة محررة إلى "المستقبل" برموز متفق عليها، و يختارها بحيث يقلل من الغموض أو إلتباس الفهم، ذلك أن دوره -كما تحددده اللغة في مصطلح "التوصيل"- هو أن يتطلف حتى يصل إلى الجمهور.

و مع تعقد الحياة اليومية للفرد، و التطور الثقافي -و خاصة التكنولوجي- فإن مهمة الاعلام لم تعد محدودة في الصياغة الانشائية، بل تعدتها إلى جميع العناصر التي يشملها الاعلام، فعلى الرغم من أن فنون التحرير كانت متنوعة و اختلفت أساليبها منذ وقت بعيد*، فإن فن التحرير و الأساليب المستخدمة فيه تطورت تبعا لتطور حياة الإنسان فأصبحت العملية أشمل و أعم من ذي قبل، «و أدخلت وسائل الاعلام ألوانا جديدة من الأداء و الأساليب على التعبير اللغوي، لم تكن مألوفة من قبل، كما أصبحت هذه الوسائل تخضع في الأداء إلى تقنين عنمي يستعين بالمعرفة الجديدة في علوم الانسان و الاجتماع و علم النفس و التربية و السلوكيات و الدعاية و غير ذلك من مستحدثات المعرفة الإنسانية، و اصبح الأداء اللغوي دراسة علمية لا يستغني عنها أي مشتغل بالاعلام معلما أو كاتباً أو صحفياً أو مذياعاً أو ممثلاً أو داعياً أو معلناً، و يقوم هذا الأداء على إلمام واع بأساليب التعبير و صياغة الكلمات مما يؤدي إلى المعنى المقصود مباشرة.»⁽²⁾

(1) حسام الخطيب، "لغة الثقافة و لغة الإعلام"، مجلة الثقافة، الجزائر: العدد: 81، السنة 14 (شعبان/رمضان 1404هـ/مايو-يونيو 1984م) ص: 89..و ما بعدها.

* إذ يذكر أبو العباس القلقشندي في موسوعته "صبح الأعشى" أن هناك فنا شتى من التحرير الرسمي أو الديواني، كفن تحرير (الولايات) و تحرير (العهود و المباحث) و تحرير (الأمان) و تحرير (كس الأمان) و تحرير (عمود الصلح)..إلخ و هكذا إلى ما يقرب عشرين فناً (القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، ص: 8).

(2) حسين فوزي الحجار، مرجع سابق، ص-ص: 42-43.

و في هذا المجال يمكننا أن نميز بين ثلاثة أنواع أو مستويات من الأداء أو التحرير الإعلامي، يمثل كل منها نوعاً قائماً بذاته، وهي أنواع تقوم على أساس من تصنيف الاتصال وفقاً لأهدافه و وظائفه، و ما يحاول فعله للجمهور، و هذه الأنواع هي، التحرير الاتقاعي، التحرير التعبيري، و التحرير الإعلامي.

و قبل تفصيل هذه الأنواع، نقول أن «التحرير الإعلامي أسلوب من أساليب الاتصال بالجمهور، و هو يتوسل بعدة وسائل يصل من خلالها إلى الجمهور، و لكل وسيلة من هذه الوسائل خصائصها و مميزاتها، و التحرير الإعلامي بين التحرير التذوقي الجمالي المستعمل في الأدب و الفن، و التحرير العلمي و النظري التجريدي المستعمل في العلوم، و التحرير الاتقاعي المستعمل في الإعلان و الدعاية و العلاقات العامة، فهو بطبيعة الحال كما تشير الدلالة العربية، أوسطها و أطيبها، لأن التحرير الإعلامي يتوسل بما يسميه المحدثون : المستوى العلمي الاجتماعي العادي في التعبير، و هو اندي يستخدم في وسائل الاعلام» (1)

و نسجل هنا أن هذا التقسيم هو من قبيل، تسهيل الفهم، ذلك أن الكلمة المكتوبة و المنطوقة تمثل القاسم المشترك الأعظم بين أنواع التحرير ولذلك نجد - رغم التمييز بينها- أن هناك تداخلاً بين هذه الأنواع التحريرية و بعضها البعض، أي أن هذا التقسيم يقصد به - كما سبق ذكره- التسهيل و التأكيد على وظيفة كل فن من فنون التحرير.

و التحرير الإعلامي، يتصف بال موضوعية، و يبتعد تماماً عن الذاتية التي يتصف بها الأديب كما في النمط التعبيري مثلاً، فالأديب حر في إختيار ما يقول و القراء أحرار في قراءة ما يكتب الأديب، أما التحرير الإعلامي، فهو مقيد بمصلحة المجموع، و الصحافي المحرر يجب أن يكون حاضر البديهيّة، حاضر الجواب على كل ما يدعى لأن يكتب فيه، و هو في كل ذلك لا يختار - كما يفعل الأديب مثلاً- بل الحوادث هي التي تختار له كل يوم ألواناً جديدة، و تدعوه إلى أن يتجه إليها، و يجد بذلك نفسه خاضعاً للشرط الزمني، و مقيد بالرموز السهلة، و بالمتطلبات النفسية و المادية خلال وقت معين، لذلك فهو يبحث عن الرائج أكثر مما يبحث عن الأصيل، من أجل إقرار الواقع و رصده بصدق و أمانة، و من هنا فإن التحرير الإعلامي يعتبر موضوعياً، اخبارياً يبتعد عن التهاويل و المبالغات، و هو يميّز اللثام عن الحقائق كما هي*.

أما التحرير التعبيري - و كما سبقت الإشارة إليه- فإنه اختياري، تذوقي يهتم بالتعبير الجمالي، و تخير الألفاظ بحيث تحمل ما يجول في نفسه من مشاعر، و صاحبه يحاول دائماً أن يوفق بين الثابت

(1) عبد العزيز شرف، "ماهية التحرير الإعلامي"، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الثاني (جويلية، أوت 1980) مجلد 11، ص: 484.

(* هذا ما يجب أن يكون، لكن ما هو كائن، هو أن التحرير الإعلامي أصيب أيضاً بالذاتية، و أصبح كثيراً ما يجانب الموضوعية و هو ما بحث الكثير من المهتمين بالإعلام المكتوب خاصة إلى التركيز على مسألة : الموضوعية في التحرير الإعلامي.

و المتغير، و كما يحاول أن يقيم توازنا خلافا بين اللحظة و بين الدوام، و هو بذلك يضم الأدب، و الثقافة و الكتابة الذاتية إلخ..

و بين التحرير الاعلامي و التحرير التعبيري يقع التحرير الإقناعي، إذ يتوسل بأساليب النوعين السابقين، بهدف التأثير على الناس عن طريق النواحي العاطفية و الانفعالية لإقناعهم بوجهة نظر معينة أو برأي أو بفلسفة محددة، و يضم التحرير الإقناعي أنواعا شتى من الأنماط كالإعلان، و الخطب، و الدعوة المقصودة كالمقال الفتحاحي، و الرسوم الكاريكاتورية و الأعمدة و المقالات التفسيرية .

و نؤكد هنا على أن الفصل بين أهداف كل أنواع التحرير التي ذكرت، لا يمكن أن يتحقق عمليا، ذلك أن التحرير الاعلامي مثلا من حيث وظيفة الاعلامية لا يمكن أن يحقق أهدافه ما لم تصحبه بعض الجوانب الإقناعية، كما أن التحرير التعبيري عادة ما يحتاج إلى بعض جوانب المعرفة و الإقناع، و في كل هذه الأنواع يجب أن يتصف الأسلوب بصفتين مرغوب فيهما جدا و هما القوة و الوضوح.

و اللغة المستعملة في وسائل الإعلام، هي أيضا مرهونة بتحقيق الأهداف و الغايات من الإتصال، و هذه الأهداف ليست سهلة، لأن المجتمع الجديد لا يقع في مجال الرؤية المباشرة لأحد، كما أنه غير مفهوم على الدوام، و إذا فهمه فريق من الناس فإن فريقا آخر لا يفهمه، و من هنا فإنه يتطلب من الاعلامي -حتى ينجح في عمله- أن يتقن مهارة الإتصال من خلال نشر الأخبار و التعليق عليها و تفسيرها، و تبسيط المعلومات و تجسيدها، و تقديم صور العالم و أحداثه بشكل واضح و مجسد و درامي، و في أشكال خالية من التجريد أو الاكاديمية و التعقيد.

و الصحافة الساخرة -كغيرها من الأنواع الأخرى- تأخذ بكل هذه الأنماط و القواعد، و تزيد على غيرها، بتميزها بلغة خاصة تجعل منها فنا مميذا سواء من هذه الناحية أو من ناحية الإخراج أو غيرها مما يتعلق بالتحرير، فهي بذلك تتميز أولا بخصائص و وسائل الإعلام كلها فنجدها مثلا: - تضع في حساباتها أن الجمهور المستقبل يختار وسيلته، و يختار في الوسيلة نفسها ما يشاء من المضمون المتاح له، كما أنه يختار الوقت الذي يستخدم فيه تلك الوسائل.

- و تعتبر عملها عملا جماعيا و ليس عملا فرديا، فالصحيفة تحلل الرموز الواردة إليها عن الأخبار و التقارير، و تحدد صورتها، ثم تعيد صياغتها و تحدد مكانها في أعمدة الصحيفة بعد تحريرها، ثم تتولى طباعتها و توزيعها، و هي عملية تقوم بها جماعات العاملين في الصحيفة و ليس فردا واحدا.

- و تضع في الحسبان أيضا أن التحرير في وسائل الإعلام يشتق طابعه، من طابع الوسيلة و خصائصها و مميزاتها في ارسال الرسائل في وقت واحد، لجمهور ينعدم التفاعل المباشر أو رجع

الصدى بينه وبين وسيلة الاعلام، والمرسل الجيد هو الذي يحسن استغلال امكانات الوسيلة من أجل الوصول إلى الجمهور و يحقق بذلك أهم وظيفة للاعلام و هي تزويد الجمهور بالأخبار و المعلومات الصحيحة الدقيقة التي تيسر لهم فرصة تكوين رأي عام يعبر موضوعيا عن عقلية الجماهير و اتجاهاتها.

- و يعلم العاملين بالصحيفة، أن وسيلة الإعلام اليوم تستطيع الوصول إلى جماهير ضخمة، و منتشرة انتشارا عريضا، و من هنا وجب عليهم أن يستغلوا هذه الخاصية التي تمكنهم من التفرغ إلى تخير اللغة و الأداء الملائم.

- و أهم هذه الخصائص و التي تستفيد منها الصحافة الساخرة في تخير لغتها، هي امكانية تصور الجمهور و مستواه و قدراته... فوسائل الإعلام عموما و هي تسعى إلى اجتذاب أكبر عدد يمكن من الجمهور، تتوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من الناس، و نادرا ما تكون هذه النقطة هي أدنى المستويات بل ترتفع في كثير من أجهزة الاعلام إلى المستوى المتوسط.

و هنا يغدو التفكير الإعلامي طريقة تفكير و رؤية خاصة متميزة للحياة، فالإعلامي ينظر إلى جمهوره، و يقرر إذا ما كان قادرا على فهم ما يقول أو غير قادر على ذلك، و هو لذلك يضيف على عمله الفني أبعادا ما كان ليضيفها عليه لولا هذه النظرة العملية للجمهور.

و لما كانت وسائل الإعلام تخاطب مستقبلا افتراضيا، فإنها تفقد روح الألفة التي تسود عند الاتصال بشخص واحد، لذلك تسعى إلى اضافة إهتمام إنساني على أحداث العالم بطريقة تشير الجمهور، و تشد قواه و تملك مشاعره على أساس من الافتراضات اليومية الوثيرة.

- و من الخصائص المهمة أيضا - التي يجب أن تهتم بها الصحافة الساخرة- ذلك التفاعل الواضح بين وسائل الإعلام و المجتمع، فلا تؤثر وسائل الاعلام في النظام السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي فحسب، بل تتأثر هي أيضا بذلك النظام، و من هنا فإنه على العاملين في ميدان الإعلام أن يفهموا المجتمع لكي يفهموا وسائل الاعلام، كي تعمل عملا صحيحا و فعالا، و لكي يفهم المجتمع لابد من دراسة تركيبه، و أفكاره الكبرى، و معتقداته الرئيسية، و كل ذلك معناه، أن معرفة التاريخ و الاجتماع و الاقتصاد و الفلسفة، ضرورة لكي نفهم التحرير الإعلامي فهما حقيقيا. (1)

و على الرغم من التطورات الكثيرة و الكبيرة التي تعيشها وسائل الإعلام، و التي تعطيها صفة الآلية الذاتية، فإن العنصر البشري يبقى مهما و لا يمكن إلغاؤه، و ذلك أن القدرات التحريرية لا يمكن أن تستبدل بالحاسبات الالكترونية، كالقدرة على تحرير النص، و القدرة على تأليف العناوين... و التحرير الاعلامي في اعتماده على العنصر البشري، يتطلب رصيذا من الثقافة كبير، و يستخدم الذاكرة الإنسانية، و يتميز بالمبادأة، و تحويل النص المراد تحريره إلى نص ممتع، يثير الخيال و حب الإستطلاع، و فن التحرير يقتضى من المحررين القدرة على التصرف و الاختيار و التمييز و التعبير

الساحر والنزوع إلى التأكد من الحقائق، و كل ما يرتبط بهذه القدرات من صفات تميز هذا الفن الاعلامي. (1)

و الصحافة الساخرة - إلى كل هذا- تتميز بلغة خاصة، قد توجد في أنواع الصحافة الاخرى، لكنها ليست ضرورية، بينما هي في الصحافة الساخرة لا يمكن أن تخلو منها و إلا لما سميت بهذا الاسم و لما تميزت عن غيرها، و لعل أهم ما يسبغ هذه اللغة مايلي :

1- المفارقة :

و المفارقة هي أن يتوقع المتتبع لموضوع ما، شيئا معيناً، غير أنه يفاجأ بكلام لم يتوقعه، و يكون ذلك سبباً للضحك أو السخرية «إذ بحكم التوقع المنطقي للأحداث في ترتب بعضها على بعض، يتوقع القارئ شيئا معيناً أو نحواً معيناً من الكلام يتفق مع ما سبق و أن قرأه، و يترتب عليه أو يناسب الموقف الذي صدر فيه هذا الكلام، و إذا هو يفاجأ بما لا يتفق مع ما قبله أو ما لا يناسب الموقف..» (2) و المفارقة، قد تكون سمعية أو بصرية، و تسجل كتابة، و تدرك بملاحظة المتأمل و عدم الانسجام، فإذا انضاف إلى عنصر التنافر أو المفارقة عنصر المبالغة و التهويل لم يلبث أن يخرج بنا الموقف كله في عالم آخر عو عالم الاستحالة أو اللاواقعية، و بذلك تحتل المفارقات و بخاصة ذات الصلة الوثيقة بالاستحالة (مادية كانت أو معنوية) مكانة كبرى في عالم السخرية. (3)

2- التورية :

تلعب الألفاظ دوراً هاماً في ميدان الصحافة الساخرة، و تعتمد التورية كثيراً على هذا العنصر، غير أنه يمكن القول أن التورية ليست عملية آلية، تخضع فيها لمنطق اللغة فحسب، بل هي عملية ذهنية تتطوي على إيجاز و تكثيف (بالمعنى السيكلوجي) مما يوفر لنا قاعدة صلبة لروح السخرية. (4) و بما أن التورية أسلوبٌ تخفي، فإنها تعتمد أساساً على الإيجاز و الاختصار و للمح دون الاطالة و التفصيل و التلميح دون التصريح، و لو اعتمدت على غير هذه العناصر لفقدت السخرية روحها، و لكان أسلوب المكاشفة و التصريح سبباً في جلب المصاعب و المتاعب للصحيفة الساخرة. و الإيجاز - خاصة في اللغة العربية- أبرز ما يثير الوجدان، و يستحوذ على المشاعر، فيفضله نقل الألفاظ، و يتسع المعنى، و يعمق الإيحاء، و قد جعل العلماء من ذلك ما يشبه القاعدة البلاغية في قولهم: البلاغة الإيجاز، و يشير الجاحظ و هو أبو البلاغة في الأدب العربي، إلى قيمة الألفاظ في

(1) عبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص-ص: 515.

(2) عبد الخليم حفي، مرجع سابق، ص : 22.

(3) محمد رجب النجار، "الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك"، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع -1، (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر) 1986 مجلد : 14، ص : 196.

(4) المرجع نفسه، ص : 201.

حسن اختيارها بحيث يؤدي القليل منها كثير المعاني بقوله (كانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله)، يقصد بذلك البلاغة و الإيجاز»(1) و حتى في غير اللغة العربية، فإن الإيجاز، ضروري في هذا المجال، و نسجل هنا قول شكسبير إذ يقول: «الإيجاز هو روح الدعابة أو النكتة.. الإيجاز البليغ الذي يخفي وراءه نقدا لاذعا..»(2)

كما أنه و بفضل هذا العنصر الهام، أي سحر البلاغة و علو البيان و القدرة الفائقة على الإيجاز، و بالتالي التورية، يمكن للكاتب الساخرين الفكهين أن يسحقوا ما هو جدير بالزراية و الاستخفاف، و يضحكوا القراء، من أشياء كثيرة في أسلوب يثير الابتسام على الثغور و الفرحة في الصدور، فهم بذلك يُلطفون من أجل إيصال الحقيقة، و تمرير الفكرة، دون الخدش الذي قد تثيره المصارحة و التفصيل و التدقيق في النقد.

و التورية إلى جانب ذلك، تعتمد على التلاعب بالألفاظ، سواء بالحذف أو تبديل الكلمات، أو قصها، أو المقابلة فيها، و هي في كل ذلك ترمي إلى إيصال الحقيقة بالتلميح دون التصريح، و بالإشارة، دون التفصيل و الاجلاء الكلي، و يظهر هنا أهمية الدور الذي تقوم به الألفاظ كما سبق الإشارة إليه، إذ أن روح السخرية مقرونة بصياغتها، و حسن اختيارها، و إحاطة شاملة و عميقة باللغة حتى يتمكن الساخر من الإحاطة بالإيحاءات العميقة للألفاظ، و القدرة بعد ذلك على التلاعب بها دون الخلط فيها، و قد يؤدي هذا التلاعب بالألفاظ إلى الهدف المرجو بسرعة أكبر.

وإلى جانب هذه القدرة اللغوية التي يجب أن تتوفر للكاتب الساخر، فإنه يجب أن تتوفر لديه أيضا قدرة عقلية فذة، و ذكاء وقاد، إذ أننا «حين ننظر إلى الواقع، نجد أن السخرية ليست من البساطة و اليسر بحيث تتاح لكل أحد، بل و لا لعدد كبير في المجتمع الواحد، و المجتمع قد يمثل السخرية فيه شخص واحد، بل الأمة أو العصر قد يمثل سخريتهما شخص واحد و لذلك حين يعدون أفذاذ الساخرين في الغرب يكاد لا يبرز منهم إلا فولتير، و حين يدعون أفذاذ الساخرين في الشرق العربي يكاد لا يبرز إلا الجاحظ»(3) هذا طبعا فيما يخص السخرية في الأدب، أما في الكتابات الصحفية، فإن الأمر لا يكون بالدرجة نفسها، غير أنها أمور مطلوبة، و إلا لنتج عن عدم توفرها، صحف هزيلة، صحف تعتمد إلى الرمز فتبدو غامضة، و ألفاظها كالطلاسم، و تحاول التلاعب بالألفاظ سواء بالحذف، أو التدبير أو القص.. فتبدو باهتة دون معنى أو لا تصل إلى المعنى المراد، و من هنا يمكن الحكم أن هذه الصحيفة جيدة و الأخرى ليست كذلك.. و في الواقع أن الجانب العرفاني أو الإدراكي له دور هام في الغالبية العظمى من أنواع السخرية، و أنه لولا ما تتطوي عليه من منطق و ذكاء أو سرعة بديهة، أو حسن تخلص أو براعة في الرد لما كانت ماثرا للإعجاب و التفاعل على الإطلاق.

(1) عبد اخليل حمي، مرجع سابق، ص: 132.

(2) المرجع نفسه، ص: 154.

(3) المرجع نفسه، ص: 23.

و تستعمل التورية من أجل تدعيم اللغة الساخرة عنصرا مهما، و هو تعمّد الخلل في القياس المنطقي، و ذلك بالتحايل في مقدمات معينة للوصول إلى نتائج معينة مضحكة أو ساخرة لاذعة، سواء باستعمال التورية -كما أشرت إليه- أو عن طريق تزييفها و بوصلها بطريقة غير مستقيمة و لو استقامت المقدمات مع النتائج لما نشأت السخرية و الفكاهة. (1)

3- التصوير :

لقد أشرنا في مقدمة هذا المبحث، أن القوة و الوضوح عاملان أساسيان في نجاح الاسلوب لتحقيق مقاصده، و نسجل في هذا المقام- و كما هو معلوم عند علماء البلاغة و البيان- أن المعاني المجردة أضعف وسائل التعبير، لأنها تؤدي معاني مفردة أو عابرة لا تعلق بالنفس كثيرا، و لا تثير في الخيال حركة أو انفعالا.

«و علماء البلاغة يسمون المعاني المجردة أسلوب الحقيقة، و لا يكادون يدعون من أساليب البلاغة، بل يكادون يحصرون البلاغة في مرحلتين، مرحلة عليا وهي صوغ المعنى المجرد في صورة محسوسة، بحيث يوحى الكلام بأن المعنى المجرد هو هذه الصورة المحسوسة نفسها، و هذه المرحلة في عرفهم نوعان، الاستعارة و الكناية، و مرحلة دون هذه المرحلة العنينا، و أقل منها رتبة في البلاغة، و هي قرن المعنى المجرد بشيء آخر أكثر وضوحا في النفس، و هذه المرحلة في عرفهم تسمى التشبيه» (2)

و يؤكد الباقلاني الفرق بين المعنى المجرد و المعنى المصور، بقوله: «و إذا كان الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس، و كان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد، و أشد تحقيقا في الإيضاح عن الطلب، و أعجب في وضعه و أرشوق في تصرفه، و أبرع في نظمه، و كان أولى و أحق بأن يكون شريفا.. و قد أجمعوا على أن من أخذق المصورين من صور لك الباكي المتضاحك، و الباكي الحزين و الضاحك المتباكي، و الضاحك المستبشر..» (3) و يعني بذلك القدرة على تصوير المشاعر الانفعالات النفسية، و بالتالي القدرة على نقل هذه المشاعر و الأحاسيس إلى الغير و التأثير فيه، و هذه أهم غايات الاتصال.

و قد يقال أن السخرية بطبيعتها لا تكون إلا في صورة معينة محددة حتى تتحقق فيها السخرية، و الجواب عن ذلك أن هذا القول غير مسلم به، فموضوع السخرية -أي الشيء الذي وقعت عليه السخرية- هو الذي يصدق عليه هذا، لأنه لا تتصور السخرية إلا من شيء محدد معين، أما السخرية

(1) جمال الدين الرمادي مرجع سابق، ص: 6.

(2) عبد الحليم حفي، مرجع سابق، ص: 102.

(3) أبو بكر محمد بن الضب الباقلاني، اعجاز القرآن تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط: 1، (بيروت مؤسسة الكعب الثقافية، 1411 هـ -

نفسها فلا يلزم فيها أن تكون صورة محددة، بل قد يكفي أحيانا للسخرية مجرد لفت النظر إلى الشيء الذي نسخر منه، و لو بالإشارة أو الضحك أو لفظ عادي. (1)

و إذا لم تكن السخرية -بالضرورة في صورة معينة فإنها تكون كذلك في أغلب الأحيان، و حديثنا هنا يركز أساسا على الجانب الأدبي و إن كانت لغة الأدب الساخر تختلف عن لغة الصحافة الساخرة، فإن هذه الأخيرة أوج في أسلوبها إلى هذا العنصر، عنصر التصوير، ذلك أنها ليست ذاتية كما هو الحال بالنسبة إلى لغة الأدب، و إنما هي مطالبة بالتأثير في المستقبل و تنتظر منه رجوع الصدى، و من هنا فهي مطالبة بالبحث عن الأساليب الأكثر إثارة و تأثيرا في النفس.

هذا إذا أحد الأساليب العربية التي يمكن الكاتب من دقة التعبير، و التمكن من الإشارات الواضحة، و غير الصريحة، و الاحاطة بما يراعي من شمول للجوانب التي يهدف إلى تبليغها، و الصحافة الساخرة إذ تعتمد على أساليب التخفي، و الإشارة، و الإيجاز فإنها، لا تستغني عن أساليب التصوير، من كناية و استعارة و تشبيه حتى يتحقق فيها الوضوح و القوة، اللذان هما عنصران مهمان جدا في مخاطبة الجماهير و في اللغة المستعملة بصفة عامة.

و نشير هنا أنه و إن كانت العربية تتميز بضروب البلاغة و البيان عن غيرها من اللغات، فإن اللغات الأخرى لها أساليبها هي أيضا، مما يقابل الأساليب المستعملة في العربية أو على الأقل مما يعوضها، و مما يمكنها من هذه الوسيلة -الصحافة الساخرة-، و يظهر ذلك في رصيدها من الصحف الساخرة، و من أعلام السخرية.

4- الشعبية :

قد يظهر الجمع بين البلاغة و الشعبية، أمر لا يليق و غير ممكن إذ هل يعقل الجمع بين التعبير الفصيح البليغ، و بين أسلوب دارج عامي بسيط و بينهما الكثير من الفروق؟ و هنا نقول أن التعبير العامي أو الألفاظ الدارجة -و حتى لا نقع في الجمع بين متناقضين- يجب أن تصاغ في قالب مقبول، و حتى تكون بذلك ذات تأثير بالغ في النفس، ثم أن التعبير العامي مرتبط بالواقع الذي له سلطان على النفس حيث يشدها إليه بألفها له، و حيث يسيطر على مشاعرنا بقوة و وضوح فيها، و كل ما يتطلبه هذا الأسلوب لبلوغ مقصده، هو -كما سبق الإشارة إليه- حسن الصياغة، و تخير المناسبة .

و الجاحظ - وهو الذي أمسك بزمام البلاغة- كان من الأوائل الذين أحدثوا هذه اللغة، لغة الجماهير، و لغة العامة، ذلك أنه إهتم بحياة الناس، بجميع طبقاتها، و أنماط تفكيرها و اتجاهاتها.. و لعل الجاحظ هو أول كاتب عربي يتخذ هذا الموقف الجريء في الاهتمام بجميع طبقات الناس، دون الاقتصار في الكتابة على طبقة خاصة.. (2) و حدد خصائص لغة الاتصال بالجماهير- كما نطالعها من خلال كتاباته و آثاره -بعيدة عن الحوشية و التّعمر و الإيغال في الغلظة و الصعوبة، و يؤكد ذلك بقوله:

(1) عبد الحليم حمي، مرجع سابق، ص: 103.

(2) وديعة ضه نعم، "الجاحظ و الكتابة للعامة"، مجلة العربي : (شوال 1404هـ/ جويلية 1984م)، ص: 43.

خير المعاني ما لم يكن مستورا باللفظ المتعدد، مغرقا في الإكثار و التكلف، فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ و غموضه على السامع، بعد أن ينسق له القول، و ما زال المعنى محجوبا لم تكشف عنه العبارة فالمعنى بعد مقيم على استخفانه، و صارت العبارة لغوا، و ظرفا خالياً(1).

و الصحافة الساخرة، هي أكثر أنواع الصحف احتفالا بالألفاظ الدارجة، و التعبير العامة، و من ثمة -أيضا- استعمالها للأمثال الشعبية، و المعارضات كتقرير الشيء بصورة مضحكة، كأن يأتي ذلك في قصيدة، بسيطة المبنى، كلماتها بسيطة، و فيها ألفاظ دارجة تقرب بواسطتها الصورة أكثر و تجعلها أكثر واقعية، و لغتها لغة ميسرة واقعية، ثلاثم مستويات التعبير و مقتضياته، لغة غنية بمصطلحات العصر و مفاهيمه، لغة تخاطب العامة و الخاصة، و تعبر عن كل موضوعاته و مستحدثاته و افكاره و همومه.

على أن استعمال العامية أو الشعبية في هذا النوع من الصحافة، لا يعني الاستغناء عن اللغة العربية الفصحى، فهي لا يمكن أن تكون بديلة عن الفصحى، و إنما استعمالها يكون في المقام المناسب، و يكون أيضا مراعاة لتحقيق الغاية من الاتصال، و تحقق الاستيعاب من طرف أكبر عدد من الجمهور.

5- الكاريكاتور:

تحتل الصورة في الصحافة المعاصرة مكانا بارزا في بناء الصفحات و خاصة الصفحة الأولى، و تساعد إلى جانب العناصر الأخرى بشكل فعال في جعل الصفحات أكثر جاذبية، و لقد تطورت الصورة تبعا لتطور فن الطباعة و كان لاكتشاف تقنياتها أثر كبير على تطور الصحافة بصفة عامة، حتى أن الصحافة المكتوبة بفضل الصورة، تمكنت من دخول المنافسة مع وسائل الاعلام الأخرى.

و هناك أنواع عدة للصور، منها الصورة الفوتوغرافية و الأشكال المرسومة، و الخرائط و البيانات و الكاريكاتور و الكارتون، و لكل من هذه الأنواع، أهميته في الصحيفة، غير أن للكاريكاتور أهمية خاصة في الصحف العادية بله الصحف الساخرة.

و قبل التطرق إلى الكاريكاتور و وضعه بالنسبة للصحافة الساخرة، يجدر بنا أولا أن نعرفه، فقد جاء في قاموس المصطلحات الإعلامية،⁽²⁾ إن الكاريكاتور هو صورة هزلية، أو طريقة في الرسم، تبالغ على نحو ساخر في إظهار خصائص شخص (شيء) و نقائصه.. و كاريكاتور كلمة معربة من أصل إيطالي تطلق على صورة مرسومة لشخص أو مجموعة من الأشخاص لمشهد من المشاهد، بطريقة تشيخ السخرية و التهكم، و هو فن قديم، حيث وجدت رسوم هزلية من هذا النوع على الآثار المصرية و على أثار بومي بإيطاليا، استخدمت فيها الحيوانات، و يتميز هذا الفن أيضا بتجسيم العيوب و مسخ صورة الشخص أو الحدث موضوع السخرية و التعبير عن المتناقضات»(2)

(1) فاروق شوشة، "أحاط و لغة الجماهير"، مجلة العربي، ع:156، (رمضان 1391هـ/نوفمبر 1971)، ص: 161.

(2) محمد فريد محمود عرت . قاموس المصطلحات الإعلامية - إنجليزية عربي -، ص:1، (جدة: دار الشروق، 1404هـ - 1984م)، ص: 65.

و في تعريف آخر، يرجع أصله إلى الكلمة الإيطالية Caricare و التي تعني عبأ و حرض و بالغ، و بالتالي فإن الكاريكاتور فيه جانب من القبح، و هو بصفة عامة عدواني، و كثيرا ما يكون هابطا و بذينا. (1)

و يختلف الرسم الكاريكاتوري قديما عن الكاريكاتور الحديث، فبينما كان الرسامون القدماء يمعنون في اللذع و السخرية، و لم تكن رسوماتهم تحمل عنصر الفكاهة بل يركز أصحابها على التشويهات الجسدية، لم يعد الأنف الطويل و الإقنعة و أشكال الحيوانات كافية للضحك.

و قد تطور موضوع الكاريكاتور مع تطور الطباعة و وسائلها، فقبل إدخال الطباعة، كانت الرسوم عبارة عن رموز لمواضيع سطحية، و مع ظهور الطباعة أصبحت موضوعات الرسوم ذات بعد، و أصبحت تتناول النقد الحاد و السخرية، و بعد أن كان الخشب المنقوش و اللوحات الصغيرة هي السلاح الموجه ضد السلطة أو معها، تطور الأمر في القرن التاسع عشر و باستحداث طباعة الرسوم و النحت، أدخل الكاريكاتور إلى الجريدة، و بلغت الجرائد المرفوقة بالرسومات سنة 1830 درجة لا بأس بها من الشعبية و مع ذلك و جدت هناك عراقيل حالت دون بلوغ الأوج، و ذلك مثل رداءة الورق و بساطة الوسائل المستعملة.

و يمكن تقسيم التطورات التي حدثت في هذا المجال إلى ثلاثة مراحل و هي :

1- المحاكاة الساخرة : La Parodie

2- الكاريكاتور : La Caricature

3- الرسم الفكاهي : Le Dessin Humoristique

ففي العصور الوسطى لم يوجد إلا الرموز المضحكة و الهزل، الذي كان منبعه تصوير الأشخاص برؤس حيوانات، و لم يكن بذلك الرسم الكاريكاتوري ذا موضوع عميق و هادف، حيث كان يركز على الجانب الجسدي و العيوب الجسمية .. لكن و مع تطور هذا الفن، بدأ الكاريكاتور يحتل مكانته في الجريدة، و يصبح أحد العناصر المؤثرة و الفعالة في الصحافة المكتوبة، مما أدى بأحد المؤرخين لفن الكاريكاتور و أبرزهم في القرن التاسع عشر، و هو "سامبفلوري : Champfleury" إلى تسمية الكاريكاتور الصحفي ب "صيحة الشعوب"، باعتبار أنه يكشف عن المشاعر و الأحاسيس الحميمة للشعب (2)، كما قال عنه "احسان عبد القدوس" الكاتب المصري المعروف : «.. اعطني رسامين كاريكاتوريين و طابع، و أنا متأكد أنني سأنشئ مجلة على حسابي، و لن تكون هذه المجلة جيدة فقط بل أنا مؤمن أنها ستكون من أحسن المجلات، إن لم أقل أحسنها في البلاد...» (3)

(1) Michel Ragon OP.Cit, P:13.

(2) Ibid, P : 14.

(3) Aly Ashry and Richard Pennell, " Mosaic : A caricature of their Art " : The Middle East, England : (March, 1981), P:35.

و لقد استطاعت الصحف الساخرة التي تعتمد على الكاريكاتور - كأحد أهم عناصر تكوينها- أن تغير كثيرا من ملامح صحافة العصر الحديث، فأصبح «... الكاريكاتور حاليا عنصرا دائما في الصحف اليومية و السياسية، و المجلات الأدبية و الفكاهية و غيرها، لاعطاء محتوى اخبارى أو إعلامي معين، و يستخدم في الصراعات الفكرية، و في النقد، لامتياز به بلذاعته و يمكن بواسطته التعبير عن المواقف السياسية في النظم الديكتاتورية لصعوبة معاقبة القائمين به بسهولة» (1)

و لا يقتصر استعمال الكاريكاتور على الصحف الساخرة، بل يتعداه إلى الصحف الأخرى، التي أصبحت ترى فيه عنصرا نافذا في النقد، فأخذت تستعمله في تصوير مشاكل المجتمع، بطريقة طريفة و مشوقة، و سهلة التناول و هذا لما يحتويه الكاريكاتور من قدرات تعبيرية فائقة.

و تجدر الإشارة في الأخيرة، إلى أن الكاريكاتور تطور، و أخذ شكلا آخر، و هو ما يسمى بـ"الكارتون : Cartoon" الذي لا يصور الأشخاص لذواتهم بل للتعبير عن الحوادث و الأفكار و المواقف، كما يعتمد كثيرا على الرسوم و الشخصيات الرمزية، و هذا الشكل لا يقل أهمية عن الكاريكاتور، لأنه عرف طريقة أيضا إلى الصحافة و أخذ حيزا معترفا به.

6- و كما سبق الإشارة إليه، تعتمد الصحافة الساخرة على أساليب أخرى، تشترك فيها مع باقي

الصحف، مثل :

(أ) أسلوب المتابعة و التكرار : إذ يعتقد أن هذا الأسلوب يعتبر من أنجح الأساليب في تغيير الرأي العام و الاتجاه، لأنه يرسخ الحقائق أو الأمور التي يراد تبليغها.

(ب) أسلوب الصمت و التجاهل : و يعتمد هذا الأسلوب على عدم ذكر الخطأ و نسيته و عدم الرجوع إليه بتصحيحه لأن ذلك يزيد في إشاعة ذلك الخطأ.

(ج) أسلوب الإثارة و تحريك العواطف : يعتمد هذا الأسلوب على ملاحقة عواطف الناس و تتبعها، و يتطلب ذلك عدم السماح بوصول آراء مخالفة أو دعاية مضادة، و يزدهر هذا الأسلوب أثناء الأزمات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، إذ تعاني الجماهير من انعدام القدرة على استعمال العقل .

(د) أسلوب بيان الحقيقة و المصارحة : إذ الحقيقة أقوى و أبعد أثرا من الأكاذيب و الإشاعات و التهويل، و هو أسلوب ينبع من احترام حقوق الناس و غالبا ما يستعمل هذا الأسلوب في تعبئة الجماهير في مواجهة الأزمات التي تواجهها الحكومات لتستطيع التخلص منها و السيطرة عليها.

(هـ) الأسلوب المتكامل : يعتمد على الواقع و الخيال، و تجنب المبالغات و المراوغات و هو الأسلوب الذي يصنع نصب عينيه حاجات الشعب المتنوعة، و سلاحه في ذلك الكلمة الصادقة

و الفكرة الهادفة و الحجة السديدة، و هو أسلوب نفتقده اليوم، و الصحافة الساخرة الجادة لا تستغني عنه لبلوغ أهدافها و تحقيق مقصدها. (1)

و كل هذه الأساليب تتفاوت أهميتها و استعمالاتها في الصحافة الساخرة لتميز لغتها و خصوصية سريانها في الجمهور .

و أخيرا نقول أن الاهتمام بلغة الصحافة من الأهمية بمكان، ذلك «أن القائم بعملية الاتصال يقوم بتحويل الشحنات و الطاقات و الاحاسيس و المشاعر الكامنة في النفوس إلى كلمات (أي لغة أو رموز كالصورة أو الكاريكاتور ..) و تصاغ هذه الرموز عادة في سياق اجتماعي تاريخي حضاري، و مطلوب من المستقبل أن يقوم بفك هذه الرموز بناء و إلى حد كبير عل اللغة الموجهة إليه» (2)

« و لا شك أن الاتصال السليم القائم على الفهم المتبادل بين الأشخاص و الجماعات يستلزم الوعي بالمعاني المختلفة الكامنة وراء الكلمات و العبارات و توظيف الكلمة في خدمة السلوك الاتصالي» (3) و الصحافة الساخرة تملك من الأساليب المؤثرة ما يمكنها من تحقيق الهدف الأساسي من الاتصال بال جماهير .

القادر للعلوم الإسلامية

(1) يوسف محي الدين أبو هلاله، مرجع سابق، ص-ص: 25-26.

(2) عبد الرحمن عزوي، "في التوضيح و الصحافة و علم المعاني"، جوليات جامعة الجزائر، ع=5، (1990-1991)، ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 179 .

(3) طلعت منصور، "سيكولوجية الإتصال"، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع=2، (جوليتة أوت 1980) مجلد: 11، ص: 451.

المطلب الثاني : أهداف الصحافة الساخرة .

يعتبر الاتصال كأساس للعلاقات الاجتماعية بكل أنواعها، فهو بمثابة الإسمنت الذي يربط الناس مع بعضها في أنظمة اجتماعية، و الصحافة كأحد وسائل الاتصال الجماهيري لها أهداف تصبو إلى تحقيقها من خلال اتصالها بالجمهور و الدلالات الغالبة لهذه الأهداف دلالات اجتماعية، طبعا إلى جانب الدلالات التتموية و السياسية و غيرها.

أما الصحافة الساخرة، فباعتبارها تحتوي على الفكاهة بأنواعها و السخرية -خاصة- و هي ظواهر سيكولوجية فإن الأهداف ذات البعد الاجتماعي أو النفسي -اجتماعي، تظهر جلية على رأس الأهداف المرتجاة، و من المفترض أن تكون المرآة العاكسة لاتجاهات الشعب، و أحداثه اليومية، و مذهب و آرائه فيما يحدث و طنيا و عالميا، و أهم هذه الأهداف التي تشترك في بعضها مع الأنواع الأخرى من فنون الصحافة، و تتميز ببعضها الآخر -لتمييزها في الأسلوب- نسجل الأهداف التالية :

(1) النقد و الإصلاح و التغيير الاجتماعي :

قد يبدو للبعض شيء من البعد بين السخرية و الوظائف الاجتماعية الجادة، كالنقد و الإصلاح و التعبير، إلا أن علماء النفس و الاجتماع يقررون و لا يختلفون في أن السخرية من أقوى الأسنحة في التغيير الاجتماعي، و في زعزعة رواسب اجتماعية قد تنقل في محاربتها حتى القوانين أو مبادئ السلطة و العقاب، فهم يقرون -كما سبق الإشارة إليه- أن السخرية أقوى سلاح تهدد به الجماعة الخارجين على نظامها، و على تقاليدها، و تحاول بذلك المحافظة على كيانها.

«فالثابت أن النكتة -و قياسا عليها السخرية و التهكم و الاستهزاء- هي السيف المصلت الذي تسلطه الجماعة على رقاب الخارجين على معاييرها الجمعية، و كل من تحدثه نفسه بالخروج عن قوانين الجماعة و أساليب سلوكها، فإنه لابد أن يستهدف لسخريتها اللاذعة و ضحكها الموجه...» (1) و ليس أدل من أن السخرية أسلوب يمارس المجتمع به تأديب أفراده، من أن الجماعة واقفة بالمرصاد لكل من يستهين بتقاليدها أو يستخف بمعاييرها فهي ما تكاد تلمح سلوكه الغريب، حتى تصب على رأسه السخرية و النقد اللاذع و النكات صبا، فلا يلبث أن يجد نفسه مضطرا إلى أن يرتد من جديد إلى حضيرتها (2).

و بعبارة أخرى فإن الجماعة تحافظ على كيانها بواسطة السخرية، و تأثيرها يكون من جانبيين :

- من حيث أن السخرية توحد صف الجماعة و تجعلها في موقف مشترك إزاء هدف مشترك

توجه نحوه سخريتها.

(1) عبد الخليم حفي، مرجع سابق، ص: 161.

(2) محمد أبو حضور، النكتة الصهيونية، ص: 1، (بيروت، دمشق : دار الحكمة للطباعة و النشر 1990/1410م)، ص: 25.

- من حيث أنها تقاوم الأفراد الذين يريدون الخروج على قيم الجماعة.

و في الصحافة الساخرة، يكون هذا الهدف أو الدلالة الاجتماعية أنجح و أقوى، لأنها حين تحسن صياغة مضمونها، فإنها تستطيع أن تصنع رأيا عاما، يمكن أن تؤثر فيه و تقوم بذلك بدور الجماعة المقومة. التي تحرص على تماسك كيائها، و تنقد الظواهر غير اللائقة في المجتمع و تغير من سلوكاته الخاطئة، و تصلح من حاله بواسطة أسلوب السخرية الذي تتميز به.

و تستطيع الصحافة الساخرة، بواسطة أسلوبها المميز، أن تستغل هذا الأسلوب في تحقير العادات و التقاليد البالية و البدع و الخرافات، و كما يقرره علماء الاجتماع فإن للتقاليد و العادات سلطان على المجتمع، سلطان قد يفوق سلطان القانون، « بل و يذهب علماء الاجتماع إلى أبعد من ذلك في سيطرة العادات و التقاليد على المجتمعات فيرون أن التقليد (المحاكاة) هو القوة التي صاغت سلوك المجتمعات البدائية كله، فكان هذه المجتمعات لا شخصية لها و لا فكر، و إنما يحدد شخصيتها و فكرها و سلوكها طابع التقليد الذي يسيطر عليها، بل إن التقليد لا يقتصر سلطانه على المجتمعات البدائية وحدها، و إنما هو قوة مهيمنة أيضا على كل المجتمعات بصفة عامة، و أن كل مظاهر السلوك في أي مجتمع، و كذلك سائر مظاهر العادات يمكن إرجاعها إلى سيطرة التقليد في المجتمع، و يرون أن التقليد ليس إختيارا لدى الأفراد و المجتمعات، و إنما هو قوة اضطرارية تلزم المجتمع، بل قوة لا شعورية...» (1)

و أمام هذا التحكم، و هذه القوة في السيطرة، كيف يمكن للصحافة الساخرة أن تؤثر في مجتمع تسوده هذه العادات و التقاليد البالية، بل كيف يمكن أن ترزعزعها، خاصة إذا علمنا أن مجرد الدعوة في المجتمع إلى ترك هذه العادات و هذه التقاليد لا يلقى استجابة قط، مهما قامت على المنطق و على وضوح الحق فيها، و نحن نعلم أن تأثير هذه التقاليد و العادات تأثير تلقائي قسري و لا شعوري، لا يحتاج إلى منطق أو إعمال فكر، و من هنا فإن الوسيلة المحاربة لها، لا ينفعها المنطق و الفكر، إنما يجب أن تتميز بخصائص أخرى تمكنها من أداء هذا الدور و الوصول إلى هذا الهدف.

إنه و بفضل أسلوبها يمكن للصحافة الساخرة، أن تذهب بعيدا في محاربة التقاليد و العادات غير النافعة في المجتمع، ذلك «أن السخرية تصل إلى النفوس بطريقة غير عادية، لأنها تضع الفرد أمام عقبة أشد من العقبة التي يزاول العادات من أجلها، فمثلا حين توصم عادة من العادات بالسخرية من مزاولتها، فتصور في رسم كاريكاتوري لاذع، أو ينظم فيها قصيدة ضاحكة موجهة، أو تصاغ بأساليب ساخرة موجهة، فإن الفرد يجد نفسه حين يتعرض لمزاولة هذه العادة أمام مازقين متعارضين، عليه أن يتحاشما، أحدهما أنه يجد نفسه مضطرا لمزاولة هذه العادة خشية إنكار المجتمع عليه، و الآخر أنه لو زوال هذه العادة فسيعرض للسخرية التي وصمت بها أقسى و أشد من الأول، لأن السخرية تمس

شخصية الفرد مساسا مباشرا، حيث يشعر أنه سيصبح أضحوكة و موضعاً للتندر، مما يمس كيان الشخصية، و يزعزع فيها الثقة بالنفس، و يهز جوانب من أهم ما يحرص عليه الفرد، سواء في نظرته إلى نفسه أو نظرة المجتمع إليه برضى..» (1)

و على هذا، فإن السخرية في الصحافة الساخرة، تقوم بوظيفة النقد و الإصلاح بالنسبة إلى الجماعة ذاتها، لأنها بهذه السخرية من العادات و التقاليد البالية، إنما تعمل على خلق جو جديد في صميم هذه الجماعة، فهي إذا أسلوب ناجح لتحقيق ضرب من التغيير الاجتماعي.

و في مقابل هذا الهدم، هناك جوانب للبناء، ذلك أنه في اتجاه السخرية دائما إلى الأسلوب الهجومى على النواحي المرذولة، إعلاء لشأن نقائضها، و دعوة إلى اعتناق الفضائل التي تقابل الرذائل المهاجمة، فعندما تصور شخصيات بطريقة هزلية أو ساخرة،

كالخبيل، و المتكبر و المنافق، و المتشدد بالكلام، كل هذه التصويرات و إن كانت ممثلة في أشخاص غير أن المقصود بها هو المعنى الذي تحمله، و الأفعال التي يقوم بها هؤلاء الأشخاص، و حين يرتدع المتكبر و المنافق و المتشدد، فإنه سيحل محله هذه الصفات صفات فاضلة هي التواضع و الإخلاص، و القصد في الكلام..

و الصحافة الساخرة حين تتمكن من جمع جمهور لا بأس به من حولها، فإنها بذلك، تساهم في خلق ضرب من التماسك الاجتماعي، لأن الالتفاف حول موضوع واحد -أو بالتحديد حول هذا النوع من الصحافة- يدل على أن هناك مشاركة نفسية و استعداد موحد في استقبال هذه المادة الإعلامية بعينها، و هذا بدوره يدل على الاشتراك في عقلية واحدة و الانتماء إلى طبقة واحدة.

و الأمثلة في هذا الباب كثيرة، و تزخر بها الصحف الساخرة، فتحت عنوان "عشر تسمع" كتبت أحد الأعلام الساخرة في جريدة البستان* يقول: «يقولون أن المودة ترتقي إلى أن يصبح الرجل يلبس "الروبة" الفستان، و المرأة تلبس "البرنوس" و أن أول "البرنوس" هو ذلك المعطف الذي على كتف المرأة، و "الروبة" هو ذلك الكشيسير -و هو معطف طويل يلبس للعمل- و سيأتي زمن، كل واحد يكتب اسمه في شاشيته، و حرفته و مسكنه» (2)

و يظهر الغرض جليا من هذا النص، الذي يراد منه نقد بعض التصرفات في المجتمع، و محاولة الإصلاح... فالنص يرفض تشبه الرجال بالنساء، و تشبه النساء بالرجال بأسلوب ساخر هادف، خال من المبالغة، و يذهب إلى الهدف، بطريقة خالية من التعنيف و كثرة التوبيخ و نجد في مجلة أخرى، وهي مجلة "الصباح" المصرية التي كانت تصدر في بداية القرن العشرين، استنكارا

(1) عبد الخليل حفي، مرجع سابق، ص: 170.

(*) جريدة أسسها "أبو اليقظان"، وهي جريدة ساخرة.

(2) محمد ناصر، أبو اليقظان و جهاد الكلمة، ط: 2، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983)، ص: 243.

لبعض الافات الاجتماعية بأسلوب ساخر، يجعل من موضوع السخرية شاذًا، مهزوم النفس، مما قد يدفعه إلى الإصلاح من شأنه، فهي ترفض المخدرات و تصور مصير المدمنين، في شكل "رجل مسكين مهدم البنيان، محطم الكيان و هو يقول : شم الكوكابين خلاني مسكين جيبي منفض، لله... جعان عطشان، غلبان منحوس ملحوس، مفيش فلوس لله يا مسلمين؟..

كما صورت رجلا صفر اليدين مبهدل الملابس : و آخر يجلس على مقعد و هو حسير الرأس كسير النفس، و ثالثا تقوس ظهره، و وضع يده عليه، و أمسك عصاه بالأخرى و أخذ يدب على الأرض في صعوبة، إشارة إلى تأثير المخدرات.

و نصحت المجلة نفسها، قراءها في باب "أوع يقولها" أوع اللف أوع آخر مودة، أوع الموظفين يوم 31 من الشهر، أوع "توت حاوي" و هي في هذه النصائح تدعو إلى الإستقامة و عدم الخروج على اللياقة و الأدب، أو انسياق في تيار المدنية الحديثة و مجارة الأزياء الخليفة.

كما نصحت قراءها بطريقة مباشرة بالإبتعاد عن الاستدانة، فالدين سهر بالليل، و ذل بالنهار.. و دعت إلى إجتناّب الحواة الذين يتجمع حولهم عدد غير من الناس، فتنشر الموبقات، و يكثر النشل و الفساد.. (1) و هي بهذا كله تتابع رسالتها الاجتماعية، بنبذ الرذائل و العودة إلى الفضائل و بنقد العادات المستوردة و العادات البالية، و بأسلوب فكه، ساخر، يسرى سريانا سهلا من اجل الاصلاح و التغيير الاجتماعيين.

(2) محاولة التخفيف من آلام الشعوب و متاعبها :

و هو أحد الأهداف الأساسية للصحافة الساخرة، التي و بسخريتها و نكتتها، تحاول أن تخفف الألم الذي يتعرض له الناس في حياتهم المليئة بالآلام، من باب التعويض النفسي أو نشدان الشيء المفقود، ثم أن الفكاهة بأنواعها - و من بينها السخرية- إن هي إلا ظواهر نفسية من فصيلة واحدة، و كلها إنما تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة التي سرعان ما تمل حياة الجد و الصرامة و العبوس، فتلمس في الفكاهة، ترويحًا عن نفسها و تبحث فيها عن منفذ للتفيس عن آلامها و تسعى عن طريقها نحو التهرب من الواقع الذي كثيرا ما يتقل كاهلها.

و يرى أحد علماء النفس، أن إنكار الواقع بهذا الأسلوب -الأسلوب الساخر- سمو أخلاقي، يقوم فيه (الأنا الأعلى) بدور التخفيف عن (الأنا) * حتى لا يحس بالألم إحساسا غير عادي، و«مهما يكن فإن

(1) همان الدين الرمادي، مرجع سابق ص-ص: 57-58.

(*) "الأنا الأعلى" و "الأنا" تعبران نفسيان، يقصد بهما : "الأنا": هي ذلك الجزء من الشخصية المنوط به حل المشكلات و الذي يعمل وفق مبدأ الواقع، و ينشد "الأنا" اللذة و يتجنب الألم، أما "الأنا الأعلى" و هو أحد المكونات الشخصية، و هو يذكر الفرد بأساليب السلوك المثالية و أسباب السلوك غير المقبولة كلية، و يحتل الضمير مكان داخل "الأنا الأعلى" أنظر : أرنوف.ف. و يتج، مقدمة في علم النفس، سلسلة ملخصات شوم، ترجمة: عادل عز الدين الأشول و آخرون، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1994)، ص: 256.

الضحك - الذي هو نتيجة للسخرية- علاج ضد الإنفعالات و التأثيرات الوجدانية، التي تتعرض لها، أو تتعرض لنا -على الأصح- في بعض المواقف و المشاهد مثل ما يحدث لنا عندما نصاب بخيبة أمل، أو نفشل في مشروع أو نسقط في الطريق العام، أو تنصب علينا المشاكل و الهموم دفعة واحدة، في كل هذه المواقف نضحك عفواً لتغطي ألامنا عن الآخرين»(1).

فهذا التخفيف في الألم، لا يجب أن يذهب بعيداً فيطبع حياة الجمهور بالعبث، إنما هو من باب التفتيس، و الفرج، و الملاذ الذي يلجأ إليه البعض، كلما ذاقته بهم الدنيا، و كثرت المشاكل و المصاعب، أو طال عيشه في ظل الإستبداد، فإنه لا ملاذ من اللجوء إلى هذه الأنواع من الفكاهة حتى لا يموت المرء غماً أو تستهلكه المشاكل، فيفشل و يفقد الأمل، و قد عبر عن هذا الهدف أحدهم بقوله : «الفكاهة هي التي تبعث على الضحك، و أجملها ما يستدر دموعاً من العين و يرسم بسمة على الشفاه..» و هذا معناه أن هدف السخرية في التخفيف من الآلام، لا يجب أن ينسى الفرد حاله فيركن إلى الضحك و لا يهجم إلى معالجة مشاكله.

و يعين أسلوب الفكاهة -و السخرية أحد أنواعها- على طول الصبر و الجلد، و يجعل الحياة ممكنة - و لا نقول سهلة - فالشعوب التي تزرع تحت نير الاستعمار، و تستعاني الاستبداد طويلاً، و تعيش الازمات الخائفة، اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، لا بد لها من متنفس تفرغ من خلاله، شحنات الغضب، و اللارضي، و القنوط، و تعتبر الصحافة الساخرة بما تحمله من أساليب فكاهة متنوعة، خير متنفس، خاصة حين تشعر بمعاناة جمهورها، و تشاركه همومه، فتبحث عن وسائل تخفف بها عنه، و تجعل من الفكاهة عموماً و السخرية على الخصوص، «راحة للنفوس إذ تعبت و كلت، و نشاطاً للخواطر إذ سنمت و ملت، لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال ، و الاشتغال بالهموم و المصاعب- بل ترتاح إلى تنقل الأحوال، فإذا عوهدت بالنوادير في بعض الأحيان و لوطفت بالفكاهة في أحد الأزمان عادت إلى العمل الجد بنشطة جديدة، و راحة في طلب العلوم مديدة»(2).

و ليس عبثاً، أن نجد رائد الصحافة العربية في الجزائر "أبو اليقظان" يلجأ إلى إنشاء صحيفة ناقدة فكاهية ساخرة -و هو الذي اعتاد قلمه الجد، و الصراحة و الصرامة في الطرح- و يجعل من دوافع ذلك و أهدافه، التخفيف من وطأة الأزمة التي كان يعيشها الشعب آنذاك، مقررًا ذلك بقوله : «...و حيث أن حريق الأزمة الاقتصادية و حماها، أسال من النفوس و أذاب من الأمخاخ، و صدع من الرؤوس، ما ترك الناس و هم إلى أنواع المسليات أحوج، من ضروري الاقوات في سائر الازمان والأوقات.. و حيث أن هذه الأزمة غيرت الطبائع و أفسدت النفوس.. رأينا من الواجب أن ننشئ جريدة خفيفة الروح، ترفه عنهم و تسليهم، و تتعش روح الفضيلة، و تخمد روح الرذيلة...»(3) و أسمى هذه

(1) محمد الأخضر السامحي، ألوان بلا تلوين ط: 6، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع)، ص: 4 (يون سنة).

(2) جمال الدين الرمادي، مرجع سابق، ص: 04.

(3) محمد ناصر، مرجع سابق، ص-ص: 247-248.

الجريدة "بالبستان"، إشعارا إلى أن القارئ سيستريح فعلا و هو يتجول بين طيات "البستان".
و ليس غريبا أيضا، أن نجد صحافة الفكاهة في مصر، تزدهر و تنتشر، في وقت تقلت فيه معاناة الشعب من الإستبداد الذي عاش تحت وطأته طويلا، استبداد المستعمر الإنجليزي، و استبداد حكامه، فكانت الصحف الساخرة تخفف عن الشعب هذه الأثقال و تعينه على الصبر على الشدائد، كما كانت تجعله يضحك من مشاكله، فيتغلب عليها و يجعل من تلك الفكاهة سيطا ضد الظلم سواء كان من طرف المستعمر أو الحاكم، فكان أصحاب الصحف الفكاهية، يسخرون من الانجليز و يتكلمون منهم، بأوصاف شتى بالرسومات العديدة، و حتى الحكام آنذاك كالخديوي و غيرهم ممن كانوا مادة لتهمك و سخرية هذه الصحف، مما كان يبعث في نفوس الشعب المقهور راحة، و تخفيفا لوقع الظلم عليه، خاصة حين يرون ظالمهم محل ضحك و سخرية.

و ليس من باب الصدفة أن تظهر -مثلا- "الصح-أفة" و "المنشار" و غيرها من الصحف الساخرة في الجزائر، و في ذلك الوقت بالذات، الذي اشتدت فيه الأزمة على جميع الأصعدة، السياسي، و الاجتماعي و الاقتصادي، في ذلك الوقت الذي ذاقت فيه الدنيا على أهلها، فأصبحوا بحاجة ماسة إلى متنفس، و مخفف لمشاكلهم حتى يكون ذلك سببا لاقتحامهم لها بنفوس منسرحة، غير منقبضة، و يعود إليهم الأمل في الحياة الكريمة.

(3) تقوية الجانب النفسي عند الساخر و إضعافه لدى موضوع السخرية :

يعتبر المحللون النفسيون "السخرية" أسلوبا عدائيا، مهما كانت دوافعها، و مهما كان مقامها، و مهما صغرت درجتها أو كبرت، و يتميز هذا الأسلوب عن غيره من أساليب العداة بأنه مصوغ في أسلوب فكاهي مضحك.

على أن هذا الاستنتاج عام، ذلك أن علماء النفس لم يفرّدوا "السخرية" بحديث خاص إنما يتحدثون عنها في سياق عام، كجزء من ظاهرة عامة في الطبيعة البشرية، فهم يحملون أنواعا عدة و يجعلونها ظاهرة واحدة، و يجعلون الضحك عنوانا لها، لأن الضحك هو النتيجة المباشرة لكل هذه الأنواع و هو جزء أساسي من هدف كل هذه الأنواع.

و في تحليل ظاهرة الضحك، ذهب علماء النفس مذاهب شتى، فقال بعضهم* أن الضحك نوعان : ضحك إيجابي، و هو الضحك الحقيقي و الصحي و المنعش، و ينبعث هذا النوع من شعور المرء بتفوقه على خصمه، و الضحك السلبي، ضحك حزين، متجهم، غليظ القلب، و هذا الضحك يتولد عن شعور المرء بنقص الآخر أو ضعفه أو وضاعته، أي ضحك الاحتقار أو الازدراء أو الانتقام أو التشفي، و هذا المعنى هو الذي يقابل السخرية.

(*) محمد أبو حضور، مرجع سابق، ص : 20، نقل عن:

و من هنا نؤكد أن السخرية، تصدر من الذي يشعر بالتفوق و الاستعلاء و العزة، و لا يكفي أن يكون الساخر قويا بالمقارنة مع الموضوع محل السخرية، إنما لابد من أن يشعر بوضاعة هذا الذي توجه إليه السخرية، وأن شوكته تحطمت و أنه لم يعد الخصم الذي يخشاه، حتى يستطيع السخرية منه و يصيغها صياغة قوية واضحة.

هذا فيما يخص سخرية القوي من الضعيف فماذا عن سخرية الضعيف من القوي؟ كأن يسخر مرووس من رئيسه أو عاملين من زعيمهم مع أن الرئيس يرمز للقوة و السيطرة بحكم مركزه، و تفسر هذه الظاهرة، على أن هؤلاء الضعفاء لابد و أنهم شعروا بفشل رئيسهم، أو عدم صلاحيته لمركزه فيتحول شعورهم نحوه إلى نوع من الاحتقار و الازدراء يسمح لهم التهكم به و السخرية منه، و تكون سخريتهم حينئذ، تعبيراً عن رغبتهم في تحقير هذا الرئيس و إبعاده و إعلان نزوله الشديد عن مستوى الكفاءة و الصلاحية لمنصبه.(1)

و قياساً على ما سبق ذكره، فإن الصحافة الساخرة، بما تحمله من تهكم و نقد، تعتبر طرفاً في المواجهة بينها و بين موضوعات النقد و التهكم، و هي في هذه المواجهة تحتاج إلى الروح المعنوية و الثقة بالنفس، و إيمان الطرف المواجه بنفسه و موقفه و موقف الجهة التي يدعمها، و هنا تبرز "السخرية" كسلاح قوي، لأنها تنتزع الثقة انتزاعاً، ذلك أن السخرية إذا صبت على طرف معين فإنها تبعث في من وقعت عليه السخرية تشكيكاً و ارتباكاً و لو كان ذلك خفياً، و هكذا فإن السخرية في الصحافة المكتوبة تؤدي دورين هاميين، أحدهما تقوية الروح المعنوية في صف الساخرين و ثانيهما إضعاف جانب الذين وقعت عليهم السخرية.

و كما تؤكد السخرية الثقة في النفس، فإنها تعيد هذه الثقة في النفس، و تقوي الروح المعنوية لدى الساخر و الجهة التي يدعمها، و الصحافة الساخرة باعتبارها وسيلة جماهيرية، تهدف إلى أن تكون وسيلة دفاع ذاتي لدى المستضعفين الذين يكسبون قوة فعالة، بسخريتهم من ظالمهم، إذ أن قدرتهم على السخرية ممن هم أقوى منهم، دليل على أن فيهم قوة و ثباتاً و حيوية و قدرة على مواجهة خصمهم، و هذا ما يؤكد الباحثون* : بأن الكلمة اجتمعت على أن الحس الفكاهي بالإضافة إلى دلالاته العقلية، يدل على أن صاحبه يشعر بأن له كيانه و شخصيته أي أنه سمة هامة من سمات الشخصية.

و إذا كانت الصحافة الساخرة، بأسلوبها المتميز، تقوي الجانب النفسي لدى الساخر و تضعفه لدى موضوع السخرية في الحالات العادية، فإن هذا الأسلوب، ذو أهمية كبيرة في الحروب العسكرية،

(1) عبد الحليم حفي، مرجع سابق، ص: 25.

(*) هذا ما ذهب إليه "ايرنك : H.J Eysenck" في كتابه : "أبعاد الشخصية، Dimension of Personality"، و كنا : برت : C.Burt في بحثه: "سكولوجية الضحك" : The Psychology of Laughter"، و أيضاً ما ذهب إليه فرويد في بحثه (راجع النكتة الصهيونية : عمد أبو حضور، مرجع سابق، ص: 19).

لأن الحرب النفسية تعتبر الوجه الآخر للحرب العسكرية، ذلك أن هذه الأخيرة تحتاج إلى قوة الروح المعنوية و الثقة بالنفس و إيمان المحارب بنفسه و موقفه، و هنا نسجل ما ذهب إليه العلماء في دراستهم للفكاهة و -السخرية أحد وجوهها- في تأكيدهم على هذا الجانب، إذ أظهر بعضهم أن الفكاهة نفسها ومظهر من مظاهر العدوان، و أنها تمد أهلها بإحدى الوسائل الفنية البارعة في محاربة العدو. (1)

على أن السخرية في الحرب، قلما تميل إلى تصوير العدو بصورة الخصم الضعيف الذي لا حول و لا قوة له، خشية أن تسري بين الافراد روح الاستهتار فتضعف المقاومة، و إنما يصور الخصم، بصور تبعث في المحارب الثقة في النفس، و إمكانية انهزام عدوه و ذلك بعدم المبالغة في السخرية من الخصم.

و لابس هنا أن نسجل بعض الأمثلة التي تؤيد ما ذهبنا إليه و توضحه أكثر، فإثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر، و قبل اندلاع ثورة نوفمبر التحريرية، جاء في صحيفة "البستان" الساخرة لأبي اليقظان، تصويرا ساخرا للحكومة الفرنسية و ما تقوم به اتجاه الجزائريين مما يدفع على المقاومة و المواجهة، إذ يقول النص الذي كان ممضيا باسم "مغل" «عجبني من الحكومة أن تصعي لأئين و آم رعاياها، و تعطف على أمانيتها و رغائبها إذ بذلك تتوفر الثقة بين الجانبين، و في ذلك راحة للجميع، و بدونه تسود الفوضى، و القلاقل، و الاضطراب، إلى أن يذوب أحد الجانبين أو كلاهما؟! و من المسلم أن لا حكومة بدون رعية، و لا رعية بدون حكومة...» (2)

ولابس أن نضيف مثالا آخر من الصحافة المصرية أثناء الانتداب البريطاني، إذ أن معظم الصحف الساخرة آنذاك، كانت تتهم من الإنجليز تهكما لاذعا، و تسخر من الشخصيات الانجليزية إما سخرية مما يبعث في المصريين الثقة في النفس و يحط من شأن العدو، فقد جاء في مجلة "الناس" التي كان يرأس تحريرها "حسين شفيق المصري" * تهكما لاذعا من الانجليز، و "اللورد جورج لويد" المندوب السياسي البريطاني في ذلك الوقت، و صدرت سخريتها بخبر أذاعته شركة رويتر التليغرافية، و نشرته في العدد الصادر في 12 فبراير عام 1926:

«قضى اللورد ليلة حسنة، و قد زالت الحمى، و لكنه لا يزال ملازما فراشه» فقالت الناس معلقة على هذا الخبر «على الله الشفاء».

و مضت متهكمة إلى أبعد حدود التهكم، فتقول: «تحسنت صحة اللورد لويد و لكنه لا يزال يشعر بألم في الأونطة اليمنى»

و نصح الطبيب اللورد أن يحقن نفسه بمصل ضد الأحزاب المؤتلفة،

(1) عبد الخليم حفي مرجع سابق، ص : 29.

(2) محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 245.

(* حسين شفيق المصري، هو من أبرع الكتاب في الصحافة الساخرة و صحافة الفكاهة حيث ترأس تحرير عدة مجلات فكاهية مثل "الفكاهة" و"الناس" بالإشتراك مع غيره، و "الكشكول" بالإشتراك مع غيره أيضا... كما كان يولف للمسرح و كانت تروى عنه نوادر أو ضرائف كثيرة (توفي) في 30 سبتمبر 1948).

و سأل أحد المصريين طبيب اللورد لويد «معدته يتهضم ايه دلوقت؟» فقال الطبيب: يتهضم حقوقكم.

و شكوا اللورد "لويد" من البرد، فنصح له الطبيب أن يلف على وسطه النيل الأزرق! ومضت هذه المجلة تسخر من المندوب السامي البريطاني و تحط من شأنه و تصغره في أعين المصريين، مما كان يعينهم على المواجهة و رفض العدو.

هذه إذا أهم ما تهدف الصحافة الساخرة إلى تحقيقه، أو على الأقل هذه أهم الأهداف التي تميز هذا النوع من الصحافة، و لا يقتصر الأمر على هذه الأهداف إنما هناك أهداف مشتركة مع الأنواع الأخرى للصحافة، فالصحافة الساخرة، تهدف أيضا إلى تكوين رأي عام قوي إتجاه القضايا الكبرى في بلد ما، و لا يمكن للصحافة الساخرة أن تحرك الرأي العام أو تكونه أو تؤثر فيه ما لم تكن إهتماماتها هادفة و جادة رغم أسلوبها الساخر... و كثيرا ما نجد هذا النوع من الصحافة، يحقق السخط العام، و ليس الرأي العام، لأنه إذا لم ينضبط بالضوابط القيمة و الموضوعية فإنها عموما تصل إلى الجماهير بمجرد الأثارة و الانفعال، خاصة و أن لغتها ذات صلة وطيبة بالجانب "السيكوسوسيولوجي" أي الجانب النفسي و الاجتماعي للفرد، و من هنا يسهل تحريكها نحو هذا الاتجاه.

كما يمكن للصحافة الساخرة أن تكون أداة مميزة للمعارضة السياسية في بلد ما نظرا لما تتميز به من وضوح في النقد، و قوة في المواجهة، و حدة في الرد و بهذا يمكن القول أن من بين ما تهدف إليه الصحافة الساخرة تأييد المعارضة و إدامها بوسيلة ناجعة في مواجهة السلطة أو أي طرف يحول دون حركتها.

هذا و لا يمكن للصحافة الساخرة أن تحقق هذه الأهداف إذا حصرت سخريتها في العيوب الجسمية أو النقائص الشكلية أو مالت إلى الاقذاع و البذاءة باسم السخرية و التهكم، أي أن الصحافة الساخرة يجب أن تنتقل من السخرية البدائية (المادية و الشكلية) إلى السخرية الحضارية المتطورة لابد أن تخفي وراء مظهرها البسيط غرضا أو أغراضا تهدف إلى نواح معينة تنحصر في الإصلاح و محاربة الرذيلة و التفاهة، و الدعوة إلى المثل العليا و المبادئ القويمة و السلوك الصحيح، و بهذا أيضا تكون الصحافة الساخرة قد سمت عن اتخاذ السخرية مجرد سلاح للتحطيم و الهدم.(1)

كما لا يمكن للصحافة الساخرة أن تحقق أهدافها ما لم تع مقومات الاتصال الفعال، و أن الاتصال عملية تفاعلية ترتكز على مقومات نفسية بالدرجة الأولى، و هذا النوع من الصحافة لا تعوزه هذه الخاصية النفسية إنما هي من أهم ما يميزها، «كما أن التفاعل الاتصالي الناجح يتوقف بدرجة كبيرة على الحد الذي يكون عنده الأطراف المشتركون في العملية الاتصالية على وعي بحاجات المستقبل خاصة، و بمشاعره و اتجاهاته، و قيمه»(2)

(1) عبد الخليم حفيظ، مرجع سابق، ص : 26.

(2) طلعت منصور، مرجع سابق، ص: 137.

المبحث الثالث : الصحافة الساخرة و السياسية

إن الحديث عن العلاقة بين الصحافة و السياسة، حديث له جذور و ليس بالأمر الجديد، هذه العلاقة كانت المنطلق الأساسي في بحث و تحديد نظم و مذاهب وسائل الاتصال...فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية تقريباً، كان هناك اهتمام متزايد في الدوائر الصحفية، بتحليل أنظمة و وسائل الاتصال في جميع أنحاء العالم مع الاهتمام بالمعايير التي يمكن بفضلها التفريق بين هذه الأنظمة و شرحها.

و قد انتهى الباحثون و الدارسون إلى أن وسائل الإعلام ذات علاقة وثيقة بأنواع الحكومات التي تعمل في ظلها، و ذهب صاحب، كتاب "الإعلام وسيلة ورسالة" (1) إلى درجة القول بأن وسائل الإعلام تعكس و تدعم فلسفة الحكم، و هو يعتقد -على الأقل- أن تلك هي الحالة الشائعة، و إذا لم تكن كذلك في دولة من الدول فإن من المحتم أن تقوم ثورة وطنية يساهم النظام الإعلامي في التعجيل بقيامها، و بناء على ذلك فإنه يعتقد أن أنظمة الإعلام تدعم الفلسفة السياسية و لا توجهها، و من ثم فهي امتداد للفلسفة السياسية في الأمة و لسيت القوة المحددة لهذه الفلسفة.

هذا الرأي، و إن كنا لا نؤيده بإطلاق غير أننا نورد له لبيان مدى العلاقة الوثيقة بين وسائل الإعلام و سياسة الحكم، وهذه العلاقة هي في الحقيقة، علاقة متبادلة، لا يقتصر الأمر فيها على تأثير سياسة الحكم في وسائل الإعلام، و لكن لوسائل الإعلام دور كبير أيضاً في توجيه هذه السياسة، أو تدعيمها.

و الحديث عن هذه العلاقة في دنيا العالم الثالث، الذي تنتمي إليه الجزائر، حديث متشعب، و معقد، و نؤيد "محمد حسنين هيكل" فيما ذهب إليه، حيث قال: «العلاقة بين السياسة و الإعلام معقدة في كل الدنيا، و هي في دنيانا -دنيا العالم الثالث- أكثر تعقيداً، فالعالم الحديث في معظم بلداننا منقول، و "التجديد" مظاهر مستعارة، لأن الغريب بالتقليد سهل و التجديد الأصيل مشقة، و هكذا فإنه حتى وسائل التطوير يمكن أن تتحول في أيدينا إلى أدوات تعتيم! كما أن وسائل و أدوات التطوير و النمو و الإزدهار و الأمن يمكن أن تصبح لها عندنا استعمالات تختلف عن الهدف الذي قصده هؤلاء الذين سخروا لصنعها ما توصلوا إليه من علوم و تكنولوجيا...» (2)

و لهذا كله، فضلنا وضع الإطار العام للموضوع، قبلولوج في الحديث عن علاقة وسائل الإعلام -و الصحافة على الخصوص- بالنظام السياسي، هذا الإطار الذي حدد بعد مسيرة طويلة سعت فيها الدول و الأنظمة إلى وضع الصحافة في إطار يسمح لها بأداء دورها المنوط بها.

(1) جون ميرل و رالف لوينشتاين، مرجع سابق، ص: 229.

(2) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة و السياسة، ط: 5، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، 1984)، ص: 7.

لقد أصبحت وسائل الاعلام جزءا أساسيا من حياة الانسان المعاصر في الدول النامية و المتقدمة على السواء، و هذا ما جعل هذه الوسائل تأخذ صفة العالمية*، و على الرغم من عالمية تجربة وسائل الاعلام، فإن كل دولة من الدول قد طورت نظامها الإعلامي بشكل يركز على مشكلاتها و ظروفها، و طريقة استخدام هذه الوسائل تركز في جانب منها على نوع الأنظمة الاعلامية الموجودة.(1)

و من هنا كان الحديث عن الانظمة الاعلامية أو المدارس أو الفلسفات، أو النظريات كما يصطلح على ذلك في بعض الكتب**، هذه الفلسفات التي يمكن أن تصنف نظم الاعلام في ضوئها إلى أربعة، و هي التي كتب عنها كل من فرد سيبرت (Siebert) و تيودور بيترسون (Peterson) و ولبر شرام (Schramm) و هم أساتذة في الإعلام، و قد ضمنوها في كتابهم الذي صدر عام 1956م، و المرسوم بـ "أربع نظريات للصحافة" أو "النظريات الأربعة للصحافة" "Four Théories of The Press" (2)، على أنها تبقى دائما الاطار العام الذي أشرنا إليه، و لا تنطبق بالضرورة على كل أنظمة الاعلام في العالم، بل يجدر التأكيد أنه يجب أن تحلل كل دولة على حدة، لتحديد درجة الحرية و السيطرة التي تواجهها وسائل الاعلام.

و لم يكن الحديث من طرف علماء الاتصال عن نظم الاعلام، سوى حديث و تحليل لوضع و نظم السياسة، و الفلسفات السياسية في العالم أجمع لا تخرج عن كونها فلسفة ليبرالية أو فلسفة سلطوية فاشستية، و من هنا يمكن القول أن نظم الإعلام أو فلسفات الإعلام في العالم تصنف بالطريقة نفسها.

و بالتحديد ذهب علماء الاتصال إلى تصنيف هذه الفلسفات إلى أربعة و هي : نظرية السلطة، و النظرية الليبرالية، و النظرية الشيوعية و نظرية المسؤولية الاجتماعية.

1- نظرية السلطة : (Authoritarian théory)

و هي أقدم النظريات، فهي قديمة قدم التجمعات البشرية، حيث سيطرت الحكومات على مر التاريخ على وسائل التعبير العامة، فحين ظهرت الصحافة بعد اختراع الطباعة في القرن السادس عشر، أدركت السلطات البريطانية ضرورة و أهمية فرض سلطانها على هذه الوسيلة الجديدة، و تركزت هذه النظرية على افتراض سياسي مؤداه أن تظل القوة المطلقة في يد السلطة، ممثلة في ملك

(*) انجالبية : و إن كانت صفة تضي على الوسائل الإلكترونية غير أنها تنطبق أيضا على الصحافة.

(1) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 161.

(**) نشير هنا إلى أننا نعلم أنه لا مشاحة في الاصطلاح، غير أنه عندما يمر تعدد المصطلحات إلى الالتباس فإنه تجدر الإشارة إلى ذلك، و في هذا المجال يذهب البعض إلى أفضلية اطلاق مصطلح نظم كما ذهب إلى ذلك حسين فوزي النجار في كتابه "الإعلام المعاصر" سلسلة إقرا عندما قال بعدم صلاحية مصطلح "نظرية" و شن توبيخه في هذا الرأي، و إن كنا نلاحظ أنه المصطلح الأكثر استعمالا، و هنا حتى لا يخلط الأمر بنظريات الإعلام المعروفة.

(2) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 163، و جون ميل و رالف لوينشتاين، مرجع سابق، ص: 236.

أو دكتاتور، أو كنيسة حاكمة، أو أرستقراطية معينة، و بذلك فهي تقوم على وجوب إخضاع الصحافة ذات الملكية الخاصة لسيطرة الحكومة من خلال قوانين الرقابة و وسائل السيطرة لأخرى، مثل التصريح الرسمي و الرقابة التي تسبق النشر، و فرض رسوم باهضة على البريد... و تعكس هذه السلطة الأهمية الكبرى و المتزايدة لسلطة الدولة على حساب الحريات الفردية، و هي تهدف في الواقع إلى قهر الرأي المخالف أكثر مما تهدف إلى استخدام الصحافة بشكل ايجابي لتطوير الحياة القومية و ترقية مستوى المعيشة، و بالتالي فإنه يمكن في ظل هذا النظام أن تكون وسائل الإعلام مملوكة ملكية خاصة (و يستثنى من ذلك الإذاعة بنوعيتها فغالبا ما تكون احتكارا حكوميا) إلا أنها تخضع لسيطرة الحكومة- كما سبق الإشارة إليه - و أن الشخص يمكن أن يصل إلى أعلى المراتب، بتوجيه و عناية الدولة، و يكون بذلك عمله عبارة عن امتياز منحتة إياه السلطة، و من هنا يتعين عليه أن يكون ملتزما أمام الحكومة و الزعامة..(1)

أما عن الدول العاملة وفق هذه النظرية فهي تتمركز في أمريكا اللاتينية و إفريقيا و الشرق الأوسط و آسيا، و هو تصنيف مبدئي لا يمكن أن نجزم فيه، لأنه - و كما سبق الإشارة إليه - لا يمكن أن تصنف الأنظمة الاعلامية بالجملة، إنما علينا تحليل كل دولة على حدة، و هو رأي سنتطرق إليه عند الانتهاء من عرض النظريات الأربعة.

2- النظرية الشيوعية أو السوفيتية: (Communist theory)

و تعد هذه النظرية امتدادا لنظرية السلطة، و هي تدين بوجودها للتطبيق العملي لأراء "ماركس" و "لينين" و "ستالين" في مجال الاتصال الجماهيري خلال القرن العشرين، و المرتكز الايديولوجي لهذه النظرية يعبر عنه ببعض الحمل التي قالها "لينين" « إن حرية الصحافة هي من أهم مكونات و دلالات الديمقراطية الصرفة... للبيرليون يسمون حرية الصحافة، حرية شراء الصحافة من طرف الأغنياء، و هي حرية استعمال الغنى، لصنع و تزييف الرأي العام... و الحرية الحقيقية لا تظهر إلا في ظل النظام -يقصد به الشيوعي- الذي لن توجد فيه إمكانية الوضع المباشر أو غير المباشر للصحافة تحت قوة المال».(2)

(1) راجع في ذلك حمدي حسن، مقدمة في دراسة وسائل و أساليب الاتصال، ص: 164 و ما بعدها، و رالف لوينشتاين، الإعلام وسيلة و رسالة ص: 236 و ما بعدها، و محمد سيد محمد، المسؤولية الاعلامية في الإسلام، ص: 212-214، و كمال الدين إمام، النظرية الإسلامية للإعلام ص: 44-56، و شون ماكويد و آخرون، معالم واحد و أصوات متعددة، ص: 424-444، و Fernand Terrou, l'Information, P:43-52، و غيرها من المراجع التي تناولت الموضوع.

(2) Fernand Terrou, OP.Cit. P : 44.

بقلا عن أطروحة حول الديمقراطية البورجوازية و الدكتاتورية البروليتارية، موسكو، مارس 1919.

و قبل هذا قال ماركس عن وسائل الاعلام بأن - في المجتمع الشيوعي - لها وظائف الجهاز الحاكم نفسها، و هي بقاء و توسع للنظام الإشتراكي (1).. و من هنا يمكن القول أن هذه النظرية تعتمد على تقديس الواجب الجماعي، و خدمة الحزب، و آراء مؤسسي هذه النظرية تجتمع تقريباً كلها حول إلغاء القيمة الفردية و الحريات الأساسية، و أن هذه الوسائل تعمل على نشر السياسات الاجتماعية و ليس لها أن تبحث عن الحقيقة.. و بعبارة أدق فإن هذه النظرية تقوم على فرضية أن الجماهير أضعف و أجهل من أن تحاط علماً بكل ما تقوم به الحكومة، فكل ما تفعله وسائل الاعلام لدعم الحزب و الشيوعية فهو أخلاقي، في حين أن كل ما تفعله لعرقله الانجاز الشيوعي يُعتبر غير أخلاقي، و مع كل هذا فإن النقد الذاتي مسموح به في هذه النظرية لكن في حدود ما يوافق عليه الحزب.

و قد يبدو للملاحظ لأول وهلة أن نظرية السلطة و النظرية الشيوعية لا تختلفان، و الحقيقة أن الملكية الخاصة للصحافة ممكنة في النظرية الأولى و غير مسموح بها في النظرية الثانية، كما أن السيطرة في النظام السلطوي قابلة للتغيير وفق آراء الزعامة الموجودة في السلطة، أما في النظام الشيوعي فإن السلطة دائمة و غير متغيرة، لأنها نابعة عن وضعية نظم الاعلام في المجتمع (2)، كما أن عامل الربح مستبعد في هذه النظرية لأن الصحيفة ليست مؤسسة تجارية، و بالتالي ليس هناك مجال للانحراف بها (3) و فقا لوجهة نظر أصحاب الفكر الماركسي.

3- النظرية الليبرالية أو نظرية الحرية: (Liberal theory)

يعد الفكر التحرري الذي اجتاح أوروبا في عصر النهضة أساساً لهذه النظرية.. و كان منطلق "حرية الصحافة" -في هذه النظرية- الفلسفات التي كانت تسود آنذاك، و هي فلسفات تعتبر الإنسان حيواناً عقلياً و له حقوقه الطبيعية و أحد هذه الحقوق الطبيعية، حق البحث عن الحقيقة و أن الخطأ ليس بجريمة، و أن أفكار الإنسان ليست أبداً موضوعاً يدخل في نطاق السلطة القضائية*.

«و نظرياً فإن الصحافة الحرة تعمل على كشف و تقديم الحقيقة، و لا يمكن أن تفعل ذلك إذا كانت مراقبة بواسطة سلطة خارج نفسها، و عليه يجب أن تكون جسراً اعلامياً يربط بين الحكومة و الناس، و إذا كان هذا الربط قد منع بواسطة الرقابة الحكومية فإن مفهوم حرية الاعلام يكون غير ذي جدوى.. و الصحافة الليبرالية اليوم تقبل أو تدعي أنها تقبل الالتزام بإعلام الناس عن أنشطة الحكومة

(1) رافف لوبشتاين، و جون هول، مرجع سابق، ص: 238.

(2) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 166.

(3) سجاد غازي، "حرية الرأي و الصحافة في الوطن العربي"، (مصر: المؤسسة العربية للدراسات و النشر)، ص: 106.

(*) و من دعاة حركة الحرية هذه من الفلاسفة: "ميلتون"، و "ولول"، و "جيفرسون" و "جون ستوارت ميل" الذين أكدوا على الحريات الفردية و على قدرة الإنسان على إيجاد قرارات صائبة.

و مراقبة هفواتها، وبذلك فإنها تعتبر سلطة رابعة* تكمل السلطات القضائية و التشريعية و التنفيذية، و زيادة على ذلك فإنها تمثل عناصر المجتمع المتعددة و تعمل كمنبر للنقاش» (1)

« و الواقع أن نظرية الحرية لا تعطي للصحافة وحدها حرية التعبير و لكنها من خلال كثرة و تنوع أنشطتها تعطي الجمهور الحق في اختيار مصادر معلوماته و رفض غيرها...» (2)

و تجدر الإشارة هنا في هذه النظرية، أن الدعوة إلى الحرية كانت باطلاق، و أنه كان لها مساوي... « لم تظهر في هذا الظرف لأن حقائق الصراع السياسي و الحروب و الأزمات الاقتصادية و ما يتعلق بأمن الدولة حجبت ذلك و قلصت من اضرارها...» (3)

4- نظرية المسؤولية الاجتماعية: (The social responsibility theory)

لقد تحدثنا في النظرية السابقة "نظرية الحرية" أن الحرية التي كان أصحاب هذه النظرية يدعون إليها و يسعون إلى تكريسها، كانت مطلقة مما انجر عنها مساوي في الممارسات لإتعدام بعض الضوابط، هذه المساوي أدت بدورها إلى إعادة النظر في هذه الممارسات، و كان أن نتج عن ذلك نظرية جديدة، و هي التي تعرف ب "نظرية المسؤولية الاجتماعية".

ظهرت هذه النظرية في منتصف القرن العشرين، حيث أن حقيقة المجتمع الجماهيري جعلت الكثيرين - كما أشرنا سابقا- من المفكرين ينتهون إلى أن الحرية المطلقة للأفراد، يمكن ألا تكون شيئا ممكنا، فطبيعة الإنسان الاجتماعية تلح على إعادة النظر في الموضوع، ثم أن ظهور الأسلحة النووية و بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تبلورت الفكرة و أدت إلى تشكيل لجنة** غير حكومية و ذلك سنة 1947 في الولايات المتحدة الأمريكية- ناقشت هذه اللجنة مسألة حرية الصحافة، و مسألة علاقة الصحافة بالمجتمع في عالم تسوده الحرب الباردة، و من النتائج التي انتهت إليها هذه اللجنة في دراساتها أن حرية الصحافة لا تبقى هكذا دون قيد إنما يجب أن يراعى في مقابل ذلك مسؤولية وسائل الاعلام الجماهيرية اتجاه المجتمع.(4)

(*) يسجل كتاب الاعلام و سيمية و رسالة نقد لادعاء لقولة "الصحافة السلطة الرابعة" مفاده أن الصحافة لا تتلزم حقا بمراقبة الحكومة و أنها ليست فرع رابع للحكومة و لا يوجد أي سبب يدعوها أن تعتبر نفسها نافذة أو مراقبا للحكومة إذا و عني أية حال أليست حرية الصحافة تنطوي على منح الصحافة حرية بالكون فرع رابع للحكومة...، الإعلام و سيمية و رسالة، ص: 234، و هذا ما ذهب إليه أيضا حمدي حسن في كتابه: "مقدمة في دراسة وسائل و أساليب الاتصال"، ص: 168. حين قال أنها تعتبر سلطة رابعة هذا على الأقل من وجهة النظرية.

(1) جون ميرل، و رالف لوينشتاين، مرجع سابق، ص: 237.

(2) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 167.

(3) المرجع نفسه، ص: 167.

(**) و هي اللجنة التي أطلق عليها اسم لجنة "هوتشينز" Hutchins « نسبة إلى أحد رؤسائها: "Robert .M. Hutchins"

(4) حمدي حسن، مرجع سابق، ص: 168... و جون ميرل و رالف لوينشتاين، ص: 238.

و في هذه النظرية تظل وسائل الاعلام مملوكة ملكية خاصة، لكن تحت رقابة المجتمع، و تحت رقابة الحكومة التي تعمل لصالح المجتمع أيضا كما تجدر الإشارة إلى أن هذه النظرية توجد إلى حد ما في فلسفة العمل الاذاعي أكثر من سائر أشكال المطبوعات، و أن انتشار هذه النظرية يُسجل في أوروبا الغربية أكثر منها في الولايات المتحدة الأمريكية، و تطبق هذه النظرية بهذه الدول بأكثر صرامة. و رغم أن هذه النظرية جاءت كتصحيح لمسار نظرية الحرية، و رغم التأييد الكبير الذي لقيته من الصحفيين، إلا أن تخوفا كبيرا ظهر فيما بعد نظرا لأعطاء الحكومة الحق في المراقبة، هذا الحق الذي اعتبر تهديدا لحرية الصحافة.(1)

و الحديث عن نظم الإعلام، و تصنيفها بالطريقة التي تعرضنا لها يعتبر حديث عن فكر مستقر له دعائه و من يطبقونه، و أن هذا الوجود الفكري لهذه النظريات، لا ينبغي أن يعرض على الدارس في هذا الميدان بحيث يشعر بضرورة الانتماء إلى أي منها، و إنما يجب أن يكون عرضها على أنها خبرات بشرية في مجال التنظير في علوم الاتصال ليس لها إلزام إلقائليها و على مجتمعاتها..(2) و يؤيد هذا الرأي، آراء أخرى لداريسين آخرين من عالم واحد، فهذه إحدى المهتمات بالدراسات الاعلامية و المتخصصة فيها، ترى أنه « من الواضح أن النظريات الاعلامية الأربعة قد ركزت على متغير واحد هو علاقة الصحافة بالسلطة السياسية، و لم تتعرض للبناء الاجتماعي و الثقافي أو الواقع الاقتصادي الذي أفرز النظم الاعلامية القائمة في العالم الثالث و خصوصا إفريقيا، هذا فضلا عن أن جميع المحاولات التي قام بها الباحثون الغربيون لحل الإشكالية النظرية للصحافة الإفريقية كانت في أغلبها محاولات ترقيعية، حيث اعتمدت على اقتباس بعض جزئيات غير متسقة من النظريات الاعلامية الأربعة، مع اضافة أسماء جديدة عليها... » (3)

و تشير الباحثة بالضبط إلى تصنيف "رالف لوينشتاين"، في دراسته التي ترجمت تحت عنوان "الإعلام وسيلة و رسالة" و تقول أنه ركز على متغيرين هما الملكية و السلطة السياسية و تعلق على تصنيفه على أنه يقترب كثيرا مع تصنيف "شرام" و زملائه و أن الاختلاف لا يكمن إلا في الأسماء. و في هذا الصدد ترى أن ما ذهب إليه "رالف لوينشتاين" في كتابه "الإعلام وسيلة و رسالة" يؤيد ما ذهبت إليه الباحثة، فهو يقول بوضوح: «أن النظريات الأربعة للصحافة قد أثارَت عددا من الأسئلة الجادة في رأيه و في رأي عدد من الطلاب و كان نشر هذه النظريات قد جمَد التفكير في هذا المجال، فمنذ نشر هذا الكتاب، لم تظهر مقترحات أو افتراضات ذات بال في هذا الشأن، و لهذا فإن

(1) المرجع نفسه، ص: 169.

(2) كمال الدين امام، مرجع سابق، ص: 45.

(3) عواطف عبد الرحمن، "الصحافة الأفريقية بين التبعية و الاستقلال" مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد: الرابع، (جانفي، فيفري، مارس 1984م)،

اغلغل الرابع عشر، ص: 132-133.

عندا كبيرا من أساتذة الصحافة على نطاق القطر الذين استخدموا هذه النظريات في قاعات الدرس وجدوا عدم قناعة من الطلاب بالتفسير المنطقي لها...» وأشار «لوينشتاين» «أن محاولة وضع دولة على واحدة من النظريات الأربعة أو العكس يشبه وضع شكل مربع في حفرة دائرية الشكل، و طرح سؤال مفاده: ما هي الفلسفة التي تتبعها مثلا كينيا و بروما و مصر أو بعض الدول النامية الأخرى؟... و وصل إلى الاقتناع بأن النظريات الأربعة للصحافة تفتقر إلى المرونة اللازمة لوصف و تحليل كل أنظمة الصحافة الموجودة اليوم، و لذلك رأى ضرورة تعديلها بالتركيز على ملكية الصحافة و فلسفات الصحافة..» (1)

والباحث رغم كونه من بيئة غربية، و رغم النقد الموجه إليه فيما يخص التسميات التي جاء بها، و أنها لا تختلف كثيرا عن نقدهم هو، غير أنه لمس جوهر المشكل، و مسك برأس الخيط، فطرحه حول عدم الجمود مع النظريات الأربعة، التي تحدث عنها «سرام» و زملاؤه، طرح موضوعي للغاية و هو يتوافق إلى حد بعيد مع طرح الباحثين المنتمين إلى العالم الثالث، و الذين يذهب كثير منهم إلى هذا الرأي*.

و نسجل رأي محمد سيد محمد إذ يقول «إن هذه النظريات في تسمياتها التقليدية لا تقدم في رأيي - تصورا حقيقيا للاعلام المعاصر، و إنما يمكن أن نحصر نظريات الاعلام المعاصرة فيما يمكن تسميته بالآتي :

- النظرية الليبرالية.
- النظرية الشمولية.
- النظرية المختلطة. « (2)

فيجعل بذلك، كلا من نظرية الحرية، و نظرية المسؤولية الاجتماعية، و جهين لنظرية واحدة هي النظرية الليبرالية، و يرى أن نظرية المسؤولية الاجتماعية هي تطور طبيعي لنظرية الحرية، ثم يوضح الدعائم و المتغيرات التي تقوم عليها النظرية الليبرالية، فيقول:

أما دعائم النظرية فتشمل الدعامة الفلسفية : التي تقوم على رصيد هائل من كتابات الفلاسفة و المفكرين الذين شغلهم قضية الحرية، و الذين امتدت افكارهم من القرن السابع عشر إلى العصر الحالي تماشيا مع التطورات التي تعيشها المجتمعات القائمة على فلسفة الحرية الرأسمالية، و هي في مجملها تذهب إلى أن الحقيقة لا تستمد من السلطة و إنما من عقل الإنسان، و من هنا كان مبدأ تقديس حرية الرأي ثم كان التطور الذي يقر أن لوسائل الاعلام مسؤولية اتجاه المجتمع.

(1) رالف لوينشتاين، مرجع سابق، ص: 239.

(*) و منهم الباحثة «عواطف عبد الرحمن» في كتابها انصاحفة الافريقية بين التبعية و الاستقلال و كذا كمال الدين امام في كتابه النظرة الإسلامية للاعلام، و محمد سيد محمد في كتابه المسؤولية الإعلامية في الإسلام، و غيره ممن كتبوا حول الموضوع.

(2) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص 216 - 217 .

أما الدعامة القانونية فهي تركز على إباحة حق إصدار الصحف الأفراد مع ضمان حماية حرية هذه الصحف و يسهل لها الممارسة، و تحضى التشريعات الإعلامية في الدول الرأسمالية باهتمام أكثر منها في النظم الشمولية.

و تركز الدعامة الثالثة، دعامة الملكية على اقتصارها على الافراد و الشركات، و كون دخول الحكومة في الملكية أو حتى في تقديم المعونات و تشجيع الصحف عاملا معيقا لحرية الاعلام، و تهديدا كاملا لاستقلال الصحف.

ثم يتحدث الكاتب عن متغيرات هذه النظرية، فيشير أولا إلى ظاهرة نمو الاحتكارات و هي عبارة عن نمو رؤوس الاموال الخاصة في وحدات كبيرة و بدأت التكتلات الاعلامية تظهر في البلدان الرأسمالية، و أصبحت هذه الاحتكارات تشكل خطرا واضحا على حرية الصحافة و حرية الاعلام بصفة عامة.. مما أدى إلى ظهور دعوة إلى مراجعة هذه الخطوات، و بالخصوص دعوة الحكومات إلى الحد من توسع هذه الاحتكارات بوضع قوانين معينة تقف دون هذا التضخم.

و المتغير الثاني يراه الكاتب متمثلا في ظاهرة نضج الرأي العام، إذ أن تجذر العملية الاعلامية و كذا الممارسات الديمقراطية في المجتمعات الرأسمالية عموما، أدى إلى نضج الرأي العام، نضج يصعب معه التلاعب بالعقول و يحتم على الاحتكارات التي تحرص على السيطرة على الرأي العام، أن تحسب لهذا الرأي ألف حساب، و تكابد معه مشاق كبيرة.

و في إطار هذه النظرية، يوجد متغير آخر، و هو ظاهرة النمو الذاتي لوسائل الاعلام إذ أن المناخ السائد في هذه المجتمعات ساعد على نمو وسائل الإعلام التي استطاعت أن تأخذ لها مواقع هامة في المجتمع بفضل هذا التطور. (1)

و يرى الدكتور "محمد سيد محمد" أن النظرية الشمولية للاعلام أوسع من تسميتها بالنظرية السوفيتية أو حتى بالنظرية الشيوعية، و يبرر رأيه بقوله أن هناك بعض الدول لا تدين بالشيوعية و مع ذلك فهي تندرج تحت النظرية الشمولية للاعلام.

ثم يقول أن النظرية الشمولية تتشابه في بعض الظواهر مع نظرية السلطة تشابها ظاهرا، على الرغم من تناقضهما في الجوهر، و هذا الرأي الذي قدمه "محمد سيد محمد" رأي منطقي، و تقسيم صائب. (2)

و في حديثه عن النظرية الثالثة -النظرية المختلطة، يرى الدكتور "محمد سيد محمد" أن بلدان العالم الثالث عندما ظهرت إلى الوجود السياسي و الدولي في القرن العشرين كمجتمعات مستقلة و نامية، سعت إلى إيجاد نوع من التوازن بين مصلحة الفرد و مصلحة المجتمع، مما دفعها إلى

(1) انظر محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص : 216.

(2) المرجع نفسه، ص: 228.

تبنى النظامين الرأسمالي و الاشتراكي في ان واحد، غير أن هذا التوازن لم يمض على وتيرة ثابتة، بل أصبحت تجارب العالم الثالث تحوي خليطاً من النظم السياسية المعاصرة و من النظم التاريخية أيضاً. (1)

أما الفلسفة التي تقوم عليها هذه النظرية -النظرية المختلطة فهي- في رأي محمد سيد محمد لا يمكن نسبتها لا إلى الفكر الماركسي و لا إلى الفكر الليبرالي، وإنما يمكن القول أن دول العالم الثالث تتجه نحو تقديم إطار متكامل لفكر سياسي جديد يقف بالند للفكرين الماركسي و الليبرالي، كما يمكن القول أن هذه الدول ليست من التضاد و التشتت و التناظر بحيث لا يمكن أن يجمعها إطار أو فلسفة أو نسق*.

و حتى و إن سلمنا بأن هذا الرأي صحيح، فإننا نشير إلى أن دول العالم الثالث، و من بينها الجزائر- و قبل الوصول إلى هذه المرحلة- مرت بمراحل أخذت فيها بهذا النظام أو ذلك، قبل الخوض في هذه التجربة، هذه المراحل أثرت بدورها في تطور و نمو الاعلام و وسائله في هذه الدول. (2)

و من هنا نستطيع القول عامة أن العلاقة بين السلطة و الاعلام ظهرت مند وقت مبكر، و كانت على العموم علاقة تبعية، و يظهر بوضوح و من خلال تسميات النظريات التي تعرضنا لها مدى الصلة بينها و بين النظم السياسية.

و الحديث عن هذه العلاقة يقود إلى الحديث عن حرية التعبير، و علاقة الصحافة بهذا الموضوع، و علاقة الصحافة الساخرة على وجه خاص بهذا الموضوع، «فإذا كان إكتشاف الطباعة و تطورها قد أضافا إلى الحق في الكلام و الرأي حق التعبير و نتائجه الطبيعية أي حرية الصحافة و النشر، فإن التطور اللاحق لوسائل الاعلام الجديدة قد أعطى أهمية بالغة لمفهوم حرية الإعلام» (3) و قد استغرق الوصول إلى تحديد حرية الصحافة أكثر من مائتي عام من النضال الانساني و النضال الفكري، بدءاً بدول العالم الغربي أو الدول الليبرالية، و انتهاء بالدول النامية...فالكل عاش التجربة لأنها حتمية و إن كان المفهوم يختلف من دولة لأخرى، نظراً لأن المفهوم يخضع لاعتبارات أخرى غير فكرية، اعتبارات سياسية خاصة، و نظراً أيضاً للمنهج المستخدم لتفسير هذا المفهوم. و نشير هنا إلى أن حرية الصحافة تقوم على أسس ثلاثة، لا تكتمل إلا بتوافرها جميعاً:

(1) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص: 230.

(*) و يؤكد هذا الرأي اذهب إليه "سجاد غازي" حين قال : إن التحربة المصرية و التحربة العراقية و تحربة الجزائر و تحربة بعض الدول الافريقية في إيجاد مفاهيم جديدة لصحافتها سوف تسفر في النهاية عن نظرية جديدة للإعلام.

(2) راجع أخلاقيات العمل الإعلامي، لحسن عماد مكاوي، ط: 1 (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 1414-1994)، ص-ص: 38-87.

(3) سجاد غازي، مرجع سابق، ص: 101.

الأول : بالنسبة للملكية : فلا بد من اقرار إصدار الصحف بغير توقف على ترخيص السلطة، و لابد من توضيح معنى الإخطار إلى مجرد الاعلام بظهور الصحيفة، ولا تشترط في الإصدار إلا الشروط القانونية الواجبة في المواطن الكامل الأهلية، دون تقييد ذلك بقيود مالية.

و يستتبع ذلك عدة اعتبارات، يأتي في مقدمتها ضرورة دراسة تأثير الملكية الفردية -إن وجدت- على حرية الصحافة، ثم تأثير الاعلانات المتزايد على حرية الصحافة، و اعتبار الاعلان مورداً مالياً و ليس مقالاً تحريراً، كما يستتبع ذلك دراسة تأثير الملكية العامة سواء أكانت ملكية الحزب أو الأحزاب أو التنظيمات السياسية و خاصة إذا أصبحت احتكارات، و تأثير هذا الاحتكار على حرية الصحافة و تأثير البيروقراطية التنفيذية عليها.

الثاني : بالنسبة للعنصر البشري في الصحافة و حقه في التعبير، و لا تتوافر حرية الصحافة دون النص صراحة على كفالة حق التعبير و حرية الرأي دون رقابة مسبقة، و من ثم الأخذ بنظام المحاسبة اللاحقة، على أن تكون هذه المحاسبة قضائية، مكفولة بشروط قانونية توفر حرية الرأي كمبدأ أساسي من الحريات.

و من المهم القول أن الأصل في الحريات هو تحرير الرقابة، و الاستثناء هو جوازها في أضيق الحدود، و من هنا وجوب إلغاء كافة القوانين التي تسبقها أو تلحقها أو تصدر في غيبة البرلمان، و لحماية العنصر البشري أكثر لا بد من وجود حرية نقابية سواء من حيث الانشاء أو النشاط.

الثالث : بالنسبة لحق المواطن في الإعلام، فلا تكتمل حرية الصحافة إلا باقرار حرية الصحافة في استقاء الأنباء و في نشرها، و قد أصبح حق المواطن في الاعلام هو الحق الاجتماعي الجديد الذي يضاف إلى حق العمل، و بقية حقوقه السياسية و الاجتماعية التي أقرها اعلان حقوق الانسان العالمي عام 1948. (1)

و لعل الواقع الذي تعيشه الصحافة في البلاد العربية -خاصة- هو الذي أدى إلى هذا الاجتهاد في تحديد مفهوم حرية الصحافة، و وضع الأسس التي تقوم عليها هذه الحرية، حيث « مازال مجال التعبير بالكلمة الحرة في الوطن العربي يعاني من ضغوط، بعضها معلن بمقتضى قوانين، و بعضها غير معلن بمقتضى تقاليد و ممارسات هي في أساسها ضمور في القيمة الحضارية لحرية الكلمة لدى السلطة ». (2)

و الصحافة -من هذا المنطلق- يمكن أن تشكل سلطة مضادة قوية في الحالات التي تعتمد فيها السلطات الحكومية و الاقتصادية أو غيرها، إلى توضيح الحصار على الإعلام أو تشويبه فيما يتعلق بالمشاكل ذات المصلحة العامة، و هنا نسجل بوضوح التأثير المتبادل بين الصحافة و السياسة، ففي

(1) كامل زهوري، "نظرات على حرية الصحافة" (مصر : المؤسسة العربية للدراسات و النشر)، ص-ص: 142 - 143.

(2) سجاد غاري، مرجع سابق، ص: 115.

الوقت الذي نجد فيه أن حرية الصحافة تتأثر بنظرة السلطة إليها، نجد في مقابل ذلك أن الصحافة تشكل سلطة رابعة*، بل سلطة مضادة قوية إذا لاقت بعض المضايقات أو العراقيل المقصودة من السلطة الحاكمة.

و الذي يصدق على الصحافة عموما يصدق على الصحافة الساخرة التي تشكل وسيلة ناجعة لاسترعاء انتباه الجمهور إلى وقائع خفية، و معلومات هامة هذا فضلا عن كونها وسيلة أو نوعا له خصوصياته، و أساليبه المختلفة في التأثير على القراء.

فعن تأثير السياسة في الصحافة الساخرة، فتمثل أولى مظاهرها في تمويل هذه الصحف، فكل أنواع وسائل الإعلام، فإن الإستقرار المالي شرط أساسي لكي تؤدي دورها بحرية، و لا تكون حينئذ مجرد أداة دعائية في يد الممول، و من هنا فالصحف التي يتم صدورها عن طريق الإعانات المدفوعة من الحكومة أو الأحزاب السياسية لا تستطيع الوصول إلى درجة مناسبة من الحرية و الإستقلال في عرضها للأنباء و الأحداث، ذلك أن الصحف ينبغي أن تكون قادرة على تمويل نفسها بنفسها دون أن تضطر عن طريق التدخل الاقتصادي إلى الالتزام بمن يدفعون لها فواتير وجودها.(1)

و المعروف، أن أهم الصحف الساخرة في العالم - و في العالم العربي - كان أهم ما يميزها هو استقلالها المطلق عن كل أنواع السلطة السياسية (دولة أو أحزابا أو منظمات)، و استقلالها الكلي أيضا عن كل أنواع الضغط المالي، أي رفض أي مدخول، إشهاري، فلم نعلم أن جريدة أو صحيفة ساخرة ناقدة - خاصة للأوضاع السياسية - تمتلكها الحكومة مثلا أو حزبا معينا، - و إن وجدت بعض الصحف التي تميل إلى الخط السياسي لحزب ما - كما لم نعلم أن صحيفة ساخرة تحتوي على حيز اشهاري، و قد حدث أن عينت صحيفة "لا فاكل La Fackel" ** مثلا و كذا صحيفة "Le Canard Enchainé" ***، مساحة اشهارية غير قابلة للبيع و سرعان ما حولتها إلى مساحة مخصصة لبعض كتابات الأصدقاء.(2) و لا يحدث هذا إلا في دولة، يسمح فيها بإنشاء الصحف المستقلة، أي في مجتمع قائم على التنافس الحر، و هذا يقودنا إلى الحديث عن الإستقرار السياسي، الذي يعتبر شرطا أساسيا لازدهار الصحافة عموما و الصحافة الساخرة خصوصا - لأنه في ظل هذا الاستقرار يمكن أن تكون هناك سماحة حكومية، و مقدرة على تقبل و مواجهة النقد، و الصحافة الساخرة ليست ناقدة فحسب، بل

(*) هذا الإصطلاح، رغم أن لبعض الكتاب تحفظا عليه غير أنه شاع استعماله، للتدليل على أهمية الصحافة و فاعليتها في المجتمع (و قد سبق الإشارة إلى النقد الموجه له).

(1) عبد الله بوجلال، "دور الإعلام في تشكيل الرأي العام"، حوليات جامعة الجزائر، ع:6، ج:1 (1991-1992) ديوان المطبوعات الجامعية، ص-ص : 72-73.

(**) صحيفة ساخرة ألمانية.

(***) صحيفة ساخرة فرنسية.

(2) Gerald Stieg, « Deux Oiseaux qui Souillent leur propre nid » *Austrica*; Volume : 12; N°22, France (1986).

موجعة في نقدها، و فاضحة أحيانا، و من هنا فإن هذا العنصر أساسي جدا لهذا النوع من الصحافة. و يمكن القول أيضا، أن المجتمعات التي يسود فيها نظام الحكم الشمولي مثلا، لا توجد فيه صحافة ساخرة مزدهرة، و هذه المجتمعات تمثلها -في غالبيتها- مجتمعات الدول النامية، التي تعمل على الإحتفاظ بسيطرة قوية على وسائل الاعلام، -و من وجهة نظرها - فإن ذلك يجنبها كل ما يعيق الإسراع بعمليات التنمية السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، كما تتأثر الصحافة -كباقي وسائل الاعلام في هذه الدول- بما يسمى "الميل السياسي Political Slant" و يقصد به ارتباط الدول النامية بإحدى الدول الكبرى، و السعي إلى محاكاتها في النظم السياسية و الاقتصادية، فالإيديولوجية السياسية تلعب دورا كبيرا في ممارسات وسائل الإعلام، و الحكومة في الدول النامية -عموما- لا تتقبل النقد، و تعتبره عائقا يحول دون الإسراع بالتنمية. (1)

و هذا يساعدنا في فهم ظاهرة ازدهار الصحافة الساخرة في الدول الليبرالية كالولايات المتحدة الأمريكية، و بريطانيا و فرنسا، أين كان منشأها و تطورها، و لماذا لم تزدهر في الدول الشرقية التي تحكم بالنظام الشمولي في عمومها، أو ينتمي إلى العالم الثالث أو بعض الدول الاشتراكية: و الجواب على هذا السؤال، هو أنه فيما يتعلق ببعض دول العالم الثالث، فإن ذلك يرجع إلى بعض تقاليد الصحافة، و مستوى الحرفية المتوارث من عهود الاستعمار الذي كان يتبع النظام الليبرالي، و نجد أن هذه الدول سرعان ما تقلص تواجد الصحافة الساخرة بها، عندما تلغي القوانين الاستعمارية التي ورثتها، و تبدأ معاناة الأقلام الساخرة، التي تضطر - في ظل نظام الحكم السائد و الذي يفرض قيودا شتى - تضطر إما إلى ترك المهنة (الصحافة الساخرة)، أو الهجرة إلى خارج الوطن، أو ترك السخرية و اللذع كأسلوب في الكتابة، و هذا ما حدث فعلا بالنسبة لبعض بلدان العالم الثالث مثل مصر*، و ليبيا، و بيروت. (2)

و في الخليج العربي مثلا، و الدول التي تفرض مراقبتها على جميع وسائل الاعلام مثل سوريا و العراق، فإن الصحافي ليس له خيارات كثيرة، إنما هو خيار واحد، و هو اتباع الخط الرسمي، و إذا وجدت صحيفة ساخرة مثلا، فإنها غالبا ما تكون اجتماعية، و إذا كانت سياسية فإن الشرط الأساسي لبقائها هو اتباعها لخط السلطة الحاكمة. (3)

و كما سبق وأن ذكرنا، فإن الجانب المالي يلعب دورا هاما في ازدهار الصحافة الساخرة أو اضمحلالها، فنجد أن أحد أسباب هجرة الأقلام الساخرة من مصر و لبنان مثلا نحو الخليج العربي،

(1) حسن عماد مكارى، مرجع سابق، ص-ص: 83-84.

(*) ففي مصر، تحرك الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، و اتخذ اجراءات صارمة اثم الفناين و الصحافيين فكانت النتيجة التي ذكرت أعلاه.

(2) Aly Ashry and Richard Pennell, OP.Cit, P :36.

(3) Ibid, P: 36.

هو المال، حيث أغرتهم الأجرة المعتبرة، و من البلدان التي كانت وجهة لهؤلاء المهاجرين، البحرين التي أبدت السلطات فيها تساهلاً، و انقصت من التضيقات، و فتحت الباب أمام الكتاب و الفنانين ليتناولوا مواضيع شتى، غير أن أعمال هؤلاء لم تلق تجاوبا من طرف الشعب البحريني، و اعتبر هؤلاء المهاجرين مرتزقة و ليسوا فنانين أو كتاب، حيث كانوا ينتظرون راتبهم الشهري، و لم يبق منهم من يحاول ارضاء ضميره.. كما يشعر هؤلاء المهاجرين بدورهم، أنهم لا مكان لهم و غير مستقرين في الخليج، و يلتصون فقط بالمواضع السلمية، مثل قضية كامب دايفيد أو أي موضوع آخر في العالم الخارجي الواسع، و يرون في ذلك الطريق الأوحى للبقاء. (1)

كما يعتقد بعض الكاريكاتوريين المهاجرين أن زملائهم ممن بقوا داخل الوطن ليسوا احسن منهم، فهم إذا تطرقوا إلى المواضيع المحورية الهامة، فكانهم يحومون حول قنابل، ثم أن السياسيين العرب -عموما- يعتبرون أنفسهم شبه آلهة أو أنبياء معصومين، و يملكون الحلول لكل أنواع المشاكل، فكيف يمكن وضع أحدهم في صورة ساخرة، أو نقدهم بسخرية دون أن يكون هناك خطر الموت يتربهم. (2)

و يقول بعض الكاريكاتوريين، أن الأقلام الساخرة في الوطن العربي تعيش تضييقا أكثر من ذلك الذي كان في النظام الهتلري، مما دفع بها إلى السطحية و أصبحت أعمالهم أو كتاباتهم غير متعمقة، و لا ثقافة فيها و لا أهداف لها، و هذه الوضعية شكوا منها الأقلام المقيمة في وطنها أو المهاجرة على السواء و في كل الأحوال، فإنهم يرون أنفسهم محاصرين بمواضيع عن الوطن الخارجي، أو بالموضوعات العامة التي تثير سخط الأنظمة العربية، و يأملون في الحل الوحيد المتمثل في تكريس الديمقراطية و حرية الرأي في الوطن العربي حتى يزدهر هذا النوع من الصحافة التي تعتمد كثيرا على النقد و الاحتجاج عن الأوضاع الفاسدة.

و في المجتمعات الاشتراكية، تعتبر السخرية و الفكاهة -كتابة أو رسما- أمرا محضورا، غير أن بعض الأقلام الساخرة*، ترى أن هذا النوع من الكتابة موجود في بلد اشتراكي مثل كوبا، و أنه يأخذ أهمية اجتماعية أكثر وضوحا، لأنه يعلن و ينقد كل الأوجاع و الترسبات الموجودة في المجتمع، و يذهب مباشرة إلى الهدف، كما أن هذا الأسلوب ينشئ وعيا، اتجاه كل ما يصبو إلى قيام مجتمع جديد، كما أن الاشتراكية لا ترضى بهذا الأسلوب فحسب، بل ترى فيه سلاحا مفيدا يكملها، و يساعد في

(1) Aly Ashery and Richard Pennell, OPCit. P:36.

(2) Ibid. P : 37 .

(*) إنه صاحب القلم الفكاهي الساخر الكوبي هيكتور زمبادو (1932) في حوار أجرى معه في مجلة الصحفي الديمقراطي Le Journaliste

Democratique الساخرة و الناقد، و هو من الأقلام التي انصفت بالكتابات الصحافية الساخرة و الناقد.

أنظر :

Rudel Zaldivar, « La satire sous le socialisme ». Le journaliste démocratique: Revue de l'organisation

Internationale des journalistes. (Annee XXXIII. N°:1. Janvier 1986) P : 26.

بنائها، و في مواجهة التحديات الكبرى التي تصطدم بها، و من خلال الحوار الذي أجرى مع هذا الكاتب الساخر و الفكاهي، نستنتج أن وجوده مرهون بعدم معاكسته الاتجاه العام لمجتمعه، و أن تكون سخريته هادفة، و لا يؤمن بالفكاهة من أجل الفكاهة، كما نستنتج أيضا أن السخرية في المجتمع الاشتراكي كما في المجتمع الرأسمالي، لها نتائج و خيمة، و أن القلم الساخر في المجتمع الاشتراكي لا يسلم من الأخطار، و الازعاج - على العموم - فإن تواجد الصحافة الساخرة في البلدان الاشتراكية إذا مرهون بالتزامها بخط السلطة الحاكمة، كما أنها قليلا ما تتعرض للموضوعات السياسية و كثيرا ما تكون اجتماعية. (1)

و خلاصة القول في هذا الجانب، هو أن الصحافة الساخرة باعتبارها صحافة ناقدة، تزدهر و تضمحل وفقا و تبعا لطبيعة العلاقة بين الحكومات و هذه الوسيلة، فإذا كانت الحكومة أداة رقابة على الاعلام، فإنه يصعب أن نجد صحيفة ساخرة في هذه الوضعية، و إذا كانت الحكومة كأداة منظمة لوسائل الاعلام، فإنه من الممكن وجود هذا النوع من الصحافة مع وجود بعض المضايقات تحت أسماء شتى، أما إذا كانت الحكومة كأداة مسيرة للنشاط الإعلامي فإن استقلال الصحافة الساخرة غير وارد، لأنها و غيرها من وسائل الإعلام تقع تحت اشراف الحكومة، وهنا لا يمكن أن تؤدي دورها في النقد و التوجيه، و أخيرا إذا كانت الحكومة كأداة مشاركة في العمل الإعلامي، فإن المجال مفتوح، و امكانية وجود هذا النوع من الصحافة، مع ضمان أداء دورها في النقد، ممكن، بل تصبح هذه الوسيلة ذات سلطة و تأثير في الأحداث، و قد تشكل قطبا معارضا في حد ذاتها.

أما عن تأثير الصحافة الساخرة في المجال السياسي، فإنه أوضح من أن يؤكد عليه كما أنه منوط أيضا بطبيعة النظام المتبع، ففي النظام الشمولي نجد أن الصحافي تطبع على قول و اتباع ايديولوجية الأحزاب الحاكمة، و حتى إذا تجرأ على النقد فإنه يوجهه ضد الدول الاجنبية، فصحافة الاتحاد السوفياتي (سابقا) توجه سخريتها إلى الانظمة الأجنبية، و إلى الدول الرأسمالية خصوصا، و الولايات المتحدة بالتعيين، و هكذا فهي قليلا ما تشكل خطرا على السياسة الداخلية، أو سياسيي دولتهم. (2)

أما في الأنظمة الاستبدادية، فإن الصحافة الساخرة، لا يمكن أن توجه نقدها بصورة مباشرة، و لكن حين تتاح أدنى فرصة، فإن تأثيرها يكون أقوى من الصحافة العادية، حيث تقوم بدور ممتاز في الصراع السياسي ضد الحكومات الاستبدادية، و ضد وسائل العنف و الاضطهاد، و في المنازعات بين الأحزاب أو القوى السياسية، و هو دور له أثر واضح في حملات الدعاية التي أصبحت دعامة من دعائم النصر في المعارك الباردة. (3)

(1) Rudel Zaldivar, OPCit, P : 26.

(2) Charles Press, OP.Cit. P : 52.

(3) محمد عطية الله، مرجع سابق-ص: 256 - 257.

فعندما يأخذ أولو الأمر الناس بالعنف و القسوة، و عندما تستبد الحكومات بخصومها، لا يجد المظلوم وسيلة لصد الطغيان و الاضطهاد إلا بمحاولة الحط من شأن أولئك المتعسفين، و ذلك بالسخرية منهم و التهكم بشخصهم أو بنظم الحكم التي يشايعونها، و يساعد الناس في مواجهتهم هذه، الكتاب الساخرون، و الصحافة الساخرة، التي كثيرا ما تركز على الكاريكاتور كوسيلة للنيل من هؤلاء فئسار حرب باردة، تفعل في نفوس أعدائها أكثر مما تفعله خطب الخطباء أو تحزب الأحزاب.(1)

و قد سجل التاريخ، مواقف كثيرة تلخص نيل الصحافة الساخرة، من رجال الحكم ، و من الأحكام التعسفية، فجعلت منهم مادة خصبة للتهكم، و لم ينتج منها إلا القليل، فكثيرا ما كان "تابليون"، و "تيكسون"، و "ماوتسي تونغ" .. وغيرهم موضع تهكم و سخرية، و كان لذلك كبير الأثر على المسار السياسي، و من الأمثلة أيضا على تأثير السخرية في السياسة، ما كتبه : "سوفيت" الانجليزي الذي وضع عام 1824 رسالة لاذعة باسم (رسائل رابير) ليناهاض احتكارا منحته الحكومة البريطانية لانجليزي في ايرلندا، و لقد أثارت سخرية الرسالة الرأي العام إلى درجة أن الحكومة تراجعت و سحبت هذا الإحتكار بعد منحه.(2)

و كان للأبواب اللاذعة، التي خصصتها بعض الصحف الساخرة في مصر، أثر كبير في الحياة السياسية، خاصة موضوع الانتخابات، حيث كانت تنتقد نظمها، و الحياة النيابية التي تتمتع بها مصر في فترة ما، و تصف صلة المرشحين بالناخبين بطريقة ساخرة، تؤثر بدورها في الرأي العام، كما تنتقد صرفهم للأموال و الهدايا و الملابس في سبيل الحصول على أصوات الشعب المصري، و بهذه الطريقة أصبحت الموضوعات السياسية، موضوعات عامة يعرفها الصغير و الكبير و لم تعد مقصورة على طائفة معينة.(3)

و من أمثلة تأثير الصحافة الساخرة في الحياة السياسية -أيضا- ما قامت و تقوم به صحيفة "ما Canard Enchaîné" الفرنسية، التي استهدفت ذوي النفوذ و المراتب العليا في المجتمع و الجيش و الكنيسة و الادارة، و قد كان لها مواقف إزاء الحكم، مثل موقفها من مجيئ ديغول إلى الحكم عام 1958، حيث شددت معارضتها، و رفضت النظام الملكي المطلق الذي أقامه ديغول، كما سجل التاريخ، زيادة قسوة هذه الصحيفة و نقدها، ابتداء من الجمهورية الخامسة، و قد ساعدها في هذه المعارضة الشديدة إبتعادها عن التحزب، و استطاعت هذه الصحيفة خلال عشرية السبعينات أن تتناول مجموعة من القضايا التي كان لها صدى واسع داخل فرنسا و خارجها، و مما يدل أكثر على تأثير هذه الصحيفة و خطورتها خوف السياسين و حذرهم منها، قول "قاليري جيسكار" - أحد أبناء الرئيس الفرنسي السابق- «الشيء

(1) أحمد عطية الله، مرجع سابق، ص: 258.

(2) المرجع نفسه، ص: 258.

(3) جمال الدين الرمادي، مرجع سابق، ص: 43.

الإيجابي في صحيفة مثل "Le Canard Enchaîné" هو أنها تخبر المسؤولين على مراقبة تصرفاتهم» كما يقول الوزير الأول في عهد "ديغول" -ميشاك ديبيري : Michék Debri « لا أحب صحيفة "Le Canard Enchaîné" لأنها الحقت بي الكثير من الضرر.. لكنها الصحيفة الوحيدة في فرنسا التي تمارس حقاً مهنتها..» (1)

و من الشواهد المعاصرة لتأثير الصحافة الساخرة في السياسة، ما قامت به جريدة "الصح-أفة" الجزائرية، التي كانت جريئة جدا في تناول كل الجوانب السياسية، التي ظلت -و لفترة طويلة - ممنوعة أو طابوهات، فتحدثت عن السلطة و انتقدها، و تناولت الشخصيات السياسية الأولى في السلطة بكثير من التهكم، و صورتهم في أشكال - كاريكاتورية متنوعة - تقريبا كلها - مهاجمة لهم، و كنتهم بكنيات مضحكة، كما تناولت الأحزاب بشكل تهكمي و ساخر و تناولت أيضا مسألة حقوق الإنسان في الجزائر، مما أثر على سمعة الحكام، فاضطر هؤلاء إلى توقيفها، كما يفعل مع كل صحيفة تؤثر مباشرة في السياسة المتبعة في مكان ما.

و إذا كان هذا دور الصحافة الساخرة و أثرها في مواجهة استبداد السلطات الحاكمة الداخلية، فإن دورها في مواجهة استبداد الحكومات المستعمرة، كبير أيضا، بما تنشره من سخرية من هؤلاء المستبدين، مناهضة لهم، و إطاحة بسياساتهم المتبعة في بلادهم، و ينقل لنا التاريخ أمثلة كثيرة عن هذا الدور، مثل ما قامت به الصحف المصرية الساخرة، إزاء الاحتلال البريطاني، حيث شهدت أواخر فترة لها أثناء التواجد البريطاني، و جعلت من استبداده مادة لها، و غالبا ما اقترنت كثرة صدور الصحف و المجلات الساخرة في مصر، بأوقات مقترنة بمراحل القضية المصرية نفسها، و اشتداد الأزمات التي تقع بين المحتل و أصحاب البلاد، و قد كانت أول صحيفة ساخرة في مصر تناهض حكومة "الخيدوي"، و الاحتلال البريطاني، مما أدى إلى نفيها خارج مصر، و لا يكاد يستعرض تاريخ الاحتلال البريطاني لمصر إلا و قد صورت أهم أحداثه عبر المجلات و الصحف الساخرة.(2)

و للصحافة الساخرة ميدان آخر، لها فيه أثر واضح، وهو ميدان الحروب، التي يلاحظ من خلالها و إبانها ازدهار الفكاهة عموما، و السخرية على الخصوص، و للصحافة الساخرة أثناء الحروب هدفان رئيسيان: استعمالها كوسيلة من وسائل الدعاية للتشهير بالعدو، و الهدف الثاني أنها تستخدم كوسيلة لتقوية الروح المعنوية بين الشعب و التخفيف من آثار الحرب عليه، و في مدونات التاريخ الأصلية، ما يؤكد هذه الظاهرة، فالصحف المعاصرة للحرب العالمية الأولى زاخرة بالنوادر و الفكاهات و الرسوم الساخرة، بل قبل ذلك سجلت حروب نابليون في أوائل القرن الماضي بواسطة الدعاية بطريق النكتة و الصورة الكاريكاتورية.

(1) Michel Ragon, OP.Cit P : 145.

(2) أحمد عضية الله، مرجع سابق، ص-ص : 266-270.

الفصل الثالث

الصحافة الساخرة في الجزائر نشأتها وتطورها

المبحث الأول : الصحافة المكتوبة في الجزائر.

المطلب الأول : قبل الاستقلال.

المطلب الثاني : بعد الاستقلال.

المبحث الثاني : الصحافة الساخرة في الجزائر.

المطلب الأول : قبل الاستقلال.

المطلب الثاني : بعد الاستقلال.

و كان نصيب الإيطاليين و الألمان و اليابانيين من دعاية الحلفاء الساخرة كبيرا واضحا، و كانت هذه الدعاية مسددة نحو الشعوب و زعماتها على السواء، و جعلت هدفها الأول التشهير بالجيش و اتهامها بالانحلال و الجبن و انهيار العزيمة، لاشاعة روح اليأس بين طبقات الشعب، و الانقاص من هبة زعماتهم الممثلين في "موسوليني"، و "هتلر"، و "جورنج" و "جوبلز"، و كانت السخرية من هذه الأطراف تختلف من طرف إلى اخر، فلا يمكن مثلا أن يسخر من الجيش الألماني بوصفه بالجبن و انهيار العزيمة مثلا، فلجأت الصحافة الساخرة إلى الروح العسكرية، مادة لها، و أخذت تتقد الطاعة العمياء فيهم.

و عناية الصحف الساخرة بالزعماء و القادة، أعنف و أوفر، حيث كان "موسوليني" و لضخامته، مادة لافتتان المصور الكاريكاتوري الذي صوره في هيئة رجل مغرور أحرق كالبطل الأجوف، و أصبح "هتلر" عرضة للتشهير و السخرية، و التفت الرسام انذاك إلى جسمه الضئيل، و شاربه القصير و خصلة الشعر المتدللية على جبهته، و جعل من ذلك مادة لتهمته، كما علق احدى الصحف الانجليزية عن الأسرى الانجليز الذين خطب فيهم هتلر، بقولها "كأنما لم يكفه ما هم فيه من بلاء و نكد..." و اتهم "جوبلز" وزير الدعاية الألمانية، بالاغراق في الكذب المفضوح، حتى قيل أن ألمانيا حكم عليه بالسجن لاذاعته أخبارا كاذبة، ذلك أن تلفيق الأخبار احتكار حكومي، و كان لذلك كله كبير الأثر ايجابيا في الجبهة الداخلية، و سلبيا بالنسبة للجبهة الخارجية. (1)

و تنتهي إلى أن الصحافة الساخرة تأثرت بالسياسة، و أثرت فيها، فكان ازدهارها و استمرارها منوط بطبيعة نظام الحكم المتبع، كما استطاعت الصحافة الساخرة - و على غرار الصحافة عموما، بالإضافة إلى ما تتميز به من أساليب مؤثرة - أن تكون سلطة رابعة، و أن يكون لها دور في تشكيل ذهنيات اتجاه السياسات المتبعة، و واجهت الإعوجاج و استطاعت كغيرها من أنواع الصحف الأخرى، أن تساهم في اسقاط حكومات، و أحزابا و ابعادهم عن السلطة خاصة في بعض الدول المتقدمة، و انتهى بها المطاف في الدول التي لا تؤمن بحرية الصحافة أو لم ترس قواعدها بعد، إلى إيقاف كل ما حاولت المساس بالسلطة أو الخلط في أوراقها، و مع ذلك فقد كان لها أثر كبير على الرأي العام الذي قد يتفطن إذا تكررت المصادرات مع هذه الصحف، إلى الظلم و الاستبداد الذي يتميز به النظام الحاكم.

(1) أحمد عطية الله، مرجع سابق، ص 276-277.

المبحث الأول: الصحافة المكتوبة في الجزائر.

المطلب الأول : قبل الاستقلال .

لم يعرف العرب وسائل الإعلام العصرية قبل القرن التاسع عشر، على الرغم من المخزون الفكري الحبيب الذي يملكونه في مجال الاتصال، خاصة و أنهم أمة الرسالة السماوية الخاتمة، التي أراد الله لها أن تكون عامة لكافة الناس، مما خول للعرب المسلمين أن يكونوا دعاة للعالم كافة، فامتلكوا أساليب اتصال كثيرة تمكنهم من أداء هذه المهمة.

و لعل أهم الأسباب التي حالت دون معرفة العرب لوسائل الإعلام العصرية، أنهم عاشوا فترة ركود حضاري حال دون وصولهم إلى اكتشاف هذه الوسائل، بالإضافة إلى الموجة الاستعمارية التي اكتسحت العالم الإسلامي، و كان أهم ما قام به المستعمر تكريس ذلك الضعف حتى يحكم القبضة على المستعمرين.

و الجزائر، كغيرها من البلدان العربية، و بلدان العالم الثالث - بصفة عامة - لم تنتشر فيها وسائل الإعلام العصرية قبل القرن التاسع عشر، و اقترن تواجد هذه الوسائل - كما هو الحال بالنسبة لمعظم البلدان الإسلامية- بالتواجد الاستعماري*، و أول هذه الوسائل انتشارا في الجزائر هي الصحافة، «حيث أثبتت الدراسات التي أجريت حتى اليوم، أن الصحافة -كوسيلة إعلامية عصرية- لم تكن موجودة في الجزائر، ذلك أن هذه الوسيلة بمفهومها العصري، قد ظهرت بأوروبا و تطورت في أحضانها و عرفت ازدهارا كبيرا في القرن التاسع عشر...» (1)

و هكذا و بما أن المستعمر الفرنسي، هو الذي أدخل وسائل الإعلام العصرية إلى الجزائر، فقد عمد إلى احتكار هذه الوسائل و تسخيرها لنشر سياسته الاستعمارية، و فكره و أيديولوجيته، مستعملا في ذلك كل الأساليب التي تمكنه من الوصول إلى هذه الغاية، و في الوقت ذاته، عمل المستعمر الفرنسي كل ما في وسعه للحيلولة دون امتلاك الشعب الجزائري لهذه الوسائل لعلمه بما يمكن أن يقوم به الإعلام في تحرير الشعوب و توعيتها.

و مما يؤكد نية المستعمر الفرنسي هذه، أنه - و فور وصوله إلى الجزائر- أصدر جريدة، كان قد أعد لها و لإنشائها و هو قادم لاحتلال هذا البلد، و هي جريدة "بريد الجزائر" -كما ذهبت إلى ذلك عواطف عبد الرحمن- (2) أما المتفق عليه تقريبا من طرف المؤرخين للصحافة في الجزائر، فإن

(*) ففي مصر مثلا - و هي من أوائل دول العالم الإسلامي التي عرفت وسائل الإعلام العصرية (الصحافة) - كان ذلك على يد نابليون بونابرت... (1) زهير احدادن، "الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال"، سلسلة الدراسات الإعلامية، عام الاتصال، (الجزائر: ديوان المصنوعات الجامعية، 1992) ص: 97.

(2) عواطف عبد الرحمن: الصحافة العربية في الجزائر: دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية: 1954-1962، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1978) ص: 25 (دور صفة).

أول جريدة أنشئت من طرف المستعمر الفرنسي هي جريدة "بريد سيدي فرج L'estafette de sidi ferruch"، هذه الجريدة أعدت خصيصا لدعم سياسة فرنسا الاستعمارية، وإقناع الجنود الفرنسيين بشرعية التواجد الفرنسي في الجزائر، حيث وزعت عليهم عند نزولهم بسيدي فرج، و كان ذلك بداية للصحافة الاستعمارية باللغة الفرنسية في الجزائر، هذه الصحافة التي عرفت ازدهارا كبيرا لم يفتر حتى سنة 1962م، مقابل صحافة جزائرية مضطهدة غير مكافئة تماما لصحافة المستعمر. (1)

و الذي يلقي نظرة عامة على تاريخ الصحافة في الجزائر، على مدار الحقبة الاستعمارية، يجد أن هذه الفترة مميّزها الاستغلال البشع و الضغط المستمر الذي مارسته فرنسا، التي أدركت تماما أهمية هذه الوسيلة، فلم تطأ أرض الجزائر حتى أنشأت، جريدة تدعمها و تكون لسان حالها.

لقد سار تطور الصحافة في الجزائر مطردا مع تطور الصحافة في فرنسا، وكذا مع التاريخ السياسي في هذه الفترة، و لم تبقى الصحافة في الجزائر حكرا على المستعمر الفرنسي طوال فترة احتلاله للجزائر، ففي البداية كانت الحكومة الفرنسية تمسك بزمام الأمور، في حين كان المعمرون قليلي العدد، و الأهالي مضطهدين و لا يملكون الحق في اكتساب هذه الوسيلة، أو حتى في التعبير الحر عن حقوقهم و مشاكلهم.

و بعد فترة زمنية أخذ عدد المعمرين يزداد، و بدأت تظهر تغيرات اجتماعية و سياسية في المجتمع الجزائري، مما عمل على ظهور العراقيين و المشاكل داخل الحكومة الفرنسية التي لم تعد ذات توجه واحد إزاء القضية الجزائرية، و كذا المعمرون الذين كانت لهم روي مختلفة أيضا، هذا إلى جانب ظهور بذور اليقضة و الإحساس بتقل المستعمر من طرف الأهالي، كل هذا كان له تأثير على الصحافة و -وسائل الإعلام عموما- و كيفية استغلالها من طرف الشرائح المكونة للمجتمع الجزائري، حيث لم تكن الفرص و الإمكانيات المتاحة لفئات المجتمع من أجل استغلال وسائل الإعلام، متكافئة، ففي الوقت الذي ظهرت صحافة المستعمر منذ دخوله الجزائر، لم تر الصحافة الجزائرية النور حتى عام 1893م..(2)

ويرى زهير إحدادن، أن الأصناف التي يمكن رصدها خلال الفترة الاستعمارية، خمسة وهي :

1- الصحافة الحكومية : La presse gouvernementale

2- صحافة المعمرين : La presse coloniale

3- صحافة أحباب الأهالي : La presse indiginophile

4- الصحافة الأهلية : La presse indigène

5- الصحافة الوطنية : La presse nationaliste

(1) و هذا ما ذهب إليه كل من : زهير إحدادن في كتابه : تاريخ الصحافة الأهلية في الجزائر من النشأة إلى 1930، و الربيع سيف الإسلام في سلسلة : تاريخ الصحافة في الجزائر، (الجزء الأول)، و غيرهم.

(2) Kirat Mohamed. The communicators, a portrait of Algerian journalists and their work. (Algérie : office des publications universitaires, 1993); P : 27

و قد علق الأستاذ احدادن على هذا التصنيف، بأن هذه الأنواع لم تظهر في وقت واحد، بل جاء ظهورها في أزمنة متتالية، مما جعلها تتعايش أحيانا، و لم تتواجد معا إلا في الفترة التي جاءت بعد سنة 1930. (1)

وهناك تصنيفات أخرى للصحافة الجزائرية حسب معايير أخرى، و كانت هذه التصنيفات أو التاريخ بصفة عامة، تفتقد إلى التنظيم و المنهجية، مثل تصنيف "سوريو" ** التي قسمت الصحافة الجزائرية إلى خمس مراحل:

- المرحلة الأولى : من بداية الاستعمار الفرنسي إلى غاية بداية الحرب العالمية الأولى (1830-1914).

- المرحلة الثانية : مرحلة ما بين الحربين العالميتين (1918-1940).

- المرحلة الثالثة : من الحرب العالمية الثانية إلى حرب التحرير الجزائرية (1943-1954).

- المرحلة الرابعة : مرحلة الحرب التحريرية الجزائرية (1954-1962).

- المرحلة الخامسة : مرحلة الاستقلال الوطني (1962-1964).

و على العموم، فإن السلطات الاستعمارية عملت على إرساء قوانين و تشريعات توافق مصالحها الاستعمارية، قوانين احتوت في مجملها على عدد من الاختيارات الخاصة بالملكية و تسيير أجهزة الصحافة، و شروط إنشاء و عمل هذه الأجهزة، و قد كرست التفريق بين الصحافة الأوربية الناطقة باللغة الفرنسية، و بين الصحافة المحلية الناطقة بالعربية الفصحى أو بالدارجة(2)، و منذ بداية تواجدها بالجزائر، فإن الصحافة الفرنسية وجدت نفسها هي المهيمنة على الوضع، و لم يكن ذلك لأنها تملك وسائل هامة، ولكن أيضا لأنها لم تكن تخضع للظروف نفسها التي كانت تخضع لها الصحافة الجزائرية، خاصة الأمية التي فرضت على الشعب الجزائري، و التي حالت دون الاستفادة من الصحف الجزائرية العربية، بله الصحف الفرنسية.

في المرحلة الأولى للصحافة في الجزائر، كانت السيطرة واضحة للصحافة الحكومية ثم صحافة المعمرين، و بدرجة أقل صحافة أحباب الأهالي، في حين لم يكن للأهالي أية وسائل أو قوة لممارسة مهنة الصحافة، و لم يكن تيار الوطنيين قد ظهر بعد، و للوصول إلى الشعب، كان المعمرون يستعملون

(1) Ihaddaden Zahir. Histoire de la presse indigène en Algérie, des origines jusqu'au 1930. (Alger : Entreprise nationale du livre. 1980). P-P : 13-14-15-16-17-18.

(*) وصفت كذلك، لأنها لم تفرق بين المراحل التي ذكرها احدادن أو بصفة أدق بين الأنواع التي ذكرت، خاصة بين الصحافة الأهلية، و صحافة أحباب الأهالي .

(**) سوريو : Souriou-Hoebrechts Christiane في كتابها : La Presse Maghrébine

(2) Ihaddaden Zahir "L'évolution de la presse écrite En Algérie depuis l'indépendance", d'après: Wolfgang - S.Freund : La presse écrite au Maghreb : réalités et perspectives, (Institut de recherches et d'études sur la communication. Université de Paris. Deutsches Orient -Institut. Hombourg. 1989). P : 120.

كلا من اللغة الفرنسية و العربية، التي في الحقيقة لم تكن عربية فصحي، بل كانت دارجة، و ركيكة، و أول ما أصدر بالعربية جريدة : المبشر "EL Moubachir" وكان الهدف من إنشاء هذه الجريدة هو إخبار الوسطاء و الأعيان -الذين نشرتهم فرنسا عبر التراب الوطني، -بعد بناء شبكتها الإدارية الأولى على معظم التراب الوطني، اثر انتهاء المقاومة العسكرية التي قادها الأمير عبد القادر - تخبرهم بما تتخذة من التدابير، و الإجراءات، مما جعل توزيعها محدودا جدا لا يتعدى النخبة التي أفرزتها فرنسا الاستعمارية في الجزائر، و مع ذلك كان لها نفوذ ذو أثر عميق.

و قد أدت جريدة "المبشر" دورا كبيرا في إظهار الصحافة الجزائرية، فكانت بمثابة مدرسة تخرج منها الصحفيون الأوائل، الذين انشأوا الصحف العربية في الجزائر، مثل "محمود كحول" و "مامي اسماعيل" الذين أسندت إليهم الحكومة الاستعمارية جريدة "كوكب أفريقيا" (ما بين 1907 و 1914)، و جريدة "النجاح" (ما بين 1919 و 1956) اللتين عوضتا جريدة "المبشر" بعد مرحلة أدت فيها دورا ثقافيا مهما، و تخرج من جريدة "المبشر" أيضا آخرون مثل "عمر راسم"، و "المولود الزريبي الازهري"، الذين أنشأ فيما بعد صحفا أهلية غير حكومية، كما تخرج من "المبشر" عدد من المترجمين و التقنيين الحرفيين الذين كانوا دعائم النشاط الصحافي في الجزائر. (1)

و تجدر الإشارة هنا، أن بعد جريدة "المبشر" لم تظهر أية جريدة أخرى باللغة العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر، حينما أصدر "دوارد جيلين" -و هو فرنسي مستشرق-، جريدة "النصيح" عام 1899 التي لم تستمر أكثر من عدة أشهر، و كذلك أصدرت جريدة "الأخبار" التي أسسها المستشرق الفرنسي، "فيكتور باروكاند" سنة 1902 (2) و كانت تمثل هي الأخرى، مدرسة تخرج منها أو تعلم فيها عدد كبير من الصحفيين المسلمين الجزائريين بالأخص "عمر بن قدور الجزائري"، الذي كان من رواد الصحافة في الجزائر.

أما صحافة المعمرين فقد ظلت ذات طابع متواضع إلى سنة 1848، و قد أثرت عليها بعض أحداث العصر مثل ثورة الأمير عبد القادر، و إعلان الجمهورية الفرنسية في 23 فيفري 1848، حيث أثرت هذه الأحداث في الأقليات الأوربية المتواجدة في الجزائر و بالتالي في الصحافة الناطقة باسمهم، التي لم تلبث أن أخذت في النمو و الاتساع حتى الحرب العالمية الأولى. (3)

هذه الصحافة و بما كانت تتمتع به من حريات، و ما تمارسه من سلطات، أثرت كثيرا على المثقفين الجزائريين، الذين ترعرعوا في المدرسة الفرنسية، فأدركوا حقهم في المطالبة بأمر كثيرة، و كان ذلك خرق للقوة المزعومة للحكومة الفرنسية، كما اقتنع هؤلاء بأهمية الصحافة كوسيلة لنشر و إيصال مشاكلهم للسلطات (4) و قد كانت القوانين الفرنسية المطبقة في الجزائر، تعامل الصحافة

(1) زهير احداث، مرجع سابق، ص: 101، كذلك راجع، عواطف عبد الرحمن في مرجعها السابق، حيث تذكر أن جريدة الأخبار مصيرها مثل مصير جريدة النصيح، و كذلك ذكر هذا في كتاب Elias Hanna Elias. *La presse arabe*. (Edition Maisonneuve et Laro se. Paris).P : 59.

(2) عواطف عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص: 28.

(3)، (4)، المرجع نفسه، ص-ص: 28، 29.

العربية على أنها صحافة أجنبية، ولم يكن لأي فرنسي الحق في إدارة جريدة عربية، و لمواجهة هذا التعسف اضطر الجزائريون إلى إنشاء جرائد باللغة الفرنسية، مثل جريدة "المسلم : Le Musulman" سنة 1909، و "العلم الجزائري: l'Etandard Algerien" سنة 1910. (1)

و إزاء هذه الوضعية المتعسفة، بدأت فئة من الفرنسيين تستاء من السياسة الاستعمارية، و أرادت هذه الفئة أن تقدم يد المعونة إلى نخبة معينة من المسلمين الجزائريين حتى لا يياسوا من الوجود الفرنسي في الجزائر، و ترجع بداية نشاطهم إلى السنوات الأولى من الاحتلال، عندما بدأ "اسماعيل طوماس إربان: Ismail Thomas Urbains" ينشر مقالات سنة 1847 يدعو فيها السلطات الاستعمارية للاهتمام أكثر بالسكان المسلمين، و قد لاقى هذه الدعوة استجابة بعد تولي نابليون الثالث عام 1852 الحكم في فرنسا، إذ تقرب "إربان" من "تابليون"، و أصبح مستشارا له، و أقتعه باتخاذ سياسة جديدة في الجزائر تعمل على إنشاء مملكة عربية تحت رعاية فرنسا، و الغرض منها مساعدة فرنسا في سياستها التوسعية، غير أن هذه السياسة لم تتحقق لأن حكم نابليون الثالث لم يدم طويلا. (2)

هذه السياسة لم تتحقق، و لكنها لم تمت، بل بدأ بعض الفرنسيين يؤمنون بها و ينظمون أنفسهم، وفقها فكانت "الجمعية الفرنسية لحماية الأهالي" التي تكونت من وزراء و رجال السياسة و العلم و الأدب، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل قرروا إنشاء جريدة تمثل خطهم، و تشرح سياستهم، و فعلا أنشأت هذه الجريدة في قسنطينة سنة 1882 تحت اسم "المنتخب" و كان لها دور كبير في نشأة الصحافة الأهلية.

كان لجريدة "المنتخب" سياسة واضحة في الدعوة إلى إشراك الأهالي في تسيير أمورهم، و دعوتهم إلى الالتفاف حول هذه السياسة، فانتقدت تصرفات الحكام الفرنسيين في الجزائر، و نددت بأعمالهم التعسفية ضد المسلمين الجزائريين، كما دعت المسلمين إلى إنشاء الصحف التي تدافع عن حقوقهم و عدم اللجوء إلى العنف، هذا الخط المعادي للسياسة التعسفية للمستعمر، كانت سببا في غضب السلطات، و أدى ذلك إلى توقف الجريدة بعد عام من صدورها.

و لم تختف الرسالة التي كانت تحملها "المنتخب" بل جاء بعدها، عدد غير قليل من الصحف، كان يديرها رجال من أحباب الأهالي، ووصل عددها إلى ما يقارب العشرة في الفترة ما بين 1900-1962، منها جريدة "منير الأهالي" التي أنشأها "سپيلمان: Spielman" و هو أحد الشخصيات القوية من أحباب الأهالي، و كان ذلك سنة 1927، و كذلك جريدة "الجزائر الجمهورية" التي أنشئت من طرف الحزب الاشتراكي الفرنسي، سنة 1937، و كانت يومية خلافا لسابقتها، و تجدر الإشارة هنا أن حركة أحباب الأهالي تحولت بعد 1936 من حركة أفراد إلى حركة أحزاب، ثم قبيل الثورة التحريرية الجزائرية أي خلال سنوات 1952-1953-1954 ظهرت حركة أخرى من أحباب الأهالي من

(1) Elias Hanna Elias, OP.Cit. P: 60.

(2) رهير احدادن، مرجع سابق، ص-ص: 101-102.

المسيحيين الكاثوليك، و التي كانت أكثر التزاماً من الأحزاب الفرنسية اليسارية، و تعاونت مباشرة مع الجزائريين الذين كانوا يطالبون بالاستقلال و تحالفت معهم، و عملت بجانبهم لتحقيق هذا الهدف، خاصة بإنشاء صحف دورية تعبر بكل وضوح عن هذا الموقف مثل جريدة "الأمل : l'Espoir" و جريدة "الوعي المغربي : Conscience Maghrébine"، و كان لبعض أفراد هذه الحركة دور في تحرير جريدة "المجاهد" إبان الثورة التحريرية الجزائرية مثل الطبيب "شولي". (1)

أما الصحافة الجزائرية المسلمة، أو الصحافة الأهلية، فهي تلك الصحافة التي يقوم بها المسلمون الجزائريون من ناحية التسيير الإداري، و المالي، و من ناحية التحرير و التوزيع أيضاً، و يهتم مضمونها - على العموم - بقضايا المسلمين الجزائريين و بشؤونهم العامة، و كان أول صدور لهذه الصحافة عام 1893، تاريخ صدور جريدة "الحق" بعنابة. (2)

و مما ساعد على ظهور هذه الصحافة، اليقظة التي شهدتها الفئة المثقفة في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، بعد وصول اللجنة البرلمانية، لدراسة الوضع في الجزائر، و التي تشكلت بعد شعور الحكومة الفرنسية و البرلمان بفرنسا، بالتعسف الذي كانت تمارسه السلطات الاستعمارية في الجزائر، و استمر عمل هذه اللجنة طويلاً مما أدى إلى إيجاد مناخ فكري، لم يكن قائماً من قبل، و تم فيه اكتشاف عدد كبير من الجزائريين المقتدرين على الكتابة، و التعبير و الدفاع عن الحقوق المغتصبة، و كان تأسيسهم لجريدة "الحق" من باب إعطاء وصف دقيق و حقيقي للحالة التي كان يعيشها المسلمون، و تقدم بذلك للجنة عرضاً شاملاً حول هذه الحالة. (3)

و قد قامت جريدة "الحق" بدورها كما يجب، و ركزت جهودها لإبراز الأسباب العميقة لحالة المسلمين، و رغم أنها لم تتعرض للسبب الحقيقي المتمثل في الوجود الفرنسي، و ذكرت فقط : عدم وجود قانون يضبط ملكية أراضي المسلمين، و موقف بعض الحكام الحاقدين على المسلمين، و كذا استغلال بعض اليهود لضعف المسلمين، و فرض القروض الربوية عليهم، إلا أن هذا لم يمنع من إثارة غضب السلطات الاستعمارية في الجزائر، التي أرغمت الجريدة على التوقف بعد عام من صدورها، ومرت عشر سنوات أخرى، دون أن تظهر جريدة أهلية أخرى.

بعد هذا الانقطاع، و في سنة 1903 ظهرت جريدة "المغرب" ثم اختفت في السنة نفسها، و صدرت جريدة أخرى باسم "الصباح" و التي بدورها دامت بضعة أشهر فقط، تلتها صحف أخرى قليلة بصفة متقطعة و من غير نفس طويل، و كما يلاحظ، فإن الصحافة الأهلية كانت بدايتها مضمينة نوعاً ما رغم عناية الوالي العام بها آنذاك. (4)

(1) زهير احداد، مرجع سابق، ص-ص: 102-103-104-105.

(2) المرجع نفسه، ص: 105.

(3) المرجع نفسه، ص: 105.

(4) المرجع نفسه، ص: 106.

و بعد هذه المرحلة التي شهدت فيها الصحافة الأهلية تقطعا ملحوظا، عاشت هذه الصحافة مرحلة أخرى، مرت فيها بأطوار مختلفة، تبعا للظروف العسكرية و السياسية و الاقتصادية للبلاد، فكانت الرعاية من طرف الوالي العام "جونار" -على الخصوص - في البداية، مما سمح بنشاط صحفي زاخر سمح بانتشار عدد لا بأس به من الصحف سواء كانت بالعربية أو بالفرنسية أو مزدوجة، كما اتسمت الصحف في هذه الفترة بالديمومة، لأنها كانت في مجملها لا ترفض الوجود الفرنسي، و كان اختلافها حول مسائل أخرى.

فهناك بعض الصحف تدعو إلى المشاركة، و تخوض عموما في الميدانين الثقافي و الاقتصادي دون السياسي، كما كانت تدعو إلى التمسك بتعاليم الإسلام الحقيقية، و أحيانا كانت لها بعض المواقف السياسية مثل رفضها للتجنيد الإجباري و كذلك للتجنيس، و كان يمثل هذا الاتجاه، صحف منها جريدة "الحق الوهرانية" و ذو الفقار" لعمر راسم، و "الفاروق" و "الصديق" "لعمر بن قدور الجزائري"، و هي صحف صدرت ما بين 1911-1914. (1)

أما الاتجاه الثاني، فكانت تمثله صحف كثيرة منها "الإسلام و " الراشدي"، و "الأقدام" و "صوت الأهالي"، و كانت تدعو إلى الاندماج و الفرنسية، و من هنا لم تعارض التجنيد و التجنيس، و بعد الحرب العالمية الأولى ظهر اتجاه آخر، بزعامة "الأمير خالد"، حاول من خلاله التوفيق بين النظريتين السابقتين، فدعى إلى المساواة في الحقوق مع المحافظة على الشخصية الإسلامية، يعني الاندماج السياسي لا الثقافي، و كان لهذا الاتجاه تأثير كبير في الأوساط الجزائرية، و كون رأيا عاما معتبرا، مما أقلق السلطات الاستعمارية فأخذت تعرقل صحافة هذا الاتجاه، و بذلك أصبحت رعاية السلطات للصحافة الأهلية غير مطلقة. (2)

و بعد طور الرعاية جاء طور القمع و التعسف، و بدأ حوالي سنة 1923 و امتد إلى سنة 1935، و في هذه الفترة وضعت السلطات الاستعمارية رقابة شديدة على الصحافة الجزائرية، خاصة منها المكتوبة بالعربية، التي كانت تعتبرها أجنبية طبقا للمادة 14 من قانون حرية الصحافة الصادر سنة 1881، مما سمح بمنع النشاط الصحفي بالعربية بمجرد قرار يوافق عليه من بعد وزير الداخلية. و أول مرة اتخذ هذا القرار كان سنة 1925 ضد جريدة "المقتد" التي اصدرها الشيخ "عبد الحميد بن باديس"، و كان ذلك بمثابة الإنذار للصحافة الأهلية، بأن لا تتعدى خطا معينيا في مواقفها، و ألا تخوض في المجال السياسي كي تضمن الاستمرار، و مع ذلك فإن هذا القرار لم يمنع الصحافة العربية من المحاولة و التحدي فقد حاولت جمعية العلماء المسلمين بعد تأسيسها سنة 1931 أن تصدر صحيفة تعبر عن مواقفها، غير أنها عانت الكثير من القانون المتعسف الذي يعامل الصحافة المكتوبة

(1) زهير احداد، مرجع سابق، ص : 107.

(2) المرجع نفسه، ص: 108.

بالعربية على أنها أجنبية، و مرت على جمعية العلماء المسلمين أربع سنوات، لم تتمكن خلالها من أن تضمن الاستمرار لجريدة واحدة من الصحف الخمسة التي أصدرتها.(1)

هذه الوضعية، عاشتها أيضا الصحافة اليقظانية (صحافة أبي اليقظان) الذي عانى في كل صفحة من المضايقات و المصادرات، فكان كلما أصدر صحيفة تابعتها السلطات الاستعمارية مما اضطره إلى التخفي بأسماء مختلفة، و تغيير أسلوبه أحيانا تهربا من تلك المضايقات، و لم تنته حدة هذا الصراع إلا سنة 1935، عندما بدأت الأوضاع السياسية تتغير في فرنسا بوصول الأحزاب اليسارية إلى الحكم.

و لم تسلم الصحف المكتوبة بالفرنسية من هذا الضغط، رغم أن الرقابة عليها كانت أقل صرامة، فالسلطات الفرنسية وجدت ثغرات في القانون المطبق آنذاك مما سمح لها بالضغط عليها، مما دفع بالكثير منها إلى التوقف تحت وقع هذه المضايقات، و نظرا لهذا القمع المسلط على الصحافة الجزائرية في هذه الفترة، فإنها كانت غير منتظمة في صدورها، ففترات تعطلها أكثر من فترات صدورها، كما أن تلك الضغوطات أدت بكثير من الصحف إلى التخفي وراء أسلوب معقد و كلاسيكي مما أبعدا عن التأثير على الجمهور الجزائري، و لم تستند الصحف في عمومها، على تنظيمات سياسية أو اجتماعية، مما أدى إلى خلو هذه الصحف من المواقف الجديرة بالذكر إلا القليل منها.(2)

ثم بدأ طور جديد، طور دشن بجريدة "البصائر" الناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين فبسبب الظروف السياسية في تلك الفترة، (و منذ سنة 1935، عند وصول اليساريين إلى الحكم في فرنسا، وكذا بعد بروز الحركة الوطنية بين المهاجرين في فرنسا)، اضطرت الإدارة الاستعمارية إلى اعتبار النزعة الاندماجية كضرورة يفرضها عليها الوضع الجديد، و من هنا كان السماح لصحافة هذا التيار بممارسة نشاطها، فكانت التجربة التي أكسبت هذه الصحف نضجا أهم أبعاده القدرة على التأثير على الرأي العام، و الاستمرار في الصدور مدة لا بأس بها، و التعبير عن اتجاهات متقاربة رغم اختلافها.(3)

و أهم الصحف التي كان لها تأثير في هذه الفترة "الأمة" التي أصدرها "أبو اليقظان" في 08 ديسمبر 1933 بمدينة الجزائر و باللغة العربية، استمرت خمس سنوات، حتى سنة 1938 و كانت تهتم بالإصلاح الديني، ثم جريدة "الدفاع : La Défence" التي أصدرها "الأمين العمودي" في 26 جانفي 1934 بالجزائر العاصمة، و باللغة الفرنسية، و استمرت حتى سنة 1939، و كانت تعبر عن الاتجاه الذي كان يعبر عنه "الأمير خالد"، أي سياسة الإدماج السياسي دون الثقافي، كما كانت تعبر عن موقف جمعية العلماء المسلمين بصفة غير رسمية، قبل أن تنشئ جريدة "البصائر" هذه الجريدة التي صدرت في 27 ديسمبر 1935 لتكون لسان حال جمعية العلماء المسلمين، و كانت من أهم الصحف في هذه

(1) زهير احداون، مرجع سابق، ص: 109.

(2) عواضف عبد الرحمن، مرجع سابق، ص: 36.

(3) زهير احداون، مرجع سابق، ص-ص: 110-111.

الفترة نظرا لعمودها لفترة طويلة قدرت بإثنتي عشر سنة تقريبا، و لم تحمل هذه الجريدة مواقف سياسية صريحة، و لكنها كانت تؤيد خط الاندماجيين بطريقة غير مباشرة، و كان مجهودها الأكبر منصب حول الإصلاح الديني و التربية، و حول مواجهة الانحراف الديني الذي كانت تشجعه فرنسا ممثلا في الزوايا و المرابطين، و كان إسناد إدارة هذه الجريدة إلى شخصيات فذة في البلاغة أمثال "الطيب العقبي" و "البشير الإبراهيمي"، من العوامل التي أكسبتها نضجا في كل الجوانب، و أخيرا كانت جريدة "التفاهم: l'Entente" التي أسستها نخبة من الجزائريين هم : "عبد العزيز كسوس" و "فرحات عباس"، و "محمد الاخضري" في 29 أوت 1935، باللغة الفرنسية، و كانت تعبر عن خط يدعو إلى الفرنسية الكلية سياسيا و ثقافيا، و استمرت حتى سنة 1942. (1)

و قد كان لهذه الصحف دور كبير في تنشيط الساحة السياسية في الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية، و أكبر إسهام لها يتمثل في التحضير للمؤتمر الإسلامي سنة 1936، و لكن فشل سياسة الإدماج، جعل هذه الصحف و ما تمثله فقد نوعا ما من مصداقيتها، حيث ضعفت و قل نفوذها خلال الحرب العالمية الثانية، ثم تازمت بعد هذه الحرب و زالت بعد ذلك، و لم يبق منها إلا النزر القليل. بعد هذا المناخ العام، المسالم في عمومها، تأتي مرحلة جديدة للصحافة الجزائرية، مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ الرأي العام يواجه المشاكل المترتبة عن هذه الحرب، و التي على رأسها انقسام العالم إلى معسكرين : اشتراكي و رأس مالي، و كذا تفكك النظام الاستعماري، و بداية ظهور الحركات الوطنية.

و في الجزائر تحرك النشاط السياسي، و اتسع تحرك الأحزاب السياسية بعد أن لاقت اضطهادا كبيرا و منعنا شاملا لكل ما يصدر عنها، و يمثل هذا الحال حركة "تجم شمال أفريقيا" التي ظهرت سنة 1926 و هي حركة ثورية تناهض الاستعمار الفرنسي مباشرة، و قد أصدرت هذه الحركة جريدة تعبر عن آرائها و كان ذلك في فرنسا و بالفرنسية و هي جريدة : "الأمة" التي بدأت تظهر حوالي سنة 1930، و كانت هذه الجريدة تجد صعوبة كبيرة في توزيعها مما أدى بالحركة إلى إنشاء صحف أخرى في الجزائر لم تنتظم و كانت تطبع بطريقة بدائية و توزع سرا مثل جريدة "الشعب" و "البرلمان الجزائري" كما أن الحركة اضطهدت ثم منعت وتم إنشاء ما يعوضها و هو "حزب الشعب الجزائري" الذي عانى أكثر من سابقته، و حدث تطور كبير في الحركة السياسية، أدى بدوره إلى تطور الصحافة في هذه الفترة و التي سميت بالصحافة الوطنية.

و أهم ما ميز هذه الفترة، و كذا الصحافة الصادرة فيها :

- أن الرأي العام الجزائري أصبح أكثر وعيا، مع زيادة عدد المثقفين باللغة العربية و قد قامت جمعية العلماء المسلمين بدور فعال في هذا المجال، هذا فضلا عن التغلب على مشكل الأمية بواسطة

(1) رهبر احداث، مرجع سابق، ص-ص: 111-112.

القراءة الجماعية التي عمد إليها المتقنون الجزائريون، والتي أصبحت عادة مكرسة من طرفهم، مما سمح بتكوين قاعدة كبيرة للصحافة آنذاك.

- أصبحت الصحافة الجزائرية تعبر عن اتجاهات سياسية واضحة ومحددة، وأصبحت تستند إلى فلسفات سياسية واجتماعية.

- وقد أدى هذا بدوره إلى الانتظام في الصدور، بما أنها لم تكن مشروعات فردية .

- كما أن من أهم ما يميزها أيضا، أنها قليلة في عددها، وإن كان تأثيرها أعمق وأبعد أثرا،

وقد اتخذت لنفسها لهجة شديدة، غير تلك التي كانت تتسم بها من قبل.

- الصحافة في هذه المرحلة، تطورت على مستويات كثيرة، ففي المجال التقني تحسنت بعد أن كسب الصحفيون تجربة لا بأس بها، وحدث تحسن وتطور في منهجية الكتابة، حتى أن بعض * من كتب حول تاريخ الصحافة في الجزائر، وصف الصحافة في هذه المرحلة بأفضل ما حقق في هذا الميدان، بل وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حين قالوا بأنها أفضل من صحافة الاستقلال. (1)

و نؤكد أن الصحافة الوطنية تسيير تبعا للحركة الوطنية و تاريخها في الجزائر، و قد أشرنا أن الساحة الجزائرية شهدت ظروفًا جديدة بعد انتشار الوعي السياسي و الشعور الوطني، فبعد الحركة السياسية التي أنشأها مصالي الحاج تحت إسم نجم "شمال إفريقيا" ثم "حزب الشعب" بعد المضايقة و المطاردة من طرف الاستعمار، ظهرت حركات أخرى، و ظهرت معها صحافة مميزة تعبر عن التوجهات الجديدة، و تحرك في الشعب الجزائري الشعور بحقه في الاستقلال و تسيير شؤونه بنفسه.

و يمكن تحديد أهم الصحف تبعا لأهم الأحزاب و الحركات السياسية التي ظهرت في هذه الفترة

بمايلي :

1- كان لانهازم فرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية تأثير قوي على كل من كان يؤمن بالاندماج في الجزائر، و فرصة كبيرة لتعميم فكرة الاستقلال، و من هنا كانت حركة "أحباب البيان" التي أصدرت جريدة "المساواة: l'Egalité" سنة 1944، و قامت هذه الجريدة بترويج فكرة السيادة الوطنية، و تأسيس برلمان جزائري، و قد قامت بدور كبير في هذه الفترة الحاسمة، و بفضلها أصبحت فكرة الاستقلال مقبولة عند جميع فئات الشعب، إلى أن وقعت أحداث 8 ماي 1945، و تم اعتقال "فرحات عباس"، زعيم الحركة، و كثيرا من أعضاء الحركة، و توقفت الجريدة عن الصدور في هذه السنة.

2- و بعد العفو الذي منحه الحكومة الفرنسية للجزائري سنة 1946، عاد النشاط السياسي إلى

الساحة الجزائرية بحل حركة "أحباب البيان" و إنشاء أحزاب أخرى، مثل "الاتحاد الديمقراطي

(*) ذهب إلى هذا الرأي : زهير إحدادن في كتابه : الصحافة الأهلية، كذلك عبد المالك مرتاض في موضوعه "نشأة الصحافة العربية و تطورهما في الجزائر" مجلة الثقافة، جوان، جويلية، 1976، ع: 33، ص-ص: 29-42.

(1) عواضف عبد الرحمن، مرجع سابق، ص: 43.

لأنصار البيان " الذي أصدر جريدة "الجمهورية الجزائرية" في مارس 1946، و التي عملت على نشر الآراء الجديدة "فرحات عباس".

3- و عندما خرج "مصالي الحاج" من المعتقل سنة 1946 شرع على الفور في إعادة تشكيل حزب "الشعب" المنحل تحت اسم حزب "انتصار الحريات الديمقراطية"، و كان لهذا الحزب نشاط صحفي مكثف تمثل في "الأمة الجزائرية" التي كانت تصدر يوميا و باللغة الفرنسية، و كانت تدعو إلى الاستقلال التام، و استمرت إلى سنة 1946 كما أصدر هذا الحزب، جريدة "المغرب العربي" و هي صحيفة أسبوعية كانت تصدر بالعربية عدا بعض الأعداد الخاصة التي صدرت بالفرنسية، و صدرت من 1947 إلى سنة 1949، و كانت تدعو و تكرر الفكرة نفسها، ثم صدرت صحيفة "المنار" من سنة 1951 إلى 1953 التي كانت مستقلة في ظاهرها و هي في الحقيقة تابعة للحزب، و بعد ذلك استقلت عنه و توقفت.

أما جمعية العلماء المسلمين فقد نشطت في هذه الفترة بجريدة "البصائر" التي توقفت أثناء الحرب العالمية الثانية، و استئنفت عام 1947 و لم تتوقف إلا سنة 1956 بعدما نشرت بيانا تساند فيه ثورة التحرير، كما كان للحزب الشيوعي الجزائري بدوره نشاط صحافي، تمثل في صحيفة "Alger Republicain" التي كانت في البداية أسبوعية ثم أصبحت يومية، و قد صادرتها سلطات الاحتلال سنة 1957 بعد انضمام أعضاء الحزب إلى الثورة التحريرية. (1)

و أثناء ثورة التحرير، توحدت القوي السياسية، لكن و من الناحية الإعلامية فإن الثورة مرت بمرحلتين، مرحلة لم يكن فيها صحافة خاصة بها، و قد بدأت جبهة التحرير الوطني في بداية أمرها بالمناشير، و هذا من سنة 1954 إلى سنة 1956، و لم يكن موقف الصحافة الوطنية الأخرى واضح في هذه الفترة، إن لم نقل أنه كان متحفظا.

أما الفترة الثانية و التي امتدت من سنة 1956 إلى سنة 1962، فإن جبهة التحرير الوطني بدأت تفكر في إنشاء صحافة خاصة بها، تنشر آراءها، و تشرح مواقفها و تقوي عزم الثورة من أجل الحصول على الاستقلال، و من هنا كان إنشاء عدة صحف تحمل هذا العبء و تسعى إلى تحقيق هذا الهدف، فأُنشئت إحدى هذه الصحف بفرنسا، ثم أخرى بتطوان، بالمغرب و ثالثة بتونس، و كلها كانت تحمل اسما واحدا و هو: "المقاومة الجزائرية"، و كانت تطبع بالعربية و الفرنسية، أما الصحيفة التي تمكنت جبهة التحرير الوطني من إنشائها في الجزائر فهي صحيفة "المجاهد" التي كانت تطبع بالعربية و الفرنسية و بشكل بسيط، ولم تكن منتظمة في صدورها و توزيعها نظرا للضيق المشدد على الثورة و على كل ما يساندها. (2)

(1) زهير احدادن، مرجع سابق، ص: 112.

(2) المرجع نفسه، ص: 118.

و بعد فترة من الزمن قررت قيادة الثورة توحيد صحافتها، فأوقفت جرائد "المقاومة الجزائرية" و جمعت طاقات التحرير من أجل دعم صحيفة "المجاهد" التي أخذت شكلا جديدا و نفسا أقوى، مما جعلها تتبوأ مكانة لا يستهان بها إلى جانب الكفاح المسلح، و استطاعت أن تتحمل مسؤولياتها، اتجاه الرأي العام العالمي المساند و المعارض، و كذا الرأي العام الداخلي الذي كان هو الآخر بحاجة إلى توضيح قضايا الثورة و عدالتها و وجوب مساندتها.

و لم يقتصر استعمال جبهة التحرير الوطني في كفاحها على الصحافة المكتوبة فقط، بل اعتمدت وسائل أخرى خاصة الراديو، و المسرح و السينما. (1)

و كخلاصة هذا العرض، نقول أن تاريخ الصحافة في الجزائر عبارة عن جزء لا يتجزأ من التاريخ العام لها، لذا فقد كانت الصحافة تسير حسب الظروف التاريخية التي مرت بها الجزائر، فكان أهم ما ميزها قبل الإستقلال:

- 1- أنها كانت صحافة سياسية أو ثقافية إسلامية بنسبة أقل.
 - 2- أنها كانت تصدر كل أسبوع أو كل شهر، و هذا بحكم الضغوطات، و صعوبات الضبع، والمصادرة من طرف السلطات الاستعمارية.
 - 3- كما كانت أثناء ثورة التحرير من الركائز الأساسية للعمل الوطني إلى جانب التنظيم السياسي و الإقتصادي و العسكري، و التعليم .
- و قد اكتسبت الصحافة الجزائرية تجربة ثرية، مكنتها فيما بعد من خوض مرحلة الاستقلال دون ارتياب أو احتياج إلى جهات أخرى لدعمها.

المطلب الثاني : بعد الاستقلال.

وجدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال، أمام واقع فرضه الاستعمار الفرنسي يتميز بكل أنواع السيطرة و على كل الأصعدة، لذلك كان من الطبيعي بعد أن تتغير الأهداف و ترسي قواعد و أرسليات لمنطلق جديد يحقق تحويلا ذهنيا للجماهير حتى تبني بمهامها الجديدة، فكان على الجزائر المستقلة حينئذ أن تضمن لنفسها الانتقال الكامل من المبادئ الموروثة عن التنظيم الاجتماعي الذي فرضه الاستعمار، إلى مبادئ تنظيم جديد يتلاءم و التطور اللاحق، و أن تتبنى بالتالي موقفا إعلاميا يتماشى واختياراتها الأساسية التي نشأت من البلورة الإيديولوجية التي ما فتئت تتطور بناء على المراحل التاريخية التي مرت بها.

و من المعلوم أن الجزائر عرفت، نظاما ليبراليا للإعلام إبان تواجد الاستعمار الفرنسي بها، امتاز خصوصا بحرية الصحافة* و ازدهارها، و غداة الاستقلال لم تلغ هذه القوانين، و بقيت الجزائر تعمل بها في إطار ما يحفظ لها مقوماتها، و لا يمس بسيادتها الوطنية، و سرعان ما ظهر التناقض بين هذه القوانين، و بين النظام السياسي الذي تبنته الجزائر، إذ كانت مساعي السلطات مركزة حول وضع نظام اشتراكي. و هذا طبعاً يصدق على قطاع الإعلام، و من هنا كان السعي للقضاء على الملكية الخاصة، و ترتيب الأطر الاشتراكية التي تم العزم على تسيير الإعلام و كل نشاطاته و فقها، ثم التفكير في الدور الذي يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام في البناء الاشتراكي.(1)

و كان اهتمام السلطات الجزائرية بقطاع الإعلام، على أساس أنه عامل مهم يسمح بالترباط و الالتحام بين أفراد الشعب، كما يسمح بالتقارب بين الشعب و السلطة، و لهذا كانت المرحلة الأولى مكرسة من أجل تأميم و جزارة وسائل الإعلام، حتى تكتمل السيادة الوطنية، و قد ضمت اتفاقية إيفيان بين الجزائر و فرنسا الخطوات الأولى لجزارة وسائل الإعلام و كانت البداية مع الراديو و التلفزيون.(2)

ثم جاءت الخطوات التالية، تؤسس لجزارة الصحافة، و ذلك بإلغاء جميع الصحف التي يديرها و يمولها فرنسيون و أجنبيون بصفة عامة، خصوصا اليوميات، و محاولة تسييرها ذاتيا، و لأن الجزائر في بداية الاستقلال استمرت في العمل بالقوانين الفرنسية، فقد بقيت بعض الصحف الأجنبية و الخاصة تصدر، و ذلك من سنة 1962 إلى سنة 1963، و كان عددها إحدى عشر صحيفة منها ست يوميات، و كانت هذه الصحف قوية في مضمونها و سحبها.(3)

(*) كانت فرنسا تصق القوانين الخاصة بحرية الصحافة و تكييفها وفقا لما يخدم مصالحها.

(1) زهير إحدادن. مدخل لعلوم الإعلام و الاتصال، ص: 95.

(2) ماجي الخلواني و عاضف العبد، الأنظمة الإذاعية في الدول العربية، (القاهرة : دار الفكر العربي، 1987)، ص: 202 (دون ضعة).

(3) زهير إحدادن. مرجع سابق، ص: 96.

في سبتمبر 1963 تمت هذه العملية، فأمرت جميع الصحف باستثناء صحيفة: «Alger Republican» التي كان يسيرها أشخاص يتمتعون بالجنسية الجزائرية، و عوضت هذه الصحف، بصحف جزائرية بأسماء جديدة، و تمت بذلك جزأة الصحافة غير أن الملكية الخاصة بقيت، و بقي معها بعض الصحف التي يملكها خواص.(1)

و لتصفية الملكية الخاصة، رأت الحكومة الجزائرية، أنه ينبغي قبل إلغاء ما هو موجود من الصحف، يجب انشاء صحف جديدة، و تقويتها حتى تستطيع أن تعوض ما ألغي من الصحف، و من المعلوم أن الجزائر لم تكن لديها تجربة كبيرة في حقل اليوميات، و هذا ما جعل مهمتها صعبة نوعا ما، و قد تمكنت من انشاء أول يومية بتاريخ 19 ديسمبر 1962 سميت بـ " Le peuple " ، حيث كانت تصدر بالفرنسية، ثم انشئت اليومية الجهوية الأولى في وهران بتاريخ مارس 1963 باسم "الجمهورية"، و الثانية بقسنطينة بتاريخ سبتمبر 1963 باسم "النصر" و بهذا أصبح عدد الجرائد اليومية أربعة، كلها تابعة للحكومة، و أسبوعيتين حزبيتين.

و بقيت جريدة "Alger Republican" تنافس الصحافة الحكومية و الحزبية إلى أن توقفت بعد 19 جوان 1965، و عوضت جريدة "Le Peuple" بجريدة "El Moudjahid".

و تمت بذلك هيمنة الحكومة على الصحف الصادرة آنذاك، و لم يبق إلا الصحافة الأجنبية الصادرة خارج الجزائر و التي كانت لها سيطرة على الساحة الجزائرية و كان لا بد من التفكير في مواجهة منافستها للصحافة الوطنية، و جاء الحل بانشاء الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

و بانشاء الشركة الوطنية للنشر و التوزيع عام 1966، تمت الهيمنة الكلية على مجال الصحافة، بعد أن أعطيت الشركة صلاحية الاحتكار، فـضرب عصفوران بحجر واحد، إذ تم منع الصحف الخاصة دون اللجوء إلى قانون خاص يحول دون صدورهما، ثم تمت السيطرة على توزيع الصحافة الأجنبية، و الحد بذلك من تأثيرها، و إضعاف منافستها للصحافة الوطنية.

بعد ذلك انصبت كل الجهود لإقامة نظام اشتراكي للصحافة، فكان من الواجب النظر في أمرين هاميين : الملكية، و تحديد وظيفة معينة للصحافة، فعن الأمر الأول فقد بُت فيه، و أصبحت الصحافة ملكا للحكومة أو لحزب جبهة التحرير الوطني - الحزب الوحيد آنذاك - أما الأمر الثاني، فقد كانت المهمة صعبة بعض الشيء، و قد يقول قائل لماذا الصعوبة؟ و قد عمدت الجزائر إلى الأخذ بالنظام الاشتراكي الذي يقتضى أن تكون الصحافة تكوينية عوض أن تكون تبليغية؟ لكن الذي حدث في الجزائر أنها أخذت بالوظيفيتين و جمعت بينهما و هذا ينم عن عدم وضوح الخطة التي وضعت لتسيير الصحافة.

إلى غاية 1967 بقيت الخطة غير واضحة، و منذ هذه السنة فقط وضعت نصوص تعالج موضوع الإعلام وبطبيعة الحال " الصحافة "، و بقيت المرحلة الممتدة من 1967 إلى 1982 دون

(1) زهير احدادن، مرجع سابق، ص: 96.

فلسفة عامة خاصة بالاعلام، رغم أنه كان مهيكلا تحت مقابلة الصحافة و السمعى بصري، و هى مقابلة عمومية ذات طابع صناعى و تجارى، لكن لم تكن هناك سياسة عامة. (1)

و لم تتبلور هذه الاديولوجية إلا سنة 1976 بعد الموافقة على الميثاق الوطنى، و لم تكن مهمة إقامة نظام اشتراكى للصحافة تمر هكذا دون مشاكل، إنما وجدت أمامها مشاكل موضوعية، كالتوزيع، و الأمية، فعن مشكلة التوزيع فلأن التوزيع كان يهتم بالكم و المردود المالى مما دفع به إلى الاهتمام بالصحافة الأجنبية على حساب الصحافة الوطنية، هذا إلى جانب عدم تغطية كل البلديات، وهذا الوضع خطير" إذا ما نظرنا إلى السياسة الوطنية التي تستهدف توعية الجمهور و تكوينه، و قد شعرت السلطات المعنية بهذه الخطورة، و أرادت استدراك الأمر، فبادرت إلى تحسين الوضعية، و كان ذلك في السنوات الأخيرة، من السبعينات، و مع ذلك فإن خطر الصحافة الأجنبية لم يزل إلى الأبد.

أما المجهودات التي بذلت إزاء المشكل الثانى المتمثل في الأمية - التي تعتبر من مخلفات الاستعمار - فقد كانت مجهودات لا يمكن تجاهلها، غير أنها و إن راعت تقليص نسبة الأميين و عملت على زيادة عدد القراء، فإنها لم تنتبه إلى مشكلة التعريب الذي مازال يعرقل إلى الآن، و عموما فإن السياسة الجزائرية في ميدان الصحافة كان أكبر اهتمامها موجهة إلى وجود الصحافة، و أهملت مسألة المقرونية، و من هنا نتأكد لنا فكرة عدم تحديد وظيفة معينة للصحافة الجزائرية إلا بعد سنوات طويلة.

هذه الظروف - تقريبا - هي نفسها التي عاشها "الكتاب" في الجزائر، فبينما كان إبان الاستعمار الفرنسى منحصرا في المناطق الكبرى التي كان يسكنها الأوربيون، أصبح بعد الاستقلال يحاول تجاوز مشكلة التوزيع و الأمية، و عندما انشئت "الشركة الوطنية للنشر و التوزيع" (سنة 1966) بقيت الوضعية على حالها، و بقيت مدن كثيرة محرومة من المكتبات، و حتى الكتب التي توزع معظمها أجنبي، و لم يتحسن الوضع إلا بعد انشاء "المعهد الوطنى البيداغوجى"، الذي تكفل بطبع الكتاب المدرسى، ثم انشئ "ديوان المطبوعات الجامعية" الذي بذلت فيه مجهودات معتبرة، لكن السياسة العامة للنشر و التوزيع و التي لم تكن واضحة المعالم، حالت دون الازدهار في هذا المجال. (2)

و على العموم، فإن المطبوع، وسيلة اتصالية لم تجد لها رواجا في الجزائر، كباقي دول العالم الثالث، و التركيز الأكبر كان على الوسائل السمعية البصرية، خاصة الراديو و التلفزيون، باعتبارهما الوسيطين الأكثر تأثيرا على جمهور تتفشى فيه نسبة كبيرة من الأمية، فعملت السلطات الجزائرية على تقديم المعونات الحكومية المعتبرة لهذا القطاع كما قامت بتوسيع شبكاته و نشر أجهزة الراديو و التلفزيون، هذه الاعانة و الاهتمام لم يطل السينما، التي لم تكن تحتل مكانا مهما في الميدان السمعى البصري، كذلك الحال بالنسبة للمسرح و الوسائل الأخرى.

(1) Alliouche Kerbouâ Kamel: La Libre Circulation de L'information: Aspects juridiques et techniques. (Thèse de doctorat d'état. droit public. université Robert schuman. Strasbourg, 1990), P: 65 (غير منشورة).

(2) زهير إجمان، مرجع سلفى ص-ص: 103-104-105

و في مجال تنظيم ميدان الإعلام بكل وسائله،-سواء في الجانب الفكري أو الجانب القانوني - فقد مرت العملية بمراحل مختلفة، و نستطيع أن نتعرف على هذه المراحل إذا ألقينا نظرة عامة، على الوثائق العليا التي تحتوي على ما ينظم الاعلام، و هي المواثيق و الدساتير التي عرفتها الجزائر منذ الاستقلال.

فأول ميثاق عرفته الجزائر - على اعتبار أن الميثاق هو أعلى وثيقة و يمثل ايدولوجية البلاد - كان سنة 1964، هذا الميثاق لم يخصص و لو فقرة واحدة للإعلام، أما الميثاق الثاني فكان سنة 1976، هذا الميثاق و إن كان أول وثيقة تتناول مسألة الاعلام بالمناقشة، غير أنه لم يضع الإعلام في المكانة الانفة، و ذكر بصفة ثانوية في القسم المخصص للتجهيز الثقافي و تكوين المنشطين الثقافيين، ثم أن المسألة في هذا الميثاق ذكرت بصيغة الحق في الاعلام و لم تذكر أهم مسائل الإعلام خاصة حرية الإعلام.

و جاء الميثاق الثالث سنة 1986، بعد محاولات عدة لبلورة سياسة واضحة للإعلام، و كان ذلك عندما طرحت مسألة الاعلام على طاولة النقاش في المؤتمر الرابع لجبهة التحرير الوطني في جانفي 1979، حيث اعتبر المؤتمر أن سياسة الاعلام يجب أن تركز على المبادئ السياسية و الايدولوجية التالية :

- 1- اعتبار القطاع العام قطاعا استراتيجيا.
- 2- ضمان الوحدة بين الجماهير الشعبية و الادارة السياسية عن طريق الإعلام باعتباره وسيلة من وسائل الاتصال.
- 3- توظيف الاعلام من أجل التكوين الايدولوجي و السياسي و التربوي.
- 4- اعتبار الحق في الاعلام، حقا أساسيا للمواطن الجزائري، و هذا يستلزم إعلاما موضوعيا و شاملا و شجاعا.
- 5- يجب أن يقوم الإعلام بدور المراقب الذي يكشف الأخطاء، و الاستغلال و اللامبالاة و التبذير.
- 6- تمكين الصحفيين من أداء مهامهم على أكمل وجه.
- 7- ضمان حق الرد.
- 8- ضرورة الانسجام بين السياسة الداخلية و الخارجية.(1)

و قد أدت هذه المناقشات إلى بداية بلورة الفلسفة العامة للاعلام سنة 1982 الذي أملتته الضرورة، و بدت الحاجة إليه ملحة، و ذلك لتوضيح الأمور خاصة من الناحية القانونية، وبالتالي تحديد وضعية الصحفي الاعلامية و الإطار الذي يعمل فيه، و بهذا القانون أعتبر الإعلام كوسيلة لتكريس

(1) ALLIOUCHE Kerbouâ Kamel. OP.Cit. P: 69.

راجع أيضا التقرير العام و ندوات المؤتمر الرابع حملة التحرير الوطني لعام 1979.

السيادة الوطنية، و أن الحق في الإعلام يخضع لإدارة الحزب و الدولة، و كرست فيه السيطرة الأحادية على جميع المؤسسات الاعلامية، و ربط النقد بالموضوعية و الأحقية، حين يسمح به، و حين يراعي الشروط التي وضعتها السلطة و هي شروط غامضة يمكن تفسيرها على عدة أوجه.

و في السنة نفسها طرح موضوع الإعلام على طاولة النقاش من جديد، و ذلك من طرف اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني في دورتها السابعة، حيث نوقشت مسائل سبق و أن طرحت في المؤتمر الرابع لجبهة التحرير الوطني، و تم التأكيد خاصة على ضرورة حماية الصحفيين سياسيا و قانونيا، و طرح مطلب ملح حول السياسة الإعلامية، و الذي سمح فيما بعد بتبني المشروع التمهيدي للسياسة الاعلامية، الذي ينص على أن الاعلام يجب أن يكون مسؤولا و ديمقراطيا، و علميا و موضوعيا.(1)

هذه التوجهات، و الجهود - كما سبق ذكره - كانت الخطوط العريضة التي تبناها الميثاق الوطني الثالث لسنة 1986، و الذي أعطي للإعلام مكانة أكثر تقدما، و اعتبره وسيلة هامة في التنمية الوطنية، و ضرورة حتمية للنشاط السياسي و الايديولوجي و الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي و العلمي، هذا طبعا إلى جانب ضرورته في الجوانب التي سبق الإشارة إليها (2).

هذه هي مسيرة الاعلام عبر الموائيق التي عرفتها الجزائر، أما على مستوى الدساتير، فقد بدأت المسيرة بدستور 1963، الذي ضم في مادته 19 ما ينص على أن الجمهورية تضمن حرية الصحافة ووسائل الاعلام الأخرى، و حرية تكوين الجمعيات، و حرية التعبير و التدخل العمومي، و حرية الاجتماع، غير أن هذا النص لم يطبق لأن رئيس الدولة في تلك الفترة، عمل على تطبيق حالة الظروف الاستثنائية، التي على إثرها أوقف العمل بالدستور، ثم ألغي سنة 1965 بعد الانقلاب الثوري، لهذا لا يمكن اعتبار أن دستور سنة 1963 كان له دور يذكر في مجال الاعلام خاصة من الناحية التطبيقية، و هذا لا يجعلنا نغفل حقيقة جديرة بالذكر - على الأقل في الجانب النظري - و هي أن هذا الدستور أولى أهمية كبرى لحرية الصحافة إذ أنه عمل على استخراجها من إطار وسائل الاعلام الأخرى، و هذا للمكانة التي كانت تحتلها في تلك الفترة.

و بقي قطاع الاعلام بشتى وسائله - باستثناء التلفزيون و الاذاعة - دون إطار قانوني واضح إلى أن وضع دستور 1976 الذي أولى اهتماما كبيرا لقطاع الاعلام، و هذا طبعا، بعد أن تحددت الايديولوجية التي تتبناها السلطة، حيث اعتمدت الاشتراكية و كان لزاما تبعا لذلك، أن تسيير كل مؤسسات الدولة وفق هذا الخط، و حدد في هذا الدستور الدور الذي ينبغي أن تقوم به وسائل الاعلام، و على رأسها انجاز المهام الوطنية الكبرى، و المساهمة الجماعية في تنمية المجتمع الجزائري و ازدهاره، و هذه المهام لا يمكن أن يقوم بها إلا إعلام شامل و كامل.

(1) ALLIOUCHE Kerbouâ Kamel . OP.Cit. P-P : 72-73

(2) Ibid. P: 74.

و في هذه الفترة التي تحرك فيها قطاع الإعلام، تم وضع برنامج ينص على ضرورة تنويع الصحافة المكتوبة، و ذلك باصدار صحف جهوية* و أخرى متخصصة، فكانت المبادرة بالنسبة لليوميات بصور يومية "L'HORIZON" بالفرنسية، ثم تلتها جريدة "المساء" بالعربية و ذلك في سنة 1985، و اعتبرت تلك إنطلاقة جديدة للإعلام المكتوب في الجزائر، انطلاقة أعادت قليلا من الإعتبار للصحافة، و أعطتها نفسا جديدا في الكتابة الصحفية، كما أنها أخرجت القارئ الجزائري من ذلك الإطار المحدود الذي كانت تمثله أربع صحف، جميعها مجندة للتعبئة، و قليل من التكوين، كما لم تكن تملك من الحرية إلا تلك المشروطة بشروط غامضة كعدم المساس بالثورة، و نقد النظام و إذا سمح بها بذلك، فليكن نقدا بناء، (بمفهوم السلطة)، فكانت بذلك مكبلة، و لم تعد بإمكانها تلبية حاجة القارئ الجزائري، الذي زادت نسبته، بمحو الأمية و أصبحت الحاجة ملحة لعناوين جديدة.

ثم ظهرت تبعا لذلك، بعض الصحف المتخصصة، و الجهوية، و التي أضفت جوا جديدا على ساحة الاعلام المكتوب، فكانت جريدة "قجر قسنطينة"، و تتابعت بعد ذلك بعض الصحف المحلية، "كالغاب"، و "الزيبان" و غيرها، و ازداد بذلك عدد الصحف نوعا ما، و تنوعت الأشكال الصحفية، و اتسعت رقعة التغطية الاعلامية، و تجاوزت هذه الصحف نسيبها المركزية التي شهدتها الاعلام عامة، و الإعلام المكتوب خاصة، و ذلك عندما كان يحتكره عدد قليل من الصحف كلها حكومية.

بعد هذه المرحلة عاشت الجزائر مرحلة جديدة كل الجدة، بما حملته من تغير كبير في المجال السياسي الذي أثر بدوره في المجالات الأخرى الاقتصادية، و الاعلامية و غيرها، هذه المرحلة اتسمت بالاعلان عن تغييرات جذرية في المجال السياسي، إعلان جاءت به فنة من الفئات المكونة لجبهة التحرير الوطني، و التي لم تعد تتسجم فيما بينها، تغيرات أسماها أصحابها بالاصلاحات السياسية و الاقتصادية، و كان من نتائج هذه الحركة التغييرية ان تحرك الشعب الجزائري مالنا الشارع و ذلك في 5 أكتوبر 1988، و لم تكن هذه الأحداث وليدة تلك الأيام بل كانت نتيجة تراكم تجربة بايجابياتها و سلبياتها، و أصبح الجميع بعد هذه الأحداث - سواء السلطة أو المجتمع بمختلف فئاته و اتجاهاته، متفقا على ضرورة الانتقال بهذا المجتمع إلى مرحلة جديدة اهم ما يميزها التنفيس و الديمقراطية.(1)

و كانت البداية في مجال الصحافة غير مرضية حيث بقيت على حالها، و بقي أهم ما تتصف به الرقابة، سواء الحكومية أو الذاتية، و كان أهم دليل على ذلك أحداث أكتوبر التي غاب عنها الاعلام الوطني، و غطتها الوسائل الأجنبية، هذا إضافة إلى "مشروع الاصلاحات" - كما سمي - الذي لم يشر إلى مسألة الصحافة، و كان على أصحاب القطاع أن يعوا أن الأمر لا يأتي من فوق إنما لا بد من تنظيم أنفسهم، و المطالبة بالتغيير في مجال الصحافة و الذي أصبح ضرورة ملحة، أفرزتها التغييرات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية.

(*) voir Brahim Brahimi. « Inforamtion et Presse Régional en Algérie », d'après Wolfgang-S Freind. La presse Ecrite au Maghreb : Réalité et Perspective. (Institut de recherches et d'études sur la communication. Université de Paris. Deutsches Orient Institut. Hombourg, 1989). P-P: 139-151.

(1) عبد الرحمن غري، و أخرون، فيضاء إعلام. سلسلة الدراسات الاعلامية، (حرائر ديوان مطبوعات جامعة. 1994)، ص: 71.

أما الحصيلة الملموسة لهذه التغييرات، فهي دستور 1989، الذي جاء ليعبر عن التوجهات الجديدة التي أملتتها الأحداث، و كان أن أفرغ من محتواه الإيديولوجي الاشتراكي، كما حاول واضعوه أن يجعلوا منه "الدستور القانون" بدلا من "الدستور البرنامج"، و نص في أهم مواده، على ضرورة الفصل بين السلطات، و التأكيد على استقلالية القضاء، و أنه لا يمكن إيقاف جريدة أو محاكمتها إلا بقرار قضائي، و انتقلت الجزائر بفضل هذا الدستور -من خلال المادة 40- من الأحادية الحزبية إلى التعددية الحزبية، و كان يبدو من خلال هذا الدستور أن أفقا جديدة فتحت أمام الإعلام المكتوب في الجزائر، و خاصة أنه أصبح يمثل مفترق طرق، و مركز ثقل ترتكز عليه مفاهيم و معطيات كثيرة، كالحرية و الديمقراطية، و حقوق الإنسان، و حق الملكية، و دولة القانون، و غيرها من المفاهيم التي تخضع إلى التصورات المختلفة، غير أن النصوص وحدها لا تكفي، و هذا ما أثبتته الأحداث التي أعقبت هذه الفترة. (1)

و بموجب هذه التغييرات أصبحت الصحافة المكتوبة موضوع جدل، و أثيرت نقاشات كثيرة حول مواضيع متعددة في مجال الصحافة المكتوبة، أهمها موضوع تسيير وسائل الاعلام، و خاصة الصحافة المكتوبة، حيث انقسمت الآراء حولها إلى ثلاثة، رأي ذهب إلى خصخصة قطاع الصحافة، و تصفية الميراث الصحافي على طريقة "المستثمرات الفلاحية"، و فريق يرى أن الصحافة المكتوبة ينبغي أن تبقى كقطاع عام، و يرفع شعار الخدمة العامة، و يمثل هذا الفريق حركة الصحافيين الجزائريين MJA التي تأسست بعد أحداث أكتوبر 1988، و يرى المحللون* أن هذين الرأيين مستوحين من تجربة فرنسية، تعكس طرفا تاريخيا معينا، كان ينبغي النظر فيه و أخذه بعين الاعتبار، و يذهب الفريق الثالث إلى ضرورة الإبقاء على القطاع العام، مع السماح بإنشاء صحافة خاصة. (2)

و قد حاول الفريق الثالث بلورة رأيه أكثر حين أشار إلى ضرورة تجنب تقليد النموذج الغربي، لأن الصحافة الخاصة في هذه البلدان تؤدي إلى القطب الواحد و إلى تمركز وسائل الاعلام، و ترجح فيها قوة المال على التعددية و الموضوعية، و يقترح هذا الفريق أن تكون الصحافة محمية من الضغط الخارجي، سواء كان حزبيا أو ماليا أو ناتجا عن الجماعات الضاغطة أو عن السلطة، و محمية أيضا من التأثيرات الداخلية، كالرقابة و المحاباة و الاحتقار، و يعتقد هذا الفريق أن هذه الصحافة ليست ممكنة فقط، و لكن بإمكانها أيضا أن تصبح صمام الأمان للتعددية الإعلامية. (3)

و قد انجر عن هذا الطرح تساؤلات كثيرة، و أهمها :

- على اعتبار أن الرأي الأخير هو الأقرب إلى الواقع، و الأكثر تماشيا مع التحولات التي شهدتها الجزائر، فقد يحضى بالمصادقة عليه من طرف المجلس الشعبي الوطني، و إذا حصل ذلك، فإن

(1) Alliouche Kerbouâ Kamel. OP.Cit . P: 100.

(*) بنلاستراة راجع، السعيد بو معيرة، "مفهوم احدمة العامة و الصحافة المكتوبة" مجلة الجزائرية للاتصال، العدد:8، شتاء 1992، ص-ص 10، 11.

(2) Alliouche Kerbouâ Kamel. OP.Cit. P: 101.

(3) Ibid. P: 102

الساحة الإعلامية ستثري من خلال إنشاء الصحافة الحزبية و الصحافة التجارية مما يكون له انعكاسات ايجابية أقلها التشغيل، و الانجاز المهني و الثراء الفكري من خلال التنافس، و في الوقت ذاته قد يؤدي ذلك إلى حدوث مشاكل معقدة تتطلب إيجاد ضمانات كافية، و ضوابط صارمة من خلال التشريع وقواعد السلوك المهني، و إنشاء مجالس الصحافة المكتوبة، و تكون محايدة حتى نستطيع ممارسة دور الحارس يوميا بخصوص التجاوزات.

- ثم أن المصادقة على هذا المشروع، قد تتجر عنه مخاطر ، و أمور عديدة يجب تحديدها و الفصل فيها، وأهم هذه الخاطر و الأمور، مسألة الصحافة و مدى تجسيدها -في المستقبل- للثقافة الوطنية، بجميع مقوماتها الحضارية، و كذا مدى قدرتها على تعزيز الاجماع الوطني و التركيز على المسائل الجوهرية و منها الثوابت الوطنية، و هل ستعكس الصحافة و تدافع عن الثقافة الوطنية عن طريق الخلق و الابداع أم ستكرس الثنائية الثقافية و تزيد من الهوة التي تفصل بين الصحافة المعربة و الصحافة المفرنسة، هذه الثنائية التي ظلت تخدم الصحافة المفرنسة و تبجلها سواء قبل أحداث أكتوبر أو بعدها؟

- كما تطرح مسألة التمويل نفسها بالحاج، إذ هل تستطيع الصحافة المكتوبة إذا صنفت كخدمة عامة أن تمويل نفسها لكي تصبح بمنأى عن جميع الضغوط مهما كان نوعها؟ و هي مسألة هامة جدا، و أحد الأسس الضرورية في الخدمة العامة.

هذه المناقشات، و الطروحات كانت مادة مشروع قانون الاعلام، الذي قدم إلى المجلس الشعبي الوطني، الذي اقترح بدوره إخضاع وسائل الاعلام المكتوبة لقانون خاص، يوضح الشكل القانوني لهذه الوسائل و طريقة تسييرها و مستقبل شرعيتها، و كانت الإجابة عن اقتراح البرلمان متضمنة في مشروع قانون الاعلام، حيث نص على أن العناوين الموجودة يمكن الاحتفاظ بها أو التنازل عنها لتجمعيات ذات الطابع السياسي - و هو احتمال ضئيل ماعدا بالنسبة لحزب جبهة التحرير الوطني، الحزب الحاكم سابقا، و الذي أصبح بعد دستور 1989، حزبا كباقي الاحزاب الناشئة، كما يمكن تركها للصحافيين المحترفين الذين نظموا أنفسهم على شكل شركات، أو تعاونيات للمحررين - و هو أمل بعض الصحافيين - و هذا الاحتمال ممكن.(2)

و قد دعم هذا التوجه -إلى جانب الدستور الجديد- المنشور الحكومي الصادر بتاريخ 19 مارس 1990 و القاضي بتنفيذ قرارات مجلس الوزراء، التي تنص على تخيير صحافيين القطاع العام في الوجهة المناسبة لهم سياسيا و ايدولوجيا، ثم جاءت المصادقة على قانون الاعلام- الذي تمخض عن هذه المسيرة- بتاريخ 03 أفريل 1990، و بالمصادقة على هذه النصوص عرفت الجزائر مرحلة جديدة للاعلام المكتوب، أهم ما تميزت به الكثرة و التنوع.

(1) السعيد بو معيرة، مرجع سابق، ص: 12.

ففي زمن قياسي - أقل من سنة - و ابتداء من صدور قانون 1990، وصل عدد العناوين الصادرة خلال هذه الفترة، ما لا يقل عن 160 عنوانا بين يومية و اسبوعية ونصف شهرية، و فصلية و نصف سنوية، مقسمة بين 18 يومية -معظمها باللغة الفرنسية- و 21 نصف شهرية، و 31 شهرية، و 08 فصلية، و 01 سنوية، و 21 دورية غير منتظمة، و كانت أول نشرية يومية هي "Le Soir d'Algérie" في سبتمبر 1990، ثم تلتها اليومية الرياضية "Match"، ثم يومية "El Watan"، و لم تظهر أول يومية عربية إلا بعد ظهور عدد لابأس به من الصحف الفرنسية او المفرنسة، و هي إخبارية تحمل اسم "الخبر" و ذلك في نوفمبر 1990، و يظهر التفوق للصحف المفرنسة حتى في بداية الظهور. (1)

و مع هذا التدفق، عرفت الجزائر تنوعا لم تعرفه من قبل، فظهرت الصحافة الاخبارية ممثلة خاصة في اليوميات، كما كانت هناك صحافة متخصصة، شملت عددا لابأس به من الصحف، كالصحافة الرياضية، و الصحافة الفنية، التي اتبعت نمطا جديدا في التحرير و تقديم المادة الاعلامية، اعتمدت أساسا على الصور الملونة المثيرة على صفحاتها الأولى، و العناوين المشوقة، كما تناولت بعض المواضيع التي كانت ممنوعة إجتماعيا -اي طابوهات - و مثل هذا النوع خاصة صحيفة "الشروق العربي" و "بريد الشرق" و غيرها، كما برزت الصحافة السياسية، سواء المستقلة أو الحزبية، و اصبح تقريرا لكل حزب صحيفة تمثل لسان حاله، و تعبر عن آرائه و توجهاته، و برزت إلى الساحة ايضا الصحافة الاسلامية، منها ما كان تابعا للأحزاب الاسلامية و منها ما كان مستقلا، كما ظهرت الصحافة الساخرة كقالب جديد، و غيرها من الألوان، و اكتسحت الساحة الاعلامية وأضفت عليها ازدهارا و تنوعا ملحوظين، و استطاعت الصحافة في هذه المرحلة أن تلبي حاجات مستجدة و ملحة، نتجت خاصة عن التطور في محو الأمية، و التفتح على الاعلام الخارجي.

عاشت الصحافة المكتوبة في مرحلتها الأولى بعد المصادقة على قانون الاعلام لسنة 1990، فترة انتقالية تميزت بحرية نسبية، استطاعت خلالها أن تتطرق إلى جملة من المواضيع الحساسة التي بقيت لمدة طويلة حبيسة الأدراج، كقضية 26 مليار، و الحديث عن حقوق الانسان في الجزائر و غيرها.

و بما ان الصحافة تسير مع الخط السياسي و تطوراته، فقد عرفت ساحة الإعلام المكتوب احداثا هامة تبعا للأحداث التي عرفت الجزائر على المستوى السياسي و الأمني، و كان اهم حدث إعلان حالة الحصار في 5 جوان 1991، بعد إعتصامات الجبهة الإسلامية للانقاذ، و احتلالها للساحات العمومية، و تم على اثر ذلك تعليق دستور 1989، و جاء في نص الاعلان عن حالة الحصار: « يمكن للسلطات العسكرية أن توقف أي منشور ترى أنه يهدد الإخلال بالنظام العام» و كان

من نتائج هذا الإعلان على الصحافة، إيقاف بعض الصحف، "كالمسار المغاربي"، وكذا كل جرائد الجبهة الإسلامية للإنقاذ (الهداية و المنفذ، و الفرقان)، و شمل القرار أيضا بعض الصحف الإسلامية المستقلة، كجريدة "النور" التي كانت تصدر بقسنطينة، و تعرض بعض الصحفيين للطرده.

لم تدم هذه الفترة طويلا، حيث رفعت حالة الحصار و عادت بعض الجرائد المعلقة إلى الصدور، لكن سرعان ما تدهورت الأحوال ثانية، بعد أن ألغيت الانتخابات التشريعية، و اعلن عن حالة الطوارئ سنة 1992، و تبع ذلك بعض الاجراءات منها ما شمل الصحافة المكتوبة، حيث جاء على لسان رئيس المجلس الأعلى للدولة آنذاك، أن هذا الإجراء « ما هو سوى اجراء ضروري لوضع حد للذين يتسببون في الفوضى و عدم الاستقرار، دون المساس بالحريات الأساسية للأغلبية الساحقة من المواطنين، و أن و ان الدستور سيبقى ساري المفعول، أما نشاط الصحافة و الأحزاب السياسية مضمون ما دامت هذه الأخيرة تعمل في إطار القانون».

و بهذه الاجراءات بدأت الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرحلة أخرى، مرحلة تراجع فيها الإعلام المكتوب، و اصبح بإمكان الدولة و في إطار عبارات غامضة و هلامية مثل "في إطار القانون" و "أمن الدولة"، و "المصلحة العليا للبلاد" و غيرها، أن تتابع بعض الصحف أو تعلقها، أو تستدعي بعض الصحفيين إلى القضاء، و تم إنشاء محكمة خاصة لمتابعة جنح الصحافة، و قد حوكم فيها ما لا يقل عن أربعين صحافيا.

هذه المرحلة التي عاشتها الصحافة المكتوبة في الجزائر منذ سنة 1992، تجلت فيها بعض صفات مرحلة الحزب الواحد، و الفرق الوحيد أن كل صحيفة أصبحت حزبا، و اصبح رجال الاعلام إما موظفون أو مناضلون، و صارت المهنية بعيدة جدا عن معالجة الأخبار و الوقائع، هذا التحول فرضته و ساهمت في تكريسه ثلاثة عوامل "الأزمة" * و "السلطة"، و "رجال الاعلام" أنفسهم.

فالأزمة جعلت الإعلام حبيس وجهات نظر حل - هذه الأزمة - و اتسم الإعلام ب "المصالح" أو "الاستصالي" و بالتالي صار تعبويًا بدل أن يكون مهنيًا، أي يدعو إلى الحزب أو التيار الذي ينتمي إليه، و سار الاعلاميون - في غالبيتهم - ناشرون و صحفيون - في هذا الخط. (1)

أما السلطة التي لم تعد حرية الصحافة تتاسبها، فقد عملت على تقييدها، و استعملت في ذلك كل الوسائل، فاصدرت مرسوما أسمته بمرسوم مكافحة الإرهاب و التخريب، و تم لها بذلك احتكار

* الأزمة هنا نقصد بها الأزمة السياسية التي حدثت في الجزائر بعد إلغاء المسار الانتخابي لتشريعات 1992، و التي فازت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ آنذاك بالأغلبية، و بعد إستقالة الرئيس و ما أخرج عن ذلك من فراغ دستوري، و أزمة اقتصادية و اجتماعية و أمنية.

(1) ش.ت، "اعلامنا من منظور تقويمي: نحو إعلام مسؤول في مجتمعنا"، اسبوعية الارشاد، الجزائر، العدد: 136، (من 8 إلى 14 أوت 1995)، ص:

23 (الاسم لم يذكر كاملا و لكن رمز له باحرفين ش ت).

وصودرت

بعض المواضيع، بموجب هذا المرسوم خاصة المواضيع التي تتعلق بالجانب الأمني/جرائد كان لها وزنا على الساحة الإعلامية كجريدة "الجزائر اليوم"، و"بريد الشرق" و"الصح-أفة" و غيرها، وما زالت الصحافة المكتوبة تعاني من الاجراءات المنبثقة عن هذا المرسوم، و نشير هنا أن معظم الصحف التي مستها هذه الاجراءات، صحف معربة، كما نسجل موقف الصحف الفرنسية، الذي كان يسعى الى تقسيم قصري لرجال الاعلام و للصحافة الجزائرية، بين صحف معربة و اخرى فرنسية، ونسيت هذه الصحف ما يتطلبه منها "ميثاق الشرف الصحفي" من تضامن، بل وذهبت الى ابعد من ذلك حين حاولت تضليل الرأي العام و تشويه حقيقة الأسباب التي كانت وراء التعليق، وأخبرت يومها قارئها بأن الجرائد المعربة مقلسة تجاريا، وأن معظم الصحف المعربة مشاريع فاشلة، ولم تتوقف عندها الحد بل كانت تقيم الأرض و لا تقدها حين تمسّ جريدة مفرنسة أو أحد صحافيينها، مقابل سكوتها إذا تعلق الأمر بالصحف المعربة. (1)

وفيما يخص رجال الاعلام و دورهم في ذلك التحول، فذلك لأنهم أقحموا أنفسهم مبكرا في دائرة الصراع، فكانوا في كثير من الأحيان طرفا فيه باسم التعددية و حرية التعبير، و هذا بدلا من تغليب المصلحة العامة، والشعور بالمسؤولية الاجتماعية -خاصة- لأنها تعتبر قيما لها مضمون إيجابي مترسخ في ضمير الصحفي المحترف، و قد يبزر البعض هذا الموقف بنقص التجربة و حدائتها، لكن كان أقل ما يتضنبه مهنة الصحافة، أن يفرق أصحابها بين تأييد الفكرة التي يتبنونها، و بين الحزبية الضيقة التي ترجح المصالح الحزبية على المصلحة العامة. (2)

هذه العوامل ليست للحصر، إنما هي على سبيل المثال، لأن هناك عوامل أخرى ساهمت في هذا التحول، مثل مؤسسات النشر التي أصبحت هي السلطة الرابعة، بدلا من الصحافة، إلى جانب الوضع الأمني الذي تعيشه الجزائر، والذي مس طبقات كثيرة من فئات المجتمع، و خاصة رجال الأعمال الذين قدموا ضريبة ضخمة في هذا المجال سواء من الصحفيين الذين اغتيلوا، أو من الصحف التي علقت أو تعرضت لمضايقات السلطة.

أخيرا لا يفوتنا أن نسجل بعض الملاحظات حول التجربة الاعلامية في الجزائر خاصة بعد صدور دستور 1989، و قانون الاعلام لسنة 1990، أولها، تأكيد علاقة الإعلام بالنظام السياسي، إذ يبقى الإعلام من خلال تعامله مع الآراء و الأفكار و المعلومات أكثر القطاعات إرتباطا بالنظام السياسي، و أن بنيته تبقى دوما انعكاسا للبنيات السياسية القائمة، و الملاحظ للبنية السياسية في الجزائر يرى أنها لم تحسم نهائيا، فبعدها تحول النظام من إشتراكي إلى ليبرالي أو ديمقراطي -كما أعلن عنه

(*) في هذه الفترة علقت عشر جرائد معربة مما دفع برجال المهنة إلى تسميتها "بالمعلقات العشر".

(1) ش.ت، مرجع سابق، ص: 23.

(2) المرجع نفسه، ص: 23.

دستور 1989- ها هي الأحداث التي تلت إلغاء المسار الانتخابي سنة 92، تفرض على الشعب الجزائري هيئة رئاسية غير منتخبة - ممثلة في المجلس الأعلى للدولة، و حل البرلمان، و جاء محلها المجلس الإنتقالي و هي هيئة غير منتخبة أيضا، و هذه إجراءات منافية للديمقراطية التي تبنتها الجزائر بعد التحول السياسي، الذي تبع الإعلان عن دستور 1989، الذي أقر التعددية السياسية، و رغم محاولة إعادة الشرعية إلى أعلى هرم في السلطة -رئيس الجمهورية- إلا أن النظام السياسي في الجزائر لم يتحول بشكل حاسم إلى نظام تعددي. و مع عدم الاستقرار السياسي الذي تشهده الجزائر، يبقى الاعلام - و الصحافة المكتوبة على الخصوص - يعاني من الوضعية نفسها، وضعية الإستقرار، و تبقى الصحافة وسيلة تقوم بدور كبير في الصراع بين السلطة التي تلجأ دوما إلى طرق مباشرة أو غير مباشرة للتحكم في الصحافة، كالشريع و الإعانات و حجب المعلومات، و بين من هم خارج السلطة كالأحزاب السياسية أو الصحفيين، الذين يطمحون إلى ممارسة دور الحارس و المراقب لأفعال السلطة.

و ثاني ملاحظة يجب تسجيلها، تتعلق بالتعددية الاعلامية في الجزائر التي تعتبر تجربة جديدة بالاعتبار، كما تجدر الإشارة إلى أنها في جوهرها متأثرة بالتحولات التي يشهدها العالم، و متأثرة على الخصوص بالتجربة الفرنسية، و هي مع الأسف لم يراع فيها اختلاف السياق و الهدف و الزمان، مما جعلها تتسم بعدم الاستقرار و عدم الوضوح، فكان أن أسندت مهمة انشاء الصحف المستقلة إلى الصحفيين*، مما اضطرهم إلى الاستعانة بالدولة سواء في تزويدهم برأس المال أو المقرات أو التكنولوجيا، و هذا يجعل أمر استقلاليتها فيه نظر، و وقع الخلط بذلك بين مفهومي القطاع العام، و الخدمة العمومية، القاع العام كقطاع يدافع و يشرح آراء السلطة، و الخدمة العامة التي تعتمد على التمويل الذاتي حتى تغفلت من ضغط السلطة. و هذا الخلط كرسه أطراف عديدة لأنه يخدم مصائحها. (1)

أما الملاحظة الثالثة، فتتعلق بأحدى المفارقات التي صاحبت نقل التجربة الفرنسية في مجال الصحافة المكتوبة إلى الجزائر، ففي الوقت الذي كانت الصحافة في فرنسا تعكس بدقة الخريطة السياسية؟، لم تكن كذلك في التجربة الجزائرية، بل كانت تشوهها إلى حد بعيد، إذ مثّلت بعض التيارات الفكرية و السياسية بقدر يفوق حجمها و وزنها في المجتمع، بينما نجد تيارات أخرى ممثلة بقدر غير كافي، أو هي غير ممثلة أصلا، سواء على مستوى الملكية أو المحتوى، و هذا راجع إلى التنشئة السياسية و الثقافية و الايديولوجية لمعظم الصحفيين، و عدم احترافيتهم، مما جعلهم يروجون لبعض الأفكار على حساب أفكار أخرى، و أدى ذلك بدوره إلى الخلط بين الوقائع و التعاليق، و لا يمكن أن

(*) سنبر هنا أن الأمر كان يسند في دول اوروبا الغربية -و منهم فرنسا التي تأثر بها الاعلام المكتوب عندنا - إلى الطبقة الرجوازية، و استعماها كسلاح لمواجهة السلطة في سبيل ترسيخ نفسها كقوة سياسية.

(1) اسعيد بو معيزة، مرجع سابق، ص: 14.

نحكم باستقلاليتها، لأنها تعتمد في تمويلها على إعلانات و اشهارات الدولة، علما أن هذه الإعلانات لم تكن توزع بالعدل، حيث نالت الصحف المفرنسة حصة كبيرة منها على حساب الصحف المعربة، حتى وإن كانت بعض هذه الصحف توزع أكثر من الصحف المفرنسة. (1)

و يمكن القول في هذا المجال أن التوجه العام، للأعلام المكتوب في الجزائر، يسير نحو تجسيد المفهوم الليبيرالي للحرية - في جانبه السلبي - إذ الأقوياء إعلاميا و ماديا و سياسيا هم الأحرار، و الضعفاء يتم تجاهلهم و إن كانت مشاكلهم شرعية، و لا يصعب علينا معرفة من هم الأقوياء إعلاميا في الجزائر، فمن حيث عدد الصحف، هناك نسبة كبيرة - حوالي 80% - من الصحف اليومية مفرنسة - و نسبة كبيرة جدا من الصحف الاسبوعية معربة، و من هنا كان المجال الأكبر للتأثير في الرأي العام، منسوب إلى الصحف المفرنسة، هذا فضلا عن التفوق المادي الملحوظ. (2)

و الملاحظة الأخيرة تتعلق باللغة و علاقتها بالثقافة الوطنية، و مكانتها في التحولات الهامة التي تعيشها الساحة الاعلامية في الجزائر، ففي هذا المضمرة تجدر الإشارة إلى أن الصحافة تنشأ و تتطور في سياق مرجعية فكرية و حضارية و ثقافية تميز البند الذي تظهر فيه، و ما يلاحظ من خلال التجربة الجزائرية في هذا المجال، هو انشطارية هذه المرجعية التي تتطوي على تضمينات خطيرة جدا فيما يتعلق بأدنى حد من المقومات الوطنية، و المفارقة في هذه الظاهرة، أن التعددية الاعلامية في الجزائر، لم تكرر الثانية الموجودة قبل دستور 1989 فحسب، و إنما ساعدت على تفوق العناوين الصادرة بالفرنسية من حيث العدد و الامكانيات، و قربها من مصادر القرار، و قدرة التأثير عليها. (3)

و على الرغم من انه كانت هناك محاولات تسعى إلى تعريب وسائل الاعلام تدريجيا، قصد استعادة أحد الثوابت الوطنية الآن هذا المسار لم يستمر، و أصبحت الصحف باللغة الفرنسية تتنامى بشكل لم يسبق له مثيل، مما جعل اللغة العربية في الصحافة الجزائرية تعيش وضعية خاصة، وضعية ضعف، ولما كان التفتح و الحال كذلك، موقع قوة للصحافة المفرنسة و موقع ضعف للصحافة المعربة - فقد كان التوازن في صالح الصحافة باللغة الفرنسية، و على الرغم من أن الصحافة باللغة الفرنسية محدودة المقروئية، فقرؤها نخبة قليلة، و هي لا تصل إلى كل مناطق الوطن، و كذلك مع كون الأجيال القادمة اجيال معربة، ومع ان هذه الصحافة تعيش تدقضا مع نفسها، و لا تعيش في المجتمع الجزائري الأصيل، لأنها تمسه في أقدس خصوصياته*، إلا أنه لا يمكن إلغاء أو تجاهل هذه الوضعية، التي تتسم بامتلاك الصحافة باللغة الفرنسية لمعظم وسائل القوة، و تشجيع بعض الأطراف لهذه الوضعية و تكريسها لها. (4)

(1) السعيد بو معيرة، مرجع سابق، ص-ص : 16-17.

(2) محمد لعقاب، "الصحافة الجزائرية، و الدفاع عن حرية المدح"، جريدة الحرية، الجزائر، ع: 81، ص-2 (من 22 إلى 28 جويلية 1996)، ص: 5.

(3) السعيد بو معيرة، مرجع سابق، ص : 17-18.

(*) خاصة حين تتحدث عن اللغة، و عن بعض مظاهر الإسلام، كحديثها عن المساجد مثلا...

(4) عبد الرحمن عزوي، و آخرون، مرجع سابق، ص: 74.

فإن هذه الثانية تعتبر من رواسب الماضي، وهي بمثابة صراع مشروعين حضاريين مختلفين إلا في بعض الحالات النادرة.

ثم أن هذه الثانية غير المتكافئة والتي هي في غير صالح الصحافة المعربة، نتيجة سياسية معينة مطبقة في مجالات الطباعة و السحب و التوزيع و الاعلانات و الاعانات و المعلومات، هي في الواقع تناقض صارخ مع الواقع، و حالة غير صحيحة، كما هي حالة غير عادية تشكل خطرا على البلد نظرا لتهديدها لتماسك و انسجام المجتمع، و تمثل عائقا أمام تحقيق الإجماع الوطني.(1)

وفي الختام نسجل أن الأحداث في الجزائر متسارعة جدا، و مفاجئة، فالدستور الذي أدى الى كل هذه التحولات، يعدل بدستور آخر بتاريخ 28 نوفمبر 1996، دستور أحدث تغييرات كثيرة، خاصة في مجال الاعلام الذي أصبح يخضع لقانون عضوي، مما قد ينجر عليه أوضاع جديدة، والحديث عن قانون جديد للاعلام متداول و وارد، و لا نعلم كيف سيكون مصير وسائل الاعلام- والصحافة المكتوبة خاصة- في ظل المعطيات الجديدة؟

(1) السعيد بو معيزة، مرجع سابق، ص: 18.

المبحث الثاني : الصحافة الساخرة في الجزائر.

المطلب الأول : قبل الاستقلال .

يعتقد البعض أن الصحافة الساخرة، نوع من الصحافة معاصر في الجزائر، غير أن الحقيقة تقول أن هذا النوع وجد تقريبا مع تواجد الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر، فمع شعور المستعمر بأن جنوده وسكانه في الجزائر بحاجة إلى ترفيه وإضحاك، أنشأ بعض الصحف الفكاهية و الساخرة ليسلي بها جمهوره و يبعد عنهم الملل و يزيدهم ثقة في أنفسهم فيقوي الجانب النفسي عندهم، ثم بعد أن سُمح للمسلمين الجزائريين بالنشاط الصحفي أنشأوا هم أيضا صحفا ساخرة و فكاهية، تعددت بذلك الأغراض التي أنشئت لأجلها هذه الصحف حسب الجهة المنشئة.

و السلطات الفرنسية و غيرها من الشعوب المستعمرة حين وضعت أقدامها على أرض الجزائر، كان عليها الأخذ بأحد الأمور الثلاثة: القضاء على الشعب المغلوب على أمره، أو إشراكه في مصيره، أو استغلاله استغلالا بشعا، و لأن الفرنسيين لم يتمكنوا من القضاء على الشعب الجزائري، و لم تطاوعهم أنفسهم بإشراكه في مصيره، فقد استغلوه استغلالا مخزيا، و بناء على ذلك فإن كل وسائلهم كانت مكرسة لخدمتهم، بما في ذلك الصحافة التي لم تكن تهتم بالمستعبدين المستغلين إلا بالقدر الذي تطلب فيه المزيد من استغلالهم، و قد كان همها الوحيد الاهتمام بمصالح الأوربيين، و معيشتهم الهانئة.(1)

و من بين ما كانت تفكر فيه السلطات الاستعمارية و هي تنشئ بعض الصحف الساخرة، هو كيف تسلي جمهورها و ترفه عنه، و كيف ترفع من معنوياته حين تراوده بعض الأفكار الموحية بقضيته غير العادلة، و كيف تنسيه بعض ما يلاقيه من المقاومة الجزائرية، و على الرغم من أن الكتب المؤرخة لتاريخ الصحافة في الجزائر لم تذكر الكثير عن الصحف الفكاهية أو الساخرة الفرنسية، غير أنه يمكن القول أن هذه الصحف التي أنشئت من أجل الفرنسيين في الجزائر، كانت مسلية و فكاهية، تهتم بأمور الفن و المسرح عموما، و قليلا ما تهتم بالسياسة.

و من أوائل الصحف الفكاهية الفرنسية، صحيفة "الشيطان : CHITANN" * و كما يلاحظ من العنوان المترجم حرفيا -أو الذي كتب بالأحرف اللاتينية مع الاحتفاظ بعربية الكلمة، أن الصحيفة هزلية، و قد كتب تحت العنوان بأنها نشرة تهتم بالفن و المسرح و الفكاهة و النقد، و صدرت هذه الصحيفة سنة 1865م.

كما وجدت بعض الصحف الأخرى التي تحتوي على بعض الرسوم الساخرة، و التعليقات المضحكة، كما كان الحال بالنسبة لجريدة "الرامي الجزائري : Le Tirailleur Algérien" الصادرة في

(1) الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء الثالث، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982)، ص: 09.

(* هكذا كتب العنوان في الحريدة.

14 نوفمبر 1858م بالجزائر العاصمة، و التي تناولت موضوعات مختلفة من بينها : الصحافة الجزائرية، التي وُصفت وضعيتها، بأسلوب ساخر و رسوم مضحكة.

و من بين الصحف الفكاهية أيضا، جريدة : " التيركو : Le Turco " و هي جريدة متعددة التوجهات، فهي فنية، أدبية ساخرة و سياسية، صدرت سنة 1895، وكان أهم أهدافها تسليية الجمهور الأوربي في عاصمة الجزائر، و تحفل هذه الجريدة بالرسومات الفكاهية، و بالكاركاتور الذي يصور شخصيات معروفة، و عموما تأخذ هذه الرسومات مساحة الصفحة الأولى كلها، و عني نمط جريدة "التيركو" أنشئت جريدة "الكوغيت La Goguette"، و قد كُتبت تحت العنوان عبارة مژولة للتعريف بهذه الجريدة جاء فيها أنها : تعتمد المفارقة، و ساخرة، و تحفل بالشعر و المرح، " فكاهية هزلية ضاحكة غير سياسة، و العبارة بالفرنسية كانت كالآتي : Lunatique ، Satyrique. Lyrique

(1) « Impolitique ، Comique et surtout ، Drolatique ، Humoristique ، Bachique ،

ثم صدرت بعض الجرائد الساخرة الأخرى مثل "الكرونيك الجزائرية : Chronique Algérienne"، على نمط مشابه للصحف السابقة، و لم ترد بشأنها معلومات كافية، و على العموم، فإن الصحف الساخرة الفرنسية في الجزائر، أنشأت أصلا، للترفيه عن القارئ الفرنسي، و تقوية الجانب النفسي لديه، و عملت هي بدورها على تكريس فكرة الاستغلال، و أحقية فرنسا في احتلال الجزائر. أما الصحافة الساخرة الجزائرية، فإنها لم تكن لتظهر قبل إعلان الجمهورية، الذي جاء معه تشريع 1881 المؤكد على حرية الصحافة، و لم تكن الصحافة الجزائرية لتستفيد من هذا الوضع بالقدر الذي استفادت منه الصحافة الفرنسية، و لكن مع ذلك نستطيع أن نقول أن الضغوطات قُنت بعض الشيء عن السابق.

وفي هذه الأجواء ظهرت بعض الصحف العربية الجزائرية الساخرة، و قد استفاد الجزائريون من احتكاكهم بالفرنسيين من بعض التقنيات، أما من الصحافيين العرب - كالمصريين و التونسيين خاصة - فقد استفاد الجزائريون من بعض الاتجاهات في الكتابة الصحفية، كأسلوب السخرية، ففي سنة 1893 صدرت جريدة "الحق" بعناية (2)، حيث كانت رغم جديتها، تنقل بعض المقالات عن جريدة "أبو نظارة" * و "أبو الهول" المصريتين، متأثرة بهما.

و قولنا أن الجزائريين تأثروا بغيرهم من العرب، لا يعني انهم لم يكن لديهم رصيد في هذا الاتجاه، لأنه رصيد تمتد جذوره في أعماق الأدب العربي، و هو لا يقتصر على شخصيات المشرق العربي مثلا، و من هنا فقد وجدت شخصيات جزائرية لديها هذه الملكة إلى جانب قدرتهم على إنشاء

(1) الربيع سيف الإسلام، مرجع سابق، ص-ص : 104-108-118-119-120.

(2) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1947 إلى 1939م، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980)، ص: 07 (دون ضعة).

(*) حريدة "أبو نظارة" من أوائل الصحف الفكاهية المصرية، صدرت سنة 1878، لصاحبها يعقوب صنوع.

الإتجاه، سواء من داخل الوطن أو من خارجه، كملاحقتها لجريدة "الزهرة" التونسية، و "المرصاد" الجزائرية في حين كانت تتنصر للجراند الطرقية و المضادة لجمعية العلماء المسلمين.(1)

و تفننت الجريدة في أساليب السب و الشتم، فلم تقتصر في هذا الصدد بالنثر وحده، و إنما كانت تنشر الشعر أيضا بعنوانين غاية في العداء و الحقد، مثل ما جاء في عددها الأول تحت عنوان "هاكم ما تستحقون يا شيعة الضلال" بامضاء "حسان" *، و كذلك تلك التي عنوانها صاحبها ب "مالكم يا مصلحي العصر" بامضاء "طلاع الثنايا" **، و هم بذلك يكونون أنفسهم بشخصيات اسلامية أبلت بلاء حسنا في خدمة الاسلام، على عكس ما كانوا هم عليه.

و أمام هذا العداء السافر و السب و الشتم، لم يكن من رجال الاصلاح، و من شبابها على الخصوص، إلا أن أسسوا هم الآخرون جريدة، تعامل تلك الطائفة بالمثل، بل و تكيل لهم الصاع صاعين، و باسم الدفاع أيضا وقع شباب الإصلاح في حماة الاقذاع و الفحش، و بذئ الكلام و كانت جريدتهم تحمل في عنوانها هدفها و غايتها، إذ سموها : "الجحيم".

برز العدد الأول من جريدة "الجحيم"، في 30 مارس 1933، بقسنطينة، كانت تطبع سرا في مدينة قسنطينة، ثم ترسل إلى الجزائر العاصمة حيث يتولى الشباب الإصلاحي توزيعها، و قد جاء في العدد الأول ما يعرف بها و بمنهجها و غايتها، حيث تقول بأنها : أسبوعية، حرة مستقلة تدافع عن الشرف و الفضيلة و شعارها "العصا لمن عصى"، تشرف على تحريرها هيئة من شباب الإصلاح المتحمس من بينهم "محمد سعيد الزاهري" - و هو أكثرهم تحريرا لفصولها- و "عباسة الاخضري" و "محمد الأمين العمودي"، و "مفدي زكريا"، وكان صاحب امتيازها "جوكلاري محمد شريف" المعروف بنزعته الإصلاحية.. و قد زاد من حرارة هذه الجريدة، أنها تحرر من طرف هؤلاء الأدباء الشباب المعروفين بحساسيتهم و براعتهم في الأسلوب الساخر و التهكمي.(2)

و قد اتفق الذين كتبوا عن هذه الجريدة أنها - وإن لم تكن هي البادئة بهذا الأسلوب - ذهبت إلى أبعد مما ذهبت إليه جريدة "المعيار" في بعض الأحيان، لأنها أرادت أن ترد لها الصاع صاعين، و مما جاء فيها ما نقله "أحمد توفيق المدني" من احد أعدادها حيث تقول في ترجمة عمر اسماعيل - أحد رجال الطرقية- ملقبة إياه "بالفرطاس" : «.. التقطه رجل اسمه علي، حين ألفاه في خرقة ملفوفا بالأقذار و الأوساخ، محفوا في فناء كنيسة صغيرة، بيته في دلس الشهيرة، فتنناه ذلك الرجل الوضيع، و أقام به قيام المرضعة بالرضيع، ثم وكل تربيته إلى إحدى العواهر، و أوصاها بالاعتناء به في الباطن و الظاهر.

(1) محمد ناصر، مرجع سابق، ص : 130.

(*) حسان : يقصد به حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه و سلم.

(**) طلاع الثنايا : هو اخجاج بن يوسف.

(2) محمد ناصر، مرجع سابق، ص : 133.

و لما بلغ العاشرة من عمره -قبح الله سعيه- و مات مُلتقطه، و ذهبت روحه إلى سقر، و بقي اللقيط بلا مأوى و لا مقر، تارة يمسح الأحذية و يرعى البقر، و عاش على هذه الحال عيش المهان و المحتقر.. و لما بلغ الثلاثين -احرق الله مخه- طرد لتكرار سرقاته و كثرة موبقاته.. و كان إذ ذاك ماهرا في الشيطنة و القوادة، جامعا بين الخسونة و العجرفة و الوقاحة و البلادة، فأوته مومسة.. و كانت قاتلة للذين لاموها : أن ذلك القواد أخوها، و كانت تعيش تحت جناح، عبد من عباد الرب الكريم و من أغرب ما جرى لهذا الصهر، صريع البغاء و العهر، أنه وضع دراهمه على سبيل الأمانة، عند أخ عشيقته، فخان الفرطاس صهره و أصبح غنيا بفضل تلك الخيانة..» (1)

و قد ضجرت الأوساط الثقافية من أسلوب الجريدتين معا "المعيار" و "الجحيم" و انتقدت سلوكهما المتنافي مع تقاليد و أخلاق الشعب الجزائري، و المتنافي أيضا مع الفضيلة و الآداب العامة، و صدورهما لثلب الأعراض، و تمزيق سمعة العلماء من كلا الطرفين مصلحين و محافظين، في وقت كان المفروض أن تتحد كل الأقسام ضد العدو الاستعماري المشترك، و لم تتوقف الجريدتان عن ذلك الأسلوب إلا بعد توجيه النقد لهما من أطراف متعددة، و كذا لو لا المساعي بين المصلحين و الطريقيين لما كفوا عن الأذى، علما بأن جريدة "الجحيم" وقفت من طرف السلطات الاستعمارية بسعي من أصحاب جريدة "المعيار" التي كان يساندها المستعمر، و لم تتوقف "المعيار" إلا بعد خمسة أشهر.

و حول هذه الجرائد الأربعة "المرصاد" و "البلاغ الجزائري" و "الجحيم" و "المعيار"، نقول أنه و إن لم نتعجب لصدور هذه الترهات، من طرف الطرقية، فإننا نقف حائرين مما صدر من بذاءة و فحش و اقذاع في جرائد الإصلاحيين، و إن كانت جرائد الطرقية أسبق في الصدور و أبدأ بالقذف و التشهير فإن هذا لا يبرر ما ذهبت إليه أقلام الإصلاحيين من قالة السوء، كما أن اعتمادهم أسلوب السخرية لا يبرر أيضا، ضروب الشتم و السباب التي كانت تزخر بها جرائدهم، و ان كان من كتبوا حول هذه الجرائد قد ذكروا بأن الشيخ ابن باديس كان يتبرأ من هذه التصرفات، غير أن هذا لا يكفي، لأن الجرائد كانت تصدر و تترك أثرا سيئا جدا في المجتمع.

و آخر ما يمكن قوله حول هذه الجرائد، أنها في أغلبها لم تكن لها أهداف كبيرة اجتماعية أو سياسية أو غيرها، و حتى جرائد الإصلاحيين التي كان من المفروض أن تحارب الفساد أو الانحرافات التي وقعت فيها تأتيها جماعات الطرقية، فلم تكن تعالج الأمور على عمومها حتى تعم الفائدة، و إنما بالغت في الاسفاف و المتابعات الشخصية مما أبعدنا عن الهدف، و جعلها خاوية من كل زاد فكري أو مضمون ذي قيمة تذكر، و قد برر بعض من كتب في جرائد الإصلاحيين أنهم اعتمدوا تلك الأساليب لأنهم يعتقدون بأن الحجاج و المنطق و العلم لن يفيد مع أمثال أولئك من

الطرقية، و لا يعتبر هذا مبررا، لأن الجريدة ليست موجهة إلى أولئك فقط، إنما هي موجهة أيضا إلى جمهور وجب احترام مشاعره و عدم تجاوز قيمه و أدابه و أخلاقياته، و بهذا نستطيع أن نحكم على هذه الجرائد، بأنها لم تصدر إلا من أجل هدف عاطفي حزبي لا غير.

و على خطى "المرصاد" و "الجحيم" جاءت "الحارس" التي صدرت عام 1933، و كان مديرها "عبد الرحمن غريب"، و هي جريدة انتقادية أخلاقية فكاوية، تصدر مرتين كل شهر، و يبدو من خلال أعدادها القليلة أنها كانت ذات نزعة إصلاحية، مضادة للطرقية المبتدعة و لاسيما الطرقية العليوية، كانت بين جريدة "البلاغ"، و بينها مهارات صحفية. (1)

و مما يؤكد خطها هذا، ما جاء في افتتاحية العدد الأول حيث تقول: «... و لتعلموا أولا و أخيرا أن الغاية القصوى من إصدار هذه الصحيفة هي خدمة هذه الأمة، و حراسة مصالحها، و التدبير بكل أفك يريد أن يشيد على (الحبة قبة، و من الإبرة زبرة) ثم التمشي مع المثل القائل: (حيرهم و لا يياتو رقاد)...»، و يتأكد ذلك أيضا بما ^{كتبه} بقلم "عبد الرحمن غريب" المعروف بأسلوبه الساخر التهكمي، حيث يقول في معرض تهكمه "بالبلاغ"، و هو يصف نزعتها العدائية لكل من لا يمشيها في خطتها الطرقية: «...قضت حبة من الزمن، و هي تناوش من لا يناوشها و تلك سنة الله في كل (مكروب) و كانت كلما ناوشت أحدا إلا و رد لها الكيل بقدر ما يستطيع أن يتحمل.

و صارت تلك النوبة العصبية تعاودها من آن لآخر كمدمن المخدرات، أو كالعبد الذي ألف الضرب، يسب سيده كل مساء ليذهب جلده بالسوط فتخف حرارة اللهب الجسماني.. و لما أن الأوان لنوبتها العصبية لم تجد من تناوشه، فقررت أن تناوشنا نحن لأننا لا نقرها على كفرها، و لا نعني بها، و لا نحسب لها قيمة...» (2)

و على ما يبدو فإن أسلوبها كان أقل حدة، و أقل اقتذاعا و فحشا من "المرصاد" و "الجحيم" ربما لأن المواجهة بينها و بين "البلاغ" لم تكن مباشرة، و قد يكون الاستياء الذي أظهره جمهور المتقنين إزاء الجرائد السابقة، هو سبب في بعدها نوعا ما عن ذلك الأسلوب.

و بعد هذه الموجة من النماذج التي سقطت في حمأة الإقذاع و سوء القول، جاءت جريدة "البستان"، لتبين أن أسلوب السخرية لا يعني الفحش أو الخروج عن الأداب العامة رغم أنها كانت كالسيف المسلط على المستعمر، و العادات الفاسدة، و الطوائف النحرفة و غيرها، إلا أنها عرفت كيف تعالج تلك الظواهر بأسلوب ساخر و بحكمة جعلت منها اتجاها جديدا في الصحافة الساخرة.

صدرت "البستان" في 27 أبريل 1933، "لأبي اليقظان" صاحب الجرائد الكثيرة المتنوعة، و قد صدرت هذه الجريدة بعد المصادرات المتتابة، و التضيق الرهيب من طرف السلطة الاستعمارية لجرائده، فلجأ إلى أسلوب صحافي جديد بالنسبة له - و هو المعروف بالجدية و الصرامة - فقد عمد

(1) محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 161.

(2) المرجع نفسه، ص-ص: 161-162.

إلى جعل "البستان" في قالب انتقادي فكاهي، وحاول على غير عادته، أن يبتعد قليلا عن المقالات المطولة، و المواضيع الدسمة، وكانت في ذلك تشبه جريدة "النديم" التونسية في طريقة اخراجها و تحريرها، وقد جاء في تعريف هذه الجريدة : أنها جريدة عربية فكاهية انتقادية، يصدرها بالجزائر الأديب الفاضل السيد "تعموت عيسى بن يحيى"، صاحب جريدة "المغرب" سابقا، غايته منها انعاش روح الفضيلة، و اخماد روح الرذيلة بأسلوب فكاهي لذيذ و نزيه. (1)

و مما تجدر الإشارة إليه، أن الجريدة كانت لأبي "اليقظان"، غير أنه تظاهر بأنها لتعموت عيسى، امعانا في الحيلة، و هروبا من بطش الاستعمار بجرائده، كما أن أبا اليقظان اصدر جريدته "البستان" قبل مصادرة جريدة "النور" و هذا توقع ذكي منه، لأنه يعلم أن السلطات الفرنسية لن تهادن طويلا.

أصدر أبو اليقظان جريدة "البستان" بناء على أسباب أوضحها في افتتاحية العدد الأول حيث يقول :« بناء على تعطش قسم كبير من الأمة إلى جريدة فكاهية، لذيدة خفيفة الروح، نزيهة الأسلوب، نبيلة المقصد، و حيث أن طبقة كبيرة من العامة لم تستفد لا قليلا و لا كثيرا من جرائدنا العربية الجدية، لعلوها عن مستواها الفكري، و لحرصنا على نيلها حقها - و هي عطشى - من هذا الحوض المورود، و أخذها حظها - و هي جوعى - من هذا الطلح المنضود، ما يسيفه حلقها، و تهضمه معدتها..

و حيث أن فريقا من ظرفائنا بقوا محرومين من مجال تجول فيه أقلامهم الطريفة، حيث أن حريق الأزمة* و حماها أسال من النفوس و أذاب من الأمخاخ، و صدع من الرؤوس، ما ترك الناس و هم إلى انواع المسليات أحوج، من ضروري الأوقات في سائر الازمان و الأوقات..» (2) و قد أطلق أبو اليقظان على جريدته اسم "البستان"، اشعارا بما ستحملة إلى قرانها من كل ما يحمله البستان من أنواع الثمار، و الفواكه، و البقل، و الزهور و الرياحان - كما قال - و هو بذلك، يضمن التميز حتى في تسميته للجريدة، كما أنه يحترم جمهوره، و يعمل على أن تخفف جريدته من أعبائه، لا أن تزيد فيها، كما أنه يضع بين يدي القارئ أسبابا مقنعة، دفعته إلى إصدار هذه الجريدة، و هي أسباب و دوافع منطقية، و ليست عاطفية أو حزبية، كما علمناه بالنسبة للجرائد السابقة.

و قد يعجب المرء، من التغيير غير المنتظر لأسلوب أبي اليقظان في الكتابة الصحافية، لما عرف به من قصد في الكلام، و صرامة في المواقف و جدية في المعالجة، لكن الظروف التي كانت تحيط به آنذاك، ألجأته إلى مثل هذا الأسلوب، و هو أسلوب لا ينبئ عن نفس مرحة بالضرورة، و لا يعبر عن قلب رضي، بقدر ما هو تعبير غير مباشر عن الحزن و الأسى احيانا، و عن السخط

(1) محمد ناصر، أبو اليقظان و جهاد الكئمة، مرجع سابق، ص : 235.

(*) الأزمة الاقتصادية العالمية التي كانت سنة 1929م.

(2) محمد ناصر، مرجع نفسه، ص : 236.

إلى جعل "البستان" في قالب انتقادي فكاهي، وحاول على غير عادته، أن يتعد قليلا عن المقالات المطولة، و المواضيع الدسمة، وكانت في ذلك تشبه جريدة "النديم" التونسية في طريقة اخراجها و تحريرها، وقد جاء في تعريف هذه الجريدة : أنها جريدة عربية فكاهية انتقادية، يصدرها بالجزائر الأديب الفاضل السيد "تعموت عيسى بن يحيى"، صاحب جريدة "المغرب" سابقا، غايته منها انعاش روح الفضيلة، و اخماد روح الرذيلة بأسلوب فكاهي لذيذ و نزيه. (1)

و مما تجدر الإشارة إليه، أن الجريدة كانت لأبي "اليقظان"، غير أنه تظاهر بأنها لتعموت عيسى"، امعانا في الحيلة، و هروبا من بطش الاستعمار بجرانده، كما أن أبا اليقظان اصدر جريدته "البستان" قبل مصادرة جريدة "النور" و هذا توقع ذكي منه، لأنه يعلم أن السلطات الفرنسية لن تهادن طويلا.

أصدر أبو اليقظان جريدة "البستان" بناء على أسباب أوضحها في افتتاحية العدد الأول حيث يقول :« بناء على تعطش قسم كبير من الأمة إلى جريدة فكاهية، لذيدة خفيفة الروح، نزيهة الأسلوب، نبيلة المقصد، و حيث أن طبقة كبيرة من العامة لم تستفد لا قليلا و لا كثيرا من جرائدنا العربية الجدية، لعلوها عن مستواها الفكري، و لحرصنا على نيلها حقها - و هي عطشى - من هذا الحوض المورود، و أخذها حظها - و هي جوعى - من هذا الطلح المنضود، ما يسيفه حلقها، و تهضمه معدتها..»

و حيث أن فريقا من ظرفائنا بقوا محرومين من مجال تجول فيه أقلامهم الطريفة، حيث أن حريق الأزمة* و حماها أسال من النفوس و أذاب من الأمخاخ، و صدع من الرؤوس، ما ترك الناس و هم إلى انواع المسليات أحوج، من ضروري الأوقات في سائر الازمان و الأوقات..» (2) و قد أطلق أبو اليقظان على جريدته اسم "البستان"، اشعارا بما ستحملة إلى قرانها من كل ما يحمله البستان من أنواع الثمار، و الفواكه، و البقل، و الزهور و الريحان - كما قال - و هو بذلك، يضمن التميز حتى في تسميته للجريدة، كما أنه يحترم جمهوره، و يعمل على أن تخفف جريدته من أعبائه، لا أن تزيد فيها، كما أنه يضع بين يدي القارئ أسبابا مقنعة، دفعته إلى إصدار هذه الجريدة، و هي أسباب و دوافع منطقية، و ليست عاطفية أو حزبية، كما علمناه بالنسبة للجرائد السابقة.

و قد يعجب المرء، من التغيير غير المنتظر لأسلوب أبي اليقظان في الكتابة الصحافية، لما عرف به من قصد في الكلام، و صرامة في المواقف و جدية في المعالجة، لكن الظروف التي كانت تحيط به آنذاك، ألجأته إلى مثل هذا الأسلوب، و هو أسلوب لا ينبئ عن نفس مرحة بالضرورة، و لا يعبر عن قلب رضي، بقدر ما هو تعبير غير مباشر عن الحزن و الأسى أحيانا، و عن السخط

(1) محمد ناصر، أبو اليقظان و جهاد الكئمة، مرجع سابق، ص : 235.

(*) الأزمة الاقتصادية العالمية التي كانت سنة 1929م.

(2) محمد ناصر، مرجع نفسه، ص : 236.

و على هذا المنوال سار كل من يكتب في الجريدة، و من بينهم "لقمان" * هذا القلم الذي عرف بروحه المرحة، و شخصيته الجذابة، و فكره الثاقب، و أسلوبه الفكاهي الممزوج بالسخرية و التهكم، و لا سيما إذا كان من يعينهم بكتابتهم أو نقده من المعارضين للفكرة الإصلاحية مواطنين أو مستعمرين، و أغلب دعاياته، فكاهة هادئة يقصد من ورائها تربية الشعب تربية فاضلة، و توعيته توعية سياسية عميقة، و كان "لقمان" يستغل الأمثال الشعبية - كما ذكرنا - يرسلها على السنة بعض الحيوانات التي يجعل من أسمائها إمضاء له، محاولاً التوفيق بين المثل و الفكرة التي يحملها مع الحيوان و طبيعته. (1)

و من أطرف المقالات الساخرة التي عنت بالجانب السياسي، ما جاء في أحد أعداد "البستان" تحت عنوان "أعوذ بالله من السياسة": «تلك هي التي أخاف منها، و لا أجد في التلفظ بها رغم محاولتي -عبثاً- ذلك، فإنها لاذعة و لاذعة حقاً، و يعاقب عليها القانون عقوبة كبرى، و ربما بالضرب بالسياط من فوق الثياب أو بمباشرة الجسد، ولو سالت الدماء، إذ لا مسؤولية، و ربما بالسجن لمدة أو مدداً و قد يكون ذلك في الحبس (الابتدائي) و قد يكون في (الثانوي) الذي يحصل فيه الانسان على لقب (الكابران) أو (الكنترولور)..»

.. لا أنطق بها ناسياً، و لا أتعمده، و لا أظنه، و لا أشك فيه، و لا أتوهمه و لا أحدث به نفسي، و لا يخطر ببالي، و لا يقع في هاجسي و لا خيالي.

فإن أرغمت و أجبرت، و أجاتني الضرورة - لا قدر الله - و اللهم يالطيف على النطق به فإنني أستبدله بالـ...بو...لي...تيك، إذ أن هذا اللفظ معناه الخاص في دائرته الضيقة المحدودة و حده الفاصل بين ما هو من السياسة -استغفر الله و أتوب إليه، و ألق عن هذه الزلة - و ما ليس منها.

.. و قد راجعت معيار العلوم للغزالي، و السلم و حواشيه فوجدت أن لفظ (البوليبيك) جامع مانع، و مطرد، منعكس، يدخل فيه ما هو سياسي أو يخرج به أو عنه ما ليس بسياسي، بخلاف اللفظ الآخر المشؤوم فإنه يمتد و يسترخي و يتمدد مثل الكاونشوك و يتمطط كليل امرئ القيس، لما تمطى بصلبه.

.. فقراءة الأجرومية سياسية بما فيها من الأحكام الاستثنائية، و ابن عاشور كذلك بنواقض وضوئه، و حكمه العقلي، و قراءة الأربعين نوية كذلك .. سياسية، الحاصل أنه واسع الرحب، كريم المائدة، موطأ الاكناف، و لا يخيب سائلاً و لا يرد مستجدياً، و هذا و إنني أوجه رجائي و عظيم أمني إلى الملوك و الأمراء، و رؤساء الجمهوريات، و الوزارات، و الدكتورات، و رؤساء الأحزاب و الجمعيات و الأندية، و رؤساء الإدارات و موظفيها، و القضاة و الباشوات و الشرطيين

(* لقمان : ذكر هكذا بهذا الاسم، دون الإشارة إلى الاسم الحقيقي... و قد يكون أبو القظان نفسه.

(1) محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 242.

و مقدمي الحارات و العسس، في أن يمنوا علي بالعفو إذا أنا زللت بقلمي أو لسانني فنطقت بلفظ السياسة..» (1)

هذا و لم تقتصر كتابات أبي اليقظان في "البستان" على المقالات التهكمية الساخرة، إنما كان يورد أيضا بعض المقطوعات الشعرية، مصبوبة في قالب نفسه، تعالج مواضيع يومية عادية بأسلوب يقترب في لغته من لغة الحديث العام، كما هو الحال أيضا بالنسبة للمقالات و الأعمدة الأخرى.

و قد صدر من جريدة "البستان" عشرة أعداد، كانت في مجملها تمثل اتجاهها مميزا، انتهجه أبو السقظان، اتجاه تميز بالرمز الموحى، و الفكاهة الهادفة، و السخرية المرعبة، و لم يكن فيها اسفاف في السب و الشتم و الثلب، مما بواها مكانة في المجتمع و الأوساط الثقافية، و إذا كانت "البستان" اختلفت بهذا الأسلوب، فإن جرائد "أبي اليقظان" الأخرى لم تخل من بعض المقالات الفكاهية و الساخرة، و على الرغم من اعتماد "أبي اليقظان" هذا الأسلوب، و على الرغم من كل الاحتياطات إلا أن هذه الجريدة، فوجئت من طرف السلطات الاستعمارية بقرار التعطيل في 12 جويلية 1933م.

ثم ضم هذا الإتجاه فيما بعد، جرائد أخرى، كان لها أهداف مماثلة، و تناولت كثيرا من الظواهر بأسلوب فكه و ساخر، و من بينها صحيفة "أبو العجائب" التي صدرت في قسنطينة بتاريخ 24 ماي 1934م، و كان يرأس تحريرها الأديب "محمد العابد الجلاي"، لذلك جاء أسلوبها في قالب أدبي فكه أحيانا، و ساخر و تهكمي أحيانا أخرى. (2)

و قد عُرف رئيس تحرير صحيفة "أبو العجائب" بتناوله للظواهر الاجتماعية التي يريد انتقادها بأسلوب فيه رمز و إشارة و تلميح، محاولا الابتعاد عن التناول المباشر، و مع ذلك فإن كثيرا من الشخصيات الاجتماعية و الدينية المنحرفة، كانت هدفا لسخريته و نقده الشديد، و لم تقتصر مقالاته على الجانب الاجتماعي، بل تعدته إلى نقد السلطات الاستعمارية الفرنسية، فتهكمت الجريدة من القوانين و المراسيم الحكومية التي تصدر في حق المواطنين.

و الجريدة في عمومها إصلاحية وطنية، و قد لمح رئيس تحريرها إلى اتجاهه المتكبر للخرافات المبتدعة و التقاليد البالية التي شاعت في أعقاب الطريقة، و ذلك حيث يقول في التعريف بها: « و قد انتقى له من الأسماء "أبو العجائب" رجاء أن يسأتي في مستقبل حياته بالغرائب، و هو الآن بين المرضعة و الداية، يشق طريقه إلى الغاية، لم يطوق عنقه بحرز و لاطمينة، لأن ذلك بدعة ذميمة نفر منها الذوق، و كسد بها السوق، و كل ما صادم العقل، و خالف النقل، يوشك أن يأتي عليه يوم ينعي فيه هلاكه اليوم على مأسوف على فواته، و على مترحم على مواته..» (3)

(1) محمد ناصر، مرجع سابق، ص-ص : 241-240-239.

(2) محمد ناصر، النصح العربي الجزائري، مرجع سابق، ص : 186.

(3) المرجع نفسه، ص : 187.

و من خلال السجع الذي عمد إليه الكاتب في النص السابق، يتأكد لنا الأسلوب الأدبي الذي تميزت به مقالاته، و قد أخذ صوراً مختلفة في المواضيع الأخرى، مثل الحوار بين الكاتب و غيره، أو الحكاية - مما يصح أن يطبق عليه المقال القصصي - ، أو في قالب الرمز و التلميح و الإشارة و التحريف - كما ذكر -.

هذا الرمز و التلميح الذي ميز صحيفة "أبو العجائب"، اختير خاصة عند الكتابة و نقد السلطات الاستعمارية الفرنسية، ففي نقده و حديثه عن خنق الحريات تحت الحكم الفرنسي، يتحدث بتعريض و سخرية، مستغلاً الحوادث أحسن استغلال، مشيراً إلى الاضطهاد الذي ما انفكت الصحافة العربية معرضة له، و ذلك حيث يقول: « شعر الناس في قسنطينة بزلزال خفيف بعد زوال 15 أيار، فسأل أبو العجائب عن سببه فقيل له : أنه ناشئ عن تنفس الأرض من شدة الحرارة التي في جوفها، و "أبو العجائب" كما تعلمون من الحيوانات ذات الكبد الرطبة، ومع ذلك محجر عليه التنفس، فكان من الطبيعي أن يهيج هذا الخبر في نفس "أبو العجائب" الحساس غضباً شديداً، و في الوقت نفسه رآها فرصة مواتية لتقديم احتجاجه ضد هذا التصرف، لماذا يرخص للأرض و هي جماد أن تتنفس، و لا يرخص لي أنا؟ إذا فخير لي أن أنقلب حجارة..» (1)

ففي هذا النص، نلاحظ جلياً استغلال الفرصة، و استعمال الرمز الموحى، و السخرية الموجهة، المعبرة عن الرفض للوضع المفروض، و يستمر صاحب الجريدة في نقد الوضع نفسه بأسلوب آخر، أسلوب الحوار، كهذا الذي أجراه بينه و بين أحد المواطنين، و الذي يقصد من ورائه توعية الجزائريين بواقعهم المرير تحت الحكم الاستعماري، و قد عتّون المقال ب: لماذا؟ - لماذا أنسب إلى وطني، و أعامل فيه معاملة الاجنبي؟.. لماذا أجبر على تقديم أولادي إلى الجندية، و أرفض إذا قدمتهم للتعليم؟.. - لأنك .. لأن جدوة الشعور خامدة فيك .. لأنك لا تعرف قيمة العلم إلا تقليداً، لأنك تجهل معنى الحقوق..

لقد غضبت الانسانية، و انتقمتم لكرامتها، و مازالت تغضب و تنتقم، فهل كنت أو تكون لها عند غضبتها؟.. (2)

و يظهر الاتجاه الوطني جلياً في هذا الحوار.. و على الرغم من المطاردات و المتابعات، إلا أن مثل هذه الجرائد قامت بدور فعال في المجال الاجتماعي و السياسي، و ذلك بأسلوب مرح ساعد في رفع ثقل الهموم و وطأة المستعمر على المواطن المغلوب على أمره، و بعثت فيه أحيانا أخرى روح الرفض و الإدراك للواقع المرير و الأوضاع المتردية التي كن يعيشها، و كغيرها من الصحف

(1) محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 188.

(2) المرجع نفسه، ص: 188.

التي رسمت لنفسها هذا الطريق، فإن جريدة "أبو العجائب" لم تعمر طويلا حيث صدر منها عشرة أعداد فقط ثم صودرت.

في الفترة نفسها صدرت جريدة أخرى لها تقريبا الاتجاه ذاته و هي جريدة "الليالي" و كان ذلك بالضبط، في فيفري 1936 بالجزائر العاصمة، و جاء في التعريف بها أنها "شرة فكاهية، انتقادية، أدبية، تصدر مرتين في الشهر" و كان يرأس تحريرها "علي بن سعد" و أعانه في تحريرها و تأسسها "الشيخ حمزة بكوشة"، و جعلوا صاحب امتيازها "جوكلاري محمد الشريف" احتفاءً بجنسيته، و لنزعتة الاصلاحية الوطنية.(1)

و حفلت هذه النشرة، بأقلام عرفت بتحريراتها العذبة، أمثال "محمد السعيد الزاهري"، و "الشيخ حمزة بكوشة"، و الشاعران "الطاهر بوشوشي"، و "مفدي زكريا"، و مما يؤكد اتجاهها الأدبي البيت الذي كانت تحمله تحت العنوان، و الذي يقول :

الليالي من الزمان حبالى *** متقلات يلدن كل عجيبة

كما يظهر من البيت -أيضا- المقصد من وراء انشاء هذه الجريدة -و بهذا الأسلوب- و هو الضغوطات التي انقلت كاهل الشعب الجزائري آنذاك سواء من طرف المستعمر الفرنسي، أو من إنحرافات الطريقة التي عانى منها الجزائريون كثيرا أو من وقع الأزمة الاقتصادية العالمية و ما خلفته من أوضاع.

ومن هنا وقع اهتمام هذه الجريدة نقد الأوضاع الداخلية، و ما فيها من فساد إداري و اجتماعي، أو انحراف ديني، كما نفهم -أيضا- سر ملاحقتها الشديدة لمدير الشؤون الأهلية : السيد "ميو"، بمقالات تميزت بأسلوب تهكمي صريح، و بمسحة أدبية طريفة.

قصة الجريدة مع السيد "ميو" تحكيها هذه الفقرات الصادرة تحت عنوان "ميو ميو" حيث جاء فيها قول أحد كتاب الجريدة : "كنت يوما جالسا في منتزه عام فجلس حولي بعض الأصدقاء، و أنبوني على الفصول التي في "الليالي" ضد المسيو "ميو" تأنيبا حارا، و حذروني من سوء مغبة ذلك ان أنا أرخيت لقلبي العنان في هذا الميدان، فقلت لأكبرهم خبرة، ماذا عساه أن يلحقه بي المسيو "ميو" من الضرر؟ فقال لي ألم تعلم أن قانون المسيو "ريني" مسلول على الرؤوس كالسيف؟ و لو أراد أقل ضابط من ضباط البوليس تمطيطة و تطبيقه عليك، لطبقه و أدخلك سجن بارباروس، فقلت له . (و السجن إن لم تغشه لدنية *** فلنعم هو المنزل المتورد)، فقال : دعني من خيالات الشعراء..

و بينما نحن على تلك الحالة بلغنا عن طريق الهاتف خبر سجن العلامة الجليل الشيخ "العقبي"، و اتهامه بالباطل بجريمة فضيحة، فقال لي صاحبي السعيد من اتعظ بغيره، و خرج مودعا،

(1) محمد ناصر، مرجع سابق، ص : 189.

وعاد إلي ثاني يوم فوجدني اقرأ درسا في العروض من البحر الطويل، و كتبت على السبورة البيت :

(على وجه مي مسحة من ملاحه .. و تحت الثياب العار لو كان باديا)*، و طلبت من تلميذ تقطيعه، و كان التلميذ بليدا فقراها (ميو).. فخرج صاحبي مغاضبا و معاتبا و قال لي الآن لم ينتهوا.. و بينما هو خارج بسرعة اصطدم بالقطة فقالت "ميو ميو" ..» (1)

و بهذه الروح المغامرة، و الجرأة التي سيغت في أسلوب ساخر متهمك، واجهت "الليالي" الاستعمار و من والاه ممن كانوا يثيرون النعرات بين الشعب الجزائري، و ممن لم يرضوا بتعامل الشيوعيين مع جمعية العلماء المسلمين، كما واجهت كل من كان يضاد جمعية العلماء و شيوخها.. و من هنا يظهر اتجاه الجريدة الاصلاحية الموالي لجمعية العلماء المسلمين.

وجهت "الليالي" اهتمامها أيضا إلى القضايا ذات الطابع الاجتماعي، كظاهرة تشرد اطفال المسلمين، و ظاهرة عمق أساليب التعليم في الكتاتيب ذات الطريقة السقيمة، و الملفت للنظر حقا في جريدة "الليالي" هو أسلوبها الأدبي الشيق، الذي يعتمد كثيرا على إفراغ المقال في قالب الحوار، مستخدمة أحيانا أسلوب السجع إمعانا في السخرية و اغالا في التهكم، و لاسيما عندما يكون المعني بالأمر من اصحاب الطرق المنحرفة.

و لم تدم الجريدة طويلا. شأنها في ذلك شأن الجرائد الاصلاحية الأخرى، و نظرا للموقف الجريدة الصريح من الاستعمار، فقد لاقت من الاضطهاد الكثير، و لم تسلم لها رخصة البيع عن طريق البريد، فكان الشيخ "علي بن سعد" يوزعها بنفسه و يعطي الأطفال بعضها منها، و لما طلب منه أن يعطي رأيه فيما ينبغي أن يصيح به الأطفال لإغراء الناس بابتیاع الجريدة، كانت البديهة حاضرة، و روح السخرية على استعداد، فقال : يقولون : (الليالي لاتبالي). (2)

بعد هذه السلسلة من الجرائد التي كانت في عمومها إصلاحية أو مضادة لها، ظهرت جريدة أخرى سياسة، تميل إلى تأييد حزب سياسي بما أنها ظهرت في فترة نشطت فيها الحركة الوطنية و هي فترة ما بعد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بالعاصمة في جوان 1936. (3)

هذه الجريدة هي جريدة "سيدي هنيئي"، التي صدرت بالجزائر العاصمة سنة 1936 كانت تصدر كل نصف شهر، و جاء في تعريفها أنها سياسة إنتقادية، إخبارية، وطنية فكاهية، أدبية، و يديرها و يحررها "بجو محمد الطاهر" .. و قد صنفتها المؤرخون بأنها من الصحف المؤيدة لحزب "تجم شمال إفريقيا" الذي عرف آنذاك بنضاله السياسي و دعوته دون سائر الأحزاب إلى استقلال الجزائر .

(*) التعريض بالسيد "ميو" في هذا البيت واضح و صريح.

(1) محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 189-200.

(2) المرجع نفسه، ص: 203.

(3) المرجع نفسه، ص: 204.

هذا التوجه أدى بالجريدة إلى المصادرة، من طرف السلطات الفرنسية، وذلك سنة 1937 بعد أن صدر منها أعداد قليلة، ثم عادت إلى الظهور مرة أخرى في 11 فيفري 1938، وصرحت في عددها الثامن الذي استأنفت به الظهور بأنها لا تميل إلى حزب معين، وهذا حتى تبعد عين السلطات الاستعمارية عنها، لأن المستعمر الفرنسي كان يتذرع بانتفاء أية جريدة إلى حزب سياسي أو إلى الحركة الإصلاحية ليوقفها عن الصدور.

ولم تكن سهام هذه الجريدة موجهة ضد المستعمر فقط، بل وجهت أيضا إلى كل من عارضها حتى من الأحزاب الجزائرية، وهذا ما يفسر انتقادها لوجهة نظر "جمعية العلماء" بشيء من السخرية و التهكم، و يوضح مصادتها لعمل الجمعية و آرائها، و كتبت الجريدة في هذا المجال مقالات تنتقد فيها جمعية العلماء، منها مقالة عنونت ب "إلى متى هذا الرق"، و تعني بذلك أن جمعية العلماء، كانت تستغل عواطف الشعب الجزائري و أسرته بادعائها الإصلاح و التربية.

هذا التحزب و التحيز، أوقعا الجريدة -كسابقاتها- في حماة الشتم و السب و الثلب المقذع، وكانت تمزج ذلك بأسلوب فكاهي فيه كثير من التهكم و السخرية، و مما يلاحظ على هذه الجريدة إعتماؤها الغالب على اللغة الدارجة، بخلاف الجرائد الأخرى، التي كانت لغتها عربية فصحي، قد تقرب أحيانا من الدارجة، و قد تستعمل بعض الأمثال الشعبية أحيانا أخرى، كما أنها عرفت بعنايتها الفائقة بالشعر الشعبي أو الملحون، و الذي غالبا ما تكون أغراضه انتقادية ساخرة. (1)

و نظرا لنزعتها الموالية لمبادئ "حزب نجم شمال إفريقيا" الذي حُلّ، و أعيد تحت اسم "حزب الشعب الجزائري"، و رغم محاولاتها غير المجدية في إخفاء هذه النزعة سواء بالتصريح، أو باعتمادها أسلوب الفكاهة و السخرية في تحريرها، فقد لاقت جريدة "سيدي هنيي" المصير نفسه، الذي لاقت كل الجرائد التي كانت توالي حزب الشعب، و هذا أثناء الحملة المسعورة التي شنتها السلطات الفرنسية ضد هذا الحزب و كل ما يمت إليه بصلة.

و هكذا.. فإن الصحافة الساخرة قبل الاستقلال، انقسمت إلى ثلاث اتجاهات مختلفة، أولها الصحف الاستعمارية، و التي كانت في مجملها ترفيحية، و أنشأها أصحابها من أجل بعث الثقة في النفس، و تقوية الجانب النفسي، لدى الجنود و السكان الفرنسيين عموما، و مواجهة كل محاولات التشكيك في أحقية فرنسا في احتلال الجزائر، و دفعا -أيضا- للملل الذي قد يشعر به الجنود الفرنسيين.

أما الاتجاه الثاني فتمثله، تلك الصحف التي انشئت بدافع عاطفي، و بشعور تحزبي، و التي وقعت في عمومها، في مطبة الإقذاع و قالة السوء، و السب و الشتم، و ذهبت في ذلك إلى أبعد ما يمكن تصوره، و إلى درجة كان يصعب معها الرجوع إلى الصواب، و لم يكن هناك من حل لها إلا

(1) محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 204.

التوقف عن الصدور نظرا للتجاوزات الأخلاقية والأدبية التي وقعت فيها، و يضم هذا الإتجاه جريدتي "البلاغ الجزائري" و "المرصاد"، و جريدتي "المعيار" و "الجحيم" اللتين بلغتا من الاسفاف درجة، أدت بـ"أحمد توفيق المدني" إلى وصفهما بـ"منكر و نكير"، كما ضم هذا الإتجاه أيضا جريدة "سيدي هنيي" التي كانت نزعتها حزبية هي الأخرى، و جريدة "الحارس".

و يضم الإتجاه الثالث الجرائد المتبقية، مثل جريدة "البستان" لأبي اليقظان، و جريدة "أبو العجائب"، و جريدة "الليالي" و "البرق"، و التي تمكنت في مجملها من التخلص من أسلوب الإقذاع و الثلب، و استطاعت أن تتميز بأسلوب ساخر هادئ و هادف، كما تمكنت من إحتواء مضامين هادفة ابتعدت قدر المستطاع عن المناوشات الشخصية.

و بعد هذه الصحف الساخرة، توقف هذا الإتجاه، ليترك المجال لأنواع أخرى، و لأساليب أخرى، فرضتها طبيعة المرحلة، و كانت على العموم ذات طبيعة وطنية ثورية، ثم أن الصحافة الجزائرية لاقت تضيقا واضحا في المرحلة الموالية لأن بوادر الكفاح كانت تتجلى شيئا فشيئا.

المطلب الثاني : بعد الاستقلال .

بعد أن تحصلت الجزائر على استقلالها، أدركت السلطات الحاكمة أنذاك أهمية وسائل الإعلام، فعملت على التحكم فيها ووضعت يدها على هذا القطاع الاستراتيجي الهام، فكانت البداية مع تأميم القطاع، ثم جزأته و في مرحلة ثالثة عملت على مركزيته أو على تأسيس نظام إعلامي يخضع لمبادئ الإشتراكية، و بعد أن عوض رجال السياسة -الذين سيروا وسائل الاعلام في الفترة ما بين سنة 1962 و 1965م- بموظفين اداروا القطاع، كان من النتائج الطبيعية لهذه الأحادية في التسيير، أن أصبحت الصحافة وظيفة كباقي الوظائف، و أصبح الصحفي موظفا أو مناظلا في الحزب الواحد.

و لأن الجزائر اعتمدت النظام الاشتراكي، إلى جانب كونها دولة استقلت حديثا، فقد كان من أهم ما ميز الصحافة أنها كانت تجنيدية، تعيينية، و كان يعتبرها رجال السلطة استمرارا للسلطة المركزية، ووجد المواطن الجزائري نفسه معرضا إلى إعلام فوقي، كما فرضت هذه الوضعية على الصحفي نفسه نمطا من الكتابة لا مجال فيه للنقد، أو حتى التلميح بسوء التسيير أو غيرها مما يمكن نقده، و فضلا عن الرقابة -بكل أنواعها- التي كانت تفرضها السلطة، فرض الصحفي على نفسه رقابة ذاتية، فكان يتورع ذاتيا من طرق المواضيع التي تمس السلطة من قريب أو من بعيد و خاصة إذا تعلق الأمر بالنقد.

و كان من الطبيعي إذن، أن لا توجد صحافة ساخرة؛ في هذه الفترة و بالتحديد قبل سنة 1988، إذ كان من غير الممكن تقبل هذا النوع من الكتابة ككل خاصة في المجال السياسي، بل لم يكن من الممكن تقبل حتى الكاريكاتور كوسيلة تعبير، لأنها لغة نقد و مطالبة، و هذه اللغة كانت محدودة، لأن حرية التعبير كانت محدودة جدا أيضا، فلم يكن -مثلا- ممكنا تصوير رئيس أو أي مسؤول سياسي في صورة مشوهة أو ساخرة، حتى و إن كانت في صالحه.

هذه الفترة -فترة ما قبل 1988- كانت الصحافة فيها حكومية، و كانت مهمتها التجنيد و التعبئة، و لم تكن هناك صحافة خاصة أو متخصصة، لذلك لم تكن هناك منافسة، و بالتالي لم تكن هناك محاولة للتنوع في أسلوب الكتابة، و لم تكن هناك حاجة إلى استعمال كل الوسائل و التقنيات، و قد كرس هذه الوضعية، شعور الصحفي بأنه موظف في مؤسسة تجارية، و ليس صاحب كلمة أو رأي.

و إذا كانت الصحافة الساخرة غائبة عن الساحة في هذه الفترة، فإن الكتابة الساخرة لم تغيب تماما، حيث كانت بعض المجلات تحتوي على بعض الكتابات الرمزية و أحيانا الساخرة، كما استعملت بعض الصحف الكاريكاتور كوجه من أوجه التعبير، عبر أعمدة أو أركان ثابتة، كما هو الشأن بالنسبة لمجلة "ألوان" و جريدة "النصر"، و جريدة "الشعب"، وتجدر الإشارة إلى بعض التفتح

(*) هناك بعض المحاولات ذات الطابع الأدبي . مثل محاولة "نظام وطار" بعد الاستقلال
بكر هذه المحاولات لم يدع صيتها في تعرض نفسها .

الذي شهدته فترة الثمانينات، و الذي سمح بنشوء بعض الصحف، غير تلك التي احتكرت الساحة لفترة طويلة من الاستقلال الجزائر، هذه الصحف عملت على تطوير أسلوبها في الكتابة حتى تكسب مصداقية عند الرأي العام، و مما استعملته في هذا التطوير: الكاريكاتور، و حمل هذا التطور، ارهاصات لمرحلة جديدة أكثر تفتحا.

في مرحلة الثمانينات هذه، استعمل الكاريكاتور، أيضا في النقد الاجتماعي دائما، و أحيانا يسمح الصحفي لنفسه، بتناول بعض الأمور السياسية و غالبا ما يكون ذلك بكثير من الحيطة، و استعمال الرمز و التورية، و هذا حتى لا يقعوا فريسة للرقابة المسلطة و للقوانين التي تمنع مثل هذه الممارسات من جهة أخرى.

ثم جاءت فترة ما بعد 1988، تحمل معها الكثير من الأحداث، كان أهمها السماح بالتعددية السياسية، و التي تلتها و كنتيجة طبيعية التعددية الاعلامية في مجال الصحافة المكتوبة، الشيء الذي أدى ظهور تنوع إعلامي كبير لم تعرفه الجزائر من قبل، تنوع جاء ليبي اتجاهات الجمهور المختلفة، و ليساير التطور المتسارع، و أخذت الكتابة الصحفية شكلا يختلف عما كان سائدا، و ظهرت أشكال من الصحافة لم تعرفها الجزائر من قبل، فكانت هناك الصحف الحزبية و الفنية و الرياضية...

و لما أصبحت الساحة تزخر بالصحف، و أصبح المجال واسعا للمنافسة و شراء ود الجمهور و كسب الرأي العام، فقد أقدمت الصحافة بكل انواعها إلى استعمال كل الوسائل و التقنيات، و قد كانت الصحافة الساخرة -التي ولدت في خضم هذه الأحداث- أكثر الصحف حظا، لكونها نوع جديد لم يعرفه جمهور الصحافة في عهد الاستقلال، كما لم تعوزها الوسائل الكثيرة و الأساليب المتنوعة للتأثير على الجمهور.

و بينما نجد الصحافة الساخرة قد استفادت من التفتح الذي ميز الفترة الأولى من مرحلة ما بعد 1988، و ذلك فيما يخص نشأتها، حيث وجدت حيزا من الحرية، يسمح بالنقد، و بتناول موضوعات كانت في وقت قريب من الطابوهات، فإنها استفادت أكثر، في الفترة التي عرفت فيها الجزائر تدهورا في الأوضاع السياسية و الأمنية -على الأقل من حيث توفر المواضيع محل النقد- فكانت الصحافة الساخرة تتناول الأحداث المطروحة في الساحة و تبرز الصراع الدائر بين المعارضة و السلطة و تنامي ذلك الصراع، و هذا يقودنا إلى معرفة الظروف التي يمكن أن تنشأ فيها الصحافة الساخرة، حيث يلاحظ أنها تتغذي من مراحل الإضطراب و عدم الاستقرار و من تناقض الأحداث، فتجعل منها مادة للتهكم و السخرية و النقد، هذا بالإضافة إلى حاجة الجمهور إلى هذا النوع في هذه الظروف بالذات، ليخفف عنه وطأة الأحداث و ضغطها.

أخذت هذه الصحف الناشئة، تتناول الظواهر الاجتماعية و السياسية و الثقافية بطرق تهكمية ناقدة، معتمدة في ذلك على أساليب و وسائل و تقنيات متنوعة، خصاصة الكاريكاتور الذي

يأخذ حصة الأسد في هذا النوع من الصحافة، و نشير هنا أن هذه الصحف و إن تنوعت المواضيع التي تناولتها، غير أن الطابع الغالب عليها هو الطابع السياسي، و هذا يرجع إلى الظروف التي نشأت فيها و تعيشها الجزائر .

و كانت جريدة "المنشار : El Manchar" بالفرنسية هي أول الصحف ظهورا في ساحة الصحافة الساخرة، و ذلك بتاريخ نوفمبر 1990م، و هي جريدة نصف شهرية و يرمز اسمها إلى أداة تقطيع الخشب، و يدل هذا اللفظ في المجتمع الجزائري على النقد و الغيبة و النميمة، توزع في كامل التراب الوطني، و منطقة التوزيع الأساسية هي الوسط الجزائري، و يتراوح سحبها بين 40 ألف و 120 ألف نسخة، تباع بعشرين دينار، و تتكون من 20 صفحة من الحجم الصغير طابليو*، و تحمل كشعار : "Le seul canard scies toujours debout" و هو شعار يلخص الخط الذي اختارتها الصحيفة لسيرها و يحمل أبعادا متعددة أو قراءات مختلفة.

جريدة المنشار جريدة مستقلة، و تدخل في إطار ملكية خاصة للسيد : "محفوظ عبدو"، و هو مسؤول نشرها، طاقم تحريرها يتكون من 23 متعاوناً أغلبهم كاريكاتوريين و تعتمد مداخيلها على مبيعاتها و لا تعتمد على الأشهار، أما عن خطها فهي لا تنتمي لأي حزب سياسي أو لحركة معينة فهي مستقلة - كما سبق ذكره-.

و لعل طبيعة تخصص أعضاء طاقم تحرير صحيفة "المنشار" الذين هم في أغلبهم كاريكاتوريين، جعل من الكاريكاتور أغلب مادة الصحيفة، طبعاً هذا إلى جانب أشكال أخرى أهمها "الكارتون"، و لا تشكل المقالات التحليلية إلا الجزء اليسير من الصحيفة، و بهذا فقد تميزت "المنشار" عن غيرها بطابع اخراجي منفرد، اتخذ من الكاريكاتور مقالاً افتتاحياً يحتل جل مساحة الصفحة الأولى إلى جانب بعض العناوين المتضمنة في الصحيفة، و يعتمد في تعليقاته على القلب، و المفارقة، كما تعتمد على الأمثال الشعبية، و تستعمل الالفاظ الدارجة و أحيانا السوقية.

من ابرز مواقف "المنشار" أنها كانت تعارض الجبهة الإسلامية للإنقاذ، معارضة شديدة، و تصورها -كغيرها من الصحف المفرنسة- في صور منفرة تؤكد استيراد الظاهرة الإسلامية - ممثلة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ- من إيران و السودان، و تؤكد أيضاً سطحية و سذاجة تكوين أفراد الجبهة، كما تصورها في صور العنف و الهمجية أو البدائية، و ذهبت في ذلك إلى أبعد ما يكون من حيث النقد و حتى التشويه، مبتعدة في كثير من الأحيان عن الموضوعية و الصدق اللذين يمثلان أهم المبادئ الأخلاقية.

(*) عن الكلمة الانجليزية : Tabloid أي صحيفة نصفية و هو نوع من الصحف مساحتها، نصف مساحة الصحف العادية، تبلغ طول النسخة من 41 إلى 43 سم، و عرضها من 26 إلى 28 سم تقريبا، و قد تميزت الصحف الأولى التي ظهرت بهذا الشكل عقب الحرب العالمية الأولى، بالانارة و انعم، ثم ما لبث هذا الشكل أن تحول إلى طريقة عامة تطبع بها الصحف لسهولة تناولها، نظراً لمعجم المصطلحات الاعلامية.

كما نسجل اتخاذ الجريدة من التتافس الحزبي، مادة هامة للتهكم و السخرية و كثيرا ما حملت الصفحة الاولى رسما كاريكاتوريا، يصور الصراع الحزبي، أو يصور بعض الخلافات التي تنشأ أحيانا في الحزب الواحد، مضخمة أياها، و قليلا ما تناولت السلطة مادة لها للتهكم أو السخرية، و نضيف هنا أن الجريدة لم تفوت فرصة الانتخابات التشريعية لسنة 97 لتدعو إليها، و كذا رئاسيات نوفمبر 1995م قبل ذلك.

تتكون -الصحيفة من أبواب قارة و أخرى غير قارة، كما تجرى أحاديث خيالية تحاول أن تضمنها قناعاتها، دون النظر في قناعة و آراء الشخص المحاور، و من العناوين الثابتة الكثيرة، خاصة في صفحاتها الداخلية، "Binatna" في الصفحة الثالثة و "جواز : Djouez" في الصفحة الرابعة، و "دوارة : Douara" في الصفحة الخامسة، و "شوربة لوبية : Chorbta loubia" في الصفحة السادسة، و "بوروروو Bourourou" في الصفحة السابعة، كما تحتوي على عناوين أخرى، مثل "تمنشير القراء"، و "هراوة الكلاب"، و "زلاوية"، و "شربة فريك"، كما استعملت عناوين أخرى مستوحاة من بعض الآلات الموسيقية مثل "جواق"، "دربوكة"، "سنيتر"، إلى جانب عناوين مستوحاة من بعض المدن التي يرغب الشباب في الهجرة إليها مثل "بابور المريكان" و "بابور الطاليزان"، وغيرها من العناوين و التي في مجملها مصاغة بالعامية، كما أن معظمها مستوحاة من المأكولات، و لها مدلولات حسب الإستعمال و المحتوى الذي تضمنه هذه العناوين

و من خلال لغة الصحيفة، و العناوين المعتمدة، نستطيع القول أن "المنشأر" استعملت أسلوبا ساخرا جزائريا بحتا، كما أنها تعتبر صحيفة "شعبية" حيث تستعمل العامية كثيرا سواء المهذبة أو السوقية و لم تعتمد كثيرا على النصوص التحليلية و يستطيع أي انسان بسيط تصفحها لاحتوائها على نسبة كبيرة من الكاريكاتور و الكارتون بتعليقات بسيطة عامية في معظمها، و نشير أخيرا، أن "المنشأر" عمد إلى تحرير صفحة باللغة العربية ابتداء من العدد "114" الصادر في نوفمبر 1995 و سرعان ما تنازلت عنها بعد ثلاثة أعداد، كما تعتبر الجريدة الساخرة الوحيدة التي مازالت تصدر و لم تتوقف.

و نعلق هنا على ما وصلت إليه إحدى الدراسات بأن اعتماد "النشأر" على الكاريكاتور في أغلب صفحاتها، جعل منها صحيفة تركز على جميع الصور أكثر من التحليل، نعلق فنقول أن الصحيفة في اعتمادها الكبير على الكاريكاتور لم يضعف فيها الأداء الاعلامي بدليل أن لها جمهورا واسعا و استطاعت مع "الصح - آفة" أن تغطي معظم الأحداث التي عاشتها الجزائر في فترة ما بعد 1988، و هذا على الرغم من تجنبها الموضوعية إذا ما تعلق الأمر ببعض الموضوعات، مثل الحركة الاسلامية في الجزائر.

(*) وهي مذكرة ليسانس، أشير إليها في الجانب السطحي.

بعد صحيفة "المنشار" ظهرت "الصح - أفة" التي أعلنت بقدمها عن ميلاد نوع جديد من الكتابة الصحفية المعربة و قد صدر العدد الصفر منها بتاريخ 30 جانفي 1991 و كانت - دون منازع- التي أخذت لنفسها خط المعارضة الصريحة اتجاه السلطة، كما يمكن وصفها - على حد قول أحد مؤسسيها* أنها كانت مرجعية لكل الصحف الساخرة التي تلتها، وأن محرريها استطاعوا بتقلهم عبر الصحف الساخرة الأخرى أن يعمموا ظاهرة الكتابة الساخرة في هذه الصحف.

و "الصح - أفة" أسبوعية سياسية ساخرة، تصدر عن مؤسسة دار الأحرار للصحافة، بوهران، في شكل شركة ذات مسؤولية محدودة، والشركاء المؤسسون لها ثمانية صحافيين و صحافيات، كانوا كلهم يمارسون الصحافة بالمؤسسات العمومية خاصة يومية "الجمهورية"، و هم "الحبيب راشدين" (المدير العام و مسؤول النشر)، و "عمار يزلي" (رئيس التحرير)، و الصحافيون : "انريس بخاري"، "محمد سوالي"، "هوارية عامر"، "خيرة طارة"، "محمد بن جلول"، "خديجة بهلول"، و يبلغ عدد العاملين بها إضافة إلى هؤلاء 15 موظفا آخرًا.

تطبع صحيفة "الصح - أفة" في مؤسسة الطبع للغرب بالسانية بوهران، و تقع في 8 صفحات من الحجم الكبير، و لها من الأبواب القارة و غير القارة، كما لديها طريقة خاصة في كتابة عناوينها، سواء من ناحية اللغة و التركيب، إذ كثيرا ما تعتمد طريقة فك الكلمات لتعطي بها مدلولاً معيناً، أو من ناحية الشكل و الخط، محاولة في هذا الجانب أيضاً، التوفيق بين المدلول و الرسم أو الشكل، و يظهر هذا خاصة من عنوانها "الصح - أفة" الذي هو تفكيك لكلمة "الصحافة" و بتفكيكها أصبحت الكلمة متكونة من كلمتين، "الصح" و "أفة" و أصبح لها مدلول آخر، تريد من خلاله: أن قول الحقيقة في بلادنا يعد أفة، و هو نقد واضح لوضعية "حرية التعبير" و ما تعانيه الصحافة من رقابة، كما كتب العنوان بطريقة مميزة، تعبر هي الأخرى عن المدلول المراد خاصة حين عوضت الألف الممدودة بقلم يسيل منه حبر في شكل دمعة أو قطرة دم.

أما شعار الصحيفة، فجاء على شكل سجع محتواه : "بالدليل و البرهان لا بالقراءة في الفجنان" تريد بذلك كسب ثقة جمهورها حين تخبره بأنها تعتمد الدليل في أخبارها و تحليلها، و لا تعتمد الدجل و الكهانة، و نلاحظ كيف تعتمد الصحيفة "السخرية" ابتداءً، أو كما جاء على لسان عمار يزلي رئيس تحريرها : «أن صحافيينها يعتقدون السخرية بالأساس، سخرية جادة، و هم في كتاباتهم يهزون و يلمزون و يحاولون عدم القذف، و يعتبرون السخرية سلاحاً كيميائياً مزدوج التفاعل، و أنها في صحيفتهم امتداد للأسلوب الساخر الذي اعتمده الجزائري في حياته اليومية، و الذي ساهم بشكل واسع في محاربة الاستعمار».(1)

(*) هو الدكتور "عمار يزلي" صاحب "سيرك عمار" في هذه الصحيفة و قد أدق بهذا الرأي في مراسلة بتاريخ 1994/01/24.

(1) حوار أحرى مع الصحفي "عمار يزلي" تحت عنوان: "انتهى السيرك.. و بدأ الفسحك"، صحيفة مشوار الأسبوع، العدد : 63 (من 02

و "الصح-أفة" خطها الافتتاحي الخاص بها، و الذي تمكنت من خلاله أن تتخلص من كل العقد التي غرست في الصحافيين خلال المرحلة الاشتراكية، كما تتجلى معارضة الصحيفة للسلطة جلية واضحة من خلال الافتتاحية، و هو خط لم يكن مرغوب فيه، و سبب لها المشاكل فيما بعد، و تعنون الافتتاحية ب " رأي الصح -أفة" و عوضت المقالات الافتتاحية في بعض الأعداد بمقالات كاريكاتورية تمثل الخط نفسه.

و في الصفحة الأولى دائما نجد أبوابا قارة، مثل قلادة هبنقة" و هو باب مختصر جدا و رمزي، تترصد من خلاله شخصية الأسبوع، لتعلق عليها أو تقلدها القلادة أو الوسام -الذي تعطيه تسمية حسب الحدث-، و تكون طريقة النقد ساخرة لاذعة، إذ لا يقصد من التقليد التشريف، إنما النقد و السخرية من الشخص المقلد، كما نجد إلى جانب هذا الباب، بابا آخر في حجم الباب السابق، و هو قار أيضا، و هو ما أسموه ب "أفة - الاسبوع" : و يترصد أهم خبر و حدث في الاسبوع، و لا يكون الحدث سارا بالطبع، كاغتيال الرئيس على منصة و في قاعة مليئة بالحضور، أو كخروج رئيس الحكومة بتصريح بعد صمت طويل على اثر الغاء الانتخابات.. و غيرها من المواضيع، و لأن الصفحة كبيرة، فهناك مواضيع أخرى إلى جانب الأبواب القارة.

و مما يلاحظ -أيضا- في الصفحة الأولى من صحيفة "الصح-أفة" أن لها اذنين ثابتين و متميزين، و هما عبارة عن رسم كاريكاتوري غالبا ما يكون لشخصية معروفة، ففي اليمنى، يُطرح السؤال على الشخصية، و في اليسرى، تجيب الشخصية عن السؤال المطروح، و يحمل الجواب كثيرا من السخرية تتبعث في كثير من الأحيان من التناقض في الجواب أو الخلط فيه أو المفارقة التي يحملها، هذان الاذنان نجدهما في الصفحة الأخيرة أيضا.

أما الصفحة الأخيرة في هذه الصحيفة، فيميزها "سيرك عمار" هذا الحيز الذي يكتبه -عمار يزلي- و يعبر عنه بدلا من "بقلم : عمار يزلي"، بسوط عمار يزلي" لأنه ملئ بالسخرية اللاذعة التي يضمنها مواقف خيالية، يحاول من خلالها تصوير أفة أو واقع سياسي -في أغلبه- أو اجتماعي أو ثقافي، بأسلوب فيه كثير من الرمز و التورية، و يكتب فيه بكل حرية، و لا يسلم من سوطه أحد.

إلى جانب "سيرك عمار" نجد عمودين قارين متقابلين، الأول بعنوان "قال" و الثاني بعنوان "قيل"، و هما عمودان اخباريان، يحملان مقتطفات إخبارية مختصرة، محررة بأسلوب ساخر دائما، و بالطريقة نفسها التي تعتمد عليها الجريدة من فك للكلمات و تعليقات عقب بعض الكلمات أو الجمل.

و بين الصفحة الأولى و الأخيرة تقع الصفحات الداخلية، تحت عناوين مختلفة مثل : "عند جهينة"، و "مطارق" و "ثقافة و صحافة"، و كلها كتبت بطريقة مناسبة يرفقها رسم كاريكاتوري يزيد في وضوح العنوان و دلالاته، هذه الصفحات تحتوي بدورها على أعمدة قارة، مثل "البيان

و التأيين، "شجون"، "بريد القراء" "لمخاخ" "منامات الوهراني"، "بلا قيود"، "ملاسنات"، "كلام نسوان" "سوق عكاظ"، "سكشوكة" و غيرها من العناوين التي نجدها في أغلب أعداد الصحيفة.

و من خلال أسلوب التحرير، و العناوين التي تعتمد على "الصح-آفة" يظهر التأثير الكبير بالتراث العربي في هذا المجال، و التراث الشعبي أيضا، فهي تستعمل كلمات ارتبطت بالأدب العربي القديم، كما تستعمل الأمثال الشعبية، و العبارات العامة أو العامية، كما يظهر تأثرها أيضا ببعض الجرائد الساخرة العربية، مثل جريدة "المحرر" الساخرة التي يصدرها نبيل مغربي من باريس في ماي 1987، و التأثير كان من حيث الشكل و الإخراج.(1)

و تعتمد الصح-آفة على النص التحليلي أكثر من اعتمادها على الكاريكاتور، و يظهر تفوق "المنشأر" في مجال الكاريكاتور أكثر، بينما تتفوق الصح-آفة في مجال التحليل، و تعتمد في ذلك على الرمز، و تسف أحيانا إلى درجة الغموض، كما تستعمل العامية المهذبة و تسقط أحيانا في العامية السوقية، مما يبعدها بعض الشيء عن الأدب العام.

تجدد الإشارة أيضا، إلى أن "الصح-آفة" و في فترة وجيزة استطاعت أن تكون لها جمهورا معتبرا، و تجد لها مكانا في الساحة الاعلامية، بدليل أنها بدأت بقوة سحب لا تتعدى 25 ألف نسخة أسبوعيا، و تحت ضغط المقرونية المتزايدة، استطاعت أن تحقق أعلى سحب على مستوى الوطن كله ب 300 ألف نسخة توزع عبر معظم أرجاء الوطن و توزع في وقتها، كما لم تكن لها مرتجعات، و هذا أحد المؤشرات على رواجها و مصداقيتها عند الجمهور.

نسجل كذلك أهم مواقف "الصح - آفة" من أحداث الساحة السياسية خاصة، إذ كانت جريئة جدا في تصوير شخصيات السلطة، فقد سلطت تهكما و سحريتها على معظمهم، فأسمت رئيس الحكومة آنذاك ب "أبو فراشة" و صورته في صور كاريكاتورية كثيرة، و علفت كثيرا على دوره و موقفه في الانتخابات التشريعية الملغاة، كما جعلت من السيد "محمد بوضياف" عند توليه السلطة مادة لمواضيعها، و قبل ذلك تناولت "الشاذلي بن جديد" بالنقد و السخرية و كذا وزير الداخلية وقتها البخ.

و في المجال نفسه، نجدها تعضد موقف الجبهة الإسلامية للإنقاذ، و تتهم من جميع معارضيهما حتى من الإسلاميين الذين يقاسمونها جزءا من طرحها، و هي في ذلك تقف موقفا مناقضا لموقف المنشأر، و ذهبت إلى درجة، ظن فيها البعض أن "الصح-آفة" إحدى صحف الجبهة الإسلامية الإنقاذ.*

بعد توقيف المسار الانتخابي، و نظرا لمواقفها المعارضة للسلطة، و بعد إصدارها لملاحق خاص بحقوق الإنسان تحت عنوان "آفة-الصح"، بدأت متاعب "الصح-آفة"، خاصة و أنها تتناول

(1) أنظر : محمد شطاح، "الصحافة الساخرة : من البستان إلى الصح - آفة"، بومية الحياة الجزائرية، عدد : السبت 29 فيفري 1992،

ص 12.

(*) تشير هنا إلى الصحيفة علمت لهذا الرأي، وردت على هذا الظن في أحد أعدادها، وهو رد مقنع . أنظر: الصح-آفة "ع

مواضيع حساسة جدا في هذا الملحق، مثل مسألة معتقلي الجبهة الاسلامية للإنقاذ و حالهم في المعتقلات، و كذا مسألة تعليق الصحف و الضغط على حرية الصحافة، و كان مسؤولي الصحيفة يتوقعون رد فعل السلطات، و مصير "الصح-أفة"، و وطنوا أنفسهم على ذلك، و كتبوا شعورهم هذا بجرأة كبيرة، قلما كتبت بها الأقال، جرأة كلفتهم مصادرة الجريدة بعد صدور عددها الواحد و الثمانون، و مما جاء في العدد ما قبل الأخير تنبؤا بما حدث لهم مايلي: «.. أما نحن في "الصح-أفة"، و قد بشرتنا الشائعات بمصير مماثل نترقبه كل أسبوع، و وطننا أنفسنا عليه، فإننا لم ننتظر توقيف اليوميات الثلاث* لنكشف النوايا العدائية للنظام حيال حرية التعبير، و هو الذي لم يتردد في فتح محتشدات العار بالجنوب فهل يعقل أن يستقيم الظل و العود أعوج..؟» (1).

و مباشرة بعد صدور العدد الواحد و الثمانون، علق "الصح-أفة" بقرار صدر عن وزارة الداخلية و الجماعات المحلية مساء 19 أوت 1992م، و ذكرت سبب التعليق في بيان لها أهم ما جاء فيه، لوصف "الصح-أفة" أنها «... تميزت ببذاعتها و قلة حيائها اللتين تصدمان روح الحشمة و هي خصلة أساسية لشعبنا و ثقافتنا الإسلامية.. و أنها تعرف بصلاتها مع القنصلية الفرنسية بوهران لا يثنيها أي اعتبار تمليه روح المسؤولية و الوطنية و أخلاقيات المهنة.. و أنها تقوم بحملة منظمة للتعتيم الإعلامي بهدف بث الشك و الربك في الأذهان، بنقلها أفكار كل أولئك الذين يحاولون زرع البلبلة و العنف بالبلاد..» و أضافت إلى ذلك من الأسباب، أنها كانت تنشر عمدا و باستمرار منشورات سرية لجمعية منحلة ذات طابع سياسي، و أشار البيان أن الوزارة ستتابع مسؤولي الصحيفة -أيضا- بتهمة القذف. (2)

و قد اعتبر طاقم الصحيفة آنذاك أن قرار التعليق تعسفي، و أن التعديل الذي طرأ على مرسوم حالة الطوارئ و الذي لم يكن يسمح بتعليق الصحف إلا لمدة اقصاها ستة أشهر، اعتبروه تضييقا على الصحافة و مواجهة لكل عمل سياسي معارض، و انتظر صحافيو "الصح-أفة" الستة أشهر الأولى لتمر -بعد محاولات الدفاع الكثيرة- لكن قرار السلطات لم يكن لمدة ستة أشهر، بدليل أن كل محاولات العودة و الاستئذان قوبلت بالرفض -قوة - لا بالقانون، كما كانت محاولات للتعويض -مثل محاولة انشاء جريدة "النح-لا" التي حاول صحافيو "الصح-أفة" أن يغيروا اتجاهها إلى اتجاه اجتماعي و بأسلوب ساخر دائما، و مع ذلك لم يوافق على اصدارها، و كانت هناك محاولة أخرى تمثلت في جريدة "أيام الجزائر" التي أرادوها تاريخية بعيدة عن السخرية و لم يصدر بشأنها أي قرار إلى اليوم.

(*) إشارة إلى "الجزائر اليوم"، و "La nation" و "Le Matin"

(1) "الصح-أفة"، العدد: 80، (الأسبوع من 11 إلى 17 أوت 1992م)، الانتاجية.

(2) حوارية عماري "ما علق من الصح-أفة المعلقة" جريدة رسالة الأطلس الجزائر، (العدد من 23 إلى 29 أكتوبر 1993)، ص: 4.

و على الرغم من الأسباب التي ذكرتها السلطات، إلى جانب تعللها بالعجز المالي و عدم تسديد ديونها، فإن السبب الحقيقي، سبب سياسي، تؤكد كثيرا من المؤشرات، منها ما أقدمت عليه وزارة الثقافة و الاتصال - وقتها - على الموافقة على رجوع "الصح-آفة" بشروط أهمها، عدم المساس بمؤسسة الجيش، و التخلي عن ملحق حقوق الإنسان، و قد رفض مسؤولو "الصح-آفة" هذا الطرح، ولم يكن أمامهم سوى التوزيع على الجرائد المختلفة لنقل رسالة "الصح-آفة"، و هذا ما حدث مع "عمار يزلي" و سيركه الذي قرأناه عبر عدة صحف بعد توقيف "الصح-آفة" و كذا "حبيب راشدين" و "هوارية عماري"، و "خيرة طارة" و غيرهم.

بعد "الصح-آفة" لم تعرف الساحة الإعلامية مشروعا يمثل جرأتها، و استقرارها و قوة معارضتها للسلطة، حيث ظهرت عدة محاولات، بعضها لم يدم طويلا و بعضها لاقى المصير نفسه - التعليق - و من بين هذه الصحف، "بوزنزل" التي جاءت لتسد الفراغ الذي تركته "الصح-آفة" و قد لبست لباسا غير الذي لبسته سابقتها فلم تعلن أنها سياسية، بل لم تعلن عن إتجاهها و عبرت عن نفسها بأنها "تصف شهرية ساخرة مستقلة" *.

صدر العدد الأول منها في شهر أوت 1992، تباع بسعر 7 دج، و تصدر عن شركة الطبع للوسط، المدير المسؤول للنشر "عبد القادر عبدو"، و تقع في 16 صفحة من أنواع التصغير - طابليود - يتصدر صفحتها الأولى رسم كاريكاتوري مع تعليق إلى جانب بعض الصور لمواضيع داخلية مع بعض العناوين، و تحتوي على أبواب معتادة في الصحف العادية مثل الألعاب و المسابقات و الأبراج، محاولة تناولها بأسلوب ساخر.

تتناول صحيفة "بوزنزل" مواضيع متنوعة، سياسية، اجتماعية، فنية، و ثقافية و لها أبواب قارة و أخرى غير قارة، نجد من الأبواب القارة مثلا "توهمت لك" "من أيام العرب"، "محطات" "عواطف" و غيرها، و تتناول مواضيعها بالسخرية، مستعملة في ذلك بعض التقنيات، كالكاريكاتور الذي يشكل جانبا كبيرا منها، كما تستعمل تقنية فك الكلمات و لكن بصورة نادرة، و تستعمل أسلوب التعليق على الكلمات - في الموضوع - بعبارات تكون محل السخرية و التهكم، و هو أسلوب إستعملته "الصح-آفة" من قبل، و قد تتناول مواضيع بطريقة جادة كالحوارات مثلا، و تستعمل العامية كثيرا - المهدبة و السوقية -.

و مما يلاحظ أنها وإن كانت ساخرة - غير أنها كانت هادفة لأنها حاولت التطرق للمواضيع الاجتماعية بأسلوب ساخر، محاولة بذلك الإصلاح و التصويب، كما حاولت أن تمس لسعاتها أكبر حيز من شرائح المجتمع، و أفادها تخصص بعض محرريها في فن الكاريكاتور الذي كانت تخصص له مساحات خاصة، أو تتوج به بعض المواضيع.

* كعب عنوان الخريدة خط جميل، فوقه رسم خشرة "الدبور" الاسم الفصح لبوزنزل الذي هو تعبير دارج خشرة تلسع بقوة، كما رسم في آخر العنود شخص يتحمى خشية التسع، تعبيرا عن أن الخريدة لا ذعة و كلماتها أو سحريتها كلسعة بوزنزل.

و تجدر الإشارة أن صحيفة "بوزنزل" ظهرت في ظرف شهدت فيه الجزائر أحداثا كثيرة، مما ترتب عنه، للتدهور الملحوظ في حرية الصحافة و تضيق المجال بعد أن فسح و لو لفترة قصيرة و هذا ما دفع إلى جعل أسلوبها أقل حدة، و لسعاتها غير سامة كثيرا، و مما جاء في العدد الثامن الصادر بتاريخ : 18 نوفمبر 02 ديسمبر، 1992 الصفحة : 14، إعلان للقراء جاء فيه "أعزائي القراء" ترقبوا صدور جريدتكم باسم آخر "الوجه الآخر" و بالفعل لم تدم الصحيفة طويلا، فغابت لتترك المجال أمام الجريدة المعلن عنها و هي جريدة "الوجه الآخر" التي حاولت الظهور بوجه آخر، كما حاولت هي الأخرى مواصلة الطريق، و سد الفراغ الذي تركته "الصح-آفة".

بدأت "الوجه الآخر" في الصدور أوائل سنة 1993، بقيادة مدير مسؤول نشر صحيفة "بوزنزل" "عبد القادر عبدو" و "حسان زهار" كرئيس للتحريير، و عرفت بأنها "أسبوعية وطنية شاملة ساخرة" كما أخذت لها كشعار "الزلط و التفرعين" دلالة على أن الصحافة لا تملك القوة التي ينبغي أو كان من المفروض أن تتميز بها، و مع ذلك فهي تحاول إثبات ذاتها على الساحة الاعلامية و أداء دورها المنوط بها، و قد كتب عنوانها بخط جميل، مرفوق بصورة و اسم لوجه وظله تعبيرا و ترجمة لعنوان الصحيفة.

تقع "الوجه الآخر" في 24 صفحة من النوع الصغير -طابلويد- و تضم أبوابا قارة و أخرى غير قارة، أما الصفحة الأولى فهي تشبه أولى صفحات "بوزنزل" حيث تحتوي على كاريكاتور مكبر معه تعليق، إلى جانب عناوين محتويات الجريدة، و بقيت -"الوجه الآخر" تحافظ على الطابع المتنوع في مواضيعها فهناك السياسة، و الاجتماعية و الثقافية و الرياضية و الفنية، و هناك المحلي و العالمي، كما استعملت تقنيات كثيرة في سخريتها، أهمها الكاريكاتور الذي نجده تقريبا في كل صفحة، فضلا عن الصفحة الكاملة التي خصصت له تحت عنوان "كاريكالام" نسبة لرسامها، و تستعمل أيضا طريقة فك الكلمات، و التعليق على الكلمات و العبارات، كما تستعمل العامية و لكن أقل مما كانت عليه في "بوزنزل" و "الصح-آفة".

و إلى جانب هذه الصحف الساخرة ظهرت صحف ساخرة أخرى، لم تعش طويلا بعضها انتهى لفشل في التحرير و افتقاد التجربة و بعضها أنهته الظروف، و من هذه الصحف "القرداش" التي كانت تابعة لجريدة "الخبر" و التي لم يصدر منها إلى خمسة أعداد، كما نجد عناوين أخرى مثل: "البارود"، "القنطرة"، و أخيرا و بعد فراغ كبير على مستوى الساحة الاعلامية فيما يخص الصحافة الساخرة، جاءت جريدة "مسار" التي -و على خلاف الجرائد المعربة السابقة- تشبه كثيرا جريدة "المنشار" في شكلها الخارجي، و حتى في صفحاتها الداخلية، إذ تعتمد كثيرا على الكاريكاتور و قلما نجد مقالات تحليلية مطولة.

صدر العدد الأول من "مسمار" بتاريخ 29 أبريل 1996، و هي أسبوعية ساخرة، كتب عنوانها بطريقة يدل شكلها على مدلولها، حيث كانت حروفه و حتى حركاته عبارة عن مسامير، و فوق حرف السين من "مسمار"، رجلٌ تدوس على مسمار، و هو في مدلوله العام يرمي إلى اللذع، و الوقوف بالمرصاد لكل من تراه الجريدة قد جانب الصواب، كما تشكلت الصفحة الأولى من مجموعة رسومات كاريكاتورية مصحوبة بتعليقات، و هي عبارة عن عناوين المواضيع الداخلية.

تقع الجريدة في 16 صفحة من النوع الصغير -طابلويد- و تصدر عن S.A.R L جسور بقسنطينة، مدير نشرها "محمد زيتلي"، و رئيس تحريرها "مصطفى نطور" أما مديرها الفني فهو "محمد الناصر بلفوناس"، بها أبواب قارة و أكثرها غير قارة، و هي في معظمها سياسية، و تهتم بالمحليات و الجهويات في أغلب الأحيان، و من الأبواب القارة، "تخاريف"، "يوميات العربي الهفاف"، "واش تميز" و مما يلاحظ أنها تستعمل العامية كثيرا، في عناوينها، و مواضيع كاملة، أي لا تكتفي بالتذييل أو بالتعليق، و لأنها تستعمل العامية كثيرا، فإن أسلوبها لم يقتصر على المهذب، بل سقط في حماة الكلمات والتعبيرات السوقية و أحيانا المخلة بالأدب العام.

فحين تعبر عن رئيس حزب معروف، و شخصية دعوية لها تاريخها بقولها "لاعبيها" أو تصور رئيس حزب آخر عريانا، أو تقول عن آخر "مذكرات رئيس حزب حشاوهالو" أو تصور شخصيات ثقافية -أي كان اتجاهها- في وضعية غير لائقة (وضعية التبول) فإن جريدة "مسمار" تسف، و تسقط في حماة البذاءة، في الوقت الذي كان بإمكانها أن تصل إلى جمهور عريض، دون اللجوء إلى مثل هذا الأسلوب.

كما تقف "مسمار" موقف المعارضة سواء للسلطة، أو الاحزاب و زعمائها أو حتى لبعض الشخصيات الثقافية، و أحيانا تبدو معارضة غير مؤسسية، و نستطيع وصفها بأنها معارضة من أجل المعارضة، فمثلا حين كتبت تحت -عنوان: "جمعيات لبول في الكانون" عن "سعد بوعقبة" و هو زميل المهنة- و "أحمد بنعمان"، و غيرهما و تقول أنهم: "جمعوا بعضهم كما تجتمع مطلقا كن سابقا" سيدات محترمات في بيوت أزواجهن .. ذهبوا إلى عاصمة العراق بغداد للمشاركة في ثقافة الندوة.. شاركوا في الكلام عن الثقافة و عادوا لكي تكتب عنهم الصحافة، و يدلوا بالتصريحات المنمقة بالظرافة، "مسمار" ما فهمت شيئا من هذه الخرافة، من الذي أعطى الحق لهذا الرهط كي يمثل الثقافة؟.. نقول لهذا الرهط شوية حشمة يا جماعة...» (1) فإن "مسمار" تتقيد و بطريقة لاذعة شخصيات، كان من المفروض أن يكون لها بعض الاحترام، و حتى و إن نقدت فليكن في أسلوب هادف مهذب و ناصح، و يمكن أن يكون ساخرا و يضمن هذه الأدبيات، كذلك حين تتناول -تقريبا - كل الشخصيات السياسية في السلطة أو في المعارضة بشكل مُعمن في التهكم فإنها تميح القضايا

(1) من "جمعيات لبول في الكانون" مسمار الخرابية، العدد: 3، (الأسبوع من 13 ماي إلى 20 ماي 1996)، ص: 2 (الاسم رمز له فقط).

السياسية و تزيد في إستهانة الشعب بكل من يشتغل بالسياسة و إن كان هؤلاء من الجادين في امرهم.

و تشير- أن توقعات الصحافيين في هذه الجريدة كثيرا ما تكون بالكنية، كأن يوقع أحدهم ب "سطايفي"، أو "تشناش" أو "الشنفرى" أو "سنفورة" أو قد يعبروا عن أنفسهم ب "سماز عنابة" "سماز جيجل" و قد يوقع بالإسم الحقيقي، و هي بذلك تشبه جريدة "الستان" لصاحبها أبي اليقظان في هذا الجانب كما نؤكد على اعتمادها الكبير على الكاريكاتور، و الكارتون و كذلك الصور الحقيقية مع إعادة تركيبها و ارفاقها بتعليق ساخر.

جريدة "سماز" و بعد صدور مجموعة أعداد، علفت في السنة نفسها (بعد صدور ستة أعداد)- لتعلن عن خلاء الساحة الاعلامية من الصحف الساخرة المعربة ثانية، و لا تبقى على الساحة إلا "المنشار : El Manchar"، و تبقى بحاجة إلى صحيفة ساخرة هادفة، تؤدي رسالتها الاعلامية، و ترفه عن جمهورها و تذيب عنه بعض متاعب الحياة بأسلوبها الساخر، الذي قد يكون موجعا، و لكن نتمناه غير قاتل، كما نتوسم فيه أن يحترم جمهوره، باحترام مبادئه، و مراعاة حدود آدابه العامة.

و تبقى الصحف الصادرة في معظمها تقتند إلى الجمع بين السخرية و الجدية، و احترام جمهورها، بعدم الإسفاف في التعابير السوقية و المخلة بالحياء أحيانا، كما تبقى تنقصها التجربة و التمسك أو الإمساك بزمام الأسلوب، ما عدا "الصح-أفة" التي تأثرت بها جميع الصحف الساخرة المعربة والتي لم يصمد فيها لفترة لا بأس بها إلا "الوجه الآخر" التي كانت مدعمة ببعض صحافيين "الصح-أفة"، و كذلك متأثرة بأسلوبها إلى حد بعيد.

أخيرا نشير إلى أن الكتابة الساخرة، و إن كان لها صحف خاصة بها، إلا أنها وجدت في الصحف الجادة أو غير ساخرة -حتى لا نقول أن السخرية غير الجد- و رأت فيها بعض الصحف حيزا مُلحا لا تستطيع التنازل عنه، و لو في أبسط أشكالها كالكاريكاتور أو الصورة المركبة أو غيرها.

فهناك بعض الصحف من تركت مكانا -سواء في الصفحة الأولى أو الأخيرة- للرأي أو الحدث بالكاريكاتور، مثل: جريدة "الوطن: El Watan" و جريدة "لوماتان: Le Matin" أو "الخبر" و هناك من خصص عمودا، كما هو الحال في جريدة "الحقيقة"، حيث يكتب هذا العمود الصحفي "سعيد بن زرقة" تحت عنوان "تفانض"، أو مقالا مثل المقالات التي يكتبها "سعد بو عقبة" في جريدة "الشروق العربي" تحت إمضاء "سردوك".

و بعض الصحف خصصت صفحة كاملة، تحرر بأسلوب ساخر جاد، و نجد ذلك في عدد لا بأس به من الصحف مثل "الشروق العربي" التي تعنون هذه الصفحة ب "سروقيات" و نجد فيها من

العناوين : "منشاريات"، "موت بالضحك"...، وكذلك جريدة "بريد الشرق" التي كانت تخصص هي الأخرى صفحة بعنوان "رادار" تتناول فيها بعض الأخبار بأسلوب تهكمي ساخر، ولها عمود ساخر في الصفحة الأخيرة تحت عنوان "برد قلبك"، وحتى في الجرائد الأكثر جدية مثل "المجاهد الأسبوعي" التي عنونت صفحتها بـ "المرصد" و رصدت فيها مجموعة من الأخبار و المواضيع تناولتها بأسلوب ساخر أو على الأقل بأسلوب رمزي، و استعلت في هذه الصفحة -أحيانا- رسوما كاريكاتورية، أما جريدة "الحرية" فصفحتها عنونت بعبارة بالعامية "ياو عليكم" و هي كما يبدو من العنوان خبرية، تناولتها الأقلام بأسلوب فيه غير القليل من التهكم و السخرية، و عنونت جريدة "العالم السياسي" هذه الصفحة بـ "بلا ضوابط" و ضمنيتها مجموعة من المواضيع المختصرة - انفلاشية، و تناولتها بأسلوب ساخر أيضا.

هذه الصفحة -التي تحرر بأقلام ساخرة- لم تستغن عنها أيضا الصحف الإسلامية. فعملت بعضها على تحرير بعض المواضيع بأسلوب ساخر، مثل الصفحة التي نجدها في جريدة "النبا" - لسان حال حركة المجتمع الإسلامي سابقا- و التي أخذت كعنوان "بكل عفوية" و شملت، عنوين قارة : مثل "عيش تشوف"، "ريبوح النية"، و عيش تسمع" و "كاريكاتور الأسبوع"، محاولة بذلك إعطاء البديل عن السخرية العنيفة، و المتجاوزة لبعض الأداب أحيانا، متحرية في ذلك بعض الضوابط الشرعية، و مراعاة الاخلاقيات و الأدب العام، كما خصصت جريدة "السييل" أيضا حيزا للتعبير بالكاريكاتور.

و هناك بعض الصحف يغلب عليها طابع السخرية، لكنها ليست صحف ساخرة، و تحوي هذه الصحف على أكثر من باب أو حيز ساخر، و مثال ذلك صحيفة "الموعظ" التي عرفت عنى أنها ثقافية إجتماعية، و قد ضمت هذه الجريدة بعض الصور الكاريكاتورية، و كذلك بعض الأبواب القارة مثل "قال الراوي" الذي يعالج أو يتناول بعض الظواهر الإجتماعية، بأسلوب رمزي، ساخر تهكمي أحيانا، كما نجد من الأبواب التي كتبت بهذا الأسلوب، "دغدغات الصابرين" و هو عبارة عن مقتطفات من الاخبار و المواضيع، كتبت بطريقة تهكمية، و نجد في الأخير صفحة "اخترت لك"، و هي عبارة عن تساؤلات يطرحها القارئ و يجيب عنها "عبد القادر طالبي" صاحب "قال الراوي" و رئيس تحرير الجريدة، يكتب هذه الصفحة بأسلوب ساخر، و بجرأة كبيرة.

و بعد هذا العرض عن الصحافة الساخرة في الجزائر بعد الاستقلال، وعن أهم الصحف الساخرة التي عرفتها الساحة الإعلامية، ننتهي إلى القول أن الصحافة الساخرة في هذه الفترة استطاعت أن تفرض نفسها على الساحة، خاصة و أنها ظهرت في فترة حرجة من تاريخ الجزائر، فاستطاعت أن تخفف عن الناس آلامهم، و تبعدهم عن افرازات الأزمة السياسية و الاقتصادية، ولو لفترات، حتى يتمكنوا من التفكير السوي و المساهمة في اخراج البلاد من أزمتها، و قد اجتهدت هذه الصحف في توعية جمهورها و هم يضحكون.

الفصل الرابع

الضوابط الأخلاقية للصحافة الساخرة

- المبحث الأول : فلسفة الأخلاق في الصحافة.
- المبحث الثاني : محاولات وضع قواعد و أخلاقيات مهنة الصحافة
- المبحث الثالث : أخلاقيات الصحافة من وجهة نظر إسلامية.
- المطلب الأول : الضوابط الإسلامية للإعلام.
- المطلب الثاني : الضوابط الإسلامية للصحافة الساخرة.

جدول يوضح أهم الصحف الساخزة في الجزائر - الصادرة بعد الاستقلال -

اسم الجريدة	معلومات توثيقية		الصحف الساخزة الصادرة بالفرنسية EL-MANCHAR - المنشار -	تاريخ الصدور	مكان الصدور	دورة الصدور	تاريخ التوقف
	الصحف الصادرة	تاريخ الصدور					
مسار	الوجه الآخر	بوزنزل	الصحف الصادرة	تاريخ الصدور	مكان الصدور	دورة الصدور	تاريخ التوقف
29 أفريل 1996	أوائل 1993	أوت 1992	الصحف الصادرة	جانفي 1991	الجزائر	نصف أسبوعية	مازالت تصدر
قسنطينة	الجزائر	الجزائر	الصحف الصادرة	وهزان	الجزائر	نصف أسبوعية	سياسية انتقادية
أسبوعية	أسبوعية	نصف شهرية	الصحف الصادرة	أسبوعية	الجزائر	أسبوعية	سياسية انتقادية
1996 جوان	/	/	الصحف الصادرة	19 أوت 1992	الجزائر	أسبوعية	سياسية انتقادية
سياسية انتقادية	متنوعة	متنوعة	الصحف الصادرة	سياسية انتقادية	الجزائر	أسبوعية	سياسية انتقادية

جدول يلخص أهم الصحف المساخترة في الجزائر - الصادرة قبل الاستقلال -

المصحف المساخترة الصادرة بالعربية										اسم			
										معلومات الجريدة	توثيقية		
سيدي صيني	الليالي	أبو العجائب	البتان	الحارس	الجيم	المعيار	المرواد	البرق	البلاغ	LE TURCO	Le Firraou ALGERIEN	CHITANN	
1936	فيفري 1936	24 ماي 1934	27 أفريل 1933	أوت 1933	30 مارس 1933	18 ديسمبر 1932	1931	07 مارس 1927	1926	1895	14 نوفمبر 1858	1865	
الجزائر	الجزائر	الجزائر	الجزائر	الجزائر	الجزائر	الجزائر	الجزائر	قسنطينة	قسنطينة	الجزائر	الجزائر	الجزائر	الجزائر
نصف شهرية	نصف شهرية	نصف شهرية	نصف شهرية	نصف شهرية	نصف شهرية	نصف شهرية	نصف شهرية	أسبوعية	/	/	3 مرات في الأسبوع	/	/
/	مارس 1937	24 يولية 1934	12 يولية 1933	أكتوبر 1933	ماي 1933	جوان 1933	1933	/	1934	/	/	/	/
محمود الطاهر	سعد علي بن	محمد العلي	أبو القنطال	غريب	عبد الشرف	عبد الحميد	محمد بن	الزهري	أحمد ابن علوية	/	J.B André	/	/
سياسية	اجتماعية	اجتماعية	انتقادية	مضادة	انتقادية	انتقادية	دينية	اجتماعية	انتقادية	سياسية	مختلفة	تعم بالحق والمسرح	تعم بالحق والمسرح
انتقادية	ناقد	اجتماعية	انتقادية	مضادة	انتقادية	انتقادية	دينية	اجتماعية	انتقادية	سياسية	مختلفة	تعم بالحق والمسرح	تعم بالحق والمسرح

المبحث الأول : فلسفة الأخلاق في الصحافة .

إن الصحافة رسالة يرتبط فيها منهج العمل و الكفاح بفلسفة محددة مدروسة و مكتوبة، و بذلك تستطيع أن تتجاوز- غيرها الرأي بالرأي، و الفكر بالفكر، و الفلسفة بالفلسفة، و هي إن التزمت بهذا الخط، فلأنها ظاهرة إجتماعية تتحكم فيها عقلية الجماعة و طبيعة تراثها الحضاري، و نوع أداها العامة، و حظها من الرقي الاجتماعي و التسامي الأخلاقي، كما أنها إذا فعلت ذلك يمكنها أن تحسن التعامل مع قيم المجتمع الذي تعمل فيه، و أن تحيلها إلى مواقف و سلوكات، تنبض بالحركة و تفيض بالحيوية، و تنطق بالصدق، فتشد الفكر، و توظف الوجدان و تسمو بالروح، و في ذلك إنزال للصحافة منزلة المربي، و الموجه.

و هذا يقودنا إلى الحديث عن أخلاقيات الممارسة الصحافية، و الضوابط التي تصونها من الإنحراف عن الأهداف النبيلة، و هي مسألة ألصق ما تكون بمشكلات و موضوعات الصحافة، ذلك أنه و في مقابل تساؤلنا عن الوسائل التي تمكن الصحافة من الأداء الحر لوظائفها، توجد تساؤلات هي بنفس الأهمية مثل : ماذا يجب على الصحافة أن تعمل من أجل موظفيها و قرائها و مجتمعها؟ و ما هي المعايير التي يجب أن يتمسك بها الصحفيون -إن وجدت- في ممارستهم لمهنة الصحافة و ما هي الصحافة الجيدة و ما هي الصحافة الرديئة؟ و ماذا يجب على الصحفي أن يفعله في موقف معين؟(1) و إذا كانت مناقشة الأخلاق و الضوابط و المعايير في العصور الماضية مسألة صعبة، فإن مناقشتها في العصر الحالي بالذات تبدو أكثر صعوبة، ذلك لأن الحياة تعقدت و المناخ الثقافي أصبح يزخر باتجاهات عديدة و متباينة في الاعتقاد و المذهب، و في الأعراف و العادات، و حتى التطور التكنولوجي له دوره في التأثير على هذه الاتجاهات، و بالتالي فإن مسألة تحديد هذه الضوابط و هذه الاخلاقيات، مسألة شائكة و نسبية إلى حد كبير، و خاصة إذا علمنا -أيضا- أن الجانب الأخلاقي يصعب أن يكون مقننا.

و تتعين الصعوبة أكثر، إذا علمنا، أنه لا توجد تشريعات قانونية أخلاقية مضبوطة يمكن الرجوع إليها من أجل تسوية النزاعات الاخلاقية، و إن كانت هناك بعض المبادئ و الأخلاقيات التي تبنتها بعض الهيئات و الاتحادات الصحفية، فإنها لا يمكن أن تعمم بشكل كلي، ذلك أن طبيعة السلوك و الأخلاقيات، تتصف بالذاتية و من هنا يجب مراعاة البيئة و المجتمع الذي يعمل فيه الصحفي، و المنطلقات الذاتية في جوانب عديدة من أجل وضع هذه المبادئ التي يجب أن يتمسك بها الصحفي لكي يكون حرا و مسؤولا في الوقت ذاته.

(1) جون ميلر و رالف نوبشتاين، مرجع سابق، ص: 305.

و يدخل في تكوين هذه المبادئ العامة و إيجاد هذه الضوابط اعتبارات عديدة منها الاعتبارات الذاتية للعامل بحقل الصحافة، و في هذا المجال نلاحظ عموما توجيهين رئيسيين* و هذا بلا شك سيقود إلى نوع من المظاهر الأخلاقية التي يتبناها الصحفي، و لعله من الأفضل الإشارة إليها قبل التطرق إلى الأخلاقيات و الضوابط القيمية بشكل محدد.

فهناك الصحفي ذو "التوجه الشعبي" الذي يتأثر بالآخرين، و مثل هذا الشخص يعمل على أن تكون المادة و الأحكام التي يصدرها بالطريقة التي يعتقد أنها ستؤثر في الآخرين أو في نفسه، و من هنا فهي تتصف بالذاتية إلى حد كبير، لأن الصحفي يكون همه الوحيد التأثير في جماهير الناس، و بالتالي فإنهم يكونون مركز دائرة عمله، و قد تميل أعمال الصحفي -من هذا المنطلق- إلى أحد الاتجاهات بسبب وجود اهتمام متحيز مع أوضد المشاركين في أعماله، و هذا ما يؤدي إلى تصنيف الأخبار -درجة أولى- و درجة ثانية... إلخ، كما ستحدد الاتهامات أو المواقف -التي قدمها- ماذا سيتم اسقاطه، أو يتم اختياره أو تحريكه إلى أعلى و أسفل؟

أما الصنف الثاني فهو الصحفي "الذي توجهه أساسا الأحداث" : و هو الصحفي المحايد نسبيا الذي يحاول حصر تفكيره في الحدث و الحقيقة، لا يهمل الصحفي في هذه الحالة جمهوره، لكن اهتمامه الأكبر يكون بالواقعة، و يحاول قدر المستطاع الوقوف منعزلا و المحافظة على مشاعره بعيدا عن أعماله، و هو بالتالي يمكنه أن يعزل نفسه عن تأثير اتجاهاته الشخصية و كذا تأثير الآخرين عليه، و هذا حتى يضمن عدم تدخل هذه العناصر في تحديد نوعية الأخبار و التحليلات، فالصحافي في هذا الإتجاه -إذن-، يحاول أن يكون موضوعيا إلى أبعد حد ممكن. (1)

و هناك اتجاه ثالث، وسط بين الاتجاهين السابقين، و في هذا الإتجاه يجمع الصحفي بين الاهتمامين محاولا عدم تغليب جانب على آخر، فهو في الوقت الذي يضع في الاعتبار جمهوره المتلقي للمادة التي يقدمها، يحاول أن يحقق في الوقائع و التركيز معها حتى لا يجانبه الصواب بفعل تأثير الجمهور عليه، و بالتالي يتمكن من الأمرين معا، و قد يحقق ذلك التفاعل و التناغم بين الجمهور و المادة المقدمة له. (2)

و في هذا الاتجاه، يندرج صنف آخر**، يضيف إلى ذينك الاهتمامين، اهتمام آخر، ينبثق من إيمانه بالله تعالى، و هو مراقبته الله -عز وجل- هذا الصنف بموجب التزامه بالضوابط الشرعية يجد نفسه ملزماً بتحري الأمانة و الصدق في الحصول على الأخبار من مصادرها الصحيحة الموثوق بها، ثم نقلها نقلاً صحيحاً، و صياغتها و نشرها بأمانة و صدق، و التعليق عليها إذا احتاج الأمر كذلك بأمانة

(*) انظر جون ميرل و رالف لوينشتاين، مرجع سابق، ص-ص: 306 - 307 و كذا كتاب جون ميرل : قواعد اخبرية و الصحافة الوجودية.

(1)، (2) جون ميرل و رالف لوينشتاين، مرجع سابق، ص: 308.

(**) هذا القسم لا يذكر -عموما- في الدراسات العربية، خاصة و أنه لم يفرض وجوده لا من حيث الممارسة و لا من حيث الدراسات التي تدور حوله، و هذا الأخذ بعصه أيضا المؤمنون بالرسالات السماوية الأخرى.

و صدق، و معنى ذلك أنه يجب عليه أن يكون له ضمير يقظ أمين، يمنعه من اللجوء إلى طرق غير آمنة، للحصول على الأخبار، أو المبالغة في وصف الأحداث أو تحريف البيانات..(1)

و إلى جانب ذلك، فإن الصحفي في هذا الإتجاه، يدرك جيدا أن الكلمة أمانة سوف يسأل عنها أمام الله - عزوجل وفقا لقوله تعالى : ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْمٍ رَمِيمٌ مَحِيدٌ ﴾ (2)، و سواء كانت الكلمة مكتوبة أو منطوقة فهما في المسؤولية سواء، بل قد تكون الكلمة المكتوبة أخطر، لسعة انتشارها، و طول عمرها من الكلمة المنطوقة، و من ثم تصبح جريرتها في الإثم و الوزر أكبر، و أعظم، كما يدرك تماما أن ذلك يساهم في ترقية المجتمعات و حل مشكلاتها و انحرافاتهما، و قد اعترف علماء الغرب بهذه الحقيقة ضمنا، و لم يسجلوها أو لم يرجعوا الفضل فيها إلى أصحابها، فنجد مثلا (روبرت ميرتون R.Merton) و هو أحد الباحثين في علم الإجتماع يقول : أن العديد من أشكال الانحراف التي نشاهدها في مجتمعاتنا المعاصرة، لا ترجع إلى الافراد كأفراد، و إنما ترجع إلى طبيعة الثقافة السائدة.(3)

هذه الاعتبارات الذاتية، التي كانت الموجه الأساسي للصحافي -و الاعلامي بصفة عامة- كان منطلقها فلسفات و مذاهب مختلفة، مر بها الفكر البشري، و كان لها الأثر الواضح في إيجاد التوجهات الصحافية التي ذكرنا، و لابس من الإشارة إلى هذه الفلسفات و بعض قواعدها حتى نفهم كيف تكون تصور الصحافي -أو رجل الإعلام- لعمله و علاقة ذلك بالأخلاق و المجتمع، و كيف انتشر نوع من الصحافة الذي تجاوز قيم و آداب المجتمعات، أو أغفل الجمهور معتبرا في ذلك أن المادة التي يقدم هي محل الاهتمام.

إن من أكثر الفلسفات و المذاهب تأثيرا في سلوك رجل الإعلام المعاصر، العلمانية*، التي تعني : "اللا دينية"، و المراد منها عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد، و هذا يعني أن العلمانية ترى أن العقيدة الدينية و الهدي السماوي، و ما يتبع ذلك من تدين و طاعة لله، و الوقوف عند حدود شرعه، لا يجب الالتزام بها إلا في حياة الأفراد الشخصية أما ما عدا ذلك من شؤون العالم في حياة الناس، فإنه يجب أن يعالج على أساس المادية البحتة، وفق رغبات البشر و وجهات نظرهم و ميولهم.(4)

(1) راجع في ذلك، محمد فريد محمود عزت، دراسات في فن التحرير الصحفي في ضوء معالم قرآنية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984)، ص: 409 و ما بعدها(دون ضعة).

(2) سورة : ق، الآية :18.

(3) نبيل السماويسي، بناء المجتمع الاسلامي و نظمه : دراسة في علم الاجتماع الاسلامي، ط:2، (جدة : دار الشروق للنشر و التوزيع و الضاعة 1408 هـ - 1988م) ص : 37.

(*) العلمانية في حقيقة تعريفها، مزججة عن المعنى الانجليزي "Secularity" المشتقة من كلمة Secular و هي مرادفة لكلمة : Unreligious أي لا ديني.

(4) نجيب سبيوي مصطفى، اندائل الإسلامية لمخالات التزويج المعاصرة، (مصر : دار المعرفة الجامعية)، ص: 64(دون ضعة،دون سنة).

و إذا كانت هذه الفكرة ناشئة عن ظلم الكنيسة و كراهية الغرب لها في فترة من التاريخ، فقد أصبحت بعد ذلك، نظرية مستقلة، و أصبحت هذه النظرية حجر الأساس في قاعدة المدنية الحديثة و المعاصرة، و أصبحت عقيدة أقيمت على أساسها أنظمة حياتها، و كافة علاقاتها الإنسانية (في صلة الإنسان بأخيه الإنسان)، متحررة من السلطة الإلهية و التشريعية في ميادين الحياة كلها، الإجتماعية، و العلمية و الثقافية و الاقتصادية و القانونية، و السياسية و شؤون الحكم و الإدارة، و العلاقات الدولية، و الميادين الترويجية و الإعلامية، و أصبح كل شأن من شؤون الحياة البشرية التي لا حصر لها، إنما يعتمد على معارف الإنسانية المكتسبة و وفق رغباته الخاصة، و لا ينبغي السؤال بعد ذلك عما إذا كان الله قد شرع للبشرية في هذا السبيل شيئا من المبادئ و الأسس أم لا؟ بل أصبح هذا السؤال يهتم بالتخلف و الرجعية. (1)

و قد كان تأثير هذه الفلسفة في مجال الإعلام أشده و طنا، ذلك أن الإعلام و وسائله تخاطب الملايين ببرامج مؤثرة مسموعة و مرئية و مقروءة في أشكال متنوعة و متعددة، و تدخل هذه الوسائل حياة الناس، كل الناس، و في كل مكان، و هؤلاء الناس يتأثرون بالكلمة التي هي أساس العمل الإعلامي، فتحرر الإعلامي من كل ما يربطه بالعقيدة، و برر له ذلك، تجاوزه الآداب العامة للمجتمعات، و مرعاة رغباته و اهوائه على حساب جمهوره.

كانت انعمانية أيضا أساسا و منطلقا، للفلسفة المادية، التي جاءت لتحل محل التفكير المسيحي بعد أن كانت للناس في أوروبا -في ظل العقيدة المسيحية- تقاليد موروثة و ثابتة و مفهيم قارة تتعنى بالحياة و المجتمع و الأسرة، و أن هذه التقاليد مبنية على إرادة الله و على قواعد الدين، فكلمة الله للبشر كلمة ثابتة و مقدسة و هي واجبة الرعاية و الاحترام على الاجيال. كما كان للدين قيم و مثل أخلاقية معينة، تتحتم رعايتها، و قد يخرج الناس على هذه المثل أحيانا في معاملاتهم الشخصية، أو ينتكروا لها علانية أحيانا، و مع ذلك تظل من ناحية المبدأ واجبة الرعاية.

أما بداية التفكير المادي، فجاءت مع "دارون" * الذي نشر نظريته في التطور، و نظريته في أصل الإنسان و أصل الانواع، و قال أنه لا شيء ثابت على وجه الأرض، و لا قصد على الاطلاق من الخلق، و أنه لا يوجد إله خالق بل الخالق هو الطبيعة، و لم تقصد أن تخلق الانسان، و إنما جاء الانسان هكذا نتيجة عملية التطور البطيئة التي استغرقت ملايين السنين، و هزت هذه الفلسفة المجتمع الأوربي، و بدأت تزلزل الإيمان بالثبات لاي نظام من النظم أو أي قيمة أو أي فكرة، و بدأ الناس ينكرون وجود الله، و تحطمت فكرة أن الانسان نفخة إلهية، و انفلت الانسان بعد إيمانه بهذه الفلسفة من

(1) نجى بسيوني مصطفى، مرجع سابق، ص: 66.

(* دارون : (شارلز دارون : Charles Darwin) : عالم طبيعة و بيولوجي بريطاني، ولد عام 1809، و هو المعروف بنظرية التطور و الارتقاء،

توفي عام 1882

الأخلاق، و تفككت الأواصر الاجتماعية، و صار الناس إلى الهبوط الحيواني. (1)
 و مع الداروينية ولد التفسير المادي و التفسير الاقتصادي للتاريخ، و الذي يفيد أن الأفكار و المشاعر و العقائد ليست هي التي تحرك الناس أو ترسم لهم السلوك العملي في واقعهم، و إنما هي تجيء لاحقة لكل وضع اجتماعي أو اقتصادي، فهي ليست قوة موجهة فضلا عن أنها غير ثابتة.
 و عليه فإن الأخلاق في المذهب الشيوعي : المادي، ليست قيمة ذاتية (قائمة بذاتها) و إنما هي مجرد انعكاس للوضع الاجتماعي و الاقتصادي القائم في المجتمع، و الصحافة الاقتصادية هي التي تولد الأخلاق، و تقوم على حمايتها باسم المثل الاخلاقية، و هذه الأخلاق تعكس شريحة معينة من الناس الذين يدافعون عن مصالحهم المادية، و لا تقف الشيوعية عند هذا الحد، بل تذهب إلى القول بأن الأديان السماوية، ارتبطت بالأخلاق الطبقيّة، فالدين قد قيد المجتمع البشري بأخلاق استغلالية، و ثبتها باسم الاله و الكنيسة. (2)

و تبعاً لهذه الفلسفة، فقد شاع في وسائل الاعلام نوع من الإباحية، و التحلل من الأخلاق، ما لم يمس ذلك بالاقتصاد، و بالحزب الواحد، و البروليتاريا، و إذا كان الشيوعيون قد نفروا من سلطة الاقطاع والطبقة البورجوازية، و نقدوا حرية الصحافة عند الليبراليين، على انها شكلية، فقد وقعوا في ديكتاتورية أشد و اطغى، و هي ديكتاتورية الحزب الواحد، و البروليتاريا، و أصبحت الصحافة تخضع إلى الرقابة المحكمة، و ذهب "تينين" إلى حد تعيين عدد الصفحات في الصحف المخصصة للاقتصاد و السياسة، و تكريس هذه الصحافة للدعاية الشيوعية. (3)

و إلى أبعد من هذا الانحلال من قيد الأخلاق و جعلها انعكاساً للاقتصاد و الوضع الاجتماعي، ذهبت الفلسفة الفرويدية* التي جاءت لتكمل ما ذهب إليه "دارون"، و تخصصت في المجال النفسي و علم النفس التحليلي و تفسير السلوك، و جاءت لتفسير السلوك البشري على أساس حيوانية الانسان المطلقة و التي لاتعترف بميزة للانسان أو أية رفعة، و تقول هذه الفلسفة، أن الجنس -بمعناه الحيواني- هو الدافع و المحرك للكيان البشري، و هذا التفسير الجنسي للسلوك البشري ليس تفسيراً للسلوك الفردي وحده، و إنما هو كذلك محور للحياة الاجتماعية كلها منذ بدء التاريخ البشري حتى اليوم، كما يضم الاخلاق و الدين و التقاليد و الفن و الفكر و الفلسفة و كل النشاط البشري.

ففي نظر فرويد، فإن الدين مزعوم، و هو رد فعل للمشاكل الاجتماعية، أما الاخلاق فهي في نظره تتسم بطابع القسوة حتى في درجاتها الطبيعية العادية، و أن الحضارة تتعارض و النمو الحر

(1) يحيى سبيوي مصطفى، مرجع سابق، ص-ص: 79 - 80.

(2) بكير بن سعيد أعوش، أضواء على الاخلاق الاسلامية و المعاصرة، ط: 1، (مسنطة: دار البعث للطباعة و النشر، 1405هـ - 1984)، ص-ص: 70 - 71.

(3) راجع في ذلك : Brahim Brahimi, « La doctrine Libérale et la doctrine Leneniste de l'information : Essai de : definition » Revu Algérienne de Communication, Numero : 8, hiver 1992, P : 76.

*) سمة بن فرويد : (1856 - 1939) صيب تسموي، من أصل يهودي و المعروف بالنظريات الجنسية.

للطاقة الجنسية، و على الرغم من اسطورية هذه النظرية، و من تنفيذها بنظريات نفسية - جاءت بعد "فرويد" - إلا أنه كان لها أثر كبير على الساحة الاعلامية -خصوصا- و في كل مجالاتها، فأصبح هناك الكتاب الجنسي، و الفيلم الجنسي و المسرح الجنسي و الصحافة الجنسية.. و كان لذلك كله أثر في كل أخلاق المجتمعات، و تجاوز لأدابها و انتهاك لحرمتها رغما عنها.

و جاءت "البراغماتية" بقيادة "وليام جيمس" *، و هي فلسفة تتفق مع مذاهب و فلسفات سابقة، كالنفسية في توكيدها للنواحي العملية، و كالفلسفة الوضعية في ازديانها للحلول الكلامية و الاسئلة العديمة الجدوى، و التجريدات الميتافيزيقية، و من أهم أسس هذه الفلسفة، أن الأفكار تقاس بمقدار فائدتها فقط، لا لأنها صحيحة في ذاتها أو أنها تتطابق مع الحقيقة الفكرية، أو التجريبية، نجد أن هذه الفلسفة قد أخذت من جميع المذاهب الفكرية طالما فيها فائدة عملية في دنيا الواقع.

و نجد في هذه الفلسفة، أن الأخلاق لا وجود لها إلا في المجتمع الانساني، لأن الانسان هو الكائن الوحيد الذي ينشد المعايير الخلقية، إلا أن هذه المعايير لا يمكن أن تكون ثابتة أو مطلقة، فهي نابعة من ذات الإنسان، و معنى هذا أن الانسان أصبح هو مصدر الخير و الشر، و الفضيلة و الرذيلة، و أصبحت القيم بذلك نسبية عند الانسان، و من هنا فإن هذه الفلسفة لا تقر بالقيم المطلقة الصالحة في كل مكان و زمان، بحيث تتعدى المصلحة الذاتية و الاجتماعية، و ما يشترط في الأخلاق عند المؤمنين بهذه الفلسفة هو ألا تتعارض مع العرف و العادات الاجتماعية و لو كانت سيئة، و هم يرون أيضا أن الآراء الذائعة حق، و أن القانون المعياري هو ما يعتقده الرأي العام. (1)

و الحقيقة أن هذه الأفكار تكون صائبة و مقبولة لو كانت محصورة في المجال العلمي التجريبي، إلا أن هذه المدرسة، تريد أن تجعلها شاملة و عامة لجميع المعارف و الأفكار مهما تنوعت مصادرها، لا سيما في المجال الأخلاقي، و هذا سوف يؤدي إلى تيرير و توسيع تلك الأفكار و القيم ما دامت تحقق المنفعة، و قلب بذلك نظام القيم الخلقية على حساب رغبة الفرد أو الأمة أو الدولة، و في هذا ما يبرر نظام العلاقات الاقتصادية الاستغلالية التي يفرضها الخصم، و هذه الفلسفة جسدت خاصة في المجتمع الأمريكي الذي يمجّد الفرد و الثروة، و النجاح العملي، و هي فلسفة كان لها كبير الأثر في المجال الإعلامي و الصحافة المكتوبة خاصة، التي و من خلال الترسيبات الفكرية لهذه الفلسفة، تجاوزت في كثير من الفترات أخلاقيات المهنة، و آداب المجتمع، و لم تعتبرها قيما ثابتة، كما لم تعترف بحقوق غيرها من الدول في هذا المجال على اعتبار أن الأخلاق مربوطة بتحقيق المصلحة، و المنفعة. (2)

(*) و وليام جيمس : (1842 - 1910) بعد من أساطين المدرسة العملية الأمريكية التي تجعل النجاح مقياس حقيقة، أهم أثاره البراغماتية، إرادة الاعتقاد، مبادئ عند النفس.

(1) بكير بن سعيد أعوش، مرجع سابق، ص 90-91.

(2) المرجع نفسه، ص : 93.

و من أهم الفلسفات الحديثة، التي أثرت في المجال الأخلاقي، و بالتالي في العمل الاعلامي، "الفلسفة الوجودية"، التي تنسب إلى جون بول سارتر* و بالضبط في جانبها الملحد، و التي ترى أن الانسان ليس إنساناً إلا بحريته، و لذا أصبحت الحرية في هذه الفلسفة هي الاساس الوحيد و الأول لجميع القيم الأخلاقية، و انها بذلك من صنع الانسان، و ليس لسلطة الدين أو المجتمع أو السياسة دخل في ذلك، و إذا كان الأمر كذلك فإنه من الصعب إذن، التفريق بين الافعال الارادية و اللإرادية، ثم أن هذه الحرية ذاتية تبريرية، تنطلق من مصالح الفرد، و لا تعير أي إهتمام لمصلحة المجتمع و معاييره الأخلاقية.(1) و لنا أن نتصور تأثير هذه الفلسفة على رجل الأعلام، خاصة في مجال الأخلاق، إذ أن الذي يحمل هذه الفكرة أو حتى بعض رواسيها، يسترسل مع أهوانه دون قيد و لا حساب و لا مسؤولية، و حتى بعض القيم التي قد يؤمن بها فإن السمة الأساسية لها أنها من خلقه و ابتداعه، ثم أن ضغط الظروف المحيطة به قوي لدرجة لا يستطيع معها الإختيار.

و لم تقتصر الساحة الفكرية على هذه الفلسفات، إنما كانت هناك أفكار و فلسفات، كان لها دور هي الأخرى في توجيه وسائل الإعلام و رجاله، و أحدثها أفكار القومية و الاشتراكية و الليبرالية و مشكلات انديمقراطية، و كانت جميعها منطلقاً لتكوين التوجهات التي سبق الإشارة إليها، و الواقع أن الصحافي المعاصر كثيراً ما يتجه إلى أحد الاتجاهين الأولين و قليلاً ما نجد من يجمع بين إهتمامه بالجمهور و تحري الموضوعية فيما يقدم من مادة، أما أن يضاف إلى هذين الإهتمامين و ذلك الارتباط الوثيق بين ما يقدمه الصحافي و بين مراعاة جمهوره، ارتباطه بضميره و مراقبته الله - عزوجل - فإنه اتجاه يكاد يغيب تماماً، اتجاه لم يفرض وجوده، و هو الذي ارتبط بأعدل الأفكار و أوسطها.

وللفلسفة الإسلامية في مجال الأخلاق رصيد ضخم، و منبع ثر، لم يتمكن المسلمون من ترجمته إلى نظرية تفرض وجودها و تفوقها عن النظريات الأخرى، ماعدا بعض المحاولات التي لم ترتق إلى النظرية، و الباحثون لا يعوزهم في هذا المجال الرصيد الفكري، فهو موجود و غني كما ذكرنا سابقاً، و إنما المطلوب، هو تنسيق الجهود، و تنظيمها في نظرية متكاملة، تستطيع اقناع رجل الاعلام المعاصر، و تجعل المنطلق الخلقى عنده، من المنطلقات الأساسية في عمله.

لقد أرسى الإسلام قاعدة الكليات الأخلاقية ذات الاطار الواضح الثابت الذي تنطلق منها الإنسانية في تصرفاتها السلوكية، و جعل الأخلاق كلها قائمة على أسس ثابتة هي الإيمان، و الإسلام، و التقوى، و الإحسان، و النية، و هي أسس متكاملة، و مرتبطة ببعضها، و يأتي الإيمان في مقدمة هذه الأسس لأنه هو الأساس الأصيل في ترسيخ عقائد الاسلام، فبدونه لا يمكن أن يتمتع المسلم بعقيدته

(*) جون بول سارتر: (1905م - 1980م) فيلسوف و كاتب فرنسي، ذو نزعة وجودية ملحدة من أهم كُتبه: "الوجود و العدم، نظرية الانفعالات، الوجودية مذهب إنساني".

(1) بكير س سعيد أنوشنت. مرجع سابق، ص-ص: 98، 99.

صلبة، فإذا استقرت هذه العقيدة الصحيحة في حياة المسلم، كانت الثمرة المرجوة في القول والعمل الأخلاقي. (1)

و من هنا نجد الإيمان والعمل الأخلاقي متلازمين و مترابطين ارتباطاً عضوياً في الفكر الإسلامي، فلا يمكن الفصل بينهما و لهذا نلاحظ أن أكثر الآيات القرآنية تؤكد أن العمل الأخلاقي يكون دوماً مقترناً بالإيمان -عز وجل : ﴿ إِنَّ الْإِيمَانَ أَنُفَعُوا آمَنُوا وَ تَمَلُّوا السَّالِطِينَ، إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ تَمَلُّاً ﴾ (2)، و على هذا يمكن التأكيد أن الإيمان الصحيح هو اللبنة الأساسية التي تقوم عليها حياة المسلم الخلقية، فإذا صلحت هذه اللبنة، صلحت تصرفات الانسان و وجهها نحو الخير الأسمى، و ضحى بكل شيء في سبيل تحقيق الإسلام و توجيهاته.

أما الأساس الثاني، و الذي يترتب بدوره عن الإيمان، فهو الإسلام العملي الذي يظهر أثره في حياة الفرد و المجتمع، و على الفرد أن يتخلص من الأخلاق السيئة، حتى يستقيم سلوكه، و بهذا ندرك أن صاحب السلوك القويم، لا بد أن يكون له إيمان عميق و ثابت لا يتأثر بالأهواء و تغيرات الأحداث النفسية و الاقتصادية و السياسية، و التي كثيراً ما تصهر و تقيم قرارة إيماننا إزاء الأحداث الطارئة. (3) و يتأكد لنا أيضاً أن الأخلاق الإسلامية لا تحيز بأي حال من الأحوال الفصل بين القول و العمل.

و الأساس الثالث الذي تقوم عليه الأخلاق الإسلامية، هو التقوى، و يعني بها تلك الحالة النفسية الذاتية و النابعة من خشية الله تعالى، و الشعور بأن الله -عز وجل- هو الرقيب الوحيد لتصرفات المسلم و أعماله الخلقية المتجلية في حياته الفردية و الجماعية، و هذه الفضيلة الخلقية مرتبطة بالتجرد من الأهواء و النزوات الحيوانية، كما تمثل التقوى أصلاً لمكارم الأخلاق الإسلامية المترتبة بحياة المسلمين و وجودهم، لأنها لا تتوقف على الفرد وحده بل تتعداه إلى ما بين الانسان و أخيه الانسان، و بين الانسان و مجتمعه، و حتى بين الانسان و الانسانية جمعاء، و التقوى : « لا تفسرها بالتحديد و التعيين إلا كلمة الخلق الثابت » و أن خير الأمم هي التي توطد دعائم مجتمعها بهذا الخلق الثابت، فإن مرجع التقوى في مظاهرها الاجتماعية إلى شينين الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و هما المبدأ و الغاية لكل قوانين الآداب و الاجتماع، ثم مرجعها في حقيقة نفسها إلى شيء واحد و هو الإيمان بالله -عز وجل- و هذه الخاصية الخلقية، هي أيضاً تجعل المسلم لا يتأثر و لا يتغير بتقلبات الزمان و المكان، بل يرصد نفسه و يرغمها على التمسك الدائم بمكارم الأخلاق و الابتعاد عن سيئها. (4)

و يأتي الأساس الرابع ليجعل من الخلق الإسلامي خلقاً غاية في التميز، ذلك أن هذا الأساس و هو الاحسان فيه زيادة عن الواجب بعد مراعاة العدل القائم، و هو يقوم على المحبة الانسانية، و التفضل بها ليس واجباً، لأن الواجب هو إقامة العدل، و الاحسان مأمور به حتى مع غير أفراد

(1) أبو الأعلى المودودي : الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، (لبنان : مؤسسة الرسالة) ص: 44 إلى 67 (دون ضعة، دون سنة).

(2) سورة: الكهف، الآية : 30.

(3) بكر بن سعيد أعوش، مرجع سابق، ص: 37.

(4) أبو الأعلى المودودي، المرجع نفسه، ص: 44.

المجتمع البشري، غير أن هذا الاحسان، يشترط أن تكون له حدود معقولة، حتى لا تسيطر على المجتمع العواطف والمحاباة، وهذا يتنافى مع العدالة الإسلامية.

و الأخلاق الإسلامية تربط بشكل واضح بين الجانب الشكلي والمادي، و هنا يأتي الحديث عن الأساس الأخير و هو النية، و الأعمال الأخلاقية لا تحصر إذن في جانب النية الطيبة فقط، بل تعداها إلى الترجمة العملية، و السلوك الواقعي، و مع ذلك فإن النية الطيبة هي مصدر الأخلاق الإسلامية، لذلك كان صلاح الأعمال و فسادها منوط بها. (1)

و هذا يقودنا إلى القول بأن الأخلاق الإسلامية تتميز بالمثالية الواقعية، فهي لم تسبح في عالم الخيال، كما لم تجرد الانسان من دوافعه الفطرية فتحمله ما لا يطيق، كما لم تجهل دور العقل في المجال الأخلاقي، فلقد خاطبت العقل البشري، و فرضت عليه الالزامات الخلقية و غرست في المسلم مبدأ أداء الواجب قبل المطالبة بالحق، كما غرست فيه روح المسؤولية و في مقدمتها مسؤولية الكلمة، و من هنا كانت فلسفة الأخلاق في الصحافة -إنطلاقاً من فلسفة الأخلاق في الإسلام- تركز على روية واضحة اتجاه ضرورة التزام الصحفي المسلم بالأخلاق الإسلامية، و لا تيرر التجاوزات التي قد يقع فيها الصحفي المسلم، باسم ذاتية الاخلاق، أو اختلاف المجتمعات و تباين فلسفاتها الاخلاقية.

و بعد هذا العرض الموجز عن أهم الفلسفات و الأفكار التي تُكوّن الرصيد الذي ينطلق منه رجل الاعلام، و يُكوّن من خلاله الاتجاه الذي يعتمده أو يتبناه في عمله الاعلامي، نقول أن الحديث عن هذه الأفكار و الاتجاهات، يساهم بدرجة كبيرة في تحديد نوع الأخلاقيات و السلوك الذي يعتنقه الصحفي، فالذي يهتم بالجمهور -من منطلق إيمانه بفلسفة أو أفكار معينة- سيركز على طريقة التأثير فيه، و سيكون اهتمامه بالأخلاقيات و مبادئ السلوك مختلفاً تماماً عن الذي يركز على الواقعة أو الحدث، و الذي يجمع بين الاتجاهين سيختلف اهتمامه بالأخلاق عن سابقه، و الذي يجمع بين الاتجاهين و يضيف إلى ذلك مراقبة الله -عزوجل- و يقظة الضمير سيختلف هو الآخر عن الآخرين بالضرورة. (2)

و نسجل أن مجهودات كبيرة و طويلة، بذلت من أطراف عديدة، من أجل إيجاد تشريع أو ميثاق في مجال أخلاقيات مهنة الصحافة سواء على المستوى المحلي أو الاقليمي أو العالمي، و قد تداولت هذه الأطراف مصطلحات كثيرة في هذا المجال، و لم يقتصر الأمر على كلمة "أخلاقيات" و التي تعني « ذلك الفرع من الفلسفة الذي يساعد الصحفيين في تحديد الصحيح الذي يجب أن يفعلوه، و هي من ناحية ما تعد فلسفة أخلاقية (أو علوم معيارية للسلوك) ذات نهج، يمكن أن يوصف بأنه افعال إرادية ». (3)

(1) راجع في ذلك، أبو الأعلى المودودي، مرجع سابق، ص: 44 - 67.

(2) جون ميلر، رالف لوينشتاين، مرجع سابق، ص: 308، (هنا المرجع له بذكر الاتجاه الرابع).

(3) المرجع نفسه، ص: 205.

و من المصطلحات الأخرى نجد مثلا مصطلح "المعايير" التي يتبناها الصحفي في عمله و يقيس بها تصرفاته اتجاه جمهوره، و يقصد بهذا المصطلح « مجموعة القواعد و المعاييس التي تحكم أفعال الفرد -الصحافي- كما تحكم ردود فعله اتجاه الآخرين و أفعالهم ». (1)

و يمكن لهذه المعايير أن تفسر سبب انتظام التفاعلات الاجتماعية، و سبب استقرار الحياة الاجتماعية داخل المجتمع.

و هناك من يتكلم عن "الضوابط القيمية"، و يعني بذلك الحدود القيمية، التي يجب أن يتوقف عندها الصحفي للحفاظ على جميع جوانب الاهتمام في مجتمع ما و للحفاظ أيضا على كل ما له قيمة في مجتمع معين، و القيم قد تكون نظرية تميز الاشخاص بنظرة موضوعية نقدية معرفية تنظيمية، و قد تكون اقتصادية تجعل ممن تسود عندهم يميلون إلى ما هو نافع، و لهم نظرة عملية، و قد تكون هذه القيم جمالية و تميز أصحابها بالابتكار و الابداع الفني و تذوق ذلك كله، كما تكون القيم أيضا اجتماعية تدفع إلى خدمة الغير، و مساعدتهم، و تجنب الاساءة إليهم، أما القيم السياسية فتمكن أصحابها من توجيه غيرهم، و القيم الدينية تميز أصحابها بالتزام تعاليم الشرع و الدين، و قد تشمل كل الجوانب السالفة الذكر، و الصحفي باعتباره أن أهم أهداف عمله الاصلاح و توعية الجمهور، فإنه ينبغي أن يضع في الاعتبار جميع جوانب الشخصية بما في ذلك القيم.

و قد يستعمل بعضهم مصطلح "القواعد المهنية" أو "مبادئ السلوك المهني" أو "موثيق الشرف" و لكنها مصطلحات لمعنى واحد، و مع التسليم بأن لا مشاحة في الاصطلاح، فإن المصطلح الأكثر تداولاً هو مصطلح "أخلاقيات" أو "الأخلاق الصحفية" لشموله و جمعه لكل المصطلحات التي ذكرت، و هذا ما جاء في تعريفه حيث يقول: «... و الأخلاق الصحفية ينبغي أن توضح الخطوط الإرشادية و القواعد و المعايير و القوانين و المبادئ التي تقود الصحفي -لا ترغمه- إلى اتخاذ قرارات أخلاقية معينة، و الأخلاق لا بد من أن توفر للصحافي مقاييسا معينة يستطيع من خلالها الحكم على الأفعال هل هي صحيحة أم خاطئة؟ جيدة أم رديئة؟ مسؤولة أم غير مسؤولة؟» (2)

هذا العرض و هذه التوضيحات تعين أيضا في فهم بعض عناصر مسألة الأخلاقيات و الضوابط التي توجه عمل الصحفي، و التي من أهمها أن الأخلاقيات تنصف بالشخصية، و الطوعية و من هنا تأتي خصوصيتها و اختلاف صيغها من بلد إلى آخر، كما يتضح لنا صعوبه وضع قانون أو تشريع إلزامي، و مع ذلك فإن الصحفي حين يعتبر أخلاقيات المهنة ثباتا أخلاقيا يصمد بفضله في مواجهة مختلف الضغوط و المصالح، عندما تدفعه إلى تغيير أو تشويه معارفه و استنتاجاته، أو إلى التغاضي عن نشر الحقيقة.. فإنه يرى أن الأخلاقيات بذلك لا تتعارض مع مبدأ حرية الإعلام بل على

(1) بيل محمد توفيق السمانوسي، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي ط: 2، (جدة: دار الشروق للنشر و التوزيع و الطباعة 1406هـ - 1985م)، ص: 201.

(2) جون ميزورائف لوبستايين، مرجع سابق، ص: 305.

النقيض من ذلك، انها تدعم الصحفيين و كافة الذين يستفيدون من حريتهم، و تعاونهم على أن يمارسوا بوعي كامل مسؤوليتهم لأغراض نشاطهم.(1)

و من منطلق هذه الاعتبارات -أيضا- يمكن الحديث عن النظريات أو النظم الأخلاقية، إذ أن الطابع الشخصي للأخلاق، و اختلاف المنطلقات الفلسفية، جعل النظريات تختلف و تتنوع بكثرة، حتى أن تصنيفها كان لأكثر النظريات شهرة فقط* و عموما فإن هذه النظريات تضع متبعتها بين مهمم بالأخلاق و الضوابط و عامل بها، و بين لا أخلاقي، غير عابئ بالأخلاق، فهناك إذن من يرى أن الأخلاق مطلقة يجب أن تطبق على الجميع، في حين يرى البعض أنها نسبية و أن ما يراه البعض أخلاقيا قد لا يكون كذلك عند غيرهم، كما نجد من يرى أنها موضوعية و في المقابل هناك من يراها ذاتية، و هناك من يعتبرها إلزامية في حين يراها غيره غائية، أي أنها مقصود بها تحقيق غاية معينة.. فالذي يرى أن الاخلاق مطلقة، يعتقد أن هناك عالما واحدا، و قانونا أزليا ينطبق على كل شخص في كل العصور، و يؤكد أن اختلاف الأفكار المتغيرة و التقاليد و الظروف لا تحدث أي اختلافات ذات شأن في القانون الأخلاقي المطلق، و هناك أفعال "صائبة" و أخرى "خاطئة" بصرف النظر عن المكان و الزمان أو الظروف الخاصة، أما مؤيد الأخلاق النسبية، فإنه يعتقد أن كل فرد له أخلاقيات و المرتبطة كثيرا بالعاطفة، و هو يضع في اعتباره الميول و الأحاسيس، كما يعتقد أنه لا يملك الحق في اصدار أحكام حول أخلاقيات الآخرين، و قد تعد هذه الأحكام تحاملا و تحيزا من جانب ذلك الشخص، و من هنا، و حسب هذه النظرة لا يمكن اعتبار قانون أخلاقي متفوق على آخر، كما أن المعيار الأخلاقي يختلف باختلاف الظروف و الأزمان و الأماكن و الثقافات.(2)

و من جانب آخر يوجد تقابل آخر في نظريات الأخلاق، و يتمثل في الموضوعية و الذاتية. فالموضوعي يدافع عن الاخلاق بشكلها المطلق، و يرى أن كل المعايير الأخلاقية المطلقة على أنها موضوعية، و تعد المعايير الاخلاقية موضوعية من منطلق أنها تتشكل خارج الفرد، و تعتمد على المنطق بعيدا عن المشاعر و الآراء، مستقلة عن الأسلوب الذي يحس الشخص بذاتيته تجاهه، أما الذي ينظر للأخلاق من منظور ذاتي، فهو يأخذ بوجهة النظر المعاكسة، فهو ينظر إلى الأخلاق كما لو أنها تمثل رأي شخص أو اختياره، فالأخلاق عنده إن هي إلا مبادئ أخلاقية نسبية، ترى الاختلاف في الأحكام الأخلاقية كنتيجة للحالة العقلية لشخص معين.(3)

(1) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 505، (أنظر هامش).

(*) راجع: الإعلام وسيلة و رسالة، ص: من 310 إلى 313، و للاستزادة، راجع المراجع المذكورة في هامش الكتاب و هي "قواعد الأخلاق" هيري هاريلت (نوس انجلس 1972) و كذا "دواعي الرسول : مشكلات أخلاقية في وسائل الأخبار" جون هولتج (انليوود كنيس 1976).

(2)، (3)، جون ميلز رالف لوبنشتاين، مرجع سابق، ص: 310 إلى 313.

أما نظرية النتيجة و الاتجاه، فترتبط بنظريتي الموضوعية و الذاتية، و الروية الاخلاقية، ذلك أن نظرية الإتجاه تعتبر احدى صور النظرية الذاتية، و من منطلق هذه النظرية فإن السلوك يعد قويا إذا كان موافقا لاتجاه الشخص و ميله إليه أما نظرية النتيجة فهي تعطي اعتبارا للقيمة خارج الفرد، خاصة فيما يتعلق بالنتائج و الآثار المترتبة على السلوك، وتمثل هذه النظرية الأخلاق النفعية التي تذهب إلى أن المعيار الأخلاقي لأي سلوك يرتبط بمدى ما يحققه هذا السلوك من نفع لأكبر عدد من الناس. (1)

و تأتي نظرية الألتزام الأخلاقي لتقابل نظرية الغائية، وهي تذهب إلى أن الصواب أو الخطأ لسلوك أو فعل ما يعتمد على الفعل نفسه، لا على ما يترتب عنه، و الصحافي في هذه النظرية يشعر أن لديه إدراكا طبيعيا و تلقائيا لما هو خير و ما هو شر، و هذا الإدراك أو الضمير سيكون مرشدا يعتمد عليه، أما نظرية الغائية فإنها تقيس الصواب و الخطأ لفعل صحافي معين بما يحققه فعله هذا من سعادة أو حزن.. و عليه فمن الناحية النظرية إذا حصل الصحافي و المتلقي على متعة نتيجة الكذب أو الغش في قصة اخبارية -مثلا- فإنه يكون فعل الشيء الصحيح. (2)

و بالاضافة إلى هذه الأصناف التي ذكرت، هناك أساليب أخرى، منها ذلك التصنيف الذي تم تطويره -في غالب الظن من خلال جدلية هيغل*، و اسقاطها على مجال الأخلاق، و تبعا لهذه الجدلية التي تعني أن هناك صراع بين النقيض، و نقيض النقيض، جاء مفهوم الجدلية الأخلاقية ليتفرع عنه ثلاث نظريات و هي نظرية "الأخلاق الشرعية" ** (أو القانونية)، و هي التي تمثل النقيض، و نظرية الأخلاق المتناقضة، و التي تمثل الأفكار المتصارعة أو نقيض النقيض، و أما النظرية الثالثة فهي نظرية التوافق التي تجمع بين الأمرين السابقين، و تسمى نظرية "أخلاق الموقف". (3)

و يقصد ب (الأخلاق الشرعية) ذلك النظام الأخلاقي المطلق أو الموضوعي، الذي يرتكز بصورة كبيرة على التقاليد، و على الوفاق الإجتماعي، و على قانون ديني صارم، و تتصف هذه الأخلاق أساسا بالعقلانية، باعتبار أن انصارها لديهم سبب جيد يبرر اعتقادها، كما تعتمد نتيجة و آثار السلوك بصورة مكثفة، و في هذه النظرية، فإن الحكم على الشخص ب(اخلاقي) أو (لا اخلاقي) يكون حسب القرب أو البعد عن قوانين أو معايير مجتمعه، و قد طبق هذا في أمريكا، عندما أصدر دستور أخلاقي، في مجال الصحافة، و صادق عليه الصحافيون و عم على امتداد القطر، و اعتبر كل من يخرق فقرة من هذا الدستور (لا اخلاقي) على الأقل في مجال مهنته الخاصة. (4)

(1)، (2) جون ميرل و ألف لويشتاين، مرجع سابق، ص: من 310 إلى 313.

(*) هيغل : (1770 - 1831) فيلسوف ألماني، و هو صاحب فلسفة، ترى أن التطور يخضع إلى جدلية، و التي يجعل منها طريقة أساسية في فكره أشهر مؤلفاته: "علم المنطق" (1812 - 1816) و "مبادئ فلسفة الحق" (1821).

(**) مصطلح "شرعية" هنا: يقصد به: التشريع أو القانون و ليس المقصود به "الإسلامية".

(3)، (4) جون ميرل ، و ألف لويشتاين، مرجع سابق، ص: من 313 إلى 315

و (الأخلاق المتناقضة للقوانين) لا يتفاعل أصحابها مع أي شكل من أشكال القوانين الأخلاقية، ويرغبون في التخلص من كل المبادئ الأساسية والقواعد والمقاييس، وبينما يتجه أصحاب الأخلاق الشرعية باتجاه الأخلاق المطلقة وغير المتساهلة، فإن أنصار الأخلاق المتناقضة للقانون ينجذبون إلى الفوضوية أو العدمية في الأخلاق، وغالبا ما يعتقد هؤلاء أنهم لا يحتاجون إلى قوانين تفرض عليهم وإنما يرون الأمر في هذا المجال يخضع للتلقائية والذاتية، وعلى العموم فإن أصحاب هذه النظرية متأثرون بالفلسفة الوجودية -التي سبق الإشارة إليها- لهذا فإن هذه النظرية في مجال الصحافة توجد - في أحيان كثيرة- في المجتمعات التي تعشق الحرية وتمجدها، وحيثما يوجد الصحافي الوجودي الذي يصرع ضد الجمود التقليدي، الذي يراه يميز الاتجاهات السائدة في ميدان وسائل الإعلام المنضوية في مؤسسات، و الصحافي الوجودي يصنع قراراته دون أن يفكر في أنها أخلاقية أولا أخلاقية. (1)

أما النظرية التي تجمع بين النظريتين السابقتين، فتسمى الأخلاق فيها (بأخلاق الموقف) وهي تحتل -عادة- المنطقة الوسطى بين القانون كضابط و رقيب، و بين الأخلاق المتناقضة للقوانين، وكثيرا ما تختلط هذه الأخلاق مع الأخلاق المتناقضة للقوانين، لأن فيها جانب شهواني وآخر عقلائي، وهي تعني التصرف سلوكيا حسب الموقف، سواء كان أخلاقيا أو غير أخلاقي، و صاحبها موجه عموما بواسطة قانون الأخلاق التقليدي الذي يخفى بإعجاب وثقة عالميين، ولكنه في الوقت نفسه لا يتقيد بصورة محكمة بأي قوانين أخلاقية بل يلجأ إلى حذفها عندما يعتقد أنه في حاجة إلى ذلك، و هو يضع فقط بعض المواقف والحالات الخاصة في الاعتبار.. و قد المقتنع يكون بأخلاق الموقف في المجال الصحفي، هو تماما ذلك الشخص الذي يعتقد بأنه لا غضاضة في تحريف قصة معينة أو حتى في الكذب إذا أدرك أن الضرر سيقع على وطنه بل و يعتقد اعتقادا جازما بأنه سيعتبر مواطنا عظيما إذا فعل ذلك. (2)

و من خلال هذا العرض نلاحظ جليا كيف أن النظريات جميعا تُغلب جانبها على آخر، و أنها إذا اهتمت بأحد الجوانب فإنها تهمل بالضرورة الجانب المقابل، فكل النظريات التي تم عرضها تشكل طرفي نقيض، و لم نلاحظ نظرية فيها كل الجوانب الايجابية، بل قد تحتوي نظرية على جانب ايجابي، و تحتوي نظرية أخرى جانبيا ايجابيا آخر، فلم نلاحظ النظرية الشاملة و المتكاملة - في ذاتها، و حتى تلك النظرية التركيبية و المتمثلة في نظرية (أخلاق الموقف)، فإنها لم تمزج بين نظريتي (الأخلاق الشرعية) و (الأخلاق المتناقضة للقانون) في وقت واحد، بل إنها تكون أحيانا مثل (الأخلاق الشرعية) و أحيانا مثل (الأخلاق المتناقضة للقوانين) و هذا حسب ما يقتضيه الموقف و المصلحة.

كما نسجل عدم تصنيف نظرة الإسلام إلى الأخلاق في المجال الصحفي، و إذا كان أصحاب

(1) جون ميرل و دالف نويشتاين، مرجع سابق، ص: من 313 إلى 315.

(2) المرجع نفسه، ص: 316.

هذا التصنيف يضعونها ضمن نظرية الأخلاق الشرعية فإنهم يكونون قد جانبوا الصواب، لأن الأخلاق الإسلامية من الدين و الدين الإسلامي لا إكراه فيه كما قال الله - عزوجل - **إِلَّا إِكْرَاهًا فِي الْحَدِيثِ فَذَٰبِئِبِّنَ الرَّشْدِ مِنَ الْعَيْبِ. فَمَنْ يَنْهَزْ بِالطَّائِفَتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَكَذَٰبُكُمْ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْهِيَاءَ لَهَا. وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(1)** بينما الأخلاق الشرعية أو الأخلاقية التي جاءت في التصنيفات المذكورة مستبدة و مطلقة - كما جاء في تعريفها- كما أن النظرة الإسلامية للأخلاق تعتبر الأخلاق صفات أساسية للوجود الانساني.

و يرى علماء الإسلام، أن الأخلاق الإسلامية ليست مستقلة عن الأخلاق الانسانية الأساسية بل هي وتممة لها و مكملة إياها، و ما يضيفه الإسلام هو أنه يزود الأخلاق الإنسانية بمركز صحيح و قطب مستقيم إذا اقتربت به، حولها إلى الخير و الرشد برمتها، و ليست هذه الأخلاق في صورتها الأولى إلا قوة مجردة يمكن استخدامها في الخير و الشر معاً، و من النتائج اللازمة لهذه الاضافة أن القوى التي تتولد بوجود هذه الأخلاق، لا تستعمل و لا تنفذ إلا في سبيل إعلاء كلمة الحق الناصع بالطرق المباحة، بدلا من أن تستعمل في سبيل النفس أو الأسرة أو الأمة أو الوطن بطرق جائزة أو غير جائزة - و هذا ما رأيناه في بعض النظريات التي عرضت - (2).

و المهمة الثانية التي يعني بها الإسلام في باب الأخلاق أن يوصل الأخلاق الأساسية الإنسانية و يوطد أركانها في جانب، و يوسع في تطبيقها على مظاهر الحياة الإنسانية إلى حد عظيم في جانب آخر، فالأخلاق الأساسية تكون ضعيفة محدودة في حياة غير المؤمن بالله لما يعوزها من اساس فكري صحيح يوسع دائرة نفوذها، ثالث ما يضيفه الإسلام إلى الأخلاق الأساسية العامة، هو أنه يعتبر هذه الأخلاق الطبقة الأولى من البناء، ويشيد عليها الطبقة الثانية التي هي الاخلاق الإسلامية الفاضلة، و حديث النبي هلى الله عليه و سلم خير شاهد على ذلك إذ يقول (تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) (3) و قوله هلى الله عليه و سلم (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) (4)

و الإسلام حين يحث على الأخلاق الفاضلة، و يأمر الفرد بالتحلي بها، ليس ليجعل الإنسان صالحا راشدا في ذات نفسه فقط، بل ليجعله فوق ذلك (مفتاحا للخير مغلقا للشر) (5) كما ورد في

(1) سورة: النقرة، الآية : 256.

(2) أبو الأعلنى المودودي، مرجع سابق، ص-ص: 25، 26.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، تفسير سورة يوسف، حديث رقم 209، ج: 4، ص: 294، (طبعة: إدارة الطاعة المنيرية)، و أخرجه مسد في صحيحه كتاب: "الفصائل"، باب: فضائل يوسف عليه السلام، حديث رقم: 168، ج: 2، ص: 4، (لبنان: دار احياء التراث 1972)، ص: 1846.

(4) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: الجامع، باب: ما جاء في حسن الخلق، حديث رقم 1634، ص: 651، و أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج: 2، ص: 381.

(5) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب: من كان مفتاحا للخير، حديث رقم: 238، ج: 1، ص: 87، و نص الحديث كاملا: (إن هذا اخير حرائق، و لتلك اخرايق مفتاح قطري نعد جعله الله مفتاحا للخير مغلقا للشر و بل نعد جعله الله مفتاحا للشر مغلقا للخير).

الحديث النبوي و من هنا يمكن الحديث عن ايجابية الأخلاق عند الصحافي المسلم سواء لنفسه أو للمحيط الذي يعمل فيه، و إن كان الإسلام لا ينفي الجانب الشخصي في الأخلاق إلا أنه وضع ضوابط، توجه هذه الشخصية و تحد من توجهها نحو تحقيق رغبة الانسان وحدها، وذلك ما نسميه بالمسؤولية و استشعار و احترام حقوق الغير.

و خلاصة القول هي أن الاخلاقيات المهنية، والضوابط القيمة للعمل الصحفي، هامة قبل كل شيء، باعتبارها توجيهات تنطلق من ذات الفرد لاتخاذ قرارات في مختلف المواقف و المعضلات التي يواجهها في العمل المهني، فالصحافي ذو الضمير الحي يجب أن يفحص بدقة كل الحقائق، و أن يتمتع عند الضرورة عن نشر أي أنباء مشكوك في صدقها أو صحتها، خاصة إذا كانت تعني حقائق شخصية يمكن أن تمس سمعة الشخص المعني، إذا نشرت، و بذلك فإن نطاق الاخلاقيات المهنية أوسع من نصوص المدونات الأخلاقية، و خاصة إذا أخذت الاهتمام اللائق، فإنها تصبح أقوى إلزامية من القانون، و لا تتوقف الجوانب الأخلاقية على القرارات الواعية للصحافيين فحسب، بل تتوقف أيضا على ممارسات وسائل الإعلام و على المحيط الاجتماعي عامة.

المبحث الثاني : محاولات وضع قواعد و أخلاقيات مهنة الصحافة .

لقد صاحب ظهور الصحافة المطبوعة، تشريع إعلامي، و أخذ في عموه شكل قيود فرضتها المؤسسات السلطوية السائدة، غير أن العالم يتغير، و قد شهد هذا الأخير منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تطورات تكنولوجية مذهلة، أدت إلى بروز أنماط عديدة للاتصال الجماهيري بفضل سرعة الاتصالات و التقنية العالية المستعملة في معالجة الأحداث و تخزينها و نشرها، كما حدث أن انتقل مركز الثقل من الحكومات إلى الرأي العام، الذي أصبح في وضع يتيح له الإطلاع على الأمور و إصدار حكمه على أهم المواقف في العالم، و أمام هذه الوضعية الجديدة للإعلام، الذي أصبح في نظر الجميع، عملية اجتماعية معقدة تهم المجتمع بجميع فئاته و اتجاهاته، و أمام الاعتراف العام بحقيقة أن الصحفيين لديهم مسؤوليات إتجاه الرأي العام، أصبحت الحاجة ملحة إلى وضع قواعد مهنية تنظم وضعية الصحفيين و علاقتهم بالمحيط العام، و بمستقبلي الاعلام و مستهلكي المادة الصحافية خاصة.

كانت بداية التدوين لهذه القواعد المهنية في بداية القرن العشرين، و منذ العشرينيات منه، لكن البداية الحقيقية و التوسع الكبير كان بعد الحرب العالمية الثانية، و منذ ذلك الحين وجدت مثل هذه القواعد في نحو ستين بلدا في كافة مناطق العالم، و هي تتباين بدرجة كبيرة في شكلها و نطاقها، و هناك 182 دولة لها نظام اتصال جماهيري، منها 52 قانون مهني معروف لدى منظمة اليونسكو إلى غاية 1984، و تشير معظم هذه القواعد، الموضوعة لتنظيم الصحافة و اشعار الصحفي بمسؤولياته إتجاه المستقبل و المحيط عامة، إلى مفاهيم هامة مثل : حرية الإعلام، و حرية الوصول إلى مصادر المعلومات و الموضوعية و الدقة و الصدق و عدم تحريف عرض الحقائق، والمسؤولية إزاء الرأي العام و حقوقه و مصالحه و إتجاه المجتمعات القومية و العرقية و الدينية و الأمة و الدولة و الحفاظ على السلام، و ضرورة الامتناع عن التشهير و الالتهام بالباطل و القذف و انتهاك الحياة الخاصة، و النزاهة و الاستقلال، و حق الرد و التصويب، و احترام السرية المهنية، و قد لا توجد جميعها في وثيقة واحدة، كما تصاغ هذه المفاهيم بصيغ مختلفة، و قد يدخل فيها أحكام خاصة تتعلق باحتياجات ثقافية و اجتماعية أو عرقية أو عقديّة لبعض البلدان.(1)

و تبعا لنظام الحكم المطبق في بلد ما يكون مصدر هذه القواعد المهنية، ففي الدول الديمقراطية الليبرالية، تصدر هذه القواعد عن المنظمات المهنية، و لا تكون لها قوة القانون الإلزامية، ولا يترتب على مخالفتها سوى مسؤولية أخلاقية و مهنية، تنظر فيها مجالس خاصة، أو محاكم شرفية، و قد تساهم السلطة في انشاء هذه المجالس، أما الدول التي تميل إلى فرض سيطرتها على الصحافة و وسائل

(1) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 504.

الاتصال الجماهيري، فإن القواعد المهنية فيها تصاغ على شكل قوانين ملزمة يضعها البرلمان أو الحكومة. (1)

و كما سبق الإشارة إليه، تخضع القواعد المهنية إلى مؤثرات كثيرة، لذلك جاءت مختلفة ومتباينة، كما أن كثيرا من قواعد السلوك المهني الموضوع على الصعيد الوطني لا تضم مبادئ لتنظيم واجبات ومسؤوليات الصحفيين تجاه المجتمع الدولي و البلدان الأجنبية، و يمكن أن يعزى هذا إلى أن المفهوم الشائع حول هذه القواعد، أنها نهج أخلاقي فردي، و هذا يقودنا إلى الحديث عن خصائص هذه القواعد.

إن أول خاصية يمكن ملاحظتها في هذه القواعد أن أصول معايير الاخلاق الصحفية، ترجع إلى مفاهيم قبلت إجمالا غير أنها تتجه إلى أن تتخذ صورا متنوعة للغاية من حيث صياغتها و تفسير أحكامها، و يعود ذلك إلى أن الصحافة و وسائل الإعلام الأخرى تعمل دائما في ظل ظروف سياسية و اقتصادية و اجتماعية و ثقافية سائدة في المجتمع، و لا بد من ان الاخلاقيات و قواعد السلوك المهني في هذه المجتمعات تعكس بالضرورة تلك الظروف، فمن الطبيعي أمام تعدد و تنوع الظروف السائدة في العالم اليوم أن تأتي مفاهيم و محتويات هذه القواعد مختلفة و متباينة تبعا لاختلاف و تباين الاعتقادات و التقاليد الحضارية و الفكر السائد في مجتمعات العالم، و يقع أن تصاغ بعض المبادئ في عبارات غامضة و مبهمة، إذا ما وضعت خارج السياق الاجتماعي، و منها مفاهيم الموضوعية و الحياد و الصدق و حرية الإعلام و الاستقلالية و الخدمة العمومية. (2)

ثاني خاصية لهذه القواعد أنها محلية أو قطاعية، أي أنها في عمومها لا تولى أهمية للمعايير المتعارف عليها دوليا، أو أنها لا تلقى الاهتمام من طرف البعض مطلقا كما هو الحال في الولايات المتحدة، إذ تبين من خلال بعض الدراسات* أن المعايير المتعلقة بتحریم الدعاية للحرب مثلا و طبيعة نشر الاعلام (الموضوعية، الصدق) تعتبر غائبة عمليا من قواعد السلوك المهني، و تبين أيضا أن القواعد التي لا تولى أية أهمية للمسؤولية الدولية، توجد في الدول الليبرالية الغربية و في عدد من الدول النامية، و على العكس من ذلك، فإن جميع قواعد السلوك في البلدان الاشتراكية، تغطي على الأقل بعض المظاهر الدولية للنشاطات الاعلامية.

و ثالث هذه الخصائص أن التباين و الاختلاف في أسس الأخلاقيات و قواعد السلوك يمتد حتى إلى داخل المجتمع الواحد تبعا لتعدد الجمعيات المهنية و وسائل الإعلام الجماهيرية، و يلاحظ هذا خاصة في الدول الرأسمالية أو الليبرالية.

(1) علي قسايسية: " التشريع الاعلامي و ضيعة القواعد المهنية"، المحلة الجزائية للاتصال، ع: 8، شتاء: 1992، ص: 24.

(2) المرجع نفسه، ص-ص: 25، 26.

(*) دراسة 50 مدونة معروفة لدى منظمة اليونسكو حول قواعد السلوك المهني، أنظر المرجع أعلاه، ص: 26.

و أمام هذا الاختلاف و التباين، بذلت محاولات عدة لتوحيد المفاهيم، و وضع مبادئ دولية عامة، خاصة و أن تكنولوجيا الإعلام الجديدة، أعطت للنشاطات الإعلامية بعدا يتجاوز حدود أية دولة، و بالتالي قان تطور هذه التشريعات يسير إطرادا مع تطور وسائل الإعلام و تطور دورها، و قد بدأت المحاولات قديما، غير أن البدايات الواضحة كانت بعد الحرب العالمية الثانية، بعد أن ظهرت أهمية الإعلام جليا، و أصبح من الضروري الأخذ بعين الاعتبار مسألة الاخلاقيات.

فمع نهاية القرن التاسع عشر كانت البداية، عبر المؤشرات المهنية، ثم تطورت بعد الحرب العالمية الأولى بفضل جمعية خبراء الصحافة بجنيف سنة 1927، ثم بفضل دراسة مكافحة الاخبار الخاطئة سنة 1931، و كذلك الاتفاقية حول استعمال الإذاعة و الأخبار من أجل السلام سنة 1938، و بمساهمة المنظمات المهنية الدولية و أثناء الحرب العالمية الثانية توقف هذا التطور لينطلق و بقوة صارخة بعدها، و ذلك بعد أن ظهرت أهمية الإعلام و بقوة أيضا. (1)

ثم تتالت المحاولات و تطورت بواسطة المنظمات المهنية الدولية و المعاهدات بين الحكومات، فكانت من أولى إهتمامات الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الأولى (جانفي-فيفري 1946) حيث كلفت مجلسها الاقتصادي و الاجتماعي مهمة مواصلة الدراسة و تقديم تقرير حول أعمالها، و اجتمع ثلاثمائة مندوب من سبع و خمسين دولة، في جنيف (مارس - أفريل 1948)*، و تبنا أربعين حلا، و اقترحوا ثلاث اتفاقيات، و التي لم تتبن الجمعية العامة للأمم المتحدة إلا واحدة و هي المتعلقة بالحقوق الدولي في المراجعة و ذلك سنة 1952، و دخلت حيز التنفيذ في 24 أفريل 1962 (2) و عموما فإن هذا المشروع ينص على المسؤولية الدولية لوسائل الاعلام الجماهيرية في مادته الأولى التي جاء فيها أن " عمال الصحافة و وسائل الاعلام الموجه للجمهور، ينبغي عليهم بصفة خاصة أن يتحققوا دائما من كل ما ينشرون، ببذل أقصى جهد ممكن و لا ينبغي أن تحرف أية واقعة أو تهمل بصفة إدراية" كما تؤكد المادة الخامسة منه على الدعوة إلى الموضوعية بنصها على أنه من « واجب أولئك الذين يصفون و يعلقون على الأحداث الخاصة بدولة أجنبية، أن تتوفر لديهم المعرفة الكافية بالبلد المعني حتى يتمكنوا من الكتابة و التعليق بكل موضوعية و نزاهة ». (3)

(1) FERNAND TERROU, OP. Cit, P-P : 45- 49 .

(*) في هذه الفترة صدر "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" و الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ديسمبر 1948، و جاء ليدعم هذا الانحاء حين نص في مادته 19 على : "حق التمتع بحرية الرأي و التعبير" و دعم ذلك بما جاء في المادة 29 في فقرتها الثانية "...ضمان الإعتراف الواجب بحقوق و حريات الآخرين و احترامها، و الوفاء بالعدل من مقتضيات الفضيلة و النظام و رفاه الجميع في مجتمع ديمقراطي"، راجع : الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، طبعة: المرصد الوطني لحقوق الإنسان الجزائر، 1996، صرح : 9-11.

(2) FERNAND TERROU, Ibid, P.P : 116-117.

(3) علي قسابسية، مرجع سابق، ص: 29

و كان للمنظمات غير الحكومية دور هام في السعي لوضع مبادئ عامة لأخلاقيات المهنة، سواء على المستوى الإقليمي أو على المستوى الدولي، و يبدو أن أقدمها هو "قواعد الاخلاق الصحافية" الذي اعتمده مؤتمر صحافة عموم أمريكا سنة 1926، ثم في سنة 1950، حيث أعيد تأكيد هذه القواعد و اعتمدت باعتبارها ميثاقا لرابطة الصحافة بدول أمريكا، و عالجت الاتحادية الدولية للصحافيين مشكلات الأخلاق المهنية و إعتمدت في اجتماع بوررد و سنة 1954 اعلانا حول واجبات الصحافيين ثم صادقت سنة 1962 على لائحة الاخلاقيات المهنية، أما المنظمة الدولية للصحافيين فقد كانت مسألة الاخلاقيات من اهتماماتها في عدة مناسبات.

و من المحاولات الجهوية، ما اعتمده النقابات الصحافية الست التابعة للمجموعة الاوروبية في اجتماع ميونيخ عام 1971، و هو ما يسمى ب "إعلان واجبات و حقوق الصحافيين"، كذلك "إعلان المبادئ" الذي صادقت عليه منظمة صحافي أمريكا اللاتينية سنة 1979، و وافقت عليه اثنا عشرة منظمة مهنية وطنية في أمريكا اللاتينية، كما أعد إتحاد الصحافيين العرب سنة 1977 قواعد للسلوك المهني تحت رعاية جامعة الدول العربية.(1)

و نسجل هنا أن محاولات تدويل المعايير المهنية قد عولج بعمق في "إعلان مكسيكو" سنة 1980، الذي صادقت عليه منظمات مهنية اقليمية و دولية، و يعتبر هذا الاعلان من أشمل الإعلانات و أنسبها للتطبيق المشترك، و يتضمن دعوة إلى وضع تقنين دولي للصحافة و الإعلام، و لم تكتمل الشرعية الدولية لهذا الاعلان إلا بعد أن انضمت إليه الفيدرالية الدولية للصحافيين التي تضم النقابات الصحافية لأوروبا الغربية و أمريكا الشمالية.(2)

تضمن هذا الإعلان الهام -و الذي لم يستقر إلا بعد سلسلة من الاجتماعات- * مبادئ تكتسي الصبغة العالمية، أي أنها مبادئ يمكن أن تكون أرضية مشتركة و منبع إلهام للمثل الاخلاقية على المستويين الوطني و الاقليمي، إذ أنها مطروحة أمام كل منظمة مهنية لكي تعمل على تطويرها ذاتيا بالسبل و الوسائل المناسبة لأعضائها.

و تمحورت هذه المبادئ حول عشر موضوعات تتعلق تقريبا بآهم الجوانب التي تعترض الصحافي أثناء أدائه لمهنته، و ينص أول مبدأ على حق الناس في الحصول على معلومات صحيحة، و دقيقة و شاملة، كما يحق لهم التعبير عن أنفسهم بحرية عبر مختلف وسائل الثقافة و الإتصال، أما المبدأ الثاني فيملي على الصحافي الالتزام بالواقع الموضوعي و ذلك بنقل الحقائق بأمانة و في إطارها

(1) علي قسابية، مرجع سابق، ص: 28.

(2) المرجع نفسه، ص: 28.

(*) فقد عقدت المنظمات العالمية و الإقليمية للصحفيين العاملين اجتماعات استشارية باشراف "اليونسكو" منذ عام 1978، ثم كان الاجتماع الثاني عام 1980 في مكسيكو أين تم الاقرار على اعلان سمي "إعلان مكسيكو" ثم كان الاجتماع الثاني عام 1983 أين تم الاعتراف بالقيمة الدائمة "لاعلان مكسيكو".

التصحيح، و الإشارة إلى أصوله الجوهريّة دون أي تشويه، و بذلك يمكن للمتلقّي أن يكون صورة شاملة تسمح بفهم منبع و طبيعة الأحداث و التطورات و الشؤون الراهنة بأكبر قدر ممكن من الموضوعية، و يأتي المبدأ الثالث مؤكداً على واجب الصحافي اتجاه المجتمع، و يتحدّث بالتحديد على المسؤولية الاجتماعيّة للصحافي، إذ ينبغي اعتبار المعلومات في الصحافة كقيمة اجتماعية، و ليست سلعة، و هذا يعني أن الصحافي يتشارك في تحمل مسؤولية المعلومات المنقولة، و بهذا لا يخضع فقط لحساب أولئك الذين يديرون وسائل الإعلام بل و أيضاً للجمهور الواسع بما في ذلك مختلف المصالح الاجتماعيّة، و المطلوب من الصحافي بذلك أن يتصرف مهما كانت الظروف، وفقاً لضميره الأخلاقي.

و يعود بنا المبدأ الرابع إلى حقوق الصحافي، لينص على سلامته المهنيّة، ذلك أن الدور الاجتماعي للصحافي يتطلب بأن تضمن المهنة أعلى مستويات السلامة، بما فيها حق الصحافي في أن يحجم عن العمل ضد قناعاته، أو عن كشف مصادر المعلومات، و في مقابل ذلك فإن سلامة المهنة لا تسمح للصحافي تفضيل مصلحته على المصلحة العامة كأن يقبل رشوة أو غير ذلك، و مثل ذلك فإن الاخلاق تدعو إلى احترام الملكية الثقافيّة، و بشكل خاص الإحجام عن انتحال آراء الآخرين.

أما المبدأ الخامس، فيؤكد على ضرورة اشتراك الجمهور في العملية الاعلامية، بعد الاقرار بحقه في الحصول على معلومات صحيحة و العمل على تطوير وسائل التحصيل لهذه المعلومات، و يكون الاشتراك عن طريق اعطائه حق التصحيح و المصادقة و الرد، و يتطور هذا المبدأ إلى المبدأ السادس و هو مبدأ أكثر دقة في احترام الجمهور إذ ينص على احترام كرامة الانسان و حرمة الشخصية و هو يكرس بذلك القوانين التي تنص على حقوق الانسان و حرمة فلا يحق للصحافي أن يطعن أو يفترى أو يقذف أو يشوه سمعة جمهوره أو الانسان بصفة عامة، و هذا جزء عضوي من المعايير المهنيّة للصحافي.

ثم يدرج المبدأ السابق إلى مصلحة أعلى و هي المصلحة العامة، فينص على ضرورة احترام هذه المصلحة، ذلك أن المعايير و الاخلاق المهنيّة للصحافي تقتضي الاحترام الدقيق للمجتمع الوطني و مؤسساته الديمقراطيّة و الأخلاق العامة، و يأتي المبدأ التاسع ليكون أعم و أكثر بعداً، فحيث الصحافي على احترام القيم العالميّة و تنوع الثقافات، فالصحافي الصادق هو الذي يقف إلى جانب القيم الشاملة الأنسانية و في مقدمتها السلام و الديمقراطيّة و حقوق الانسان و التقدم الاجتماعي و التحرر الوطني، إلى جانب احترام الطابع المميز لكل ثقافة و قيمها و كرامتها، هذا إلى جانب حق كل مجتمع في اختيار النظام السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي، و بهذا يساهم الصحافي مساهمة فعالة في التحول الاجتماعي، و يساهم من خلال الحوار في خلق جو الثقة في العلاقات الدولية المحفزة على السلام و العدل و الانفراج، و نزع السلاح و التطور الوطني في كل أرجاء العالم، و إنه لمن أخلاق المهنة أن يكون الصحافي مطلعاً على النصوص القانونيّة ذات الصلة بهذا الموضوع و التي تحتويها الاعلانات و القرارات و المؤتمرات الدوليّة.

و يواصل الإعلان في مادته التاسعة في الحث على الاهتمام بالمسائل العالمية، فيقرر ضرورة تصفية الحرب و غيرها من الشرور التي تواجه الإنسانية، ذلك أن الالتزام الأخلاقي بالقيم الإنسانية الشاملة، يستدعي من الصحفيين الامتناع عن تبرير أو التحريض على حروب العدوان و سباق التسلح، و يخاصة في ميدان الأسلحة النووية و كافة أشكال العنف و الكراهية و التمييز العنصري و القمع الذي تمارسه الأنظمة الاستبدادية، و الاستعمار بكل أنواعه، و غير ذلك من الشرور التي تعانيها الإنسانية كالفقر و سوء التغذية و الأوبئة، و حين يقوم الصحفي بهذا الواجب، فإنه يساعد في القضاء على الجهل و انعدام التفاهم بين الشعوب، و يجعل ابناء بلده على بينة من حاجات و آماني غيرهم، و يضمن احترام حقوق و كرامة كل الأمم و الشعوب و الأفراد بصرف النظر عن العرق و الجنس و اللغة و القومية و الدين و القناعات الفلسفية.

و أخيرا يُختم الإعلان بمبدأ أكثر شمولية و أبعد أفقا إذ ينص على تطوير نظام عالمي جديد للإعلام و الاتصالات، ففي عالم اليوم يعمل الصحفي في إطار حركة تمضي باتجاه إقامة علاقات دولية جديدة بوجه عام، و إقامة نظام إعلامي جديد بوجه خاص، هذا النظام الاعلامي الجديد، الذي يشكل جزءا من النظام الاقتصادي العالمي الجديد، يهدف إلى إزالة الإستعمار و إشاعة الديمقراطية في ميدان الإعلام و الاتصالات على المستويين الوطني و العالمي، و يقوم على قاعدة التعايش السلمي بين الشعوب و الاحترام الكامل لهويتها الثقافية، و يقع على كاهل الصحفي واجب خاص يقضي بتطوير عملية إشاعة الديمقراطية في العلاقات الدولية القائمة في ميدان الاعلام.

هذا العرض تضمن المحاولات الدولية الغربية، و تدخل ضمنها بعض المحاولات العربية، و لا بأس أن نخصص جانبا آخر للمحاولات الاسلامية و العربية، التي لا تقل أهمية عن المحاولات التي ذكرت، على الرغم من جهويتها، و اقتصارها على الدول الاسلامية و العربية، و لعل من المهم الإشارة إلى البدايات أو البوادر الأولى التي كانت مبكرة و في شكل قوانين تصدر عن السلطة الحاكمة، و تتمثل في المواد التي تضمنها نظام المطبوعات العثماني المؤرخ في 19 ديسمبر 1880، و الذي كان يطبق على الدول العربية الواقعة تحت الحكم العثماني.

و تذهب المواد التي تضمنها نظام المطبوعات العثماني، في مجملها إلى ضرورة احترام الصحفيين، للأسرة الحاكمة، و للجمهور عامة، و كذا للأجانب العاملين بالأراضي العثمانية، و من ذلك ما جاء في المادة 14 التي تنص على أنه «إذا حرر صاحب جريدة بقصد و عمد شيئا مخالفاً بالحقوق المليية، و الآداب العمومية، فيحكم عليه بدفع جزاء نقدي... أو يحبس.. و يمثل هذا الحكم على كل من تصدى لاحتقار بعض المذاهب و الأديان بواسطة الجرائد»، و ما جاء في المادة 17 التي تنص على أن «من استعمل ألفاظا تمس الحكومات المتحاببة مع الدولة العليا يحبس.. أو يحكم عليه بدفع جزاء نقدي» و جاء في المادة 18 تعريف الذم و القدح الذين يعاقب عليهما الواقع فيهما، حيث تقول هذه المادة: «الذم هو نسبة فعل مخصوص لهيئة أو شخص يوجد كسر اعتباره و هتك ناموسه، و القدح هو عبارة عن

إيراد بعض الألفاظ بوجه التحقير و الإهانة و الشتم دون اسناد فعل مخصوص، و غير هذه المواد التي تنص على بعض قواعد السلوك التي جاءت في شكل قانون ملزم، و يترتب على مخالفته جزاء قانوني. (1)

و على المستوى العربي، فإن المحاولات في هذا المجال تتجلى بوضوح في المجهودات التي قام بها اتحاد الصحفيين العرب الذي كان يرفع شعار (حرية .. و مسؤولية)، هذا الشعار الذي دفع بالاتحاد إلى عدم الاكتفاء بالمطالبة بالضمانات للحريات الصحافية و للحقوق المهنية، و تأكيده على ضرورة التزام الصحفي بالمسؤولية و الواجب، و تجسد ذلك في تثبيت ميثاق للعمل الصحفي في صدر دستوره الذي تأسس بموجبه عام 1964، ثم استبدال هذا الدستور في المؤتمر الثالث ببغداد عام 1972، بنظام أساسي نص على أن الوسيلة الأساسية لفعالية الإتحاد هي التزام الصحفي العربي بميثاق العمل الصحفي، و أهداف الإتحاد و نظامه و رسالة الصحافة، و نضال الصحفي لتحقيق هذه الأهداف و أداء هذه الرسالة.. (2)

أما على مستوى الهيئات الإسلامية، فقد كانت هناك بعض المحاولات، من أجل إعطاء هذه القواعد بعض الخصوصيات، و من أجل مراعاة توافق هذه القواعد مع الصحفي المسلم، و المجتمع المسلم بصفة عامة، و تقدمت بهذه المحاولات كل من رابطة العالم الإسلامي، المؤسسة سنة 1362هـ الموافق ل 1942م، و هي منظمة شعبية، ساعدت في انشائها لفييف من المفكرين و الفقهاء و المسلمين، و مقرها الدائم مكة المكرمة، و تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية، و نشر مبدأ الشورى بين المسلمين، و تشجيع التأليف الإسلامي، و العمل على تنقية وسائل الاعلام الإسلامية عموماً، و منظمة المؤتمر الإسلامي، التي تأسست بقرار رؤساء و ملوك الدول الإسلامية الذي صدر عن مؤتمر قمة الرباط عام 1969، و مقر المنظمة جدة، و التي أنشأت في المجال الاعلامي، منظمة اتحاد إذاعات الدول الإسلامية، و وكالة الأنباء الإسلامية الدولية. (3)

فعلى صعيد رابطة العالم الإسلامي، تمثل المسعى في هذا المجال، في المؤتمر العالمي للاعلام الإسلامي، الذي جاء استجابة لمقررات المؤتمر التمهيدي للصحافة الإسلامية، الذي انعقد في قبرص في شهر رجب عام 1399هـ الموافق ل 1979، و هذه المقررات نصت على انشاء أمانة مؤقتة للصحافة الإسلامية تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي، و يكون أحد مهامها الإعداد للمؤتمر الأول للإعلام الإسلامي، و كان ذلك بتاريخ 21 شوال 1400هـ الموافق ل: 1 سبتمبر 1980، بجكرتا عاصمة

(1) حسين العودات، و بسن الشكر، مرجع سابق، ص: 117.

(2) سجاد غازي، مرجع سابق، ص: 115.

(3) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص: 310-314.

اندونيسيا، وقد جاء في ميثاق جاكارتا للإعلام الإسلامي، نقاط عدة تخص قواعد السلوك المهني وأخلاقيات العمل، ومنها ما جاء في المادة الأولى تحت عنوان : الالتزام (أي التزام الإعلامي المسلم) :

أ - بتسيخ إيمانه بقيم الإسلام و مبادئه الخلقية.

ب- بالعمل على تكامل شخصيته الإسلامية.

ج- بتقديم الحقيقة خالصة في حدود الآداب الإسلامية.

د- بتبيين واجباته تجاه الآخرين و بحقوقه و حرياته الأساسية.

كذلك نسجل ما جاء في المادة الثالثة التي تنص على أن الاعلاميين يلتزمون ب :

أ- التدقيق فيما يذاع و ينشر و يعرض، حماية للأمة الإسلامية من التأثيرات الضارة بشخصيتها الإسلامية، و بقيمها و مقدساتها و درء الأخطار عنها.

ب- اداء رسالتهم في سلوك عف كريم حرصا على شرف المهنة و على الآداب الإسلامية، فلا يستخدمون ألفاظا نابية، و لا ينشرون صوراً خليعة، و لا يتعرضون بالسخرية و الطعن الشخصي و القذف و السب و الشتم، و اثاره الفتن، و نشر الشائعات و سائر المهاترات.

ج- الامتناع عن إذاعة و نشر كل ما يمس بالآداب العامة، أو يوحى بالانحلال الخلقي أو يرغب في الجريمة و العنف و الانتحار، أو يبعث الرعب أو يثير الغرائز سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

د- الامتناع عن إذاعة و نشر الإعلان التجاري في حالة تعارضه مع الأخلاق العامة و القيم

الإسلامية. (1)

و قد ساهمت جامعة الدول العربية في توجيه و إيجاد ميثاق شرف من طرف المؤتمر الأول للإعلام الإسلامي، فقدمت ورقة عمل، ذكرت فيها بأهم ما ينبغي أن يوضع في الاعتبار حين انشاء مثل هذا الميثاق، و أوصت فيما أوصت به أن الاعلام الإسلامي من أهم وظائفه التعريف بالقيم و المبادئ الأساسية التي يقوم عليها للإسلام، و تقديم النماذج الإسلامية في الحياة الإنسانية و وجوه عطائه الحضاري، و ما يميزه بشكل واضح، و هذا يعين على الفهم و الرؤية، و المساهمة الفعالة في مسيرة الحضارة الإنسانية على ضوء الإسلام و بهدي من تعاليمه السمحة، و هي بذلك تريد للإعلام الإسلامي أن لا يبقى منغلقا على نفسه، و حتى لا يوسم بالترتم و الاتعالية مع تطعيمه دوما بالثقافات المعاصرة التي لا تصادم مبادئ الإسلام و لا تخالف أصوله، و اقترحت أيضا أن يوضع هذا الميثاق على أسس قومية و في مرونة تساعد على التطبيق، و أن لا تقتصر على الصحافة المكتوبة فقط.

أما هيئات منظمة المؤتمر الإسلامي، فقد كان للمنظمة إذاعات الدول الإسلامية تصور لما ينبغي أن يكون عليه الإعلام الإسلامي في مجال قواعد السلوك المهني و أخلاقياته، فنجدها مثلا تؤكد

على حق الإعلام كأحد حقوق الإنسان، و ترى أنه لا بد من مواجهة الاختلال الرهيب في التوازن بين أخبار و معلومات العالم المتقدم و بين أخبار و معلومات الدول النامية و منها الاسلامية، كما تحارب التعتيم على أنباء العالم الإسلامي، هذا إلى جانب حثها لرجال الاعلام على الصدق و تحري الموضوعية، و النزاهة في المادة التي يقدمونها سواء لجمهور المسلمين أو غيرهم.(1)

و لقد اجتهدت منظمات إعلامية إسلامية أخرى في سبيل وضع ميثاق شرف صحفي اسلامي، و ميثاق شرف إذاعي إسلامي، كما اجتهد باحثون مسلمون في المجال نفسه، و هي محاولات جديرة بالاعتبار و البحث و التمحيص عند اقرار ميثاق عام للاعلام الإسلامي تقره المنظمات الإعلامية الإسلامية و المؤسسات الاعلامية، و نقابات الصحفيين و اتحادات الإذاعيين و الناشرين، و وزارات الإعلام.. و هذه الأطراف جميعها تعتقد أن مواثيق الشرف الإعلامي تعد جزءا مكملًا للقوانين الإعلامية في الممارسة و التطبيق، لأن هذه المواثيق ليست لها قوة القانون، و لكن الالتزام الأدبي بها عرف إعلامي قد يرتفع مع الوعي إلى مرتبة أقوى من القانون لهذا اعتبر ميثاق الشرف الاعلامي الإسلامي ليس مجرد تعهد أدبي، بل هو أيضا دليل عمل أو برنامج عمل أو بيان للتفديد.(2)

و قد اجتمعت مجهودات هذه الهيئات، مثل جامعة الدول العربية، و كذا المؤتمر العالمي للاعلام الإسلامي، الذي اعتمد على مشروع ميثاق شرف للصحافة، الذي قدم في قبرص أثناء انعقاد المؤتمر التمهيدي للصحافة الاسلامية، و منظمة إذاعات الدول الإسلامية التي تقدمت بمشروع ميثاق الشرف الإعلامي، و الذي حاول بدوره بلورة آراء و محاولات كل الهيئات الإسلامية، و جاء هذا المشروع مفصلا و شاملا و يحمل كثيرا من خصوصيات المجتمع الإسلامي.

و قد جاء في باب المهام و الواجبات في مادته الأولى أن الاعلامي المسلم، ملتزم إزاء الإنسان المسلم - و المتلقى عموما- بأن يقدم له الحقيقة الخالصة، و أن يبين له وجباته تجاه الآخرين و حقوقه و حرياته الأساسية، كما يحرص على ترسيخ إيمانه بالقيم الإسلامية و المبادئ الخلقية الأصيلة النابعة من الدين، و في مادته الثالثة ينص ميثاق الشرف على ضرورة التزام الاعلامي المسلم بمبدأ التضامن الإسلامي، و اشاعته و نشره و الدعاية له، و أن يكرس كل إمكانياته من أجل تدعيم التفاهم و التعاون بين الدول الإسلامية، و روح الأخوة بين شعوبها، و تخفيف حدة التوتر و الخلاف الذي قد تتعرض له العلاقات القائمة بين هذه الدول، و كذلك بين غيرها من الدول، و جاء في المادة الرابعة، مبدأ أكثر وضوحا و يهم غير المسلمين أيضا، و ينص على رفض التمييز العنصري، و التفرقة المذهبية، و العصبية المنحرفة و المجاهدة في سبيل العدل و الحق و المبادئ السامية و المثل العليا كحق الأفراد في الحرية و الكرامة الإنسانية و حق الشعوب في تحقيق مصيرها.(3)

(1) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص: 340.

(2) المرجع نفسه، ص: 371.

(3) المرجع نفسه، ص-ص: 373-374.

و يحتوي هذا الميثاق على بعض المبادئ التي تشترك في محتواها مع المواثيق العالمية غير الاسلامية، مثل ما نصت عليه المادة السادسة من الباب الأول، من أن الاعلام الاسلامي يشرك المتلقي في الرأي و النقد و التوجيه و طرح المشكلات و وجهات النظر، و هذا تحقيقاً للتجاوب في الاتجاهين، و تعميماً للشعور بالواجبات و الحقوق، و الشعور بالمسؤولية الفردية و المجتمعية و التضامنية.(1)

و ضم مشروع ميثاق الشرف هذا، باباً قائماً بذاته حول الأخلاقيات و المبادئ، احتوى بدوره على تسعة مواد نصت في معظمها على واجب الاعلامي المسلم تجاه المتلقي و مسؤوليته الاعلامية و ضرورة تحليه بالخلق الإسلامي الكريم، و من ذلك ما جاء في المادة الثانية :

- أن على الاعلامي المسلم أن يلتزم بأسلوب عف كريم في تأديته رسالته، و حرصاً على قدسية المهنة و شرفها، و صوناً لكرامة الأمة الاسلامية و سمعتها و مكانتها في المجتمع الدولي.

- التزام الاعلامي المسلم بتجنب الألفاظ النابية و العبارات السوقية و الكلمات المبتذلة، فما كان رسول الله -صلى الله عليه و سلم- فحاشاً و لا لعاناً.

- على الاعلامي المسلم أن يتحاشى الانفعال و الانسياق في تيارات العصبية الإقليمية، و غيرها فقد سوى الاسلام بين الجميع و قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأُحْبِبُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.(2)

- كما عليه أن يعرض عن السخرية و اللمز و التنازير، و الطعن الشخصي و القذف و التجريح، و السب و المهاترات، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِنْ قَوْمٍ مِمَّنْ نَسِيَ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ. وَ لَا نِسَاءً مِنْ نِسَائِهِمْ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْكُمْ. وَ لَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ. وَ لَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ. بِيَسِّ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ. وَ مَنْ لَمْ يَتَّعِبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.(3)

و في المادة التاسعة، جاء مفاده : عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَحَاطُوا بِهِ، وَ لَوْ رَحُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ. وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ الْأَقْبِلَالَ ﴾(4) فإن على الاعلامي المسلم الامتناع عن نشر الأخبار المغرضة أو المشكوك في صحتها أو ترويح الاشاعات المضللة، و عليه التأكد من صدق الأخبار و معرفة مصادرها، كما يمتنع الإعلامي المسلم من تبني وسائل غير مشروعة أو لائقة للحصول على الأخبار، و يحافظ على عدم نشر أية أخبار تمس الأمن الوطني القومي للدول الإسلامية، لأن ذلك مخالف للشريعة و الخلق و شرف المهنة.

و تنص المادة العاشرة على الالتزام المالي، حيث يجب على الاعلامي المسلم أن لا يخضع إلى إغراءات مالية، تؤثر على حريته و رسالته و ينزلق بها إلى مواقف تتعارض مع الواجب الديني

(1) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص : 374.

(2) سورة: اخجرات، الآية : 10.

(3) سورة: اخجرات، الآية : 11.

(4) سورة: النساء، الآية : 83.

و واجبه إزاء مجتمعه و أخلاقيات المهنة.

و تؤكد المادة الحادية عشر، الأسس التي يسير وفقها الإعلامي المسلم للعمل بالأخلاقيات السابقة الذكر و هي كالآتي.

أ - ترسيخ إيمان الإنسان المسلم بدينه و مقدساته، و القيم و المبادئ الإسلامية الأصلية.

ب - تعميق القيم الأخلاقية للفرد و المجتمع و المستمدة من الدين و التقاليد العربية الأصلية.

ج - الدعوة إلى بث الأمل و التفتح للحياة، و الابتعاد عما يشيع روح اليأس و الهزيمة.

د - الامتناع عن نشر كل ما يمس الآداب العامة أو يوحى بالانحلال الخلقي، الفردي

أو الجماعي، أو يربغ في الجريمة و العنف و الانتحار و الرعب، و ما إلى ذلك سواء بطريق مباشر أو غير مباشر.

هـ - الاهتمام بالطفل و الناشئة و الشباب و الرجل و المرأة و كبار السن و بصفة عامة

المحافظة على كيان الأسرة و قدسيتها و تقاليد المجتمع الإسلامي النبيلة، و تنمية أخلاق النشئ و الصحة النفسية للطفولة و الأمومة.

و - مكافحة المخدرات و المسكرات و المقامرة و المراهقات أو إظهارها كمخرج أو علاج لما

يواجه الإنسان من مشكلات و أزمات.

ز - مكافحة الجرائم و خاصة الجرائم الخلقية و كل ما من شأنه أن يروج لها، و كذلك الأخذ

بالثأر.

ح - عدم إظهار الجريمة في شكل مرغوب و مشجع على أتباعها، و عدم تقديم المجرم بشكل

يدعو إلى التعاطف معه.

ط - احترام المهن المشروعة و أصحابها أيا كانت، و أصحاب العاهات البدنية و المتخلفين

عقليا و عدم نشر ما من شأنه المساس بهم أو السخرية منهم.

ي - مكافحة الأمية و الأمية الوظيفية، و العمل على تنمية الثقافة العامة، و إحياء الفنون

الراقية، و بناء و تربية الذوق السليم للفرد و المجتمع.

ل - الالتزام عند عرض و تقديم الفنون الراقية، بوضعها في الإطار الذي ينسجم مع الآداب

العامة و لا يחדش الحياء.

ص - الامتناع عن تشجيع الإعلان التجاري في حالة تعارضه مع الأخلاق العامة.

ض - التمسك بمبادئ المساواة و العدالة، و الابتعاد عما يجذب التفرة بين الناس لأي سبب

كان.

ن - الالتزام باحترام الشريعة، و عدم المساس بهيبة العلماء و رجال الهيئة القضائية، و رجال

الأمن.

س - تشجيع الاتجاهات التي تعمل على إحلال الشريعة محل القوانين الوضعية، وصولا إلى

استرداد السيادة التشريعية للدول الأعضاء على قوانينها، وللتمكن من تطبيق هذه التوصيات، و عدم الاصطدام في ذلك مع القوانين. (1)

هذا إذن أهم ما اشتمل عليه مشروع ميثاق شرف إعلامي إسلامي، و هو إلى جانب المجهودات و المحاولات الإسلامية، في مجال قواعد السلوك المهني و أخلاقياته، جاء ليضفي بعض الخصوصيات التي يجب مراعاتها في وضع ميثاق الأخلاق المهنية، و قد تجسدت هذه الخصوصيات جليا في مواده، و يظهر بذلك الطابع الإقليمي و الجهوي للميثاق، كما يظهر من خلال هذه المحاولات أن الهيئات الإسلامية تميل إلى أن يكون مصدر هذه القواعد و الميثاق الهيئات غير الرسمية أو غير الحكومية أو من طرف المهنيين ذاتهم، و تجعل من هذه الميثاق مكملة للقوانين و لها قوة الالتزام الأدبي و لا يترتب عن تركها جزاء قانوني.

و من الملاحظات التي يمكن تسجيلها في هذا الصدد أيضا - و من باب التأكيد - أن المحاولات الإسلامية و من خلال صيغها، لم ترتق إلى مستوى التدويل، كما أنها - مع سابقاتها من المحاولات - لا تنقصها النجاعة من حيث المضمون و الصياغة، بل يذهب البعض إلى وصفها بالمثالية، إنما ينقصها التطبيق، على الأقل من طرف الهيئات التي وضعتها، و ينقصها أيضا الاجماع الدولي حول فهمها و تطبيقها، و الدليل على ذلك أن المبادئ التي تضمنها إعلان "ميكسيكو" مثلا - لم يلق التأييد من طرف الهيئات الأكثر فاعلية - كالفيدرالية الدولية للصحافيين، التي تضم النقابات الصحافية لأوروبا الغربية و أمريكا الشمالية - إلا سنة 1983، ثم أن جل المشاريع التي تسير في هذا الاتجاه*، تلقى معارضة شديدة من طرف بعض الدول و الجهات، خاصة الرأسمالية و الليبرالية، حيث تبدي هذه الأطراف رفضها لهذه المفاهيم، لأنها لا تخدم مصالحها، و لا تناسب أفكارها، و تعلق على ذلك و تبرره باحترامها و التزامها بتشريعاتها الوطنية، و هذا ما يكرس الهوية التي تفصل بين النصوص، و التطبيقات و يزيد في اتساعها. (2)

و إلى جانب الميثاق التي تضم آداب المهنة و أخلاقياتها، هناك مجالس الصحافة التي تعتبر جزءا من عملية دمج الإعلام و الاتصال في المجتمع و تنظيمها مهنيا، و تؤدي هذه الهيئات - أحيانا - دورا يتجاوز إطار آداب المهنة، فتضطلع بمهام تنظيم نشاطات الاعلام و القائمين عليه و التحكيم فيما بينهم، و تسعى مثل هذه الهيئات إلى تحقيق هدفين:

- انتزاع جزء من صلاحيات السلطة السياسية (التشريعية و التنفيذية) في مجال الاتصال.

- الاقناع بضرورة مراقبة السلطة التي يمارسها من يسيطرون على وسائل الإعلام في كل

مجتمع ديمقراطي.

(1) محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص: 376 - 377 - 378 - 379.

(*) تشير هنا إلى المعارضة الشديدة التي لقيتها الدعوة إلى اقامة نظام دولي جديد للإعلام، التي انطلقت من اجزائر سنة 1973.

(2) سجاد غاري، مرجع سابق، ص: 103.

و من هنا تولدت صعوبة إيجاد تعريف ينطبق على جميع مجالس الصحافة، نظرا لأن الظروف المحلية أدت إلى انشاء هيئات تختلف من بلد إلى آخر، من حيث تشكيلها و نطاق نشاطها و صلاحياتها بالنسبة لهذه الوسيلة الإعلامية أو تلك، و رسالتها الحقيقية أو الوهمية، و تفسيرها للمعايير الأخلاقية، و من هنا أيضا تولد ارتياب عند بعض الذين لا يحبذون الفكرة، و رأوا أن هذه المجالس قد تتحرف عن دورها الذي أنيط بها، و قد تقع تحت سيطرة الصحف الكبرى، و قد تصبح أداة لصحافة طبقية، و قد تحول الدولة هذه المجالس من هيئات رقابة ذاتية إلى هيئات رقابية مسلطة من الخارج، كما يرون أن هذه المجالس قد تحد من امتيازات رجال الاعلام و الصحفيين خصوصا، و يرى البعض أن الصحف الجيدة و الصحفيين الكفاء لا يحتاجون إلى مجلس صحافة، و هي أسئلة أو تساؤلات و إن كانت موضوعية، غير أنها لا تبرر عدم الحاجة إلى مثل هذه المجالس. (1)

و مهما تكن وجهات النظر تجاه موثيق الشرف لقواعد مهنة الصحافة، أو لمجالس الصحافة، فإن الحاجة إليهما ملحة و ضرورية لأنها تذكر الصحفي أنه إزاء الحقوق هناك واجبات، و إزاء الحرية هناك مسؤولية، هذه المسؤولية ينبغي أن يعلم أنها لا تقتصر على الالتزامات التي يفرضها القانون أو الحكومة، و لكنها تشمل أيضا كل ما يمليه ضمير الفرد أو يستند إلى المعايير و الأخلاق المهنية، و كل ما ينبع من المصالح الإجتماعية لجماعة أو حتى للمجتمع الدولي ككل، كما أنها تهتم كل الأطراف المشاركة في عملية الاتصال سواء المسؤولين عن عملية الإعلام أو المسؤولين عن اتخاذ القرارات و حتى الرأي العام يتحمل جانبا منها، و هذا من أجل الموازنة بين جميع الأطراف، فلا تكون الأخلاقيات مبررا للحد من الحريات، كما لا يؤدي تمجيد الحرية و تحقيقها إلى تبرير الوقوع في التجاوزات الأخلاقية و آداب المجتمعات.

و تعتبر حاجة الصحافة الساخرة إلى مثل هذه القواعد الأخلاقية ملحة و ضرورية جدا، خاصة و أن هذا النوع من الصحافة في عمومها، يعتمد النقد بدرجة كبيرة، و الناقد لا يكون دائما موضوعيا، كما أن أسلوب السخرية كثيرا ما يوقع بالصحافي في القذف، و التشهير و أحيانا يصل به إلى السب و الشتيم، و يمكنه -أيضا- و باسم النقد و حرية في ذلك أن يقع في التعدي على حرمة الشخصية للفرد و عدم احترام كرامته، و قد يبرر هذه التجاوزات باعتماده الأسلوب الساخر و الفكه عموما، و قد يذهب إلى أبعد من ذلك، فلا يحترم جمهوره و يقع في بعض التجاوزات الأخلاقية - و أحيانا حتى الشرعية- و ذلك بدعوى الاضحاك و التفتيس- و رغم كون الصحافة الساخرة في عمومها صحافة رأي، غير أنها تدرج أحيانا بعض المواد الاخبارية للتعليق عليها مثلا أو لأي غرض آخر، و هنا -و لأنها تركز على عنصر الاضحاك- قد لا تتحرى عن الدقة و نقل الخبر، و تهمل بذلك حق الجمهور في الحصول على معلومات صحيحة.

و قد وقعت مثل هذه الأمور كثيرا في الصحافة الساخرة -الجزائرية مثلا-، فتحيزت بعض الصحف، و تجنببت الموضوعية لأنها تؤيد خطأ معيناً، فاحتكرت الصواب لصالحها و صالح من تؤيد خطه، و أمعنت في نقد الطرف المعارض و ذهبت بعيداً حتى جانببت الموضوعية و الإلتصافو يبدو هذا الأمر واضحاً و جلياً في الصحافة الساخرة لأنها تبالغ في النقد و تستعمل وسائل و أساليب تتصف في ذاتها بالجدة، كالكاركاتور الذي يصور الأشخاص بطريقة ممنعة في الإيلام و التحقير و الاستهزاء.

فحدث أن صورت إحدى الصحف الساخرة، شخصيات محترمة و لها مكانتها في المجتمع تصويراً لا يليق بها، و وصفت بأوصاف تمس أحياناً بسمعتها، و رسمت بطريقة تشير الضحك و الاحتقار مما يسقط هيبتها، فهل من الأدب -مثلاً- أن يرسم أحد دعاة الإسلام في جريدة وطنية، ببطن منتفخ و صرة عارية؟! أو هل من الأخلاق أن ترسم شخصية سياسية عارية تماماً؟!

و ساهمت بعض الصحف الساخرة في تمييع ظاهرة التعددية الحزبية في الجزائر، و هي المطالبة بتشجيع الديمقراطية و الدعوة إليها، فكثيراً ما تصور، رؤساء الأحزاب بطريقة تتعهم على أنهم طلاب كرسي لا غير، و يتسابقون نحو السلطة بكل الوسائل، و بالغت بعض الصحف في وصف الاختلافات داخل الأحزاب، و ذهبت إحدى هذه الصحف إلى أبعد من ذلك حين صورت رؤساء الأحزاب على شكل أطفال، تحت عنوان -طفولة رؤساء الأحزاب- و من بين هذه الصور صورة لرئيس حزب و شخصية إسلامية مع رئيسة حزب في شكل طفل و طفلة في وضعية لا تليق برئيسة الحزب، بله برئيس الحزب، و هذا كله يكرس النظرة الاستهجانية التي ينظر بها الجمهور -الشعب عموماً- إلى ظاهرة التعددية الحزبية في الجزائر.

و ذهبت بعض الصحف العربية الساخرة إلى درجة التلاعب اللفظي بالآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة، وصور الإسلام في صور لا تليق بدين سماوي، و من ذلك ما قام به أحد الصحافيين العرب حين رسم النبي -صلى الله عليه وسلم- على شكل ديك تتبعه تسع دجاجات !!! كما استهين بعلماء الإسلام في أكثر من صحيفة بطرق ممعنة في السخرية و التهكم و من ذلك، ما قام به "صلاح جاهين" - و هو أحد الكاريكاتوريين العرب المصريين و المحرر بجريدة الأهرام، حيث رسم 14 رسماً ساخراً حول الشيخ "محمد الغزالي" تحت عنوان (تأملات كاريكاتورية في المسألة الغزالية)، و قد بلغ التبجح بهذا الصحافي الذي عرف بانتمائه الشيوعي أن بعضهم قالوا له : كيف تهاجم الإسلام و رجاله، و هو دين الدولة الرسمي؟ فقال لهم : إذا كان الإسلام دين الدولة فسأحارب الدولة!! و قد سخر "جاهين" من عمامة "الشيخ الغزالي"، و نسي أن تحت هذه العمامة رأس مفكر، حارب الظلم و الإقطاع، و دعى إلى الإسلام بكل سماحة و حكمة..

و من هذه الأمثلة، تتأكد لنا الحاجة الملحة لمثل تلك القواعد و الأخلاقيات في الصحافة الساخرة، و الأخذ بهذه القواعد إن لم يكن تقديراً لتلك الجهود و المسيرة الطويلة، فإنه من باب أن الصحافة الساخرة كثيراً ما

تقع في التجاوزات الأخلاقية و الأدبية، مما يستوجب وضع هذه الضوابط و الحدود لتلتزم بها، و توجه سخريتها إلى أهداف سامية و مرفعة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث : أخلاقيات الصحافة من وجهة نظر إسلامية .

المطلب الأول : الضوابط الإسلامية للإعلام .

الإعلام غني المجتمع المسلم، إعلام مسؤول و المسؤولية فيه تمثل روح الفلسفة الاعلامية الإسلامية، والعمل بمعنى السلوك هو الذي يجسد المسؤولية، فكل فرد في المجتمع المسلم ينبغي أن يشعر بأن عليه واجبات تجاه هذا المجتمع، كما ينبغي أن يشعر أيضا بأن أي تقصير في هذا الأداء يؤدي إلى انهيار بناء المجتمع، ومن هنا ولتحقيق هذه المسؤولية، فإن على الإعلامي المسلم أن يلتزم بالقيم الإسلامية، و يجعل على رأس الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، بناء الشخصية الانسانية المتوازنة، و المجتمع الفاضل المتمسك بالخير و التسامح و العدل و الإحسان و العفة و الطهارة، و هذا يستدعي منا، توضيح الإطار العام، و المبادئ التي يتحرك من خلالها الاعلامي المسلم لتحقيق تلك المسؤولية.

و الإطار العام الذي يتحرك فيه الاعلام الإسلامي محفوف بالتزامات و حدود شاملة و هي :

- الالتزام بمبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

- الالتزام بحدود و مقتضيات أحكام الشرع : الحلال و الحرام و المكروه و المستحب .

- الالتزام بتكوين الانسان الصالح .

- الالتزام بتكوين الرأي العام الفاضل - و جماع ذلك كله الالتزام بالمحافظة على مقاصد

الشرعية و هي إلتزام إذا وقف عندها الاعلامي المسلم، استطاع أن يتجنب الوقوع في كثير من التجاوزات و الانتزاقات.(1)

• أولا : الإلتزام بمبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

ذلك لأن هذا المبدأ في الإسلام هو بمثابة القطب، الذي إذا أهمل، فشى الفساد، و شاع الجهل، و انمحت مراقبة الخالق، و استرسل الناس في اتباع الهوى، و الواجب على الاعلامي المسلم -باعتباره فرد من هذه الأمة المسلمة- أن ينهض بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيما يكتبه و ينشره من أخبار أو مقالات و غيرها، حتى يساهم بمجهوده في تبصير الناس بما يجب عمله و ما يجب تجنبه، و له في النصوص الاسلامية، الكثيرة زاد وافر، يهديه و يدفعه إلى القيام بهذا الواجب الهام، و من ذلك قوله تعالى : ﴿وَلْتَعْنَنَّهُمْ أَهْمُ يَحْمُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(2) و إذا كانت الآية تدل على أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فرض كفاية* - و هو الذي إذا قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، و إن تقاعد عليه الخلق أجمعون

(1) غني بسيوني مصطفى، مرجع سابق، ص : 256.

(2) سورة : آل عمران، الآية : 104 .

(* هذا ما ذهب إليه كثير من المفسرين، و علماء الإسلام، أنظر : سيد قطب إني ضلال القرآن، ط:5، ج : 4، ص: 444، و صفوة التفسير،

ط:4، ج:2، ص: 221، و احياء علوم الدين، ج:2، ص: 269.

عم الحرج كافة القادرين عليه- فإن الاعلامي المسلم، يأتي ضمن القادرين على القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لما يوجد تحت يده من وسيلة إعلامية تؤثر غاية التأثير في الرأي العام وتشكله، وتؤدي دورا هاما في توجيه الناس الوجهة الصحيحة، و ترشيدهم و تبصيرهم بأمور الدين والدنيا. (1)

كما أن الاعلامي المسلم عضو في الأمة التي جاء في حقها قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ. وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكُنَّا خَيْرًا لَمَّا مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ. وَ أَحْزَبُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (2) و هو مأمور بأن يحقق هذه الخيرية و يجسدها من خلال الوسيلة التي يبلغ بها رسالته، فيجعل كل ما يكتبه أو ينشره يصب في هذا المصب كما أنه مطالب بمواجهة ما تعرضه الوسائل غير الاسلامية أو الإسلامية غير الملتزمة بشرع الله من مادة مشوية بالفساد. (3)

و الالتزام بهذا المبدأ الشرعي، هو تحقيق لاحدى غايات الشريعة الإسلامية، المتمثل في تأسيس نظام الحياة الانسانية على المعروف و تطهيره من المنكر، و المعروف ما وافق الفطرة الانسانية، و المنكر ما خالفها، و الشريعة لا تحكم بوجود الخير إلا فيما يوافق فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولا بوجود الشر إلا فيما يخالفها، ثم إنها لا تكفى بأن تعدد المعروفات و المنكرات و تعرضها على الناس في صورة قائمة، بل إنها لترسم خطة الحياة من أولها إلى آخرها على وجه يقيم بنيانها على الحسنات و ينمي فيها المكارم و الفضائل، و يحول دون أن تشتبك في تشييدها أو تدخل في نظامها المنكرات و الرذائل، و هي لهذا الغرض تضيف إلى المعروفات في مناهجها للحياة الإنسانية تلك الأسباب و الوسائل التي بها يمكن لهذه المعروفات أن تقوم و تزدهر.. و هي كذلك تصوغ نظام المجتمع بأسره على وجه يقوم فيه كل معروف بصورته الكاملة، و يتجلى في كل شعبة من شعب الحياة، و ينال المساعدة من كل شيء على اليقاع و الكمال و الرقي... و هي تطهر الحياة بكل دقة من كل منكر، و تحقق أسباب نشوئه و نموه و انتشاره، و تحوّل دون أن يسري في ناحية من نواحي الحياة، و تأمر باستتصاليه بكل شدة إذا أبطى إلا أن يرفع رأسه على كل حال. (4)

و إذا فهم هذا المبدأ، و عرفت أهميته، سهل على الاعلامي المسلم، الالتزام به في كل ما يكتب و ينشر و يقول، وله أيضا أن يجعل من الوسيلة التي تحت يده في خدمة هذا المبدأ، تدعوا إلى كل خير و معروف، و تنهى عن كل شر و منكر، و إذا عطل هذا المبدأ : الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر،

(1) محمد فريد محمود عزت، مرجع سابق، ص-ص : 426-427 .

(2) سورة: آل عمران، الآية : 110.

(3) محمد فريد محمود عزت، مرجع سابق، ص: 428.

(4) أبو الأعلى المودودي : القانون الإسلامي و طرق تنفيذه، (الجزائر : دار الوفاء للنشر و التوزيع)، ص-ص : 21- 22 (دون طبعة، دون سنة).

فإن للإعلامي المسلم سهم كبير من المسؤولية في ذلك، لأنه يملك وسائل إضافية عن غيره من المسلمين، مما يمكنه أكثر من غير من الالتزام بهذا المبدأ أو عدم التفريط فيه.

● ثانياً : الالتزام بحدود و مقتضيات أحكام الشريعة الإسلامية (حلالها و حرامها و مستحبها و مكروهها و مباحها).

و هذا المبدأ يأتي تبعاً للمبدأ السابق، فإذا آمن الإعلامي المسلم بضرورة الالتزام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجب أن يعرف حقيقة و أنواع هذا المعروف الذي يأمر به، و حقيقة و أنواع المنكر الذي ينهى عنه، و قد جعلت الشريعة الإسلامية المعروف على ثلاثة أنواع: (1)

1 - المعروف المفروض أو الواجب.

2 - المعروف المندوب أو المستحب.

3 - المعروف المباح أو الجائز.

و جعلت المنكر على نوعين و هما :

1 - المحرم أو المحظور .

2 - المكروه .

و الغرض أو الواجب هو كل شيء ألزم المجتمع المسلم أن يقيمه و يسهر على ترقيته و تميته، و جاء الأمر به بالجزم و القطع، أما المندوب و المستحب، فهو كل ما تقتضيه الشريعة، أو تحب أن يقوم في المجتمع و يروج و يعم، و قد جاءت الشريعة تبين بعض هذه المعرفات بألفاظ واضحة قاطعة، و تشير إلى بعضها أقوال الشارع، و يعرف بعضها الآخر بما بذل الشرع من الاهتمام بإقامتها أو أوصى بترقيتها ليلتفت إليها المجتمع بنفسه من حيث مجموعه أو افراد الصالحون.

و أما المباح أو الجائز، فهو كل شيء أو فعل لا تكون نهت عنه الشريعة، أو لم تنص عليه لبالنهي و لا بالأمر، و من هنا فإن دائرته واسعة جداً حتى أن كل شيء، في الدنيا ما عدا المحظورات المعدودة، الأصل فيه الإباحة، و هذه الدائرة أطلقت فيها الشريعة الأمر للمسلمين للاجتهاد فيها.

و المحظور أو المحرم هو كل ما ألزم المسلمون أن يتجنبوه، و قد جاءت أحكامه في الشريعة واضحة منصوص عليها بالقطع، و المكروه كل ما يكون قد أظهر الشارع كراهته له صراحة أو كناية و من المكروهات ما هو ترتيب من الحرام أو المخطور، و منها ما هو قريب إلى المباحات.

و هذه الأحكام شاملة لجميع شعب حياتنا، و من هنا لا بد أن يجد الإعلامي المسلم في هذه الأحكام ما له علاقة بعمله، مثل مجال الأخلاق و الآداب و العادات و حقوق المواطنة و واجباتها و العلاقات بالأمم الأجنبية، و كل ما له علاقة باستقاء الخبر و معالجته و نشره، و عليه أن يعلم أن في شريعة الإسلام ما يضبط عمله، و يعلم أن نظام الشريعة كل لا يقبل التجزئة، و من هنا وجب عليه أن

يكون وقافا عند أحكام الشرع، فلا يكذب، و لا يشيع الفاحشة، و لا يسخر من قوم بغير حق، و لا ينقل نبأ قبل التروي و التحري و غيرها من الأفعال و السلوكات التي لها حكم واضح في الشريعة الاسلامية.

• ثالثا: الإلتزام بتكوين الفرد الصالح :

إن أول من يتجه إليه الاعلام هو الفرد، و هذا الفرد قد يكون صغيرا أو كبيرا، فإذا كان صغيرا كانت المهمة كبيرة -و البداية تكون من الصفر- أما إذا كان كبيرا فإن العمل سيكون لإصلاح ما فسد، و ترشيد ما ضل عن سواء السبيل، و دور الاعلامي في تكوين الفرد الصالح ليس بالدور البسيط، و المسؤولية كبيرة، فهو إذا اتجه إلى الفرد صغيرا، فإن الطفل بالنسبة للإعلامي المسلم، كالعجينة الرخوة المطوعة في قبضة يد متفانية في تحويرها و تشكيلها، على النحو الذي يريد، بدءا بتحديد الاهتمامات و مروراً بصياغة الشخصية، و انتهاء بغرس العقيدة، خاصة و نحن نعلم أن عوامل التأثير و التكيف و الأقتداء، تأتي ثمرة طبيعية لطول الصحبة و إدامة التلازم و اضطراد المتابعة، و الطفل يولد على الفطرة كما قال النبي -صلى الله عليه و سام- فيما ورد عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه : (ما من مولود إلا و يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)(1).

و باستحضارنا لهذه المعاني، نتبين خطورة الدور الذي يؤديه رجل الإعلام، بعد أن سلب الآباء و غيرهم من رموز التربية و الإصلاح، قوامتهم التربوية و التوجيهية : تشنة و تطبيعا و تسوية، و الأخطر من ذلك، أن أصبح قبلة تفيض من عطائها الوافد و المتصل على الفرد و المجتمع بكل قطاعاته، ناشئة و مربين، سواء بسواء، و على ذلك يشب الصغير و يشيب الكبير.(2)

و إذا ادرك الاعلامي المسلم الدور الخطير المنوط به، و جب أن يعلم أن المنهج الإسلامي لإعداد الانسان الصالح يتجه نحو :

1 - إعداد الانسان الأتقى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ. إِنَّ اللَّهَ لَكَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (3) و هو الذي يعبد الله لا بالمناسك التعبدية المحدودة فحسب و لكن يعبد الله بكل عمل و فكر و شعور، أي التوجه بكل نشاط حيوي إلى الله و مراعاة ما يرضي الله في هذا النشاط و ما يغضبه، فيتوقى غضبه و يعمل على رضاه، و هذا الانسان الصالح هو الذي يتبع هدى الله و يستمد من هذا الهدى منهج حياته و سلوكه و لا يتلقى من مصدر سواه، و هو الذي -بعد ذلك كله- يفي بشروط الخلافة في الارض.(4)

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصل علىه و هل يعرض على الصبي الاسلام، ج:2، ص 199، كما أخرجه في تفسير سورة "الروم" قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّأَنَّهُ لَظَنَّ أَنَّهُ لَظَنَّ﴾ ج:6، ص: 206، (صحيح البخاري، ط: إدارة الطباعة المنيرية بمصر).

(2) حسن فصل المولى، مرجع سابق، ص: 100.

(3) سورة: الحجرات، الآية: 13.

(4) نهي بسبوي مصفى، مرجع سابق، ص-ص: 261-262.

2 - إعداد الانسان المتكامل : و ذلك بالاعتناء بالتنشئة المتكاملة للانسان جسما و عقلا و سلوكا و وجدانا، و بالعلاقات بين الانسان و غيره، و بينه و بين ربه، و بذلك تتحرر النفس من العبودية لغير الله و تتحرر الجسم من الوقوع في أسر الذات و الشهوات، و تقيم علاقات بين الناس قوامها الأخوة و المساواة و العدل و الحب، و يتم ذلك كله باستغلال طاقات الانسان كلها لترقية الحياة و تميمتها و الوصول بها كل يوم إلى مستوى أرفع، فتستغل الطاقة الروحية في التعرف على الله و الاستمداد من قوته و التعود على الخير و الحب، كما يستفاد من الطاقة العقلية في التعرف على أسرار الكون و في حياة الانسان، و جهده الحيوي. (1)

3 - إعداد الانسان المتوازن : و التوازن في الانسان يأتي نتيجة لاستغلال كل طاقاته و الاهتمام بطبيعة التكامل فيه حين تكوينه، كما أن التوازن -و هو سمة من سمات الانسان الصالح - يستلزم جهدا كبيرا، لأن كل ما يصيب الانسان من شر مثل القلق أو العجز أو الاضطراب هو نتيجة لفقدان التوازن داخل النفس، و من هنا يجب الحرص على تحقيق ذلك التوازن الدقيق المعجز بين مطالب الدنيا، و مطالب الآخرة، يقول الله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ، وَلَا تَنْسَ نَجِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَ أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَ لَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (2) و رفض التطرف سواء في الجانب المادي - فتغلب الشهوات - أو في الجانب الروحي فيقع الانسان في الرهبانية. (3)

4 - إعداد الانسان في جانبه السلوكي و العملي: حيث لا يكتفي رجل الإعلام بالقول و إنما يركز على أن يحويل قوله إلى عمل و سلوك و الحث على ذلك، و منهج الاسلام في ذلك يتضح جليا في أركانه الخمس الشهادة، الصلاة، و الزكاة، و الصوم، و الحج و هي كلها تقتضي القول و العمل، و يتضح ذلك أيضا من أسلوب مخاطبة الله - سبحانه و تعالى - للمؤمنين حيث يقرن الايمان بالعمل الصالح في أكثر من موقع الذين آمنوا و عملوا الصالحات، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (4)

5 - إعداد الانسان بمراعاة الجانب الجماعي فيه : فإذا كان المسلم مسؤول عن معتقداته و أفكاره و أعماله مسؤولية فردية أمام الله، فإن كل راع - و الاعلامي المسلم راع - مسؤول عن رعيته، و الاسلام ينبذ الأنانية و لا يقيم أي وزن للنعرات العرقية أو العنصرية أو الطبقية أو اللونية، و يحث الانسان على التعاون، و قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجًا، وَ بَنَى مِنْهَا رَجُلًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً، وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ مُخْلِجًا رَقِيبًا ﴾ (5) و يقول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - (الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله

(1) نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص: 262.

(2) سورة: القصص، الآية : 77 .

(3) نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص: 41.

(4) سورة: المائدة، الآية: 35.

(5) سورة: النساء، الآية : 1 .

أنفعهم لعياله)، وللإعلامي المسلم، مسؤولية كبيرة في توجيه هذا الجانب الوجهة الصحيحة.

6 - إعداد الإنسان و توجيهه نحو الخير : لأن منهج الإسلام في إعداد الفرد الصالح يتبع ما

جاء في القرآن الكريم الذي ينص على الخير : ﴿ حُنَّتْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَمَأْنًا خَيْرًا لَمَمْنَا مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَحْسَرْنَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (1) و ما جاء في السنة ؛ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (2).

7 - إعداد الإنسان مع مراعاة عنصر التجديد : فالإعلامي يحافظ على الجانب الذي يقوم على

المبادئ السماوية الخالدة، و التقاليد الثابتة، و القيم الأصلية التي تمتد جذورها إلى ما يزيد عن أربعة عشر قرنا من الزمان، و يعمل على ترسيخها في نفوس النشئ، و على صياغة الشخصية المتكاملة، و لا يبقى أو يقتصر على هذا الجانب، و يقف جامدا متحجرا، بل يعلم أن هذه الأصول صالحة لكل زمان و مكان، و ما عليه إلا أن يتفتح على مستجدات الحياة الانسانية، فينقل للفرد المتلقي كل علوم العصر المادية التي لا تتعارض مع القيم الإسلامية من أجل رفع شأن المسلمين، و النهضة المستمرة بالمجتمع الإسلامي، و الوفاء بالمطالب المتجددة للمسلمين. (3)

7 - إعداد الإنسان مع تنمية الايجابية فيه : الايجابية السوية العاملة في واقع الحياة، كقوة

فاعلة، متقدمة للأمام، و مسيطرة على القوة المادية، و مستغلة لما في عمارة الأرض، و تنشئ واقعها حسب المنهج الذي تؤمن به، و بإمكان الإعلامي المسلم أن يوجه هذا العامل نحو الإيجاب كما يمكنه أن يحوله إلى السلب، و مسؤوليته في ذلك كبيرة أيضا. (4)

8 - إعداد الإنسان و دعمه بالواقعية المثالية : فيساعد الإعلامي المسلم في تعريف الفرد

بحدود طاقاته و التي أوضحها الله تعالى في قوله ﴿لَا يُحِلُّهُمُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعًا، لَمَّا مَا حَسِبْتُمْ وَ مَلِيْمًا مَا كُنْتُمْ تُحْسِبْتُمْ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَ انصُرْنَا لَنَا وَ انصُرْنَا لَنَا، فَانصُرْنَا عَلَى الْعَوَمِ الْخَافِرِينَ﴾ (5)

و الإسلام بمنهجه الواقعي يأخذ الواقع الأكبر الإنسان الذي يشمل لحظة الضعف و لحظة القوة، و يساعده على التفوق، و يرتفع على الواقع ليبلغ المثال، و يعمل بذلك الإعلامي المسلم على عرض مادته بما يساعد على تحقيق هذا المبدأ، فلا يخلق بالفرد حتى يخرج عن عالمه، و لا يمعن في اغداقه في الواقع بما يتركه حبيسه لا يتحرك.

(1) سورة : آل عمران، الآية : 110.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: 12، ج: 1، ص: 17 (مصر: إدارة الطباعة الميرية)؛ أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب: الإيمان، حديث رقم 66، ج: 1، ص: 26، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع)، (دون ضبعة دون سنة).

(3) نيل السمالوذي، مرجع سابق، ص: 45.

(4) يحيى بسيوني مصطفى، مرجع سابق، ص: 263.

(5) سورة: البقرة، الآية : 286.

و يساعد الاعلامي المسلم -في ذلك كله- اتباع الأساليب الإسلامية لإيجاد الفرد السوي من تقديم القدوة الصالحة في مادته، و استعمال أسلوب الترغيب و الترهيب، و تقديم الموعظة و النصيح، و استعمال أسلوب التعلم بالمحاولة و الخطأ، و التعليم بالأساليب الحسية، و استعمال الحوار الموجه، و الأسلوب القصصي، و أسلوب المعرفة النظرية و الممارسة العملية، و هي أساليب معروفة في المنهج الإسلامي لتكوين الفرد الصالح.

● رابعاً : الالتزام بتكوين الرأي العام الفاضل :

« و الرأي العام هو الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة إزاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات، أو مسألة من المسائل العامة التي تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة، فالرأي العام يمثل محصلة الآراء و الأحكام السائدة في المجتمع » (1) و من بين العوامل المساعدة على تكوين الرأي العام، الاعلام و وسائله و طبيعة عملها، لهذا وجب على الاعلامي المسلم أن يتحمل مسؤوليته في ذلك و يحاول أن يجعل من الرأي العام الذي يساهم في تكوينه، رأياً عاماً فاضلاً و مستثيراً.

و تؤكد الدراسات العلمية و الحقائق العملية وجود علاقة إيجابية بين مدى تصديق رجل الاعلام، و مدى زيادة فرص التعليم أو التغيير في اتجاهات الرأي العام، حيث أن درجة الثقة في رجل الإعلام يترتب عليها - ضمن مجموعة من العوامل الأخرى - مدى نجاحه في التأثير على الرأي العام، و لتكوين الرأي العام المستثير، يجب أن يتحرى الاعلامي الصدق فيما يقدم كأهم خطوة، ثم لا بد له من دراسة الجماهير دراسة علمية وافية و دقيقة، و إعداد المواد المناسبة لها في الزمان و المكان و الظروف التي تناسب هذه الجماهير، و بذلك يستطيع أن يتجنب الرأي العام المصطنع -أو المنحرف- الذي يقوم في معظمه على الدعاية الجوفاء التي تستند على الأكاذيب بهدف تخدير الجماهير و شل قوة التفكير فيهم، و ايقاظ غرائزهم و العبث بها عن طريق القصص الخرافية و الأكاذيب و الخداع.(2)

و حديثنا عن التزام الاعلامي المسلم بتكوين الرأي العام الفاضل، يرتكز أساساً على كون الإعلامي مسلم يؤمن بالاسلام منهجاً للحياة، و هذا الوصف الذي تقدمه هو حول ما ينبغي أن يكون لا لما هو كائن لأن رجل الاعلام في الواقع لا يتحكم في وسائل الاعلام لوحده، إنما هناك قوانين تحكم هذه وسائل و تحكم أيضاً رجل الاعلام، إلى جوانب عوامل أخرى.

(1) سمير محمد حسين، الإعلام و الاتصال بالجماهير و الرأي العام، ط:1، (القاهرة: عالم الكتب، 1984)، ص: 193.

(2) عبد الله بو جلال، "دور الإعلام في تشكيل الرأي العام"، حوليات جامعة الجزائر، ع:6، ج:1، 1991-1992، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية)، ص:70 و كذلك أنظر، محي الدين عبد الخليم، الإعلام الإسلامي و تطبيقاته العلمية، ط:2، (القاهرة، الرياض: مكتبة الخانجي بالقاهرة - دار الرفاعي بالرياض) 1984، ص: 124.

و على اعتبار أن الجمهور الذي يتوجه إليه الاعلامي المسلم، جمهور مسلم، و له اهتمامات معينة، فإن تكوين رأي عام فاضل لديه، يرتكز على النقاط التالية :

1 - أن المجتمع المسلم متكافل، يشعر كل فرد فيه بأن عليه واجبات تحاهه يجب عليه أدائها، و يشعر أن كل تقصير في هذا الأداء يؤدي إلى انهيار بناء المجتمع، و هذا الشعور هو الذي يولد لدى رجل الاعلام التزامه بمبدأ تكوين الرأي العام الفاضل، و إذا كان هذا المبدأ هاما في إقامة أي جانب من جوانب الحياة الاقتصادية أو الجماعية.. فإنه أشد أهمية بالنسبة لوسائل الإعلام التي أصبحت تشكل جزءا هاما من حياة الانسان.(1)

2 - أن الإسلام جاء لتكوين المجتمع الفاضل الذي تتعاون فيه كل القوى، بحيث لا يطغى جانب على آخر، و أول مظهر لهذا المجتمع هو سيادة الرأي العام الفاضل، فيقيم البيئة الصالحة التي تتزرع في ظلها الفضيلة و تختفي منها الرذيلة، كما أن للرأي العام الفاضل أيضا رقابة نفسية تجعل صاحب الخير - و قد يكون رجل الاعلام - يتشجع في إعلان خيره فيظهره في كل ما ينتجه و كل ما يقدمه للمجتمع، و تجعل صاحب الشر ينطوي على نفسه فلا يظهره.(2)

3 - كما أن الرأي العام الفاضل وسيلة فعالة في تهذيب الأفراد، لأنه يعلن الكلمة الطيبة و الفعل الطيب، و يشيع بين الناس الإحسان و موجبات التراحم و السلوك القويم، بعكس الرأي العام الفاسد الذي قد يشيع الفاحشة و الرذائل، أو يتقاعس عن نصررة الفضيلة.

4 - أنه إذا ترك المخطئون من غير رادع من الرأي العام المهذب الفاضل، فإنهم يقدمون على هدم بناء المجتمع، و إذا لم يأخذ الفضلاء على أيديهم سقطوا جميعا في الرذيلة و انحدروا في المنزلاقات، و منهج الإسلام في هذا المجال واضح، و من هنا يتبين لنا قيمة التعاون في إيجاد المجتمع الفاضل و الرأي الفاضل لمحاربة الاتحرافات الفكرية و الخلقية و الاجتماعية، و هذا الالتزام يؤكد من جانبه، المبدأ السابق و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.(3)

5 - و يتخذ الإسلام - و هو بسبيل إيجاد الرأي العام الفاضل - الذي لا يعرض الرذيلة و لا يظهر فيه إلا ما هو فاضل - يتخذ وسائل كثيرة منها على الأساس :

أ- الحث على الحياء : لأنه يعطي صورة المجتمع النظيف السليم، كما أنه يدفع الانسان إلى السلوك و الذوق الرفيع، و قد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مبنيا هذا الأساس المتين للخلق الفاضل : (الحياء و الايمان قرناء جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) (4) كما قال -عليه الصلاة

(1) يحي بيبوني مصطفى، مرجع سابق، ص: 243.

(2) المرجع نفسه، ص: 244.

(3) المرجع نفسه، ص: 245.

(4) ورد هذا الحديث بصيغة (أخيه من الإيمان)، أخرجه الترمذي في صحيحه، باب ما جاء في الحياء من الإيمان ج:2، ص: 102.

و السلام- : (لكل دين خلق، و خلق الاسلام الحياء)(1) و قال -صلى الله عليه و سلم- (الحياء خير كله).(2)

و على هذا فالحياء إطار اجتماعي يشمل كل وسائل الاعلام، و هو قيد نفسي ضابط، إذا انفك انطلقت الغرائز الانسانية معلنة شرها، و إذا ساد الحياء انضبطت النفوس بضوابط من اللياقة الاجتماعية، فلا يبدو من الاعلامي المسلم -مثلا- في ما يكتب و ينشر إلا كل ما يزين و يؤلف بين الأفراد، و يدعو إلى التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع.(3)

ب- عدم إشاعة الفاحشة : فقد حرص الإسلام على إظهار الفضائل و ستر الجرائم، فلا يكشف الرأي العام الفاضل أستار الجرائم أمام الناس، و لا يصور الاعلامي أساليب الجريمة و دقائق الهبوط الجنسي، و قد تكون العقوبة علنية بقصد الردع في إقامة بعض الحدود، لكن الجريمة ذاتها يجب ألا يعلم تفاصيلها و دقائق فعلها أحد، و يكون إعلانها وقت توقيع الجزاء باقتضاب، و ذلك لأن إعلانها يفسد الجو الخلقى للمجتمع، و يجعل الشر ظاهرا، و ظهوره قد يغري بتقليده، و البديل الاسلامي الذي يتوخاه الاعلامي المسلم، منزها عن الاسراف في شرح دقائق السرقة و الوسائل التي تتخذ للقتل أو هتك العرض أو التعزير أو السطو، و هو ما يملأ وسائل إعلامنا اليوم، لأن الرذيلة إذا اعلنت اتبعت، لذلك اعتبر الإسلام من ارتكب جريمة و أعلنها قد ارتكب جريمتين، جريمة الارتكاب، و جريمة الاعلان، و من أعلن جريمة غيره، فقد شارك في الإثم، يقول الله تعالى في هذا الشأن : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُعْبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ. وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (4)

و في هذا الباب، يجب أن يعلم رجل الاعلام المسلم، أن الإسلام يركز على الروادع، و يركز على الوقاية، و على غرس تقوى الله، ليجعل من المسلمين أصحاب ضمائر حية، و هو دين لا يقيم بناءه على العقوبة، بل على الوقاية من الاسباب الدافعة إلى الجريمة أو التجاوز الأخلاقي، و يقوم أيضا على تهذيب النفوس، و تطهير الضمائر، و على الحساسية التي يثيرها في القلوب، فتتخرج من الإقدام على ما يكون سببا في قطع الوشيجة بين الفرد و المجتمع (5)، و على الاعلامي المسلم أن يمضي في هذا الإتجاه، و سيدجد نفسه مساهما و بطريقة واضحة في تكوين الرأي العام الفاضل.

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: الحياء، ج:2، حديث رقم: 4182، ص: 1399.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب : عدد شعب الإيمان و أفضلها و أدناها و فضيلة الحياء و كونه من الإيمان ج:1، حديث رقم: 61، (صحيح مسلم، ط:2، 1972)، ص: 64.

(3) بحسب تفسير مفسرنا، مرجع سابق، ص: 246.

(4) سورة: النور، الآية: 19.

(5) للإستزادة، أنظر : سيد قطب، في ضلال القرآن، ط:10، ج:4، (مصر: دار الشروق 1402هـ - 1982)، ص: 2489 - 2490-

2491، و كذلك أبو الأعلى، المدودي تفسير سورة النور، (الجزائر : دار الشهاب)، ص: 141-142.

ج - مراعاة عنصر الإيجابية : فإذا كان واجب المؤمنين أن يتضافروا في إيجاد مجتمع فاضل، فلا يسكت مسلم منهم عن الدعوة إلى الحق، بل إن التكافل الاجتماعي الخلقى، يوجب عليهم أن يساهم في بناء المجتمع الفاضل، فيمنع شره ويدفعه إلى الخير، ولقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- المؤمن أن يقف على الحياد في معركة الخير والشر، بل عليه أن يكون عنصراً إيجابياً كاملاً و عاملاً. فقال عليه الصلاة والسلام (لا يكن أحدكم إمعة، يقول إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، بل وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس تحسنوا و إن أساءوا فتجنبوا الإساءة)، و الإعلامي المسلم أكثر الناس حاجة إلى هذا العنصر، فلا يبرر حياده و سلبيته، بأن الفساد عم وأنه لو حده ماذا عساه يفعل؟!!

- و إذا ادرك الإعلامي المسلم هذه الخطوات التي يجب أن يتبعها حتى يحقق الرأي العام الفاضل، لا ينسى أن القرآن الكريم يزخر بالتوجيهات التي تعينه في هذا الجانب، و منها أنه يجب قبل تكوين الرأي العام الفاضل، يجب أن يكون اتجاهاً إيجابياً نحو القضية التي يطرحها قبل أن يعطى المعلومات و التفاصيل بشأنها، و هو ما يطلق عليه اليوم بتحقيق التهيؤ الذهني و النفسي لدى المتلقي، و ما لم يتكون الاتجاه السليم، فلن تجدي محاولات الإقناع و البرهان و التلقين.

• خامساً : الإلتزام بمبدأ الحفاظ على مقاصد الشريعة الإسلامية .

و هذا العنصر هو جماع العناصر السابقة، لأنها في مجملها تصب في المقاصد التي جاءت الشريعة الإسلامية للحفاظ عليها و هي ما يسمى بالـ"كليات الخمس" و تضم : حفظ الدين، و العقل و العرض و النفس و المال، فالحدود و الضوابط التي أشرنا إليها تساعد الإعلامي المسلم أن يحافظ على هذه المقاصد الخمس، فيعمل و يجتهد فيما يكتب أو ينشر في الحث على التمسك بشرع الله و إقامة حدوده، و يستكف عن الهزء بالدين و السخرية منه، كما يشجع النفس المؤمنة على اتباع أوامر الله سبحانه و تعالى، و ردع كل معتد من أجل تكريم النفس و حمايتها، و لا يشجع الجريمة و القتل لأنه يؤدي النفس التي أمرت الشريعة بصيانتها، و يساهم في حفظ العقل، بعدم الدعاية إلى ما يتلفه، من خمر، و مخدرات، و كل ما يفقد العقل، و في مقابل ذلك يستغل الطاقات العقلية في التأمل، و أعمالها في ما يؤدي إلى معرفة الله، و أسرار خلقه، و من أجل الإبداع و الصنع الذي يعود بالفائدة على المجتمع، أما مساهمته في الحفاظ على العرض، فيكون بالحث على ما جاء به الإسلام في هذا الباب، و تشجيع الحلال، و التشنيع بالحرام، و لا يساعد في نشر ممهدات الزنا مثلاً، و يتأكد دوره في حفظ المال، إذا ساعد في حماية كل ما يجمعه الإنسان من مال حلال، فيرشد المسلم إلى كيفية الحفاظ عليه، فلا يشجع التبذير، و يحث على الاقتصاد، و يشجع إقامة الحدود على من يهدد المسلم في ماله.. و إذا التزم الإعلامي المسلم بهذا المبدأ -و هو الذي يملك الوسيلة الفعالة- فإنه يكون قد ساهم مساهمة كبيرة في الإلتزام بحدود شرع الله و الوقوف عند ضوابطه.

هذه إذن الأطر العامة التي تحدد و تضبط رجل الاعلام المسلم، و قد اجتهدنا في جمعها و تلخيصها، و بقي أن ندعمها ببعض النقاط التفصيلية، التي تصلح أن تكون مثالا لما سبق ذكره، كما

أن تخصيص مجال لها، هو من باب إقتضاء الحاجة إلى ذلك، كما أنها ترشد الاعلامي المسلم - و الصحافي - بصفة خاصة، إلى بعض النقاط العملية، و الأحكام الشرعية التي تجسد تلك الأطر العامة التي ذكرت من قبل، ثم أن هذه النقاط تمهد لتحديد الضوابط الشرعية للسخرية في الصحافة المكتوبة، و ملخص هذه النقاط كمايلي :

1 - على الصحافي المسلم أن يتوخى الدقة و الموضوعية، و يحرص على التأكد من صحة الأنباء، و يثبت من دقتها مؤثرا في ذلك الجانب الأخلاقي على الجوانب الأخرى لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُسَيِّبُوا قَوْمًا بِجَمَالٍ فَتُسَيِّبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (1) و يتحمل المسلم مسؤولية كبرى، في نقل خبر دون علم به، حيث يقول المولى -عز وجل- في هذا الشأن ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ. إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (2) و يتأكد ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (3).

2 - على الصحافي المسلم أن يلتزم بالقيم الإجتماعية، فيراعي شعور مجتمعه، فلا يجهر بالسوء إبتمارا بقوله تعالى : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَمْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ، وَ حَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَلِيغًا ﴾ (4) خاصة و أن من أهم ما يميز المجتمع « ..أنه شديد الحساسية، و في حاجة إلى آداب إجتماعية تتفق مع هذه الحساسية، و رب كلمة عابرة لا يحسب قائلها حسابا لما ورائها، و رب شائعة عابرة لم يرد قائلها بها إلا فردا من الناس، و لكن هذه و تلك تترك في نفسية المجتمع و في أخلاقه و في تقاليده و في جوه، أثارا مدمرة و تتجاوز الفرد المقصود إلى الجماعة الكبيرة.

و الجهر بالسوء من القول -في أية صورة من صورهِ- سهل على اللسان ما يمكن هناك تخرج في الضمير و تقوى الله، و شيوع هذا السوء كثيرا ما يترك أثارا عميقة في ضمير المجتمع، و كثيرا ما يدمر الثقة المتبادلة في هذا المجتمع، فيخيل للناس أن الشر قد صار غالبا، و كثيرا ما يزين لمن في نفوسهم استعداد كامن للسوء، و لكنهم يتحرجون منه، أن يفعلوه لأن السوء قد أصبح ديدن المجتمع الشائع فيه، فلا تحرج إذن، و لا تقيء.. » (5)

« هذا و إن قالة السوء حين تنتشر، و حين يصبح الجهر بها هينا مألوفًا، فإن البريء قد يتقول عليه مع المسيء، و يختلط البر بالفاجر بلا تحرج من فريسة أو إتهام، و يسقط الحياء النفسي و الاجتماعي الذي يمنع الأسنه من النطق بالقبيح و الذي يعصم الكثيرين من الاقدام على السوء.. و يبدأ الجهر بالسوء عادة باتهامات فردية، سبا و قذفا، و ينتهي انحلالا اجتماعيا، و فوضى أخلاقية، تضل فيها تقديرات الناس لبعضهم لبعض أفرادا و جماعات..

(1) سورة: الاحزاب، الآية : 06.

(2) سورة: الأسراء، الآية : 36.

(3) سورة: الأحزاب، الآية : 70.

(4) سورة: النساء، الآية: 148.

(5) سيد قطب، في ضلال القرآن، ط : 3، المجلد الثاني، (بيروت : دار احياء التراث العربي 1961)، ص: 9.

لذلك كله كره الله للجماعة المسلمة أن تشيع فيها قالة السوء، وأن يقتصر حق الجهر بها على من وقع عليه ظلم، يدفعه بكلمة السوء يصف بها الظالم، في حدود ما وقع عليه من الظلم.. ففي هذه الحالة يكون الوصف بالسوء، ويشمل ما تعبر عنه المصطلحات القانونية بالسب والقذف، انتصاراً من الظلم، ودفعاً لعدوان، ورداً لسوء بذاته قد وقع بالفعل على إنسان بذاته، وتشهيراً بالظلم والظالم في المجتمع، لينتصف المجتمع للمظلوم، وليضرب على يد الظالم، وليخشى الظالم عاقبة فعله، فيتردد في تكراره، والجهر بالسوء عندئذ محدد المصدر، محدد السبب، موجهاً إلى شخص بذاته، عندئذ يكون الخير الذي يتحقق بهذا الجهر مبرراً له، ويكون تحقيق العدل والنصفة هو الهدف لا مطلق التشهير..

إن الإسلام يحمي سمعة الناس - ما لم يظلموا - فإذا ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية، و أذن للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء في ظالمه، وكان هذا هو الاستثناء الوحيد من كفا اللسانة عن كلمة السوء.. وهكذا يوفق الإسلام بين حرصه على العدل الذي لا يطبق معه الظلم، و حرصه على الأخلاق الذي لا يطبق معه خدشاً للحياء النفسي الاجتماعي..» (1)

و قد ضبط الفقهاء و علماء الإسلام هذا الأمر بدقة كبيرة، فقالوا أنه لا يجوز رد الظلم بمثلته، و من هنا لا يجوز رد السب بالسب، قال صلى الله عليه وسلم (إن امرئ عيرك فلا تعيره، بما فيه) (2) و قال - عليه الصلاة و السلام - (المستأبان شيطانان يتهاثران) (3).

و قال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه، و ما ليس بحرام، و إنما نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن مقابلة التعيير بمثلته نهى تنزيهه، و الأفضل تركه، و لكنه لا يعصى به، و الذي يرخص فيه، أن يقال : من أنت؟ و هل أنت من بني فلان؟ كما قال ابن مسعود : و هل أنت إلا من بني أمية؟، و يرخص في مثل قولهم يا أحمق، و يا جاهل و ياسيء الخلق، يا صفيق الوجه، و يا ثلابة للأعراض و كان ذلك فيه.. و كذلك قولهم لو كان فيك حياء لما تكلمت، و ما احقرك في عيني بما فعلت، و أخزاك الله و انتقم منك، فأما الغيبة و الكذب و النميمة و سب الوالدين فحرام بالاتفاق (4)، و من هنا فإن النتيجة التي نخرج بها في هذا الإطار، أن المسلم يكره له أن يلجأ إلى هذا الأسلوب، تنزهاً، و إن وقع عليه ظلم، إلا إذا كان ذلك من باب الردع، و هذا اقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - الذي روي فيه الكثير مما يدل على تنزهه على هذا الفعل و أمره بذلك، و منه ما روي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاحشاً و لا متفحشاً، و كان يقول : (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً) (5)

(1) سيد قطب، مرجع سابق، ص-ص : 10-11.

(2) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، ج: 5، ص-ص : 63-64.

(3) أخرجه ابن حنبل في مسنده، ج: 4، ص-ص : 162-166.

(4) محمد أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط: 1، الجزء الثالث، (الجزائر: دار الثقافة للنشر و التوزيع، 1411 هـ - 1991م)، ص: 337،

و للإستزادة يرجع إلى ما بعد هذه الصفحة.

(5) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: الزهد، باب : ذكر الموت و الاستعداد له، حديث رقمه 4259، ج: 2، ص: 1423.

و الحديث - كما يقال - قياس، فالصحافي المسلم - باعتباره فردا مسلما - مسؤول، و مطالب بتحري الصدق، و الدقة في نقل الأخبار، و الموضوعية و الانصاف في النقد، و هي مبادئ أصلية في الاسلام، و هذا كله، بدلا من أن يسعى إلى السبق الصحافي - الذي يعتبر في الاعلام الغربي، قيمة حضارية كبرى - يحرص عليها الصحافي و يتباهى بها، فيسرع في نشر الاخبار بعجلة كبيرة، و دون روية، جذبا للشهرة، و إثارة للقراء، و تركيز الصحافي على السبق قد يوقعه في تجاوزات أخلاقية، أو في ارتكاب بعض الجرائم العلانية* كمقاومة النظام الاجتماعي، و كانتهاك حرمة الآداب، و العدوان على الشرف و الاعتبار، بما فيها من جرائم القذف و السب و الاهانة و العيب، في حين يمكنه تجنب كل ذلك إن هو تمسك بمبادئ الاسلام في هذا المجال و التي تحتوي بدورها على أصول المبادئ العالمية لأخلاقيات المهنة.

3 - الصحافي المسلم يجب عليه - أيضا - أن يؤمن و يقر بأحقية الجمهور في تلقيه للمعلومات و مشاركته فيها، كما عليه أن يحرص على احترام كرامة الإنسان و حرمة الشخصية، و يعمل على تكريس الاخلاق في مجتمعه، و يحترم المصلحة العامة، بل و يذهب إلى أبعد من ذلك حين يحترم القيم العالمية و تنوع الثقافات، و يكون منطلقه في ذلك، أصول الدين الإسلامي، التي تعلمه فن الاتصال، و أساليب و طرق تقديم المضمون إلى الجمهور، مع مراعاة هذه الاساليب لخصائص هذا الجمهور المتلقى للرسالة الاعلامية و كيفية تعامله معه.

فإذا كان المسلم - حتى يحقق الغايات السالفة الذكر - مأمورا بتجنب الاسهاب في ذكر مثالب الناس، و التشويق ينشر عوراتهم و عيوبهم و الاعتداء على حياتهم الخاصة و التجسس عليهم، فإن الصحافي المسلم مأمور بذلك كله و زيادة، لأنه يملك الوسيلة التي تمكنه من سرعة النشر و التوسع فيه، فيفتن في اختلاس الصور، و التجسس، و نشر الخبر لمجرد الظن و الله - عزوجل - يقول: ﴿يُسَائِلُ مَا الْحَيِّينَ أَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْخُذَ لَعْنًا أَخِيهِ مَيْتًا فَضَرَّتْهُمُوهُ. وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (1) و يقول رسول الله - صلى الله عليه و سلم - (ياكم و الظن، فإن الظن أكذب الحديث، و لا تجسسوا و لا تحسسوا و لا تباغضوا و كونوا اخوانا) (2)، و في موضع آخر يشدد الله تعالى في توعد الذين يعتدون على حرمان

(*) الجرائم العلانية: هي ذلك النوع من الجرائم التي تتعلق بالأنكار و العقائد و المذاهب و المبادئ على اختلاف ألوانها و أشكالها السياسية و الاقتصادية و الإجتماعية و الفلسفية التي ترتكب عن طريق وسائل الاعلام العلانية، و تنجم عن إساءة استعمال حرية الإعلام بحيث يترتب على ذلك مسؤولية جنائية أو مدنية أو كلاهما معا، [راجع في ذلك كتاب: أخلاقيات العمل الإعلامي حسن عماد مكاري، ط: 1، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1414هـ - 1994م) ص 242 و ما بعدها].

(1) سورة: الاحقرات، الآية: 12.

(2) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَجْهَةِ يُوسَىٰ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ تعليقا عن النبي - صلى الله عليه

الناس، و يقذفونهم بالباطل، فيرتكبون بذلك إثما كبيرا فيقول الله - عزوجل- : ﴿ وَالطَّيِّبِينَ يُؤْتُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعِيرٍ مَا احْتَسَبُوا. فَتَدَّ احْتَمَلُوا بِمَتَانًا وَإِنَّمَا مَبِينًا ۝ (1).

4 - و في هذا السياق دائما يأبي الاسلام على أفراد التعريض و التشهير بالناس، و الامتناع عن السخرية منهم أو الهزاء بهم أو التهوين من شأنهم، أو الاعتداء على كرامتهم أو حتى مجرد خدشها، تصریحا أو تلمیحا، لأن الله سبحانه و تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ حَسَبٍ أَمْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ. وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ حَسَبٍ أَمْ يَكُونْنَ خَيْرًا مِنْنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَامِ. بِيَسِّ الْأَسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ. وَمَن لَّو يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ (2) و قد جاء التعبير القرآني على هذا النحو، ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ حَسَبٍ ﴾ ليراد به : « لا يسخر بعض المؤمنين و المؤمنات من بعض و أن يقصد افادة الشياخ، و أن تصير كل جماعة منهم منهيّة عن السخرية، و إنما لم يقل رجل من رجل و لا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم، و غير واحدة من نساتهم على السخرية، و استنظاعا للشأن الذي كانوا عليه، و لأن مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى و يستضحك على قوله، و لا يأتي ما عليه من النهي و الإنكار فيكون شريك الساخر و تلوه في تحمل الوزر، و كذلك كل من يطرق سمعه، فسيتطيه و يضحك به فيؤدي ذلك و إن أوجده واحد إلى تكثر السخرية و انقلاب الواحد جماعة و قوما » (3) و يتأكد المعنى بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَامِ ۝ (4) و الذي يعني « لا يعيب بعضكم بعضا لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه » (4)

و قد إجاز بعض العلماء السخرية ممن جعل نفسه مسخرة، و ربما فرح من أن يسخر به ، كانت السخرية في حقه من جملة المزاح، الذي بدوره له حدود يجب التوقف عندها، و إنما المحرم استصغار يتأذى المستهزأ به لما فيه من التحقير و التهاون، و ذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه و لم ينتظم، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة، كالضحك على خطه، و على صنعته أو على صورته و خلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب، فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها (5)

و جاء في تفسير الكشاف أن اللمز : الطعن و الضرب باللسان، و معنى الآية : و خصوا أيها المؤمن أنفسكم بالانتهاه عن عيها و الطعن فيها، و لا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم

(1) سورة: الأحزاب، الآية : 58.

(2) سورة: الحجرات، الآية : 11.

(3) الرمنشري، تفسير الكشاف، ط: 1، الجزء الرابع، (مصر: مطبعة عمده مصطفى، 1354هـ)، ص: 13.

(4) الرمنشري، المرجع نفسه، ص: 13.

(5) محمد أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ص: 277.

و لا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس) (1) و حتى فيمن تجوز فيهم السخرية أو اللمز، هناك ضوابط يجب الأخذ بها حتى لا تصبح سيرة الناس مباحة، و حرمتهم منتهكة و كرامتهم مهانة، فالغاية من جواز ذكر عيوب الغير هي أن يحذره الناس و ليس لمجرد التمتع بذكر المثالب، و لوك حرمت الناس بالالسنة. (2)

« و الأمر في الإسلام لا يقف عند هذا الأفق الكريم الوضيء في تربية الضمائر و القلوب، بل إن النص القرآني -الذي سبق ذكره- يقيم مبدأ في التعامل، و سياجا حول حقوق الناس الذين يعيشون في مجتمعه النظيف، فلا يؤخذون بظنة، و لا يحاكمون بريئة، و لا يصبح الظن أساسا للتحقيق معهم، و لا للتحقيق حولهم -و الرسول- صلى الله عليه وسلم- يقول : (إذا ظننت فلا تحقق) (3) و معنى هذا أن يظل الناس أبرياء مصونة حقوقهم و حرياتهم و اعتبارهم. » (4)

هذه إذن الضوابط العامة و بعض الأحكام التي تحدد الإطار العام الذي يتحرك من خلاله رجل الإعلام المسلم، و هي ضوابط يشترك فيها كل من يعمل في مجال الاعلام، بما فيهم الصحفيون الذي يحررون مادتهم بأسلوب ساخر، بل هؤلاء أشد حاجة إلى مثل هذه الضوابط و هذا يقودنا إلى الحديث عن بعض الضوابط الشرعية الخاصة بهذا النمط من الكتابة، و التي إذا أضفناها إلى الضوابط السابقة، نستطيع أن نتحدث عن صحافة ساخرة هادفة، تملك مبررات وجودها.

(1) قاله ابن التيج الشيباني، في كتابه تمييز الطيب من الخبيث، فيما يدور على السنة الناس من الحديث ، ط: 2 (بيروت : دار الكتب العلمية، 1403 هـ - 1983 م).

(2) الرمنشري، مرجع سابق، ص : 13.

(3) رواه الطبراني، في المعجم الكبير حديث رقم: 3227، ط: 2، (1404 هـ - 1984)، ج: 3، ص: 228،

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط: 15، ج: 6، (مصر: دار الشروق، 1408 - 1988)، ص: 3345.

المطلب الثاني : الضوابط الإسلامية في الصحافة الساخرة .

إن ظاهرة الصحافة الساخرة في المجتمع المسلم، ليست بالظاهرة العصرية، فقد وجدت منذ عشرات السنين، كما كان لها في بعض الاوقات دور فعال و ايجابي في إصلاح المجتمع أو في الرفع من معنوياته، أو حتى في توعيته و تعليمه، و هي كظاهرة فرضت وجودها في الساحة، ليس من المنطقي أن ننظر إليها من حيث هل يجوز شرعا وجود هذا النمط من الصحافة أم لا يجوز؟، لكن و أخذًا بالرأي الذي يقول أنها تجوز وفق معايير و ضوابط معينة، من الأجدر أن ننظر في هذه المعايير و الضوابط، و نحاول أن نحددها، حتى تكون الصحافة الساخرة في إطار مشروع، و لعل أهم هذه الضوابط و المعايير مايلي :

1 - أن تكون السخرية هادفة إلى التقويم و الإصلاح : كمعالجتها الأمراض الاجتماعية و الفساد و للتقاليد التي يستعصى معالجتها بالطرق المعتادة، فتكون السخرية أقوى سلاح يوجه إلى الخارجين على نظام المجتمع، و على تقاليده، و حين تستعمل الصحافة "السخرية" فذلك من باب، أنها تمس نفوس المتلقين مساسا مباشرا، و تلامس انفعالاتهم، و هي بذلك تأتيهم من أقرب الطرق التي تؤثر في نفوسهم حتى يرجعوا إلى صوابهم، و يتوبوا إلى طريقهم، كما أنها تتجه بالناس إلى المثل العليا و سمو الأخلاقي، و تبتعد عما يحط من شأن و قيمة الإنسان، فلا تعيب المظهر أو السلوك العادي، و تبتعد عن السخرية من ذوي الشذوذ الجسماني كالأقزام و العميان و المقعدين و حذب الظهور و مشوهي الخلق، و عن السخرية من مصائب الغير و لو كانت هذه المصائب بسبب غفلتهم، أو بسبب تسلط شهوة جامعة أو رغبة ملحة، و اختفاء هذا النوع من السخرية سيكون دليلاً على تطور الذوق العام، و على أن الاعتبارات الانسانية قد أصبح لها مكان في صدر الانسان المسلم..

ثم أن السخرية إذا أخذت شكل السخرية من الشذوذ الخلقى، فإن نتائجها سوف تكون عكسية، فبدلاً من الإصلاح و التقويم، فإنها سوف تحطم أفراد المجتمع، و تخلق طبقة مقيتة فيه، تفرق بين الناس في أمور ليس مما تملكه أيديهم و لا يخضع لإرادتهم، و هذه سخرية لا تدعو إلى مثل و لا تجارب رذيلة.

و ليس من الضروري أن تكون محور السخرية بتقليد جليل الشأن أو بواجب يحاول المجتمع المحافظة عليه، فتستخدم الصحافة "السخرية" للحط من قيمته، و هي تعتقد أنه تقليد سخي، و من الخير القضاء عليه و انكاره، كأن تسخر ممن يجهل بزى شائع مع مجافاته للذوق و الآخلاق و الشرع لتستثير الضحك منه، في الوقت الذي كان واجب عليها محاربتة، أو أن تسخر من اللحية، و الحجاب، و غيرها من المظاهر الاسلامية.(1)

و مجالات الإصلاح و التقويم كثيرة، يمكن للصحافة الساخرة أن تجول فيها دون الوقوع في التجاوزات الشرعية أو الأخلاقية، فإذا كانت الصحافة الساخرة قديما، تتخذ من البخل، و السفة، و خيانة الأزواج و الغفلة و الجهل و غيرها محاور لها للإصلاح و الردع، فإنها يمكنها اليوم أن تجد لها مجالات عديدة تسلط نحوها سخريتها، كالمخدرات، و تقليد الشباب للغرب في كل مظاهره، و الاستهزاء بالقيم الإسلامية (كالعمل، و الشرف)، و الإهمال، و البيروقراطية و غيرها من الأمراض العصرية التي يعاني منها المجتمع المسلم، و ليس من الضروري أن يكون هدف هذه السخرية شخصا معينا لأن العبرة هي الإصلاح و ليس النيل من الأشخاص.

و للصحافي المسلم أن يحدد هدفا معينا من سخريته، و يسمو بذلك الهدف، خاصة حين يقتدي بالقرآن الكريم في أسلوبه هذا، و سيدد أمثلة كثيرة عن سمو سخرية القرآن الكريم، و كيف تهدف إلى الإصلاح، و من ذلك طريقة معالجة القرآن لظاهرة التكبر، حيث يقول المولى -عز وجل- ﴿وَلَا تُكْبِرْ خَطَاكَ لِلنَّاسِ. وَا لَا تَمْضِي مَعِيَ الْأَرْضِ مَرْحًا. إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ حُلَّ مَقْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (1) فإنه مع بلوغ هذه السخرية أقصى الإهانة للمعني بها، و التفسير من وضعه، غير أنها لا تهدف إلى هدم الشخص، و إنما تدعو إلى تحاشي خلق ذميم يمس حياة الناس الاجتماعية، و هو تعالي بعض الناس على بعض، و تنفر من هذا الخلق، بأن تصوره للناس حتى يتمثلوا كل من يروونه في هذا المنظر، و يأبوا على أنفسهم أن يكونوا محله، و عموما إذا كانت السخرية تعبير عن موقف أخلاقي للكتاب فإنها تتمكن من الوصول إلى هدفها دون عائق. (2)

2 - أن تبعد السخرية عن الألفاظ النابية، و لا تعتمد على المهاجة بالمدلول اللفظي، و لها أن تلجأ إلى التصوير الموضوعي، أو غيرها من الأساليب المقبولة، و غير الجارحة، فالإقذاع و الكلام البذي في عموه ينافي سلامة الحس و الذوق، ثم أن الفحش و الإقذاع لا يحاطان من شأن المهاجم بقدر ما يحاطان من شأن الفاعل، لأنه بفعله ذلك يتجاوز حدود الأدب و الأخلاق و الشرع أيضا، في الإسلام نهى المسلم أن يكون فحاشا أو لعانا، لأن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- لم يكن كذلك.

و السخرية في الصحافة، تكون أحيانا، مقياسا لشخصية الشعب، و لمزاج الجماهير بصفة خاصة، و للذوق العام في كل عصر من العصور، و من هنا وجب على الصحافي المسلم أن يترفع عن تناول موضوعاته، بالألفاظ نابية أو سوقية بذيئة، لأن الإسلام يأمره بذلك، و إذا نظر في القرآن الكريم فإنه يجدر خير مثال على التسامي و البعد عن الألفاظ الجارحة، فالسخرية في القرآن الكريم مع بلوغها مبلغا هاما في النيل من المنحرف، إلا أنها تقدم نماذج سامية رفيعة للتحقير و التهكم الموضوعي، الذي لا يجعل كل هدفه التدمير، و إنما يجعل غايته و وسيلته معا : التوجيه، و التفسير الشديد من موضوع السخرية، و الإشارة تعريضا أو تصريحاً إلى الطريق السليم الذي يستبدل بموضوع السخرية، و على

(2) سورة: لقمان، الآية: 18.

(1) عبد الخليل حفي، مرجع سابق، ص: 383.

الرغم من وجود بعض الألفاظ القاسية و الشديدة في القرآن الكريم مثل كلمة "زئيم" فإنها تستعمل للطعن المجرد و لم يهتم بالمعنى لذاته، و إنما يكون الاهتمام به لكونه عقبة في طريق نشر الاسلام مثلا، و القرآن حين يسوق هذه الصفة -و بهذا اللفظ- فإنه لا يهدف إلى الهجاء أو السب، و إنما يهدف إلى بيان الحقيقة المخفاة (1) كما أن سخرية القرآن حينما تهاجم فردا أو طائفة فإنها لا تحمل طابع العداوة أو الحقد لذاتها، و إنما تهدف إلى شيء واحد حينئذ، و هو إزالة هذه العقبة التي تعترض نشر الإسلام أو بلوغه إلى كل أذن و قلب، فحينما يسخر القرآن الكريم من القادة و الزعماء مستعملا بعض الألفاظ القاسية، فإنما يهدف إلى تحطيم هائلتهم الكاذبة في نفوس الاتباع.

و قد يقول - قائل و مما سبق ذكره -، أن بعض علماء الاسلام أجازوا استعمال بعض الألفاظ و هي قاسية، فكيف يتورع الصحافي عن السخرية بالمدلول اللفظي، و هو يجد ما يبيح له ذلك، و هنا نقول أن التسامي لا تقصد به مجرد الرفق و الرحمة، لأن السخرية بطبيعتها مظهر عدائي، فليس معنى تسامي السخرية أن تكون هادئة أو وديعة، و إنما معناه أنها تتجنب نبو الألفاظ، و قبح المعنى، فنجد سخرية القرآن الكريم مثلا تتجافى عما تنفر منه النفوس، في مثل ردها على الذين يعتقدون ألوهية المسيح، فتتفي عن المسيح أي صفة غير أنه رسول من قبل ربه كسائر الرسل، و أمه مجرد امرأة صالحة صديقة، فلا علاقة لهما بالألوهية، و الدليل على أنهما بشر، أنهما يجري عليهما و يصدر منها سائر ما يصدر من البشر كالبول و الغائط و سائر السلوك و الغرائز البشرية التي يكنى عنها، و لا تصرح سخرية القرآن بشيء من ذلك ترفعا و تساميا عن النزول إلى مستوى منحط، و حملا للبشر على أن يتأسوا بها فتخفي سخرية القرآن ذلك كله و ترمز له بشيء واحد هو (كانا يأكلان الطعام) مع العلم أن أكل الطعام يتبعه أشياء كثيرة، يتسامى القرآن الكريم عن ذكرها، و يكتفي بمجرد الإشارة إليها. (2)

و الصحافي المسلم يستطيع بأسلوبه الساخر، أن يتجه نحو الفساد و المفسدين و يدمرهم تدميرا لا يبقى بعده و لا يذر، و يحطم هدفه تحطيمًا لا يقوى بعده على النهوض، و لكن ذلك كله يتحقق بالأسلوب المهذب، و التعبير الكريم، و اللفظ النقي النظيف، و النجاح يكمن في قوة النسيج و دقته، و الإحكام في التوجيه نحو الهدف المنشود في إصابته، مع مراعاة الاعتبارات الأخرى التي هي موضوع الحديث، ففوة السخرية حينئذ تكون موضوعية و ليست شكلية، كالهجاء الذي يعتمد سطحي الألفاظ و ساقطها.

3 - يجب أن تعتمد الصحافة الساخرة على الصدق في التصوير مع مراعاة الواقع، ذلك أن المبالغة في السخرية تبعد الأمر عن التصور، مما يفقدها قوة وقعها و تأثيرها، بينما نجد أن الصدق في

(1) عبد الخليم حفي، مرجع سابق، ص-ص : 385 - 386.

(2) الممرحج نفسه ، ص: 127.

التصوير، من أهم ما يؤثر في الغير و يجعله يعيش مع الصورة، بمشاعره و انفعاله، لأنه بمجرد الاطلاع على تلك الصورة و ذلك التعبير، يمكنه أن يتمثل ذلك في شيء واقعي و حقيقي.

و في القرآن الكريم صور كثيرة للوصف الساخر الموضوعي الواقعي و الصادق في أن واحد، و من ذلك صورة المنافقين و هم مرعوبون، يحسبون كل صيحة عليهم، حيث يصفهم الله -عز وجل- بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْيِبُكَ أَجْسَامُهُمْ، وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ، حُنَانُهُمْ خُضْبٌ مُسْنَدَةٌ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ، مِمَّ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ، فَإِن تَلَّمَهُ اللَّهُ، إِنِّي بِؤَمِّكُمْ ﴿1﴾، فالتعبير القرآني في هذا الموضع، جمع كل مقومات الصدق و الاثارة معا، أما الصدق فلأنه ذكر مصدرا حقيقيا يبنى عليه الوهم و هي الصيحة فإنها بما فيها من ازعاج و مفاجأة مصدر خوف، و هي و إن كانت لا تفرغ كل الناس، فيكفي أنها مصدر مألوف للازعاج، بل إن كونها مصدرا مألوقا للازعاج، و لكنها لا تصل إلى مجرد الفزع، هذا من جوانب السخرية التي يحملها التعبير للمنافقين، و إذن فالقرآن جعل أساسا معقولا و مألوقا يبنى عليه الوهم، و لم يجعله مطلقا و لا منغيا تماما و مما زاد الصورة واقعية، علم القرآن بالتكوين النفسي للمنافقين، فمصدر خوف المنافقين ليس الجبن العادي، و إنما هو استشعار الريبة، و الاحساس بأنهم يخفون جريمة في قلوبهم و هي النفاق فالجانب الأول في تعبير القرآن الكريم، مستوفي غاية الوفاء، و هو إقامة سبب معقول يبنى عليه الوهم في نفس المتهم، و الجانب الثاني أيضا، إذ أنه ترك المجال للخيال أن يتصور الأمر، فلم يفصله و لم يحدده، فقط جعله ممكن التخيل. (2)

و للصحافي المسلم أن يقتدي بأسلوب السخرية في القرآن الكريم و ينضبط به، فلا يضطر إلى الكذب و المبالغة و هو يعلم أن الصدق و الواقعية، أكثر أثرا في نفوس الجمهور، خاصة إذا أضيف إلى هذين العنصرين، عنصر المعرفة بنفسية موضوع السخرية، و هدفها، لأن ذلك يساعد على رسم صورة في غاية السخرية، و تبلغ مقصدها مع كثير من التأثير.

و بعد هذا العرض الخاص بالضوابط الشرعية للصحافة الساخرة، يمكن أن نخلص إلى أن الصحافة الساخرة في المجتمع المسلم، لها ما يميزها، إن هي بنت مقاييسها و معاييرها على أساس المنطلقات الرئيسية و الأطر الفكرية و الاجتماعية و الانسانية المنبثقة من روح الإسلام و تصوراته الكلية و قيمة السامية، و على أساس الضوابط الشرعية التي ينبغي أن تسيّر كل وسائل الإعلام على هدي منها، و تلتزم بها في نشاطاتها المختلفة و ممارساتها الواقعية.

و يبقى أخيرا أن نسجل بعض الملاحظات في هذا الموضوع، و هي ملاحظات نظرية تساعد الصحافي المسلم على استكمال الصورة، التي ينبغي أن يكون عليها، و تساعد أيضا على الأخذ و الالتزام بالضوابط التي تمنعه من الوقوع في التجاوزات خاصة ذلك الصحفي الذي يكتب بأسلوب ساخر، هذه الملاحظات تتعلق بالقيم الأخلاقية من حيث الثبات و التغيير.

(1) سورة: المنافقون، الآية: 04.

(2) عبد اخليم حمي، مرجع سابق، ص-ص: 388-389.

« فمما لا شك فيه، أن الناس يختلفون اختلافا جوهريا في كل ما يتعلق بالقيم الأخلاقية، كالخير و الشر و العدل و الاخاء... إلخ. و ذلك تبعاً لوضعهم الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و حالاتهم النفسية المتقلبة إزاء الأحداث اليومية.

فالإنسان الذي ينشر أفكاراً حرة في النظام الشيوعي كحرية العقيدة الدينية، و الملكية، و حرية الصحافة و الأحزاب يعد في نظر هذا النظام خائناً و رجعيًا، أما بالمقابل -أي في النظام الرأسمالي- فيعد هذا الإنسان ثورياً و وطنياً... إلخ، و هكذا يلاحظ أن القيم الخلقية لا تستقر على قاعدة ثابتة و لا سيما قيمة العدالة التي تختلف على حسب الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، فالعدالة الشيوعية يختلف مفهومها كل الاختلاف عن العدالة الرأسمالية التي تنطلق أساساً من حرية الشخص التي تناقض رأي الشيوعية، ثم أن هذا الشخص نفسه قد يختلف لديه المعيار الخلقى على حسب حالته النفسية و الاجتماعية، فقد يستهجن اليوم فعلاً كان بالأمس يستحسنه، تبعاً للتغيرات التي أثرت في سلوكه و مصالحه المادية، من هذا يتأكد لنا أن الفكر البشري إلى حد الساعة لم يستقر على الحقيقة الأخلاقية المطلقة» (1) و لهذا تشعبت المذاهب و التقسيمات في هذا المجال و قد سبقت الإشارة إلى ذلك في أول هذا المبحث.

غير أن الإسلام له مقولاته المطلقة، و في هذا الشأن يقول أنور الجندي: «و الإسلام لا يقر نسبية الأخلاق أو زمانيتها أو ارتباطها بالبيئات أو العصور، فالأخلاق قيم ثابتة مرتبطة بالإنسان من حيث هو إنسان لا يخضع للتعبير، إنما تتغير العادات و التقاليد المحدثه.

و في مفهوم الإسلام أن هناك قيماً ثابتة لا سبيل إلى تغييرها في العقائد و الأخلاق، و إن هناك قيماً تتغير و تتطور مع الأزمان و الأحداث.

أما القيم الأصلية الثابتة، فإن أي تطور حضاري أو تغيير في نظام المجتمع، لا يقضى عليها، و لا يترخص لتأويلها.. و ليست قيم الإسلامية قيم عصور مضت، أو بيئات بدوية، كما ترددها الشبهات و إنما نزل القرآن للعالمين جميعاً و للأزمنة و العصور على نحو سمح مرناً يضع الأصول و الضوابط، و يفسح الإطار الواسع للتحرك و التغيير، فلا توصف قيمة بأنها قديمة أو بدوية، أو خاصة بأمة أو بعصر» (2)

و من حق انصحافي المسلم أن يقول أن هذه التوجيهات كلها نظرية، و أن الدول التي يعيش فيها لا تطبق الحكم الإسلامي، و حتى ما تحتويه تشريعات هذه الدول في هذا المجال - مما يسمح للصحافي بالالتزام بالأخلاق العامة للمجتمع و تكريسها- لا يكاد يتعدى الأوراق الرسمية و لا يشمل الممارسات

(1) بكير بن سعيد أعوش، مرجع سابق، ص: 31 - 32.

(2) أنور الجندي، شبهات التقريب في غزو الفكر الإسلامي، (بيروت: المكتب الإسلامي)، ص: 352 (دون طبعة، دون سنة).

إلا نادرا، فجميع الدساتير العربية الدائمة منها و المؤقتة، تنص مثلا على حرية الصحافة و الحريات المرتبطة بها، مثل حريات الرأي و التعبير و الطباعة و النشر، و تربطها في كل الأحوال بقيود قانونية في صياغات مختلفة مثل : "في حدود القانون"، أو "بمقتضى القانون" أو "حسبما يضبطها القانون" أو "وفقا للشروط و الأوضاع التي بينها القانون" أو "بشرط ألا يتجاوز حدود القانون".(1) و غيرها من العبارات التي تحد رجل الإعلام، و قد تحتوي أيضا على عبارات غير مضبوطة و أحيانا تكون غامضة و مبهمّة إذ عادة ما توضع خارج السياق الاجتماعي كمفاهيم : الموضوعية، و الحياد، و الصدق، و حرية الاعلام، و الاستقلالية، و الخدمة العمومية، و غيرها من المفاهيم التي يمكن تمطيطها عند الحاجة و تفسيرها حسب الوضع.(2)

ثم أن الفكر العربي في عمومه لم يتميز بشيء ما في معالجة الأمور المتعلقة بالحرية و المسؤولية في جوانبها المتعددة، و جل ما حواه هو تكرار للأفكار و المعالجات الشائعة في الادبيات الغربية أو الوثائق الدولية التي تناولت الموضوع، و التي في مجملها تبتعد عن الاعتبارات الظرفية و المزاجات الشخصية، و خصوصيات المجتمعات، التي تطبع الأعمال التشريعية و التي يفترض فيها أن تشمل جانبا تجريديا و آخر يشمل أو يصبغ بخصوصيات المجتمع الذي وضعت من أجله.

وفي الجزائر يطرح هذا الإشكال بالحاح، ففي عشرية واحدة (من 1982 - 1992) شهدت الساحة الإعلامية في جانبها التشريعي، ثمانية مشاريع - و أخرى في الطريق - صدر منها اثنان في شكل قانون ملزم، و التجربة الجزائرية كغيرها من دول العالم الثالث، و الدول العربية، ابتعدت أيضا عن الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات الصحافي الجزائري العربي، بله المسلم.

و لا يخفى أن وسائل الإعلام الجماهيرية في الجزائر، أصبحت في المرحلة الإنتقالية التي انطلقت منذ دستور 2 فيفري 1989 من الاحادية إلى التعددية في التصور و المنهج و العمل و الاهداف، أصبحت مسرحا لسلوكات و أفكار و تصورات متباينة و متناقضة أحيانا، أدت إلى خلافات حادة ناجمة عن غياب نظام اجتماعي واضح المعالم يركز على مقومات و قيم واضحة و ملزمة في حد ذاتها، و هذا على الرغم من وجود ضوابط حددها الدستور، و من أسباب هذا الجدل الإعلامي الطابع، الشمولي "لقانون الاعلام الجزائري"، الذي لا يفصل بين قواعد المهنة، و قوانين الطباعة و النشر (المحتوى) و قوانين الاعلام و الاتصال، علما بأن أهم ما يميز التشريع الحديث في هذا المجال، هو الفصل بين هذه القضايا، و هذا حتى تتحدد المسؤولية و يرفع الظلم الذي قد يقع أحيانا ضد الصحافيين أو الصحف.(3)

(1) راجع في ذلك: أخلاقيات العمل الإعلامي: حصن عماد مكاوي، ص:ص: 87 - 88 - 89.

(2) راجع في ذلك: أصوات متعددة و عام واحد، لشون ماكرايدر آخرون، (الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1981)، ص: 504.

(3) علي مسابيه، مرجع سابق، ص: 21.

الفصل الخامس

الدراسة التطبيقية

المبحث الأول : مجتمع الدراسة.

- 1 - تمهيد : البحث في مجال وسائل الإعلام.
- 2 - الدراسات السابقة.
- 3 - العينة .
- 4 - منهج الدراسة.
- 5 - تصميم كشف الدراسة.
- أ - فئات التصنيف.
- ب - وحدات التحليل.
- ج - العد و القياس.

المبحث الثاني : عرض البيانات و تحليلها.

- 1 - الأشكال الصحفية المتواجدة في "الصح - أفة".
- 2 - عرض و تحليل البيانات الخاصة بمبادئ و أخلاقيات الصحافة و مدى التزام "الصح - أفة" بها.
- مبادئ و أخلاقيات المهنة في المقال الافتتاحي.
- مبادئ و أخلاقيات المهنة في الكاريكاتور.
- مبادئ و أخلاقيات المهنة في المقال التحليلي.
- مبادئ و أخلاقيات المهنة في العمود.
- مبادئ و أخلاقيات المهنة في الخبر.
- مبادئ و أخلاقيات المهنة في التحقيق.

المبحث الأول : مجتمع الدراسة.

1- تمهيد : البحث في مجال وسائل الاتصال الجماهيري .

يزداد الاهتمام بالبحث في ميدان الإتصال الجماهيري و وسائل الاعلام بطريقة ملحوظة، و في المقام الأول يزداد هذا الاهتمام ببحث ظاهرة الإتصال الجماهيري، و انتقادها، و بيان جميع جوانبها و طريقة تأثيرها و تأثيرها بالبيئة التي تعمل فيها، و يعلق اليوم مزيد من الاهتمام على البحوث التي تتناول دور وسائل الإعلام و أهدافها و أشكالها و كافة المشكلات التي تثيرها في التنمية الشاملة للمجتمع المعاصر، و لعل الميدان الذي أثار اهتماما أكثر قديما و حاضرا، هو وسائل الإعلام بين الحرية و المسؤولية، أو وسائل الاعلام حقوق و واجبات، و نحاول في هذه الدراسة التطبيقية أن نلمس أحد جوانب هذا الموضوع، و قبل ذلك نحاول أن نرصد أهم المراحل التي مر بها البحث العلمي في مجال الإتصال الجماهيري.

لقد مر تطور بحوث الإتصال الجماهيري بعدة مراحل، و كانت البداية عبارة عن دراسات و بحوث في النقد الأدبي، و أخرى عن الدعاية و بعض الاستقصاءات التي أجرتها وسائل الاعلام لتبين تأثيرها على الجمهور و ادواقه، و كان طابع هذه الدراسات أنها مشروعات منفصلة تركز على مشكلات محددة، و تتميز بالواقعية و البساطة و التركيز على ظاهرة الإتصال الجماهيري و كفاءة هذا النمط من أنماط الإتصال. (1)

و إلى غاية الثلاثينات، بقيت بحوث الإتصال الجماهيري، قليلة و بعيدة عن الطابع الأكاديمي، ثم أخذ الباحثون يستخدمون عدد كبير من النماذج النظرية و العلمية سعيا إلى إيجاد طرق لتطوير الاعلان، و تنظيم حملات الانتخابات و استفتاء الرأي العام، و دعم أنشطة العلاقات العامة و زيادة توزيع الصحف، و كان الغرض الاساسي من هذه الدراسات هو توضيح العوامل التي تحفز الافراد باعتبارهم مستهلكين للمعلومات و الرسائل، و تحديد السمات العامة للقراء و المستمعين و المشاهدين، و فرضت الاعتبارات التجارية أو الانتخابية أو المتعلقة بوسائل الإعلام نفسها على هذا النوع من البحوث. (2)

و على الرغم من هذا الطابع الذي ميز البحوث في مجال الإتصال الجماهيري، فقد حدث توسع كبير في عدد البحوث، و أصبح الفرع حقلًا أكاديميًا معترفًا به، و بدأ هذا التحول خاصة، بعد الحرب العالمية الثانية، و لم يكن التحول في هذا الباب على المستوى الكمي فقط، بل شهد الميدان تحولات نوعية في مواطن التأكيد على نقاط بحث معينة، فبينما كان التأكيد في منتصف هذا القرن نصيب على العامل النفساني و يعكس المصالح العلمية، أصبح البحث في مجال الإتصال الجماهيري متعدد الجوانب

(1) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 465.

(2) المرجع نفسه، ص : 466.

و الخواص، و يحوي من المواد الاجتماعية و تحليلاتها ما هو ملموس جدا و ذو روحية علمية أكاديمية دون الروحية السوقية أو الدعائية. (1)

و قد حدث هذا التطور في عدة اتجاهات أهمها :

* دراسات عن تقبل الابتكارات خاصة في ميدان الزراعة، مما يوضح الطريق إلى أنماط جديدة لتوزيع المعلومات.

* بحوث أجراها علماء علم النفس السلوكي، و يسرت دعم نظريات للتعلم أصبحت هامة في استخدام وسائل الإعلام في أغراض التعليم.

* المعالجة العلمية لعملية الاتصال الجماهيري، و التي تم فيها الاستعانة بالوسائل الفنية للمختبرات، والأساليب الإحصائية المتقدمة، و عمليات المسح الاجتماعي المتقدمة أيضا. (2)

و تبعا لهذا التطور، انتقلت بؤرة التركيز من دراسة كفاءة وسائل الاعلام، إلى اجراء دراسات عن آثارها الفعلية، و وضع تصميمات أولية لنظم اتصال جديدة يمكن إدخالها في أنماط مختلفة من المجتمعات، و شكل بذلك موضوع أثر وسائل الاتصال الجماهيري، اهتماما خاصا لأوائل الأكاديميين و الباحثين في هذا الحقل، الذين كانوا متأثرين بنظرية "المجتمع الجماهيري" و يقيمون افتراضاتهم عليها، و التي كانت تركز أساسا على الاعتقاد بأن لوسائل الاعلام تأثيرا قويا على اتجاهات و آراء و سلوك الجماهير، و الأفراد الذين كانوا ينظر إليهم على أنهم مهياون دائما لاستقبال الرسائل الإعلامية، و بناء على ذلك، فقد نظر أصحاب هذا الاتجاه إلى وسائل الاتصال بصفتها فادرة على كل شيء، و متمكنة من ممارسة قوة كلية مطلقة في الاقناع لا حدود لها و لا قيود عليها.

و في هذه المرحلة من مراحل تطور البحث في مجال الاتصال الجماهيري، بدأ يظهر نوع من الوعي يوحى بأن البحوث في البلدان النامية كانت تأخذ بنماذج لم تكن تتفق بأية حال، مع واقع هذه البلدان و احتياجاتها، حيث كانت تستخدم النماذج النظرية و العملية المستوردة في هذه البلدان في برامج البحوث التي كانت تجرى عن تنمية الإعلام و بنى الاتصال، و قد استلهمت هذه الدراسات مناهجها و معلوماتها من دراسات أجراها إما اخصائيون وفدوا من الخارج، أو مواطنون تدرّبوا في الخارج و طبقوا على مشكلات الاتصال في بلادهم نهوجا ايديولوجية و ثقافية لا تتفق بالضرورة مع اهتمامات العالم النامي، و إذا كانت هذه الملاحظة لا بد من الإشارة إليها عند الحديث عن الدول النامية، فإن الإشارة إليها تؤكد عند الحديث عن العالم الاسلامي، لأنه و فضلا عن الواقع المغاير، فإن فلسفته في الاعلام و الاتصال بصفة عامة تختلف في جوهرها مع النظريات و الفلسفات التي طبعت بحوث الاتصال الجماهيري في أطوارها جميعا.

(1) حلمي عسّر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية : دراسة اجتماعية للثبات و التغير في مجمل الصورة، ط : 1 (بيروت : مركز

الدراسات الوحدة العربية، 1988)، ص: 173.

(2) شون ماكرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 467.

و بعد هذه المرحلة، جاءت مرحلة أخرى جرى فيها تحدٍ للاعتقاد القائل بالقوة الأسطورية لوسائل الاتصال الجماهيري، أكد فيها الباحثون الجدد ضرورة إعادة تقويم هذا الاعتقاد، و ذلك على أساس البراهين العلمية الجديدة، و انتهوا إلى أن قوة وسائل الاتصال الجماهيري، ليست قوة مطلقة، و إنما هي قوة "محددة الأثر" على من توجه إليهم، و اثبتت دراسات هؤلاء أن عملية الاتصال الجماهيري، هي في الواقع "عملية" تخضع لمؤثرات عديدة قد تكون خارجة عن عملية الاتصال نفسها، هذا من جهة، و من جهة أخرى، فقد ثبت أن الأفراد لا يستهلكون أو يعرضون أنفسهم لوسائل الاتصال بسهولة أو بشكل عشوائي، و من هنا ظهرت مفاهيم جديدة تعرف باسم "العوامل الوسيطة" و "التعرض الانتقائي"، و "الادراك الانتقائي"، هذه المفاهيم التي أتاحت الفرصة للميكانيزمات النفسية، و العوامل الوسيطة لتقوم بدورها، و لتحمي الفرد و تصون معتقداته من التأثير الفوري لوسائل الاتصال الجماهيري. (1)

و عززت دراسات هذه المرحلة، بتصور جديد، لخصته الدراسات الخاصة بالاستعمالات و اشباع الرغبات، و تحاول مثل هذه البحوث أن تكتشف الدوافع الخاصة التي تؤدي بالأفراد إلى استعمال وسائل الاتصال الجماهيري، و هي نظرة تصور الجمهور كأفراد فاعلين، مدفوعين ذاتياً. و لم ينج هذا الاتجاه في بحوث الاتصال الجماهيري من النقد، حيث اعتبر مدخلا يقتصر على تعامل وسائل الاتصال الجماهيري مع أفراد الجمهور بشكل ضيق تجريدي، و انه لا يأخذ بعين الاعتبار طبيعة و شكل البناء الاجتماعي الذي تعمل فيه المؤسسات الإعلامية، و يعكس هذا النقد توجهها و مرحلة جديدة في تطور بحوث الاتصال الجماهيري، و يمثل تحولاً رئيسياً في الاهتمامات بدراسة حقل مهمل نسبياً، ألا و هو مؤسسات الإتصال، و كانت أهم دوافع هذا التحول : حدوث تطورات خارج المجال الضيق لبحوث وسائل الاتصال الجماهيري، و تطورات في البحوث الاجتماعية على نطاق واسع، إلى جانب النفوذ المتزايد للتنظيم الماركسي، و الاهتمام المتزايد بدراسة، دور وسائل الاتصال الجماهيري في السياسة.

و يتجه تطور بحوث الاتصال الجماهيري في مرحلته الأخيرة، إلى توثيق الروابط بين الاتصال و بين القضايا السياسية أو الجوانب العامة للسياسة الاجتماعية، و بدأت هذه البحوث تهتم بتأثير الشعب الدولي لمشكلات الاتصال، و التطور التكنولوجي في وسائل الاتصال، كما بدأت تتطرق إلى التقييم و النقد الموضوعي للاستراتيجيات و الأولويات و المثبتى، و أوجه الاختلال التي تتضح في شبكات الاتصال القائمة حول العالم، و يرجع هذا التطور الأخير إلى إعادة تقييم مشكلات الاتصال، و إلى الاستنتاجات التي توصل إليها الباحثون عن قضايا الاتصال على إثر دراستهم للمشكلات العامة القائمة في مجتمعات و اقتصادات متباينة. (2)

(1) حلمي حضر ساري، مرجع سابق، ص: 175.

(2) شون ماكبرايد و آخرون، مرجع سابق، ص: 468.

و مع هذا التطور، فإن هناك قصورا ملحوظا في هذا الميدان، و تتمثل أولى أوجه هذا القصور أن بحوث الاتصال الجماهيري لم تجر على نطاق واسع إلا في عدد قليل من البلدان الصناعية، و أن البلدان النامية تعتمد على عدد قليل من المصادر، و على نهوج بحثية محددة تستمد منها نتائج قد تكون و قد لا تكون قابلة للتطبيق على مشكلاتها الخاصة في هذا المجال، كما أن الطاقات البحثية في هذه البلدان محدودة، و هي تنفق إلى عدد كاف من الباحثين المتفرغين، و إلى الإمكانيات اللازمة لإعداد هذه الطاقات، و حتى العدد القليل من الباحثين الموجودين تم تدريبهم في الخارج، و قد أخذت هذه البلدان تستدرك الوضع، و بدأ ظهور عدد من الباحثين المكونين داخل بلدانهم لكن القصور مازال يعاني منه المجال، و لا تزال البحوث في هذه البلدان تفتقد إلى مواقف نقدية من مناهج و أولويات البحوث الموجودة في غير بلادهم.

كما نسجل أيضا أن هذا الاختلال لا يوجد فيما بين البلدان فحسب، و إنما يوجد أيضا بين مختلف المجالات التي تشملها البحوث، و أهم الحقول المهملة في البحوث التقليدية لوسائل الاتصال الجماهيري، و التي بدأ يتبته إليها الباحثون الجدد، مسألة البدائل السياسية و المؤسسية و البنوية و التكنولوجية لنماذج الملكية، و القضايا المتعلقة بأثر ذوي السلطان على الإعلام، و اقتصاديات نظم الاتصال البديلة.

و قد لاحظت الهيئات* الدولية في هذا المجال، هذا الاختلال و هذا القصور، فعمدت إلى عقد المؤتمرات، و إجراء الدراسات، و خلصت إلى توصيات مهمة، كان جدير بالباحثين في هذا الميدان - خاصة في العالم الثالث و العالم الإسلامي - الأخذ بها و الاهتمام بها، و أهم هذه التوصيات، أن يكون هناك توافق بين اتجاهات البحث و احتياجات الدولة التي ينتمي إليها من جهة، و مراعاة إحتياجات العصر من جهة أخرى، و وجب على الباحث المسلم خصوصا السعي إلى تطبيق معايير نقدية مستقلة و استكشاف امكانيات أشكال جديدة، و بنى جديدة، بدلا من معالجة قضايا صغيرة و هامشية لا تدخل فيها اعتبارات القيم، و يجب أن يضع في اعتباره أن تحويل أو تطويع بني الاتصال و مؤسساته و أشكال تنظيمه ليس غاية في حد ذاته، بل قد يتضح أيضا أنها غير قابلة للإصلاح أو التعديل، و من هنا وجب الإقدام على بحث هذه القضايا بذهن متفتح وجرىء إلى أقصى حد، لأنه ليس ضروري أن تتوافق هذه البنى مع المجتمعات الإسلامية، و هذا يعني تحديد مرجعية واضحة للباحث المسلم، و تنبيهه إلى ضرورة تأصيل البحوث في هذا المجال.

و مجالات البحث في الاعلام الاسلامي، خصبة و تنتظر فقط بذل الجهود و الاهتمام من طرف الباحثين، و هذا من أجل تحقيق رصيد كاف من الدراسات الاكاديمية العلمية و الموضوعية، تكون بمثابة مرجعية لمن يريد تأصيل مسألة معينة أو التأكد من صحة توافق مسألة ما مع المجتمعات

(*) مثل اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال، التابعة لليونسكو.

الإسلامية، و تتوزع مجالات البحث في هذا الميدان على ثلاث مستويات كبرى، يتمثل المستوى الأول في الإعلام الإسلامي في الفكر، و هو يتجه أساسا إلى الأصول : القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، و الاجتهاد الذي يضم أيضا بعض المشاركات من طرف علماء الإسلام، و هو مجال رغم وجود بعض الدراسات الذي تناولته إلا أنه يعاني في بعض مراحل من فراغ* مطلوب منا أن نملأه.. أما المستوى الثاني من مجالات البحث في الإعلام الإسلامي، فيتمثل في الإعلام الإسلامي كعلم، و هو ذلك المستوى الذي يقوم بتوضيح المعالم الفكرية و يستتبط ما تقوم به الدراسات الميدانية و يسقطها عليها، و هو مجال يشهد بعض المحاولات و التي بدورها لم تبلغ كما يكون اتجاهها قائما بذاته و معترف به دوليا، و يتجه المستوى الثالث إلى الإعلام الإسلامي كمارسة، و ذلك من خلال دراسة التجارب التاريخية الإعلامية في المجتمع الإسلامي، في التاريخ و في الوقت المعاصر، و هو مجال فيه محاولات لآبأس بها. (1)

و عموما فإن البحث في مجال الاتصال الجماهيري في المجتمع الإسلامي يعاني من عدة مشاكل، أهمها أن المعاهد الإعلامية الإسلامية تفتقد إلى الوسيلة و المنهجية و لا تعوزها المواضيع الجادة، و المعاهد الإعلامية العامة تمتلك الوسيلة -المنهجية- و تفتقد الموضوعات المتعلقة خاصة بالمجالات التي ذكرنا سابقا، و يأتي هذا البحث الذي أقدمه، ضمن المحاولات التي تأخذ بعين الاعتبار التوصيات التي تحدثنا عنها، و إن كان ضعف التكوين في مجال المنهجية يعد عائقا كبيرا في وجه هدف أكبر، و لآبأس من جعل هذا البحث بمثابة تحسيس للباحثين، ببعض المجالات التي تحتاج إلى اقتحام و اجراء دراسات جادة فيها.

2 - الدراسات السابقة :

إن من أكبر الصعوبات التي لاقيتها في بحثي هذا، قلة الدراسات السابقة في هذا الموضوع، "الصحافة الساخرة في الجزائر"، و قد تنقلت خصيصا إلى "معهد الاعلام و الاتصال" بالجزائر العاصمة، و اجتهدت كثيرا في فحص فهرس الدراسات المقدمة إلى غاية آخر عام 1996، سواء كانت أطروحات دكتوراه، أو رسائل ماجستير، أو مذكرات ليسانس و لم أعثر على دراسات مقدمة في القسمين الأولين، و كانت الدراسات القليلة جدا التي عثرت عليها عبارة عن مذكرات ليسانس، اجتهد أصحابها في دراسة بعض جوانب هذا الموضوع، و إن كانت المذكرات لا تعتبر دراسات سابقة لرسائل الماجستير، فإنني أسوقها لأهميتها.

• و كانت من أولى هذه الدراسات : مذكرة ليسانس، قدمت في دورة جوان 1992 - أي قبل توقف صحيفة "الصح - آفة" عن الصدور - التي كانت أحد النماذج المدروسة إلى جانب صحيفة "المنشار EL MANCHAR" المحررة بالفرنسية، عنوان هذا البحث هو : " تجربة الصحافة الساخرة في

(*) هناك فراغ في البحث في مرحلة الخلفاء الراشدين، و في المرحلة الأموية العباسية.. مثلا.

(1) عبد الرحمن عري. محاضرات ألقيت على طلبة ماجستير بقسم الدعوة و الإعلام بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، بقسنطينة الجزائر. عام 1990.

الجزائر و جمهورها من الموظفين" و قد قام باعدادها الطالبان : نبيلة لماني، و فائزة عبدون، بمعهد الاعلام و الاتصال بالجزائر العاصمة.

دراسة "تجربة الصحافة الساخرة في الجزائر و جمهورها من الموظفين" عبارة عن دراسة وصفية استطلاعية، أرادت من خلالها الباحثتان معرفة ما يدور في هذا المجال، فكانت الاشكالية تدور حول : ما هو الجديد الذي حملته كل من "المنشأر" و "الصح - آفة" شكلا و مضمونا حتى نالت هذا الاقبال و من هو جمهورها و رأيه فيها؟ و من هذا السؤال الكبير تفرعت أسئلة أخرى، مثلت تساؤلات الدراسة و كان أهمها :

- هل أن "الصح - آفة" و "المنشأر" صحيفتان هادفتان أم أنهما مجرد تجميع للصور و الرسوم الكاريكاتورية؟

- هل أن "الصح - آفة" تلعب دورا إعلاميا؟

- الألفاظ المستعملة، هل هي سوقية أم مهذبة؟ أم تجمع بينهما؟

- إلى أي مدى استطاعت الصحافة الساخرة تغطية الوضع السائد في الجزائر؟

هذه الدراسة و رغم أن عنوانها يوحي بأنها ستركز على منهج دراسة الجمهور غير أن المنهج الذي اعتمد هو المنهج الوصفي، كما أن التساؤلات لا تتوافق كثيرا مع الاشكالية و العنوان و كان بإمكان الباحثين طرح تساؤلات أكثر عمقا، و أكثر اتصالا مع الموضوع، و قد انتهت هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

- اعتماد "المنشأر" على الكاريكاتور اعتمادا كلياً، جعل منها مجرد صحيفة لتجميع الرسومات الكاريكاتورية و الكارتونية، الأمر الذي جعلها تهمل النص أو التحليل، في حين اعتمدت "الصح - آفة" أساسا على البحث و التحليل تعطي أهمية للجانب الاعلامي في حين يغيب هذا الجانب في صحيفة "المنشأر".

- و نظرا لطبيعة الصحيفة الساخرة و الشعبية في الوقت نفسه، فإن ذلك يؤدي بها إلى استعمال ألفاظ عامية قد تكون سوقية أو مهذبة أو تجمع بينهما.

- استطاعت هاتان الصحيفتان اتباع و تغطية معظم الأحداث التي كانت سائدة في الجزائر آنذاك.

و كما نلاحظ فإن النتائج جاءت مطابقة للتساؤلات، غير أن تطابقها مع العنوان و الاشكالية غير موجود، فكل من التساؤلات و النتائج تتعلق بمضمون الجريدتين أكثر من تعلقها بالجمهور و طبيعته.

• أما الدراسة الثانية، و التي تمكنت من الاطلاع عليها، فهي دراسة قدمت بمعهد الإعلام و الاتصال بالجزائر العاصمة -أيضا-، و هي عبارة عن مذكرة ليسانس قدمت في دورة جوان 1996، و كانت تحت عنوان "العناوين في الصحافة الساخرة : نموذج عناوين الصفحة الأولى لجريدة الصح

- آفة، دراسة وصفية، استعمل خلالها الباحثان : عمارة منصور محمد النذير بوقابس أسلوب تحليل المحتوى، و انطا من اشكالية أن "الصح - آفة" جمعت عناصر قوة كثيرة منها العناوين الجذابة و وضع الباحثان فرضيات منها :

- أن "الصح - آفة" عمدت إلى التأسيس لعنوان ساخر يخدم غرضها.

- أن "الصح - آفة" تعتمد على جميع أشكال التحرير : النص و التحليل، الكاريكاتور.

- أن "الصح - آفة" اهتمت بالعناوين من حيث الشكل و المضمون.

و انتهى الباحثان إلى تأكيد هذه الفرضيات بعد تحليل محتوى عناوين الصفحة الأولى لصحيفة "الصح - آفة" و لم تخل المذكرة من جانب نظري، حاول من خلاله الباحثان شرح المصطلحات المشابهة للفظ "سخرية" و التفريق بينها، و كذا تناول الجانب التاريخي و عرض أهم الصحف الساخرة عبر التاريخ في الجزائر و خارجها و تطرقا أيضا، لأساليب السخرية و وظائفها.

و وضع الباحثان في بداية بحثهما أسباب اختيار هذا الموضوع، و التي كثيرا ما تشابه بين الباحثين في هذا المجال و أهم هذه الأسباب :

- قلة الدراسات .

- التطور الحاصل في هذا الميدان.

- الاهتمام الشخصي .

و جعلنا هذان الباحثان أهدافا لهذه الدراسة تتلخص فيما يلي :

- محاولة معرفة الدور الذي يقوم به هذا النوع من الصحافة .

- البحث عن أسباب نجاح هذا النوع.

و مما يلاحظ على هذه الدراسة أنها محددة، و يتضح ذلك جليا من خلال العنوان، كما أن هناك تطابق بين مضمون و عنوان الدراسة، و يتطابق أيضا أسلوب البحث الذي استعمله الباحثان مع طبيعة الموضوع، و استطاع أن يحقق لهم أهداف الدراسة، و تأكيد الفرضيات أو رفضها.

و هناك دراسات أخرى لا تتناول الصحافة الساخرة مباشرة، و إنما تتناولها ضمن إطار عام يدور حول موضوع معين، أو يتناول شكل التعبير الذي تستعمله الصحافة الساخرة بالضرورة، و تستعين به الصحف الأخرى، و من هذه الدراسات :

• دراسة : "الكاريكاتور كوسيلة إعلام و تكوين الرأي العام" و هي عبارة عن دراسة حالة لجريدة : "LE MATIN"، أعدها : سعيد بالي، و أنيسة جمادي، بمعهد الاعلام و الاتصال بالجزائر العاصمة، كمذكرة ليسانس للسنة الجامعية 1993 - 1994 م، و كانت الأسباب الرئيسية لاختيار هذا الموضوع :

- أسباب موضوعية تتمثل في : - أثر الكاريكاتور في الصحافة.

- قلة الدراسات الوطنية في هذا المجال

- أسباب ذاتية و تتمثل في : - الإهتمام الذاتي بالموضوع.

- الاقتناع بالحاجة الملحة إلى هذا الشكل من التعبير.

و حدد الباحثان مجال الدراسة، بالصحافة الوطنية الناطقة بالفرنسية و اختاروا جريدة " LE

MATIN" نموذجا، و تصورا الاشكالية كمايلي :

منذ سنة 1988 فرض الكاريكاتور نفسه كشكل من أشكال التعبير.

فلماذا يا ترى كل هذا الاهتمام بالكاريكاتور من طرف الصحافة الوطنية؟ و ما هو المفهوم

العام للكاريكاتور الصحفي، و هل هو فعلا وسيلة إعلامية تؤدي دورا في تكوين الرأي العام.

و استطاع الباحثان من خلال هذا السؤال الكبير أن يخلصا إلى تساؤلات فرعية جاءت كمايلي :

- ما هو دور و مكانة الكاريكاتور في جريدة " LE MATIN "؟

- هل الصورة الكاريكاتورية أكثر تعبيراً من الأشكال الأخرى للغة للصحافة؟

- ما مدى استجابة القراء للصورة الكاريكاتورية؟

و قد عمد الباحثان إلى إستعمال المنهج التحليلي، و اتبعوا الخطوات التقنية التالية للتمكن من

تحليل المادة :

- جمع المادة الخام.

- اجراء المقابلات.

- تصنيف المعلومات.

و اختاروا أن يسلكوا أسلوب العينة العمدية في الجمهور و في المادة، مما مكنهما من الانتهاء إلى

النتائج التالية :

* أن الكاريكاتور يستطيع أن يكون وسيلة تعبير فعالة للتأثير، و لتكوين الرأي العام، و هذا يتطلب بالاضافة إلى موهبة الكاريكاتوري، بعض الوسائل التقنية التي تزيد في فعالية و أثر الكاريكاتور في الجريدة.

- و فيما يخص التوصل إلى قراءة رسم كاريكاتوري، انتهت الدراسة إلى أن القارئ يتوصل

بسهولة إلى قراءة هذا الرسم.

- أما فيما يخص الرسالة الكاريكاتورية : فتوصلت الدراسة إلى أن الرسم الكاريكاتوري

يستطيع أن يبلغ و يوضح الرسالة التي يحملها في ثناياه.

- عن تكوين الرأي العام، انتهت الدراسة إلى أن الجريدة تستطيع أن تزيد من تأثيرها على

القراء، من خلال إعادة معالجة المواضيع التي تجلب الرأي العام عن طريق الكاريكاتور، خاصة و أن

الكاريكاتور لا يعطي خبرا و إنما رأيا و في الغالب رأيا عاما.

- و أخيرا خلصت الدراسة إلى أن الجريدة محل التحليل استطاعت الوصول إلى القراء و أحيانا تغيير رأيهم، و أنها تتمتع بحرية كبيرة في التعبير .

هذه الدراسة - و إن كانت لا تتعلق مباشرة بموضوع دراستنا- إلا أنها أفادتني من حيث أن التعبير الساخر بدأ يأخذ مكانة في الصحافة الوطنية بعد سنة 1988 بشكل كبير، خاصة و أن هذه المرحلة تم فيها استعمال كل الوسائل حتى ذات أدنى فعالية للوصول إلى الجمهور و تبليغ الوسائل تماشيا مع التطورات، و أن الانتشار لم يكن قبل هذا التاريخ لأن الكاريكاتور لغة نقد و مطالبة، كما أن حرية التعبير كانت محدودة.

و من الدراسات التي كانت فيها بعض الاشارات عن الصحافة الساخرة في الجزائر، دراسة تحت عنوان "الصحافة العربية المعلقة في الجزائر : الأسباب و المبررات" وهي مذكّرة ليسانس، و قدمت سنة 1994، و قد تناولت "الصح - آفة" كإحدى الصحف المعلقة، و الذي يهمنها في هذه الدراسة هو النتيجة التي انتهت إليها، و التي تؤكد أن التعليق مس أكثر الصحف المعربة، و الساخرة على الخصوص.

هذا العرض تضمن بعض الدراسات الخاصة بموضوع الصحافة الساخرة، و التي كانت في عمومها جزئية، و لم تحصل على دراسة شاملة و موسعة يمكن أن تكون عبارة عن أرضية تطلق منها الدراسات الجزئية، لذلك حاولت في دراستي هذه أن تكون أشمل و اوسع، و تكون عبارة عن مسح عام، لمعظم جوانب هذا الموضوع، و أتمنى أن تمثل دراستي هذه الأرضية التي يعتمد عليها الباحثون في ميدان الصحافة الساخرة، و حاولت في الجانب التطبيقي أن ألمس أحد أطراف الموضوع، و حرصت أن يكون هذا الجانب منجسما مع تخصصي المزدوج (علوم إسلامية - إعلام).

3 - العينة

أ - مجال الدراسة : أو إطار العينة

قبل تحديد المجال العام للصحيفة محل الدراسة، لا بأس بالتعرف أولا على طبيعتها، فصحيفة : "الصح - آفة" صحيفة أسبوعية، و الأسبوعية عادة ما تكون للرأي أكثر منها للأخبار، فهي «.. أكثر اهتماما بالبحث فيما وراء الأخبار التي عرفت أو عرف الكثير منها عن طريق الصحيفة اليومية، فمهمة الصحيفة الأسبوعية في الحقيقة، هي التعليل و التحليل و الكشف عما وراء الأخبار و الأحداث من علل و انطباعات اجتماعية، كما أنها أكثر اهتماما بعنصر الصورة، و بالتحقيقات الصحفية، و التحدث مع الأشخاص الذين لهم صلة مباشرة بأهم الأنباء و الأحداث، فضلا عن الإهتمام بالصفحات المتخصصة..» (1)

(1) اجلال خليفة، أبحاث حديثة في فن التحرير الصحفي، ط:1، (مصر: دارا افنا للطباعة، 1972) ج:1، ص: 18.

و من جهة أخرى فإن الصحيفة محل الدراسة، صحيفة متخصصة، و الصحف المتخصصة عادة ما يكون لها هدف معين من الصدور، و لهذا فهي تعالج موضوعاتها بأسلوب غير الأسلوب الذي تتبعه الصحف العامة في مادة تحريرها، كما تؤثر نوعية الصحيفة و طبيعة الجمهور الموجهة و البيئة المحيطة، و القوانين السائدة، و طبيعة المرحلة و الأحداث التي تصدر خلالها الصحيفة -تؤثر جميعها في طريقة معالجة الأمور، و كيفية تناول الموضوعات، و هذه العوامل مجتمعة تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار فئات و وحدات التحليل، حتى تمثل الموضوع تمثيلا جيدا و تجسد الاجابة عن السؤال الكبير الذي قادني إلى هذا البحث.

و فيمايلي تحديد مجالي الدراسة الجغرافي و الزماني.

* المجال الجغرافي :

يتمثل المجال الجغرافي للدراسة، في الصحافة الساخرة الوطنية المعربة، ممثلة بدورها بصحيفة "الصح - آفة" كنموذج، و هي أسبوعية سياسية ساخرة، تصدر عن دار الأحرار للصحافة ذات المسؤولية المحدودة، و رأسمال يقدر ب 32 ألف دينار جزائري، و مقرها بمدينة وهران، على عنوان 13 نهج مفتاح قويدر (شاطوناف سابقا)

و قد أسس هذه الصحيفة ثمانية من الصحافيين و الصحافيات، كانوا كلهم يمارسون الصحافة، مديرها المسؤول : "حبيب راشدين" الذي يعد من قدماء العاملين في حقل الإعلام، و رئيس تحريرها "عمار يزلي"، الذي يعد -حسب تصريح له- واضع أسس و طرق تحريرها، هذا إلى جانب طاقم صحافي شاب، تميز كل واحد منهم بطريقة في تناول الأمور، و قد بدأت صحيفة "الصح - آفة" تصدر في أوائل سنة 1991، بقوة سحب لا تتعدى 25 ألف نسخة أسبوعيا، و استطاعت بعد ذلك و في فترة وجيزة أن تحقق أعلى سحب على المستوى الوطني ب 300 ألف نسخة، و دون مرتجعات، و هذا أحد الأسباب التي تدفعني لتحليل بعض جوانب هذه الصحيفة، -على الأقل- من أجل معرفة مدى تقدير هذا الموقع من طرف الجريدة، و العمل قدر المستطاع على تحسين أدائها بما يتناسب و جمهورها العريض، و واجبها نحوه.

و تقع صحيفة "الصح - آفة" في ثماني صفحات من النوع الكبير، و تعتمد أنواعا مختلفة من أشكال التحرير الصحفي، و قد بدأت هذه الصحيفة في اصدار ملحق خاص بحقوق الإنسان، تحت عنوان "آفة - الصح" تناولت فيه موضوعات متنوعة حول انتهاكات حقوق الإنسان في الجزائر و خارجها، و بذلك يكون العدد الإجمالي مقدر ب 81 عدد، و في الأخير نشير أن "الصح - آفة" كانت توزع، عبر مساحة لا بأس بها من الوطن.

* المجال الزمني :

إن تحديد المجال الزمني بالنسبة لأي دراسة، هو من الأهمية بمكان، لإتته يساعد في التأكد من المشكلة، كما يساعد في اختيار عينة أكثر تمثيلا للمجتمع، و تحديد المجال الزمني لدراستي لا يرتبط

بالأحداث و أهميتها، لأن مشكلة الدراسة لا تتعلق بمواكبة الصحيفة لأهم الأحداث أو لمرحلة معينة، لهذا اخترت أن يكون هذا المجال على مدار مدة صدور صحيفة "الصبح - آفة" أي منذ صدورهما في أوائل 1991 إلى غاية أوت 1992 تاريخ توقفها، و يأتي هذا الاختيار نتيجة سببين هاميين هما :

- قصر مدة الصدور، و المقدرة بعام و نصف تقريبا، و بالتالي إمكانية و سهولة مسح هذه الفترة، لأن مجتمع الدراسة وفقا لهذه المدة، مجتمع صغير عدديا.

- أن تغطية كل مدة صدور الصحيفة يساعد في كشف مدى ثبات الصحيفة على مبادئ أخلاقية معينة، و حرصها أو عدم حرصها على هذه المبادئ، خاصة و ان الصحيفة مرت بمراحل متنوعة تبعا للظروف السياسية -الخاصة بالجزائر -.

ب - حجم العينة :

ليس هناك اتفاق عام على تحديد الحجم الأمثل للعينة في البحوث الاجتماعية و منه البحوث في مجال الاعلام، و يخضع تحديد حجم العينة لطبيعة المجتمع الكلي و أغراض الدراسة، و هذا ما جعل الباحثون في هذا المجال يلجأون إلى الإسترشاد بالخبرات و الدراسات السابقة، مع العلم أن درجة تجانس المجتمع قد تختلف من دراسة إلى أخرى، و من هنا كان الخطأ في نظام العينات وارد. (1)

و من الدراسات السابقة، التي كانت مرجعا للباحثين في اختيارهم للعينات، دراسة ستمبل : STEMPLE*، التي انتهى فيها إلى أن زيادة العينة عن 12 عددا لا تقدم تفاوتاً ملموساً في النتائج، و هذا بالنسبة 312 عدداً، بالنسبة لليوميات، و هذه الدراسة كانت مرشداً لباحث آخر و هو هاتشن : HACHEN** الذي انتهى إلى أن ثلاثة أعداد تعتبر كافية لتمثيل 52 عدداً بالنسبة للأسبوعيات، و اتفقا الباحثان أن العينة الصغيرة أفضل خاصة إذا كان هناك تجانس في الإصدارات محل الدراسة من حيث دورية الصدور، و اتجاهات سياسية التحرير، و أساليب الممارسة الفنية، كما يشترط أيضاً أن لا يكون هناك تباعد في الصدور، لأن تباعد الدورية مع صغر حجم العينة سوف ينتج عنه أخطاء تقلل من مستوى صدق النتائج، هذا بالإضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار عوامل أخرى : مثل حجم المجتمع الأصلي، و نسبة الخطأ المسموح به عند تحديد حجم العينة، و مراعاة التشتت بين مفردات العينة أو مفردات المجتمع. (2)

و استرشادا بهذه الدراسات، مع عدم اهمال طبيعة الدراسة التي أتقدم بها، فإن تحديد حجم العينة، بالنسبة للمجتمع الأصلي للصحيفة محل الدراسة، و الممثل ب 81 عدداً، يكون بخمسة أعداد، هذا إذا اتبعنا الطريقة الرياضية المحضنة، و قد حبذت أن أزيد على هذا الحجم أربعة أعداد، مراعاة لطبيعة الموضوع و مشكلته، و كذلك لتسهيل عملية تحديد نوع العينة، و عمدت إلى جعل العدد الأخير

(1) محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1979)، ص-ص: 95-96 (دون طبع).

(*)، (**) باحثين حديثين في ميدان الاتصال الجماهيري.

(2) محمد عبد الحميد، المرجع نفسه، ص-ص: 97-98.

81 مع ملحقه ضمن العينة، لأن لهما علاقة وطيدة مع موضوع البحث، وبذلك تكون نسبة تمثيل هذا الحجم للمجتمع الأصلي تقارب 11،11%.

ج- نوع العينة و طريقة اختيارها :

إن البصده من حسن و دقة اختيار العينة، هو التمثيل الصادق للمجتمع، لهذا يعتمد الباحث في مجال الاعلام، إلى اختيار أكثر من طريقة لتحديد العينات، حتى يتحقق إلى أقصى مدى من توفر للموضوعية و البعد عن التحيز، و في دراستي هذه، وجدت صعوبة كبيرة في القيام بهذا الإجراء لأن الجريدة محل التحليل، متوقفة منذ سنة 1992، مما جعل العثور على جميع أعدادها من الصعوبة بمكان، على الرغم من القيام بكل المحاولات من أجل ذلك.

و مع علمي أن العينة العشوائية هي الأكثر استعمالا في البحوث الاجتماعية و الاعلامية، لأنها تحقق فرصا متساوية لجميع المفردات في الاختيار، و تتيح تقدير الخطأ الناتج عن العشوائية، و تجعل الباحث أكثر موضوعية و أبعد عن التحيز، إلا أنني اخترت عينة "عمدية" - أي غير احتمالية- و ذلك اضطراراً، و هذه العينة يلجأ الباحث إلى اختيارها تبعاً لمواصفات أو معطيات معينة، و تبعاً لاجراض البحث (1)، كما أنها تتميز باختيار وحدات معينة تحمل خصائص و مزايا احصائية تمثيلية للمجتمع المدروس، و هي طريقة تعطي نتائج أقرب ما تكون إلى النتائج التي يمكن أن يصل إليها الباحث بمسح المجتمع كله (2)، و قد حاولت قدر المستطاع توفير بعض العناصر المنطقية التي تجعل من العينة التي اخترتها، أقرب إلى تمثيل المجتمع و خدمة اشكالية و موضوع الدراسة، فكان أن أقيت نظرة عامة على الأعداد المتوفرة، فتكونت لدي فكرة و هي أن الجريدة لم تعرف مراحل تغيير مهمة، سواء في الشكل أو طاقم التحرير، ثم حاولت توزيع أعداد العينة بطريقة راعيت فيها التوازن في التباعد بينها. أما عن طريقة اختيار أعداد هذه الدراسة فكانت كمايلي :

كان العدد "0" متوفر لدي، و لم أجعله ضمن مفردات العينة باعتباره تجريبي، و لا يمكن الحكم عليه، و تركت الاستفادة منه في جوانب أخرى من البحث، و أخذت العدد : "3"، ثم العدد: "25" و كما هو ملاحظ، هناك فاصل كبير بين العددين لم أتمكن من تقريبه لعدم توفر الأعداد اللازمة، بعد ذلك أخذت العدد : "39" و هو غير بعيد عن العدد السابق، ثم أخذت العدد : "45"، الذي اخترته من بين بعض أعداد الأربيعينية، و اخترت العدد : "50" من بين بعض أعداد الخمسينية، و لم يكن هو أيضا يبتعد كثيرا عن سابقه، و أخذت العدد : "69" من بين أعداد الستينية، و تجاوزت إلى العدد : "74"، و أخيرا أخذت العدد : "81" مع ملحقه عدد : "12"، لاعتبارات موضوعية، أهمها أن "الصح - آفة" أوقفت بسبب ما جاء في هذا العدد، من قذف، و استعمال للغة لا تتماشى مع الأداب العامة للمجتمع - كما جاء البيان الذي بموجبه أوقفت الجريدة- و هو ماله علاقة مباشرة مع اشكالية البحث، فكان فضولي كبير للتحقق من ذلك.

(1) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص-ص : 99- 102- 103.

(2) أحمد بدر، أصول البحث العلمي و مناهجه، ط: 5 (مصر : دار المعارف، 1989)، ص-ص : 268- 269.

و بهذه الطريقة حاولت أن تكون العينة، قريبة من تمثيل المجتمع المدروس و هي - كما يلاحظ- عينة عمدية راعيت أن تكون منتظمة قدر المستطاع لاتي توخيت عموما أن يكون اختياري العمدى منتظما تبعا لكل عشرية أي اخذت تقريبا من كل عشرية عدد .

9	8	7	6	5	4	③	2	1	0	العشرية الأولى
19	18	17	16	15	14	13	12	11	10	العشرية الثانية
29	28	27	26	②5	24	23	22	21	20	العشرية الثالثة
③9	38	37	36	35	34	33	32	31	30	العشرية الرابعة
49	48	47	46	④5	44	43	42	41	40	العشرية الخامسة
59	58	57	56	55	54	53	52	52	⑤0	العشرية السادسة
⑥9	68	67	66	65	64	63	62	61	60	العشرية السابعة
79	78	77	76	75	74	73	72	71	70	العشرية الثامنة
							ملحق ⑩2:ع	⑧1	80	العشرية التاسعة

جدول يوضح توزيع و طريقة اختيار أعداد عينة الدراسة

(ملاحظة : الأرقام تشير إلى أعداد الصحيفة.)

4 - منهج الدراسة :

يهدف الباحثون من خلال الدراسات التي يجرونها إلى إكتشاف حقيقة ما، يكونون قد صاغوها في اشكالية، هي عبارة عن سؤال كبير يجيب عنه البحث، و لتحقيق هذا الهدف، يستعمل الباحث كل الطرق المناسبة و الملائمة للموضوع محل الدراسة، و يسلك أيضا خطوات منتظمة و مضبوطة و هادفة للإجابة عن التساؤلات و التحقق من الفرضيات التي تطرح حول الموضوع، و هذا ما يعرف بالمنهج، و من هنا عُرف المنهج أنه : « الطريق الواضح الذي يسلكه الدارس في دراسته » (1) كما يعرف بأنه : « فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة أو البرهنة عليها... » (2) و يعرف أيضا بأنه : « الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة قصد اكتشافه للحقيقة... » (3) و من هذه التعريفات يمكن القول أن المنهج يخرج الباحث من الفوضى إلى الدقة و البرهنة، كما يفيد اتباع منهج معين في اختصار الوقت و الجهد.

و تختلف مناهج البحث في الدراسات الاعلامية، تبعا لطبيعة الدراسة و المشكلة التي تدرسها، و النتائج المتوخاة، و غيرها من العوامل التي تدفع الباحث إلى اختيار منهج دون غيره، كما ينفرد ميدان الاتصال - و الاتصال الجماهيري خصوصا - بمناهج خاصة به، إلى جانب استخدام المناهج المستخدمة

(1) اميل يعقوب، كيف نكتب بحثا أو منهجية للبحث، (لبنان : حروس برس) ص : 10 (دون طعة، دون سنة).

(2) محمد ريان عمر، البحث العلمي : مباحثه و تقنياته، ط: 4، (الخرطوم : ديوان المطبوعات الجامعية، 1987) ص : 48.

(3) محمد الغرب عبد الكريم، دليل الباحث في المنهجية و كتابة الرسائل الجامعية، ط: 2 (الخرطوم : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990) ص : 19.

في الميادين و العلوم الأخرى، مثل المنهج الوصفي، و المنهج التاريخي، و غيرها من المناهج، و يأتي هذا التميز خاصة في الجوانب التطبيقية أو الميدانية.

و تتمثل المناهج التي يتميز بها مجال الاتصال الجماهيري فيما يلي :

- منهج تحليل المحتوى أو المضمون : و هو الذي ساعتمده في الجانب التطبيقي من هذه الدراسة.

- منهج دراسات الجمهور : و هو يساعد في معرفة جمهور وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري و كيف يتعامل هذا الجمهور مع محتويات وسائل الاتصال الجماهيري، و يتطلب هذا النهج تقنيات خاصة، مثل الاستبيان، و المقابلة.

- منهج دراسات التأثير: و هو يجمع بين المنهجين السابقين، فيدرس المحتوى من حيث ما يضمنه من عناصر التأثير، و يدرس الجمهور من حيث تعامله مع المحتوى و الآثار التي يتركها عليه المحتوى.

و قد اعتمدت على منهج تحليل المحتوى في هذه الدراسة، باعتبار أنه يمكن تطبيقه على وسائل الاتصال الجمعي، و بفضلته يمكن الحصول على بيانات بالغة الثراء، ذلك أن وسائل الاتصال الجمعي التي تأخذ صوراً متعددة كالجراند و المجلات و المكتب و البرامج الإذاعية و الخطب السياسية، تتميز بأن موادها عادة ما تكون جاهزة أمام الباحث العلمي، و أهم من ذلك أنها تعكس قطاعاً عريضاً من المناخ الاجتماعي الذي انتجت في ظله، و ما يحويه مضمون الاتصال الجمعي من مادة تصلح للإجابة على كثير من التساؤلات الخاصة بالمجتمع و الثقافة، و دراسة المضمون تصلح لاقاء الضوء على جانب معين من جوانب ثقافة ما، و تصلح للمقارنة بين الجماعات المختلفة بالنظر إلى جانب محدد أو جوانب ثقافة ما، و تصلح للمقارنة بين الجماعات المختلفة بالنظر إلى جانب محدد أو جوانب متعددة، وكذلك لدراسة التغيير الاجتماعي، و لدراسة التطور الفكري العام لمجتمع معين أو التطور الفكري الخاص بفكرة محددة.. و الجملة التقليدية التي موداها أن عملية الاتصال هي : معرفة من الذي يقول ماذا، و لمن و كيف و ما الآثار التي تترتب على ذلك، تكاد تحيط بالمباحث الكبرى في مجال تحليل مضمون وسائل الاتصال الجمعي. (1)

و مشكلة البحث الذي أقدمه -في جانبه التطبيقي- مُتَضَمَّنَةٌ في هذه المحاور، و بالضبط في محور "يقول ماذا" (أي المحتوى) و الذي يغطي مجموعة بحوث، منها بحوث الكشف عن أنماط و معايير الاتصال، و كذا بحوث اكتشاف أساليب الممارسة، و تحديداً فإن مشكلة البحث تتمحور حول مدى التزام القائم بالاتصال، بالمبادئ الأخلاقية، عموماً و الإسلامية خصوصاً، و هذا يبرر اختياري لهذا المنهج دون غيره.

(1) السيد بسن، و آخرون، تحليل مضمون الفكر القومي العربي، دراسة استطلاعية، ط:3، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، مارس

و تجدر الإشارة هنا، ان تعريف منهج تحليل المحتوى، لم يقع حوله اجماع، خاصة و أنه مر بمراحل متعددة، ساهمت جميعها في بلوره مفاهيمه و تعريفاته، فالبدائية كانت عبارة عن مجموعة من الاجراءات عرفت بتحليل المحتوى، و ظهرت على يد مجموعة من خبراء السياسة و الاجتماع و ذلك في العقد الثالث من هذا القرن، ثم تصاعد الاهتمام بهذا المنهج، و تزايد البحث في الجوانب و الاجراءات المنهجية لعملية التحليل و استخداماتها، و انعكس ذلك على التعريفات الخاصة بهذا المنهج، و في النصف الثاني من هذا القرن اتسعت النظرة المنهجية لتحليل المحتوى و تطورت مفاهيمه و تعريفاته التي ارتبطت إلى حد بعيد بتطور علوم الإتصال الجماهيري بصفة عامة و الاعلام بصفة خاصة، و اتساع مجالاتها الدراسية. (1)

و لم يقع الاتفاق بين العلماء في هذا المجال إلا حول اقتران تحليل المحتوى بالصفة الكمية التي تحقق مطلباً أساسياً من مطالب البحث العلمي و هو الموضوعية، و وقع اختلاف واضح في بعض المحددات الخاصة بتعريف تحليل المحتوى، و ذهب بذلك المعرفون لهذا المنهج في اتجاهين أساسيين.

- الاتجاه الأول : و هو الاتجاه الوصفي في تحليل المحتوى، و الذي عاصر فترة النشأة، و استمر بعد ذلك، و يمثل هذا الاتجاه الرواد الأوائل لهذا المنهج مثل "لازويل : LASSWELL"، الذي يرى أن تحليل المحتوى يستهدف الوصف الدقيق و الموضوعي لما يقال عن موضوع معين في وقت معين، و يتفق معه كل من "كابلان : KAPLAN" و "جانيس : JANIS" 1949، و "كارتريت : CARTURIGHT"، في قصر وظيفة تحليل المحتوى على هذا الهدف، و قد توجت هذه الجهود، بمجهود : "برنارد بيرلسون : BERLSON. B" و المتمثل في دراسته (تحليل المحتوى في بحوث الاتصال: 1952م)، و الذي انتهى فيه إلى التعريف المشهور لتحليل المحتوى الذي يقول : "بأنه أسلوب البحث الذي يهدف إلى الوصف الكمي و الموضوعي و المنهجي للمحتوى الظاهر للاتصال، و بتعريفه هذا يكون من أول الذين اقتربوا من الجوانب المنهجية لتحليل المحتوى في بداية النصف الثاني من القرن العشرين. (2)

- أما الاتجاه الثاني : فإنه على عكس الاتجاه الأول أسقط من اهتمامه التركيز على المحتوى الظاهر فقط، و جعل الهدف الأساسي من تحليل المحتوى، هو الكشف عن المعاني الكامنة و قراءة ما بين السطور، كما يذهب هذا الاتجاه إلى إمكانية الاستدلال من خلال المحتوى عن الأبعاد المختلفة لعملية الاتصال و تأثيراته و لذلك سمي بالاتجاه الاستدلالي، هذا إلى جانب اهتمامه بالمقاييس الكمية و هي الصفة المشتركة بين الاتجاهين، و تبنى هذا الاتجاه كل من "هولستي : HOLSTI"،

(2) عماد عبد الحميد، مرجع سابق، ص: 15.

(1) المرجع نفسه، ص-ص: 15 - 16 - 17.

و كارني : CARNEY"، و "ستون" الذين تنتهي تعريفاتهم إلى أن « تحليل المحتوى هو أي أسلوب يحقق الاستدلال الموضوعي و المنظم للسمات الخاصة بالرسالة » ، و قد أضافت تعريفات هذا الاتجاه الحديث، الاهتمام بالمعاني الكامنة للمحتوى، و توظيف عملية التحليل في الاستدلال و التنبؤ بعناصر عملية الاتصال و تأثيراتها من خلال علاقة هذه العناصر بالمحتوى محل التحليل. (1)

و لم يتوقف تحليل المحتوى كمنهج عند هذا الحد، بل تطور مع تزايد الاهتمام به و استخدامه في الدراسات الإعلامية، و تطور أيضا تبعا للتطور الحاصل على مستوى علوم الاتصال الجماهيري بصفة عامة و الاعلام بصفة خاصة، و قد ساهم الباحثون العرب في تطويره، و خاصة في نقل الاهتمام من البحوث الاجتماعية و الساسية إلى البحوث الإعلامية، و حاولوا بذلك التقرب من المنهج و التعريف به و بمشكلاته المنهجية، و حاول بعضهم نقد هذا المنهج و طرق استعماله، و اجتهد بعضهم في إيجاد أساليب جديدة في استعمال هذا المنهج و هذا ما فعلته الدكتورة "مارلين نصر" مثلا، و هي باحثة مصرية، و التي تقدمت بدراسة تحت عنوان "الايديولوجية القومية العربية في خطب جمال عبد الناصر (1952-1970)"، و نقدت في الفصل المنهجي ما أسمته بالتحليل الغرضي، الذي غالبا ما يستخدم بشكل انتقائي لاثبات عدد من الفرضيات التي ينطلق منها الباحث.*

و تتلخص هذه الإضافة التي جاءت بها هذه الباحثة، في المنهج المثلث الذي طبقته و الذي يتمثل

فيما يلي :

- تحليل الأطر اللغوية : و ذلك بتحديد الكلمات المرتبطة بالموضوع أو الشروط المصاحبة أو الأفكار المناقضة له، أو مترادفاته.

- تحليل الأطر المرجعية : و ذلك من خلال حصر و تحديد الاحالات المرجعية للنص سواء الأشخاص أو المؤسسات أو البلاد أو الاستشهاد بالتاريخ المعاصر أو الحديث أو القديم.

- تحليل طريقة التدليل : و هذا بدراسة الطرق المختلفة التي يلجأ إليها منتج مادة الاتصال لكي يدال على سلامة أفكاره التي يطرحها و صحتها، فقد يستشهد بالتاريخ أو المعتقدات الدينية أو بالعوامل الاستراتيجية أو بالعوامل الحضارية. (2)

و هذا الاجتهاد يمكن الاستفادة منه، لا من حيث أنه جاء بجديد، و لكن من حيث أنه و وقفا لمتطلبات الموضوع و المشكلة المدروسة -استطاع أن يوظف بعض الأساليب المستعملة في منهج تحليل المحتوى و ينظمها مما يسهل على الباحث استعمال هذا المنهج، و الاستفادة منه بطريقة أجدى، لأن هذه

(1) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص-ص : 19 - 22.

(*) هذا النقد مقبول إذا كان يراد به، سيطرة أغراض معينة على الباحث، حيث تدفع به إلى تجنب الموضوعية، أما أن يقوم الباحث بالتحليل بناء على خطة موضوعية مقدما، تتضمن مجموعة من الإجراءات التي تتيح لغيره أن يصل إلى نفس النتائج عند تطبيق هذه الإجراءات على نفس المحتوى، فهذا مطلب ضروري و أكيد.

(2) السيد يسن، مرجع سابق، ص-ص : 13-14.

الخطوات المتبعة من طرف هذه الباحثة نجدها - و لو بطريقة مبعثرة - متضمنة في الفئات و الوحدات، و طريقة العدو القياس التي يضعها الباحث لأي موضوع.

و قد حرص بعض الباحثين أيضا على التفريق بين تحليل المحتوى، و التحليل السيمنطقي : *Analyse Sémiologique*، الذي يهتم بجزء خاص في عملية الإتصال، و هو الجزء المتعلق بطرق انتاج و عمل و استقبال أنواع الأنظمة الخاصة بإشارات الاتصال بين الأفراد، و هي طريقة تيناها "رولاند بارث : Ronald Barthes (1957)"، و "ادغار مورين : Edgar Morin" في فرنسا، كما يختلف تحليل المحتوى عن التحليل النسبي للخطابات : *L'analyse proportionnelle du discours* الذي طبقه "غيجليون : Ghiglione (1985)"، هؤلاء اعتمدوا على الاساليب اللغوية من أجل الكشف عن العالم الايديولوجي لوسائل الاعلام، في حين يشترط في تحليل المحتوى الموضوعية و الدراسة الكمية، و من هنا فهو لا يصدر أحكاما قيمية حول ما يريده المرسل، و مع ذلك فإنه يُستعمل كثيرا في المجال السياسي، و حرص بعض الباحثين أيضا على أن يكون تحليل المحتوى مطبقا على محتوى الرسالة، و لا يعتمد على الآثار المترتبة على المستقبل. (1)

و حتى يتسنى لي تطبيق هذا المنهج بسهولة، بحثت عن التعريفات و الاجراءات التي ساقها الباحثون لتبسيط المنهج فوجدت أن العملية تمر عبر خمس مراحل، هذه المراحل هي بدورها تعين في وضع كشف الدراسة، و تتلخص فيمايلي (2) :

* تحديد الأهداف : فالباحث يجب أن يتساءل عما يريده من المادة التي يقصد تحليلها، و ماذا يريد أن يكشف من بحثه هذا، و سترسم حتما أمامه مجموعة من الاحتمالات مثل :

- ا. حول ماذا تدور المادة محل التحليل؟
- التوجه أو الإتجاه : عرض موافق، محايد، غير موافق.
- المعايير : ما هي المعايير التي يركز عليها المرسل؟
- سمات المحتوى : ماهي الخصائص الشخصية أو النفسية لهذا النوع من الإتصال و كذا الخاصة بالمرسل؟
- العامل : الباحث على هذا الإتصال.
- المصدر أو المرجع : أي باسم من تصدر هذه المادة، أو إلى من تُنسب؟
- منشأ المادة : أي ما هي مصادر هذه المادة، و على ماذا و على من تجيب هذه المادة؟
- الاغراض : أي ما هي نوايا المرسل، و ما هي الوضعيات التي يجيب عنها؟
- الأهداف : من المقصود بهذه المادة؟ و ما هي خصائص الجمهور الموجهة إليه من خلال محتوى هذه المادة؟

(1) Christian baylan, xavier mignot, *La Communication*, (France : Nathan, 1991), serie « Linguistique » dirigé par Henri Mitterand. P:169.

2) ROGER MUCCHIELLI, *L'analyse de Contenu*, 5^{ème} Edition. (Paris E.S.F 1984), P-P : 57- 58-59.

- الشكل : ما هي الأشكال المعتمدة، أو ما نوع المادة؟
 - الشكل الفني : ما هو الشكل الفني للمادة؟ سواء الشكل الأدبي أو غيره؟
 - قوة الانفعال : ما هي درجة الانفعال تجاه المادة، ودرجة الميل والاهتمام ودرجة الإقناع...؟

و من بين هذه الاحتمالات سيجد الباحث حتما، القطاع الذي يجيب عن تساؤلات بحثه و له علاقة بالمشكلة محل الدراسة، و ستسمح له هذه الخطوة بتحديد إتجاهه في البحث و ماذا يريد؟

* وضع الكشف الكيفي للتحليل : و هي عملية تضم جزئين متتاليين :

(أ) - البحث عن المتغيرات؟ (ب) - البحث عن مؤشرات هذه المتغيرات

(أ) - فإذا تم تعيين الأغراض بوضوح، فإنه يتعين على الباحث البحث مبدئياً، عن الوسائل التي

تمكنه من تحليل المادة التي بين يديه، وفقاً للأغراض التي عينها، و ينظر فيما إذا كانت المادة قابلة الاستغلال أم لا؟. و لا يبقى له بعد ذلك إلا وضع كشف الدراسة للتحليل.

و لمعرفة ماذا يريد الباحث أن يقيس، يجب أن يوضح خصائص مادته تبعاً للأغراض الموضوعية، فإذا أراد الباحث مثلاً أن يبحث عن خصائص جمهور المادة محل التحليل، فإنه يستطيع أن يجد أكثر من متغير يقوده إلى معرفة هذه الخصائص، كأن ينظر في اختيار المواضيع، و أسلوب معالجتها، و طريقة عرضها، فيحصل بذلك على ثلاثة محاور للتحليل، و لا يقتصر الأمر عليها، لأنه يمكن التعرف على هذه الخصائص بدراسة بريد القراء مثلاً و غيرها من المتغيرات، و يحدث بعض الأخذ و الرد عند الباحث ليستقر على تكوين مخطط التحليل، الذي يجب أن تكون قائمة محتوياته موافقة لأغراض البحث، و واضحة، و تتماشى و طبيعة المادة محل التحليل.

(ب) - و بعد تحديد متغيرات المادة، يمر الباحث إلى تعيين المؤشرات التي تعرفنا بهذا المتغير

أو ذلك، فإذا اختار الباحث مثلاً : دراسة الأسلوب فإن قائمة طويلة حول هذا المتغير، يمكن تصورها و تكون بمثابة المؤشرات التي تمثل ماذا يريد الباحث من تحليل المادة التي بين يديه، كأن ينظر في عناوين المواضيع، و المساحة التي تحتلها.. و غيرها. و يشتق الباحث من هذه المحددات أو المؤشرات فئات التحليل.

* تحديد وحدات التحليل : و إذا تم تعيين محددات المتغيرات، تتحول هذه المحددات إلى أسئلة

تطرح على النص، و يجب أن يعرف الباحث على أي من وحدات النص تطرح هذه الأسئلة.

* تعيين الطرق العملية للتحليل، و توضيحها نقطة نقطة، و يتم بذلك وضع البرنامج

و طريقة الانطلاق في التحليل، و تتم أيضاً في هذه المرحلة عملية الترميز التي تساعد على السرعة و الاختصار في التحليل.

• وأخيرا يجب على الباحث أن يحدد الوسائل التي سيستعملها في التحليل الكمي أو التي تساعد في تحويل المعلومات أو المعطيات إلى كمية حتى يمكن قياسها، و يتعين بذلك ماذا يقيس، وكيف يقيس؟

5 - تصميم كشف الدراسة :

تعتبر هذه الخطوة مهمة جدا، لأنها توفر للباحث إطارا محددا لتسجيل المعلومات التي تفي بمتطلبات البحث، وهذا الكشف يضم عادة فئات التصنيف و وحدات التحليل، و وحدات القياس بالاضافة إلى البيانات الأولية عن وثيقة المحتوى، و كذلك بعض الملاحظات التي يمكن أن يسجلها الباحث، و فيما يخص البيانات الأولية عن وثيقة المحتوى، فقد تم التعرض لها عند الحديث عن العينة، و كل ما يتعلق بها، و بقي أن أحدد فئات التصنيف و وحدات التحليل و القياس.

أ- فئات التصنيف :

لقد سبقت الإشارة إلى أن فئات التصنيف التي سأعتمدها، تنتمي إلى الفئات التي تجيب على السؤال : ماذا قيل؟، لارتباطها بأغراض الدراسة، و هذه المجموعة من الفئات متعددة و متنوعة، و لتحديد الفئة أو الفئات الخاصة بالدراسة، يجب البحث عن مؤشرات تسهل عملية تحديد هذه الفئات، و أهم هذه المؤشرات فروض الدراسة أو تساؤلاتها، و كذلك النتائج المستهدفة، و يكون الإطار النظري مرجعا لتحقيق الصدق، و الإطار النظري في هذه الدراسة، هو المبحث الخاص بأخلاقيات و آداب مهنة الصحافة الساخرة، و من خلال تحليل محتوى عينة من نموذج اخترته للاعتبارات التي ذكرت، سأحاول -و لو نسيباً-، التعرف على مدى التزام الصحفي الجزائري بمبادئ و أخلاقيات المهنة للصحافة - و في مجال حساس هو الصحافة الساخرة -.

و بما أن تحديد فئات التصنيف، يتوجب الأستاذ الى الفروض أو التساؤلات، فإنه حري بي أن أحدد الفروض أو التساؤلات، و قبل ذلك أشير إلى أن الدراسة التي أتقدم بها هي دراسة وصفية تستهدف الكشف عن سمات المحتوى، و ليست دراسة استدلالية تربط بين سمات المحتوى و عناصر العملية الاعلامية، لهذا سأكتفي بوضع تساؤلات، أحاول من خلالها، تحديد فئات التصنيف. (1)

و من خلال عناصر الموضوع محل التحليل، و التي بدورها تعتبر مؤشرات على مدى التزام الصحفي بالمبادئ و الاخلاقيات المهنية، نستطيع وضع التساؤلات التالية :

- 1 - هل تلتزم "الصح - آفة" بمبدأ الدقة و الموضوعية في معالجتها للموضوعات أم لا ؟
- 2 - و هل تلتزم "المصح آفة" في تحريرها للمادة الاعلامية بالقيم و الآداب العامة للمجتمع أم لا؟
- 3 - هل تلتزم "الصح - آفة" بالواقع، في تصويرها للأحداث أم لا؟ و كما يلاحظ فإن هذه لفئات عامة نوعا ما، مما جعلني اعتمد على بعض المؤشرات التي تسهل تطبيق التحليل الكمي

أو بطريقة أخرى قياس المادة محل التحليل، و لا بأس هنا - من تقديم تعريف عام لهذه الفئات، من أجل إعطاء فكرة حولها، و حول الفهم الذي انطلقت منه لقياس و تحليل محتوى الصحيفة وقه.

1 - توخي الدقة و الموضوعية : و نعني بها الابتعاد عن الذاتية و الأحكام المطلقة، و عدم التحيز أو التحامل دون مبرر، مع تدعيم المادة بالأرقام و الإحصاءات و البيانات، و ذكر أسماء الأماكن و الأشخاص التي لها علاقة بالموضوع، و عدم تحريف الوقائع بالزيادة و الحذف، و هذا التعريف يشمل المؤشرات التي اعتمدها لقياس مدى التزام "الصح - آفة" بهذا المبدأ. (1)

2 - احترام القيم و الآداب العامة للمجتمع : و نعني بذلك تكريس القيم و الآداب العامة من طرف المحررين و عدم تجاوزها، سواء بالتصوير الأخلاقي أو باستعمال الألفاظ النابية، أو بالتشهير غير المبرر أو القذف.

3 - الالتزام بالواقع : نعني بذلك تصوير الواقع كما هو، و بوضوح، دون المبالغة في استعمال الرمز الذي قد يؤدي إلى الغموض، أو الخيال الذي يبعد الأمر عن التصور، أو التجريد الذي يجعل من الصعب تصور الأمر و فهم غرض و مراد المحرر، مما يطبع لدى الجمهور أن الصحيفة يهملها الإعلام الصحيح، و ليس السبق الصحفي أو التميز عن غيرها بطريقة غامضة. (2)

و من الملاحظات التي يمكن تسجيلها هنا، أن الفئات التي اعتمدها، لم أتمكن من صياغة بعضها صياغة علمية، مثل احترام القيم الإجتماعية، و التزام الواقع، فحاولت أن أحدد بعض المؤشرات التي تدل على مدى التزام الصحافي لهذا المبدأ أم لا، و هذا مما جعل هذه الفئات نسبية نوعا ما، و بالتالي صعوبة وحدة العد و القياس.

ب- وحدات التحليل :

يكون المحتوى المراد تحليله مجموعة من الوحدات اللغوية، التي يختارها المصدر (المرسل أو الكاتب) بعناية، للتعبير عن الأفكار و المعاني التي يستهدف توصيلها إلى الجمهور لتحقيق أهداف معينة، و الوحدات اللغوية التي تُختار لتحقيق هذه الأهداف هي المستهدفة بعملية التحليل في مجالات الاعلام، و من خلال تتبع البناء أو الهيكل للمحتوى، يمكن اختيار هذه الوحدات، التي سوف تسقط عليها الفئات التي تم اختيارها، و كذلك تسهل عملية العد و القياس. (3)

و قد فضلت في هذه الدراسة اختيار وحدات كبيرة، لأنها تستغرق وقتا أقل في الترميز من الوحدات الصغيرة مثل وحدات الكلمة و الجملة و الفقرة، و تنتمي هذه الوحدات إلى صنف وحدة مفردات النشر و الإذاعة، و هي وحدات تختلف باختلاف الوسيلة الاعلامية، و بما أن الوسيلة التي اخترتها للدراسة هي الصحيفة، فإن وحدات التحليل في هذه الحالة يمثلها، المقال بأنواعه، و الخبر،

(1) راجع في ذلك فاروق أبو زيد، فن الخبر الصحفي، ط: 2، (جدة : درا الشروق للنشر و التوزيع و الطباعة، 1404هـ / 1984 م)، ص : 104.

(2) المرجع نفسه، ص: 103.

(3) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص: 135.

و التحقيق، و الحديث الصحفي، و الصورة، و الرسم الكاريكاتوري (1)، و قد اقتصر على بعض الوحدات دون غيرها، تبعا لأغراض الدراسة من جهة، و لطبيعة الصحيفة المختارة من جهة أخرى، و هذه الوحدات هي : المقال الافتتاحي، المقال التحليلي، التحقيق، العمود، الخبر و الكاريكاتور.

و حتى يسهل علي تحويل المحتوى إلى وحدات قابلة للعد و القياس، حري بي أن أعرف و لو بصفة عامة هذه الوحدات، حتى يتم تقسيم المحتوى وفق هذه الوحدات دون خلط أو خطأ.

- المقال الافتتاحي : المقال -عموما- عنصر أساسي في تحرير الصحيفة، فهو يمثل الوجه الأول لمهمة الصحيفة، و رسالتها الأساسية في المجتمع، و يعني بذلك مهمة الرأي و التوجيه و الدعوة إلى المثل التي تسعى إليها الأمة، و الدفاع عن حقها السياسي و الوطني، و المقال الافتتاحي، هو المقال الرئيسي في الصحيفة، و عادة ما يحمل هذا المقال عنوانا ثابتا، "كلمة الصحيفة"، أو "رأي الصحيفة". و في الغالب لا يحمل المقال توقيع صاحبه، إشارة إلى أنه يحمل رأي الصحيفة، و يمثل سياستها العامة و لهذا يحرص كاتب المقال على أن يكون متمشيا مع سياسة الصحيفة أكثر مما يكون معبرا عن رأيه الخاص. (2)

و نظرا لأهمية المقال الافتتاحي في الصحيفة، فإن الاعتبارات الأخلاقية أولى بالظهور و الالتزام بها في هذا الشكل، فينبغي أن يكون صادقا، دقيقا في تحديد الغرض و وضعه في إطار الصالح العام للأمة، و أن يحرص فيه على إظهار الحقائق الموضوعية لمادة المقال، و للوصول إلى ذلك يمكن أن تستخدم فيه البيانات و الأرقام الرسمية، و يحاول كاتبها هذا المقال معرفة نوعية قراء المقال الافتتاحي حتى يتمكنوا من التعامل معهم وفق المعايير و الاخلاق المهنية، و يحاولوا أن يعرفوا أن هذا الجمهور يتطور مع تطور الحياة، لذا ينبغي أن يكون المقال الافتتاحي مسائرا لواقع هذا الجمهور غير بعيد عنه.

- المقال التحليلي : و هو نوع من أنواع المقال، يعتمد على الخبر -ماضي الخبر- مع ذكر بعض المعطيات للتنبؤ، و يعرض موضوع المقال بشيء من الشرح و المناقشة، فيبين الغرض منه، و إذا كان المقال التحليلي فيه جزء يعتمد على الخبر، فإن غالبه يعتمد على الرؤية الذاتية، و القراءة الخاصة لهذا الخبر أو الحدث أو الموضوع بصفة عامة، مما يستوجب النظر إلى مدى التزام كاتب المقال التحليلي بالمعايير و أخلاقيات المهنة.

- العمود الصحفي أو المقال العمودي : يختلف العمود الصحفي عن المقال الافتتاحي في الصحيفة بأنه يحمل الطابع الشخصي لكاتبه في الرأي و الأسلوب الذي يعرض به الرأي، و عادة ما يوقع عليه كاتبه باسمه أو باسم مستعار يكون مشهورا به، و الكاتب حر في اختيار الأسلوب الذي يتناول به موضوعاته، فقد يكون أسلوبا فكاهيا خفيفا، أو أسلوبا ساخرا لاذعا، أو أسلوبا رزينا متزنا، و قد يكون

(1) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص-ص : 148-153.

(2) إجلال خليفة، مرجع سابق، ص-ص : 99-106.

بالعربية الفصحى أو بلغة قريبة من العامية، أو بلغة مزاج بين العامية و الفصحى.. و الصفة الغالبة في تحرير العمود هي النقد، و قد يكون هذا النقد على شكل شكوى من مواطن ينقلها صاحب العمود إلى المعنيين و يدعوهم إلى سماعها، و قد يكون في صورة فكرة أو اقتراح يدعو إليه الكاتب و هو بذلك يدعو إلى إصلاح ناحية من نواحي التقصير، و قد يأخذ العمود عنوانا ثابتا يمكن أن يأتي تحته عنوان الموضوع، و يحتاج العمود إلى إخضاعه لقياس مدى التزام كتابه بالمعايير و أخلاقيات المهنة خاصة لاعتماده على النقد مما قد يجر إلى استعمال ألفاظ غليظة... وغيرها من الأساليب. (1)

- التحقيق : و هو استطلاع للوقائع و الاحداث، و لجميع الاشخاص الذين لهم علاقة بهذه الوقائع و الأحداث، ثم دراسة و تفسير الظروف و الملابسات التي تحيط بهذه الوقائع و الأحداث و العوامل المؤثرة فيها، و الحكم عليها و تقديم الحلول المناسبة للمشكلة، أو الواقعة التي يتناولها التحقيق، و يراد من خلاله معرفة الحقيقة، و إعلام الجمهور بخلفيات و ملابسات الوقائع، مع توخي تحقيق مصلحة المجتمع، خاصة حين يبدي فيه الرأي و الحل.. و يأخذ التحقيق صوراً و قوالب متنوعة حسب مادته، فيكون على شكل عرض لا يكون لكاتبه فيه دخل كبير، و يترك ما يحتويه التحقيق من مادة تتحدث عن الموضوع، و يكون على شكل قصة تتناسب مع مادة الموضوع، و يكون تدخل الكاتب بقدر يعطي الموضوع أسلوب القصة، كما يكون في قالب الوصف، و الإعراف و الحديث. (2)

- المقال الكاريكاتوري : و هو قالب صحفي، يُعرض الموضوع من خلاله برسم كاريكاتوري ساخر، تلمس فيه العيوب الرئيسية و تضخم، و تُرفق أحيانا بتعليق، و يُلحق بالكاريكاتور الكارتون و هو عبارة عن سلسلة من الرسوم الكاريكاتورية، تلخص موضوعا ما، مع التعليق عليها حتى تستكمل الصورة، و الكاريكاتور و إن كان الغرض منه أولا هو السخرية و الضحك، إلا أنه ينبغي - و كغيره من الأشكال الصحفية- أن يخضع للمعايير و أخلاقيات المهنة، ثم لكونه تواجد بالصحف الساخرة أكثر من غيرها، اختير كأحد مكونات بناء المحتوى محل التحليل.

- الخبر : على الرغم من ان الصحف الأسبوعية تكون في غالبيتها "صحف رأي"، إلا ان بعضها يفضل ادراج الخبر ضمن مادتها، ليعلق عليها أحيانا، و ليتركها دون تعليق مرة أخرى، و في الصحيفة التي اخترتها، تُرك حيزا لا بأس به للأخبار، و نكاد نجده في كل صفحة، و من هنا كان ضم هذه الوحدة ضروري، و هو قابل لاسقاط الفئات المختارة عليه و قياسها.. و الخبر في تعريفه العام «هو تقرير يصف في دقة و موضوعية حادثة أو واقعة أو فكرة صحيحة، تمس مصالح أكبر عدد من القراء و هي تثير اهتمامهم بقدر ما تساهم في تنمية المجتمع و ترفيقه» (3)

(1) إجلال خليفة، مرجع سابق، ص: 114.

(2) المرجع نفسه، ص-ص: 65-76.

(3) فاروق أبو زيد، مرجع سابق، ص: 56. (هذا التعريف كما هو ملاحظ، خاص بمجتمع معين لأنه وفق هذا المؤلف، فإنه يختلف من مجتمع إلى غيره و من نظام إلى آخر)

هذه هي وحدات التحليل التي اخترتها، و قد راعيت إلى جانب اختيار مدى تواجدها في الصحيفة، امكانية استغلالها في إسقاط فئات التصنيف عليها و قياسها، كما اخترتها على أساس أنها تسهل ترجمة المادة إلى صيغ كمية، مما يسهل تحليلها.

ج- البعد و القياس :

يعتبر البعد و القياس، مطلب مهم في تحليل المحتوى، ذلك أنه يمهد للعرض الإحصائي و عقد المقارنات و دراسة الارتباطات و تفسير النتائج الكمية التي تعبر عن السمات الخاصة بمحتوى الوسيلة المدروسة، و ترتبط هذه المرحلة -هي الأخرى- بالاطار النظري، لأنه وفقاً لتساؤلات و أهداف الدراسة، تصاغ الفئات التي يراد قياسها.. و التي سبق أن قلنا أنها يجب أن تكون قابلة للقياس، و كذلك الحال بالنسبة لوحدات التحليل. (1)

و في هذه العملية يجب تحديد وحدات البعد و القياس، و الأسلوب الذي يتم به، فأما الخطوة الأولى، فإن الوحدات التي أريد تعيينها تتعلق بالمتغيرات الداخلية التي نعني بها، ربط وحدات التحليل بفئات المحتوى بعلاقة معينة، و بالنسبة للدراسة التي أتقدم بها، فإنه علي أن أقيس وحدات التحليل، من أجل التعرف أكثر على جريدة "الصبح - أفة" و الطريقة التي تقدم بها مادتها الإعلامية، و قياس مدى تواجد الفئات عبر هذه الوحدات.

و عليه، فقد اختلفت وحدة القياس بالنسبة لوحدات التحليل وفئات المحتوى، فكانت وحدات التحليل هي نفسها وحدة البعد و القياس في مقام أول، ثم اتخذت من المؤشرات الدالة على الفئات وحدة لقياس الأخيرة، و بالتالي فإن الجملة - وأحياناً الكلمة - هي وحدة البعد و القياس بالنسبة لفئات التحليل. و كانت الخطوة الثانية هي البحث عن أسلوب البعد و القياس، و هي عبارة عن نظام التسجيل الكمي لوحدات المحتوى و فئاته، بطريقة منتظمة تعيد بناء المحتوى في شكل أرقام و أعداد يمكن من خلال المعالجة الإحصائية لها الوصول إلى النتائج الكمية التي تساهم في التفسير و الاستدلال و تحقيق أهداف الدراسة، و على اعتبار أنه ليس هناك أساليب أو مقاييس نمطية يمكن استخدامها في كل بحوث تحليل المحتوى (2)، فقد حاولت التقرب من أسلوب سهل، خال مما يستوجب عمليات معقدة، لأن أهداف الدراسة لا تستوجب كل ذلك.

و هناك أربع طرق أو أساليب للعد في تحليل المحتوى :

- الأول: و الأسهل هو اكتشاف ما إذا كانت الفئات و الوحدات موجودة أو غير موجودة في

المحتوى.

- و الثاني: التكرار الذي تظهر به الفئات أو الوحدات.

(1) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص: 171.

(2) المرجع نفسه، ص-ص: 181 - 182.

- و الثالث: كمية ومساحة الفئات أو الوحدات المختارة.

- و الرابع: قياس درجة الشدة التي تظهر بها الفئات و الوحدات في المحتوى (1)

و قد استعملت في قياس وحدات التحليل أسلوب المساحة، و ذلك لأنني رأيت أن حساب التكرار فقط لا يعطي مدلولاً صادقاً، لأنه قد يتكرر شكل معين بكثرة و لكن بطريقة عشوائية، أو مع أخذ مساحة صغيرة، و مع ذلك لم أهمل أسلوب التكرار لأنه قد يفيدني في الاستدلال و تفسير النتائج، و كان حساب المساحة بالسنتيمتر مربع.

أما بالنسبة لفئات المحتوى، فقد اعتمدت أسلوب التكرار، و لأن مساحة الأشكال مختلفة، فقد أضفت أسلوباً آخر، و هو أسلوب قياس درجة الشدة أو الكثافة التي تظهر بها الفئات في المحتوى الذي قسمته إلى وحدات الشكل، و تتم عملية حساب الكثافة بتقسيم عدد تكرار الفئة على مساحة الشكل، و هي عملية تقريبية لم أجد طريقة حسابها في كتب المنهجية، و لكن استشرت بعض المختصين في الرياضيات و الإحصاء، و كانت طريقتي في الحكم على نسبة تواجد الفئات (كبيرة أو صغيرة) بمقارنتها بين جميع الأشكال، و لم أهمل الفئات التي كان عدد تكرارها صغير جداً.

و فيما يخص مستويات القياس، فالدراسة أو إشكالية البحث، لا تتطلبها في ذاتها، و مع ذلك فقد اعتمدت على مستوى القياس الترتيبي، من أجل مقارنة درجة تواجد الفئات بين جميع الأشكال المعتمدة في المحتوى، و ذلك للكشف عن بعض التبريرات التي قد احتاجها في الاستدلال و التفسير.*

(1) محمد عبد الحميد جمع سابق، ص: 183.

(*) أشير إلى أن هناك أربعة مستويات للقياس و هي: ربح مستوى القياس الاسمي، و يقصد به تقسيم وحدات التحليل و فئات المحتوى، إلى مسيات تسمح بالتعبير عن سمات و خصائص المحتوى، كالتقسيم إلى مؤيد/ معارض/ محايد، أو التقسيم إلى: سياسي/اقتصادي/اجتماعي..

- مستوى القياس الترتيبي: و يقصد به وضع ترتيب لنتائج الرصد، من أجل المقارنة و توضيح أسبقية الاهتمام.

- مستوى القياس الفاصل: و يقصد به السمات العددية التي تحمل رتباً معينة بينها مجالات فاصلة موحدة، تشير كل منها إلى مجموعة من الخصائص و السمات العددية التي تميز كل فئة عن الأخرى (و هو مستوى يعتمد على المستوى السابق).

- مستوى القياس النسبي أو المعدل: و يقصد به أن تنسب المجالات الفاصلة المستخدمة في المستوى الفاصل إلى الصفر المطلق، إيجابياً أو سلباً،

(راجع محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص: 186 - 187 - 188 - 189).

المبحث الثاني : عرض البيانات و تحليلها

1 - الأشكال الصحفية المتواجدة في صحيفة "الصح - آفة"

يعتبر "فن التحرير الصحفي" و الاهتمام بتوزيع الأشكال الصحفية، الأساس الأول لبناء الصحيفة و تكوينها، و العامل الأول في نجاحها و في جعلها قوة نافذة تؤدي رسالتها على أوسع مستوى، لأن الصحيفة في الواقع هي المحور أولاً و قبل كل شيء، المحور الذي ينقل المجتمع الاتساني بما فيه من أنشطة انسانية و اجتماعية و علمية، و الذي يصور بحق مطالب هذا المجتمع و رغباته و آلامه و آماله، على صفحات الجريدة في عبارة جذابة راقية، و مفهومة المعاني، و واضحة الأفكار، تنفذ إلى أذهان القراء فتلائم أذواقهم على ما بينهم من تفاوت في المكانة و الشخصية، و العلم و الثقافة و الذكاء و المزاج. (1)

لهذا كله، كان الإهتمام بالتحليل الكمي و الكيفي للأشكال المعتمدة في صحيفة "الصح - آفة" من أجل معرفة نسب تواجدها و مقارنة هذه النسب فيما بينها، و محاولة استخراج مدلول الأرقام المسجلة في التحليل الكمي.

و قبل التفسير و التحليل الكيفي للأرقام المسجلة يجب تسجيل مايلي :

- * تجب الإشارة إلى أن هذه النسب المسجلة، هي نسبة مساحة النوع الصحفي مقارنة بالمساحة الكلية للجريدة، و لم أعتمد على عنصر التكرار إلا في بعض المواطن التي تستدعي ذلك، لأن التكرار يجب أن يقترن بالمساحة حتى نقرأ المدلول الصحيح أو على الأقل الأقرب إلى الصحة.
- * أن التحليل الكمي طبق على وحدات التحليل، و هي الأشكال الصحفية من أجل التعرف أكثر على صحيفة "الصح - آفة" و لارتباطها المباشر مع فئات التحليل، الممثلة في المبادئ و أخلاقيات المهنة.

وفيما يلي الجدول الذي يوضح نسب و مساحة مختلف الأشكال الصحفية المتواجدة في الصح - آفة .:

(1) إجلال خليفة، مرجع سابق، ص: 8.

التحقق	الغير		المعومد		المقال التحليلي		الكاريجاتور		المقال الافتتاحي		الإشغال الأعداد	
	النسبة	المساحة (رسم)	النسبة	المساحة (رسم)	النسبة	المساحة (رسم)	النسبة	المساحة (رسم)	النسبة	المساحة (رسم)		
%8,99	1476	%15,44	2535	17,22	2827	%20,18	3314	%25,13	4126,25	%1,17	193,3	03 : ع
%12,66	2079	%16,14	2650,5	19,53	3207,25	%16,42	2696,5	%15,02	2466,5	%0	0	25 : ع
%8,82	1448	%18,47	3033,25	16,85	2766,5	%18,77	3082,5	%10,30	1691,5	%0	0	39 : ع
%5,32	874,75	%24,80	4071,25	21,00	3448,75	%22,89	3759	%15,32	2515	%0	0	45 : ع
%2,93	523,5	%18,74	3035,75	%20,39	3347,25	%27,52	4518	%16,51	2711,75	%1,53	252	50 : ع
%18,57	3048,5	%16,35	2685,25	%17,18	2820,5	%14,57	2393	%13,87	2278	%1,58	261	69 : ع
%5,87	965	%19,56	3212,25	%14,86	2441	%23,80	3908	%11,33	1861,5	0	0	74 : ع
%13,08	2147,5	%17,26	2834,5	%15,35	2520,5	%19,50	3202,5	%13,22	2171	%1,15	189	81 : ع
%11,51	945	%8,10	665	%10,09	828,75	%11,54	947	%6,36	522,5	%0	0	ع : الملحق (ع : 12)
87,75	13507,25	154,86	24722,75	152,47	24207,5	175,19	27820,5	127,06	20344	5,43	895,5	المجموع
%9,95		%17,20		%16,94		%19,46		%14,11		%0,60		متوسط النسبة

الجدول رقم 1 : بوضوح مساحة و نسب مختلف الإشغال المتواجدة في صحيفة "الصبح - آفة"

ملاحظة : قياس المساحة بسم² - الأسيجة :
 قياس مساحة الشكل بالنسبة للمساحة الكلية المرسومة في
 - النسبة المتبقية من 100% ، تستخدمها الشكل الأخرى ، بالمعمود ، بربط الفراء ، و يتم تسجيل الأجزاء في المرسومة

و من خلال الجدول رقم 01 و الأرقام المسجلة فيه يمكن استخلاص مايلي :

نلاحظ أن أقل نسبة مسجلة هي نسبة "المقال الافتتاحي" و هذا طبيعي، باعتبار أن الافتتاحية، مقال مركز و مختصر بالإضافة إلى كونه مقالا واحدا يتصدر صفحات الجريدة، (فهو في عمومه غير متعدد - أي إنه مقال واحد..) و تقدر هذه النسبة ب 5،43% كمجموع، و 0،60 كم متوسط النسبة.

غير أنه من المهم أن نسجل أن عدد تكرار الافتتاحية، عبر أعداد العينة لم يساو هذه الأعداد، أي أن الافتتاحية غابت في أربعة أعداد مع غيابها أيضا في الملحق، و هذا النقص أو الغياب له مدلول كبير، خاصة إذا علمنا أن المقال الافتتاحي يعبر عن رأي وخط الصحيفة، و يهم أكبر عدد من القراء، و يكون في كثير من الأحيان داعيا إلى تصفح كل صفحات الجريدة..و من هنا يمكن القول أن بناء صحيفة "الصح - آفة" سجل اختلالا في بعض أعداده بغياب الافتتاحية فيها، و قد يبرر هذا الغياب - لنسحب وصف "الإختلال" - بكون الصحيفة أسبوعية، و لم تتمكن من مسابقة الأحداث في وقتها، وهو عنصر أساسي في الافتتاحية، إذ يجب أن تكون وثيقة الارتباط بالزمن الذي تصدر فيه، كما يمكن اعتبار الصحيفة قد اعتمدت الكاريكاتور كمقال افتتاحي، لكن هذا المبرر غير وارد، لأنني لاحظت أن المقال الكاريكاتوري الذي يحتل مكان الافتتاحية يكون دائما مدعما لمقال تحليلي، كما أنه لم يوضع في إطار خاص يوضح أنه مقال كاريكاتوري افتتاحي، و هذا يعود بنا إلى التأكيد على وجود بعض الاختلال في بناء صحيفة "الصح - آفة".

أما ثاني أقل نسبة فقد سجلت في خانة التحقيق، و هو أمر طبيعي أيضا، لأن صحيفة "الصح - آفة" صحيفة رأي - على الرغم من وصف طاقمها لها في عددها "الصفير" بالاختيارية- لأنها أسبوعية، و اعتمادها على الأخبار و التحقيقات هو من أجل القراءة الخلفية للأحداث .. و مع ذلك أقول أن نسبة 87،75% كمجموع و نسبة 9،75% كم متوسط النسبة، لا بأس بها، و هذا يعني أن الصحيفة تهتم بإحاطة جمهورها بحقيقة الأحداث و المشكلات التي تواجه المجتمع، كما تهتم برفع الستار عن الخلفيات التي تحملها هذه الأحداث.

و تأتي نسبة تواجد الكاريكاتور، كثالث أقل نسبة، حيث سجلت نسبة 127،06% كمجموع نسب، و 14،11% كم متوسط للنسبة، و هي نسبة لا بأس بها من حيث الرقم، غير أننا إذا نظرنا إلى تكرار عنصر الكاريكاتور و مساحة كل كاريكاتور على حدى، و ما يمثل هذا المعطى من مدلول، فإننا نلاحظ أن كثيرا من الرسومات الكاريكاتورية عرضت في مساحات صغيرة جدا و دون مدلول واضح أو هادف مما يضعف من تأثير هذا العنصر الهام -خاصة بالنسبة لصحيفة ساخرة- في تقديم المادة و عرضها على الجمهور، و كان بإمكان الصحيفة أن تستغل الرسم الكاريكاتوري أفضل مما هو عليه الحال بالنسبة للأعداد التي درست، و يمكن تعميم هذه الملاحظة على الصحيفة ككل، لأن الصحيفة اعتمدت تقريبا، الطريقة في الإخراج و الشكل عامة.

نفسها

و يأتي اعتماد الصحيفة على "العمود" و "الخبر" بدرحة أكبر بقليل حيث تواجد العمود في صحيفة "الصح - آفة" بنسبة 152,47% في المجموع، و 16,94 في المتوسط، و تواجد الخبر بنسبة 154,86% في المجموع، و 17,20% في المتوسط، و هي نسب متقاربة، و كبيرة نوعا ما، خاصة إذا علمنا أن "الصح - آفة" أرادت من خلال مضمونها أن تؤكد على خطها المعارض، و اعتمادها على عدد كبير من الأعمدة، التي جاءت في أغلبها ناقدة⁴ و هي صفة ملازمة للعمود، و لعل طاقم الصحيفة يعلم أن النقد المضمن في العمود، هو أشد ما يجذب القارئ، و يدعو إلى الاستجابة السريعة، لذلك عمدوا إلى التركيز على هذا العنصر، و قد نجحوا في تنويعه، فجاء تارة على شكل اقتراح، و أخرى على شكل فكرة، و ثالثة على شكل مفارقة..

و نسجل هنا -أيضا- أن "الصح - آفة" استطاعت أن تستقر على عدد من الأعمدة، التي حملت عناوين ثابتة، و ذكية و جذابة، و تستجيب كثيرا لمطلب توفر عنصر السخرية فيها.

أما المقال التحليلي فقد سجل أكبر نسبة تواجد في الصحيفة، و قدرت ب 175,19% كمجموع للنسب، و 19,46% كمتوسط لهذه النسب، و هذا الرقم الكبير، يدل على أن الصحيفة تهتم بتوضيح و شرح و تفسير ما يحدث للقارئ، ساعية إلى إقناع جمهورها بطرحها، و طريقة عرضها للأحداث، كما تسعى إلى تحقيق حق الجمهور في إعلام شامل، و إحاطته بما يمكن أن يفهمه من الحوادث و الأخبار، بالشرح الذي تضمنه مقالاتها التحليلية.

و يبقى أن نسجل أن النسبة المتبقية تتضمن أشكالا أخرى، مثل الصورة، و بريد القراء، و التي جاءت بنسب صغير، فالصورة تواجدت بمتوسط نسبة يعادل 2,07%، و أكبر نسبة منها كانت في الملحق الذي ضمته العينة، و هذا الرقم يدل على أن "الصح - آفة" لا تعتمد على الصورة كثيرا كعنصر يساهم في بناء هيكلها، ثم أن الصور التي تواجدت في أعداد العينة لم تستعمل في مجملها لتدعيم المقالات، و لكن استعملت بطرق ساخرة و هزلية، حيث أرفقت بتعليقات مفعمة بالسخرية و المفارقة و قد كانت أسلوبا ناجحا و مشوقا، و لو أن الصحيفة أكثر من استعماله، لنجحت إلى حد بعيد في تحقيق التنوع الكافي في الأشكال الصحفية، خاصة و أن الصورة، شكل له أثر كبير في تقديم المادة الإعلامية إلى الجمهور، بطريقة جذابة و مشوقة.

أما بريد القراء فقد تواجد هو الآخر، بنسبة صغيرة بمعدل 2,07%، و هي نسبة صغيرة، خاصة إذا علمنا أن عدد تكرار بريد القراء في أعداد العينة لم يتعد الخمس 05 مرات، و هو عدد لا يساوي أعداد العينة المقدر بتسعة أعداد، و على الرغم من أن الجريدة أعلنت عن احتجاب بريد القراء في العدد 45، و بررت هذا الاحتجاب، بسبب التوبيع الجديد لصفحات الجريدة و أيضا بهدف إعطاء مضمون جديد تتوخاه من رسائل القراء، و تتمناه يعالج قضايا هامة و مصيرية بالنسبة للبلاد، في مواضيع اجتماعية و ثقافية و سياسية و اقتصادية، يكون تبادل الآراء فيها أساسا لحوار هادف بين الجميع.. غير أن احتجاب بريد القراء في بعض أعداد العينة لم يكن له مبرر، و أضعف من اهتمام

الجريدة بقياس رجح الصدق، و تفاعل جمهورها معها، إضافة إلى اضعاف اهتمام الجريدة باشتراك الجمهور في العملية الاعلامية، باعطائه فرصة ابداء رأيه عبر هذا الركن، أو حتى حق الرد، و قد كان ركن بريد القراء في جريدة "الصح - آفة" ناجحا، و يكشف في كثير من الأحيان عن تفاعل كبير بين جمهور القراء و جريدتهم "الصح - آفة" خاصة حين تأتي رسائلهم مشبعة بروح السخرية، كما كان عنوان الركن يتوفر على عنصر السخرية شكلا و مضمونا، و كانت هذه العوامل مجتمعة، سببا في نجاح الركن، لو لا التذبذب الذي عرفه.

اخيرا، نستطيع القول أن جريدة "الصح - آفة" اعتمدت على عدد لا بأس به من الأشكال الصحفية، و على الرغم من غياب الافتتاحية في بعض الأعداد - على أهميتها خاصة كمدخل للجريدة - و على الرغم أيضا من غياب بريد القراء في بعض الأعداد، و قلة الاعتماد على الصورة، كما أن "الصح - آفة" لم تعتمد الألوان المختلفة في إخراج مضامينها، و مع ذلك، فإنها جريدة متنوعة و مقبولة في شكلها العام.

2 - عرض و تحليل البيانات الخاصة بمبادئ و أخلاقيات الصحافة و مدى التزام "الصح - آفة" بها.

في الإجراءات المنهجية التي تعرضت لها في المبحث السابق، تحدثت عن فئات المحتوى و كيف يتم تصنيفها تبعا للإطار النظري لمشكلة البحث و تساؤلاته و الأهداف المتوخاة منه، و حيث أن مشكلة البحث تتمثل في النظر إلى مدى التزام "الصح - آفة" بالمبادئ التي حددت في الإطار النظري، — و لأن المبادئ و الأخلاقيات متعددة و كثيرة، فقد حاولت أن أضمها في أطر أشمل، فجمعت المبادئ التي يمكن أن يضمها إطار واحد، و صنعتها في فئة واحدة، فكان أن تحصلت على ثلاث فئات كبيرة و شاملة:

- الفئة الأولى : و تدور حول : الدقة و الموضوعية : و تضم إلى جانب هذين العنصرين ضمان حق الجمهور في اعلام صحيح.

- الفئة الثانية : الالتزام بالقيم الاجتماعية : و تضم الفئة عدد من المؤشرات كاحترام سمعة الناس و عدم التشهير بهم دون مبرر، و عدم استعمال الألفاظ النابية، و تجنب التصوير للأخلاقي (لفظا و شكلا).

- الفئة الثالثة : الإلتزام بالواقع : و حاولت من خلال هذه الفئة، و عبر بعض المؤشرات أن اتحقق من مدى التزام "الصح - آفة" بالواقع، و من هذه المؤشرات الصدق في التصوير و عدم المبالغة في الخيال و الرمز مما يؤدي إلى الغموض و البعد عن الواقع.

و قبل أن أحدد هذه المؤشرات لاحظت أن الفئات التي اخترت، -لا أقول أنها غير قابلة للقياس- و إنما نسبية بعض الشيء، و قياسها و تقييمها، يدخل فيه بعض من الذاتية، و قد ساعدت هذه المؤشرات في إختيار وحدات القياس و تطبيقها على الفئات.

و قبل عرض البيانات و تحليلها و استنتاج مدلولاتها، هناك ملاحظات يجب أن أسجلها و هي كالآتي :

- بالنسبة للفئة الأولى : و التي تدور حول الدقة و الموضوعية، كان من السهل قياس التكرار إذ سجلت المؤشرات و أخذت أحسب تكرار هذه المؤشرات كلما وجدتها في المحتوى (عبر الأشكال الصحفية).

- أما بالنسبة للفئتين الثانية و الثالثة، فإنه تحتم علي - و تبعا للمؤشرات التي اخترت- أن أحسب التكرار بقيم سلبية إشارة إلى أن المؤشرات تناقض مبادئ و أخلاقيات هاتين الفئتين، و الذي دفعني إلى الأخذ بعين الاعتبار هذه المؤشرات، دون المؤشرات الموافقة لمبادئ و اخلاقيات الفئتين، أن الأولى قابلة للقياس، بينما المؤشرات الموافقة نسبية إلى حد كبير مما يصعب قياسها.

- و على اعتبار أن التكرار وحده لا يكفي لاستنتاج الدلالات اللازمة من تحليل محتوى "الصح - لافة" - لأننا قد نجد عدد تكرار الفئة الأولى مثلا في العمود أكثر منه في الافتتاحية و هذا لا يقود مباشرة إلى القول أن هذا العنصر متوفر في العمود أكثر منه في الافتتاحية، لأنه يجب النظر في المساحة- فقد عمدت إلى قياس كثافة التكرار بالنسبة للمساحة حتى أتمكن من المقارنة على ما في هذه الطريقة من ارتياب، و قد حاولت بذلك الاقتراب من القياسات الصحيحة.

و فيمايلي عرض البيانات و تحليلها :

* مبادئ و اخلاقيات الصحافة في المقال الافتتاحي :

كما سبق الإشارة إليه، يعتبر المقال الافتتاحي المقال الرئيسي في الصحيفة، و يهم أكبر عدد من القراء، و عليه فهو بوابة الصحيفة، و المفروض أن يكون مشوقا و جذابا بما يفتح شهية القارئ و يدفعه إلى متابعة قراءة كل الجريدة، و من هنا فإنه من الأهمية بمكان قياس مدى تواجد مبادئ و أخلاقيات مهنة الصحافة في هذا الشكل الصحفي.

و بتحليل محتوى أعداد العينة سجلت الأرقام التي تضمنها الجدول التالي (انظر الجدول رقم

(02).

وحتى أصل إلى الجداول التي ستلي - تم قراءة كل شكل أو قالب على حدة ،
في كل الأعداد المقررة في العينة، وكلما وجدت مؤشراً يدل على مبدأ من المبادئ الاخلاقية
أضعه في خانته ، و حسابه بوحدة القياس المعتمدة .

المقال الافتتاحي

الأعداد الأخلاقيات	ع: 03	ع: 25	ع: 39	ع: 45	ع: 50	ع: 69	ع: 74	ع: 81	ع: الملحق	المجموع
الدقة و الموضوعية	4	/	/	/	6	/	/	2	/	12
احترام قيم المجتمع	1-	/	/	/	/	/	/	3-	/	4-
الالتزام بالواقع	1-	/	/	/	/	/	/	1-	/	2-

الجدول رقم 02 : يوضح عدد تكرار المبادئ و اخلاقيات المهنة، (بالايجاب و السلب تبعاً للمؤشرات المختارة لقياس الفئات) في المقال الافتتاحي.

(أ) يوضح هذا الجدول أن تكرار عناصر الفئة الأولى (الدقة و الموضوعية) يساوي 12 في كل أعداد العينة، و بالنظر إلى المساحة الاجمالية للمقال الافتتاحي و التي تقدر ب 895,5 سم²، نجد أن كثافة تكرار "الدقة و الموضوعية" بالنسبة للمساحة تساوي نسبة تقدر ب 0,013 و هي نسبة تأتي بعد نسبة الخبر و التحقيق كما أنها نسبة قريبة من هذه النسب، و هذه الأرقام تدل على أن الصح - آفة كانت تراعي الدقة و الموضوعية في تناولها لموضوعات افتتاحيتها بنسبة لا بأس بها، و هي بذلك تبدي رغبتها في السعي إلى كسب ثقة جمهورها، لولا تغييرها للمقال الافتتاحي في أكثر من عدد من مجموع أعدادها.

(ب) أما بالنسبة للفئة الثانية و التي تتناول (احترام قيم المجتمع)، فقد سجلت عدد تكرار يقدر ب 4-، أي أن المؤشرات المناقضة لفئة : احترام قيم المجتمع، كاستعمال الكلمات النابية أو التصوير الأخلاقي، أو التشهير بالأشخاص أو الهيئات دون مبرر لم يتكرر إلا أربع مرات موزعة كالآتي : مرة واحدة في العدد: الثالث، و ثلاث مرات في العدد الواحد و الثمانين، الذي بسببه أوقفت "الصح - آفة" و هذا يدل أن الصحيفة، كانت ملتزمة إلى حد متوسط بمبدأ احترام قيم المجتمع، على الرغم من تسجيل أكبر نسبة كثافة.

(ج) و فيما يخص الفئة الثالثة، التي تتعلق بمدى التزام "الصح - آفة" بمبدأ (الالتزام بالواقع) فلم تتكرر المؤشرات المناقضة لهذا المبدأ إلا مرتان، و هو عدد ضئيل جداً لا يجعلنا نقول أن الصحيفة لم تلتزم بالواقع، و إنما كانت تعتمد في مقالها الافتتاحي، على لغة بسيطة واضحة، مبنية على الصدق و البعد عن التجريد و الرمز المعقد، و هي أمور تتطلبها الافتتاحية بصورة ملحّة.

• مبادئ و أخلاقيات الصحافة في المقال الكاريكاتوري:

يتواجد الكاريكاتور بنسبة متوسطة عبر جريدة "الصح - أفة"، كما توضح في الجدول الأول، و لأن الكاريكاتور هو عبارة عن عرض لصورة من اجل تضخيم العيوب و تركيز الضوء عليها، فقد كان تحليل الكاريكاتور في أعداد "الصح - أفة" من أجل التماس مدى التزام الصحيفة بالمبادئ و الأخلاقيات المهنية مشوقاً، و استطعت من هذا التحليل أن أسجل الأرقام المضمنة في الجدول التالي :

الكاريكاتور

الأعداد الأخلاقيات	ع: 03	ع: 25	ع: 39	ع: 45	ع: 50	ع: 69	ع: 74	ع: 81	ع: المنقح	المجموع
الدقة و الموضوعية	/	1	/	/	2	/	/	/	/	3
احترام قيم المجتمع	3-	1-	2-	2-	1-	8-	2-	3-	/	22 -
الالتزام بالواقع	6-	5-	2-	3-	2-	5-	4-	2-	1 -	30 -

الجدول رقم 03 : يوضح عدد تكرار المبادئ و اخلاقيات المهنة،(بالايجاب و السلب ووفقا للمؤشرات المختارة لقياس الفئات) في المقال الكاريكاتوري.

و من خلال هذا الجدول، خرجت بالاستدلالات التالية :

(أ) فيما يخص الدقة و الموضوعية نلاحظ أن مجموع تكرار مؤشرات هذه الفئة لم يتعد 3 عبر كل أعداد العينة، و هو أمر يؤكد أن الذاتية من أهم ما يميز الكاريكاتور، و تعليقنا على هذا الرقم هو أن الكاريكاتور و إن كان يعبر عن رأي خاص و ذاتي، و يصعب أيضا توفر عنصر الدقة فيه، فإنه يستطيع أن يتوفر على مؤشر مهم يدل على الموضوعية و هو عدم التحامل أو التحيز دون مبرر، و هو ما لم يتوفر في التحليل إلا بنسبة ضئيلة جدا تقدر ب 3، و هذا يقودنا إلى القول أن "الصح - أفة" لم تلتزم بمبدأ الدقة و الموضوعية، عبر مقالاتها الكاريكاتورية إلا نادرا (4،0001 رقم الكثافة).

(ب) أما عن الفئة الثانية : فقد سجلت رقما لابأس به فيما يتعلق بتكرار المؤشرات المناقضة لمبدأ احترام ^{قيم} المجتمع، قدر ب 22 مرة و دارت هذه المؤشرات في معظمها حول التصوير للأخلاقي، و أحيانا ببعض الكلمات النابية عبر التعليقات المرفقة للكاريكاتور، و أحيانا أخرى بالتشهير غير المستحق ببعض الشخصيات أو الهيئات و قد يقول قائل أن الكاريكاتور يفقد تأثيره إن هو تقيّد بالمبادئ

و الأخلاقيات الصحافية، غير أن الالتزام بتلك المبادئ لا ينقص من تأثير الكاريكاتور، بل على العكس من ذلك فإنه يكسبه خاصية و ميزة تجعله ينبثق من صميم المجتمع و الجمهور الموجه إليه، لأنه يعترف بأن هذا المجتمع و الجمهور له قيم و مبادئ يجب احترامها، حتى يتم النجاح في عملية التواصل بينهما.

(ج) و في الفئة الثالثة و التي تدور حول الالتزام بالواقع، نلاحظ أن عدد تكرار المؤشرات المناقضة لهذا المبدأ يساوي 30 مرة، و هو عدد معتبر، يدل أن الكاريكاتور في "الصح - آفة" ابتعد نوعاً ما عن الواقعية، و تتمثل صور هذا الابتعاد عن الواقع، في عدم وضوح بعض الرسومات الكاريكاتورية، و فراغ بعضها الآخر من المحتوى الهادف، إذ لم يكن لها مدلول، و أحيانا تظهر و كأنها جاءت لتملأ فراغا في مساحة الجريدة.

* مبادئ و أخلاقيات الصحافة في المقال التحليلي :

المقال التحليلي مقال يعرض و يشرح و يناقش الأحداث، مما يساعد على توضيح الروية، و على القراءة الصحيحة لهذه الأحداث، و قد لاحظنا أن المقال التحليلي تواجد بأكبر نسبة في صحيفة "الصح - آفة"، و بهذا يمكن وصفها بالتحليلية، و على هذا فإن البحث عن مدى التزام "الصح - آفة" بالمبادئ و الأخلاقيات المهنية، عبر المقال التحليلي الذي يحتل أكبر مساحة في الصحيفة، هو من الأهمية بمكان، و قد تتبعنا الخطوات نفسها في تحليل محتوى المقالات التحليلية و انتهيت إلى الأرقام المسجلة في الجدول التالي :

المقال التحليلي										
الأعداد الأخلاقيات	ع: 03	ع: 25	ع: 39	ع: 45	ع: 50	ع: 69	ع: 74	ع: 81	ع: المنقوع	المجموع
الدقة و الموضوعية	57	42	52	55	72	33	54	57	37	459
احترام قيم المجتمع	/	2-	6-	1-	/	2-	1-	/	1 -	13 -
الالتزام بالواقع	/	/	4-	2-	/	/	/	/	/	6 -

الجدول رقم 04 : يوضح عدد تكرار مبادئ و اخلاقيات المهنة (بالايجاب و السلب وفقا للمؤشرات المختارة لقياس الفئات) في المقال التحليلي.

أ) من خلال "الجدول رقم 04" يتضح أن فئة الدقة و الموضوعية، - و عبر مؤشراتها- تكررت ما يقارب 459 مرة، أي ما يساوي : 0,016 كقيمة للكثافة بالنسبة للمساحة، و هي تساوي تقريبا قيمة الكثافة في المقال الافتتاحي، و هو رقم يدل على التزام "الصح - آفة" بالدقة و الموضوعية بدرجة لا بأس بها في المقال التحليلي.

ب) و بالنسبة للفئة الثانية : نسجل رقم تكرار لا يعد كبيرا مقارنة مع رقم التكرار في العمود أو الكاريكاتور أو حتى الخبر، حيث قدر تكرار المؤشرات المناقضة لمبدأ احترام قيم المجتمع ب 13 مرة، و هذا يدل أن "الصح - آفة" لم تتجاوز حدود الأدب و احترام قيم جمهورها و المجتمع الذي تصدر فيه عموما، ثم أننا لا نجد هذه المؤشرات في كل أعداد العينة، مما يوحي بأنها قد تكون فلتات، أو أن الأحداث، كانت ذات وقع استدعى استعمال بعض الكلمات النابية أو التصوير اللأخلاقي.

ج) أما عن الفئة الثالثة، فإن المقال التحليلي لم يسجل به، إلا تكرار 6 مرات للمؤشرات المناقضة لمبدأ الإلتزام بالواقع، و هو رقم إذا ما قورن بالمساحة الكبيرة التي احتلها المقال التحليلي يعد صغير جدا، و يمكن إهماله.. أي أن "الصح - آفة" و عبر مقالاتها التحليلية كانت واضحة، ملتزمة بالشرح الصادق القريب من واقع جمهورها و قرانها.

و يمكن وصف المقال التحليلي في "الصح - آفة" و بعد هذا التحليل، بالوضوح، و الموضوعية و الدقة، كما أنه مقال يتصف بالرزانة و استعمال التعبير النظيف، الذي قد يضحك حيناً، و يوجع حيناً آخر، لكن لا يחדش حياء جمهوره، باستعماله للفظ النابي أو التصوير اللأخلاقي.

* مبادئ و أخلاقيات الصحافة في "العمود":

إذا كانت أهم صفة للعمود هي النقد، فإن هذا لا يعني التحول إلى الشتم أو السب أو التشهير دون مبرر، لهذا كان من الضروري تحليل محتوى العمود في "الصح - آفة" للنظر فيما إذا كانت هذه الصحيفة قد راعت المبادئ و الاخلاقيات المهنية في العمود أم لا، و كانت نتيجة التحليل الكمي ما تضمنه الجدول التالي :

العمود										
الأعداد الأخلاقيات	ع: 03	ع: 25	ع: 39	ع: 45	ع: 50	ع: 69	ع: 74	ع: 81	ع: الملحق	المجموع
الدقة و الموضوعية	26	25	14	27	21	11	14	24	18	180
احترام قيم المجتمع	6-	5-	7-	7-	5-	6-	4-	5-	/	45 -
الإلتزام بالواقع	7-	10-	7-	4-	2-	8-	7-	2-	/	47 -

الجدول رقم 05 : يوضح عدد تكرار مبادئ و أخلاقيات المهنة (بالإيجاب و السلب و وفقا للمؤشرات المختارة لقياس الفئات) في العمود.

أ) نلاحظ من خلال الجدول الخامس، أن مؤشرات الفئة الأولى "الدقة و الموضوعية" تكررت بما يقارب 180 مرة، و بكثافة تقدر ب 0,0007 بالنسبة للمساحة، و هي نسبة ضئيلة، و لكن ليست كالنسبة المسجلة في الكاريكاتور، و هذا يدل على أن العمود اعتمد على الدقة و الموضوعية، لكن بنسبة ضئيلة لا تصل إلى درجة الالغاء، إلا أنها تجعلنا نقول أن "الصح - آفة" و عبر اعمدتها، تفلتت من مبدأ الدقة و الموضوعية و لعل صفة الذاتية و الرأي الخاص الذي يطبع العمود، كان سببا في نقص تواجد عنصر الموضوعية و الدقة فيه.

ب) أما الفئة الثانية، فقد سجل العمود أكبر رقم تكرار للمؤشرات المناقضة لمبدأ احترام قيم المجتمع، و يقدر ب 45 مرة، و قد تواجدت هذه المؤشرات عبر كل أعداد العينة -ماعدا الملحق- و هذا يدل على انه خط اعتمده أصحاب الأعمدة، و أسلوباً تكرر تقريبا في كل الأعداد، و هذا يؤكد بدوره أن الألفاظ النابية أو التصوير للأخلاق أو التشهير غير المبرر التي وردت في الأعمدة لم تكن فلتات، و أن "الصح - آفة" وقعت في البداية بدرجة متوسطة عبر العمود، و هذا يؤكد ما ذهبنا إليه في بداية تحليل العمود، من أن بعض كاتبي الأعمدة يظنون أحيانا أن الحرية الممنوحة لهم عبر هذه المنابر تسمح لهم بالسب و التشهير غير المبرر و القذف دون حد أو علامات توقف.

ج) كما نسجل أيضا أكبر رقم في تكرار المؤشرات المناقضة لمبدأ الالتزام بالواقع و المقدر ب 47، و هو رقم يسمح لنا بالقول بأن لغة العمود لم تكن واضحة أحيانا، كما أن بعضها أمعن في الرمز بطريقة مبالغ فيها، مما أدى إلى الغموض و عدم الفهم، كما اعتمد بعض محرري الأعمدة على التجريد مما أبعدنا أحيانا عن الواقع المعاش للجمهور.

و عموما يمكن القول أن العمود في "الصح - آفة" كان من الناحية الشكلية ناجحا إلى حد كبير سواء من حيث نسبة التواجد، أو في اختيار العنوان و الثبات عليه و الاستمرار فيه، و كان بإمكان هذا الركن أن يحقق نجاحا أكبر لو التزم بالمبادئ و الأخلاقيات المهنية بنسبة أكبر.

* مبادئ و أخلاقيات الصحافة في الخبر :

يقال « أن وضع الخبر في أبسط الأطر، أو إضافة تفسيرات يعرضان الموضوعية الكاملة إلى التشويه، لأن التفسير و الخلفية لا يضيفان على القصة الخبرية المعنى فحسب، و إنما الرأي و التحيز أيضا.. غير أنه إذا اقتصر الخبر على السرد الموجز لتقارير غير مصحوبة باضافات تفسيرية، فإنها تكون بمثابة قصاصات صحفية، خالية المعنى لوقائع غير مترابطة و عشوائية و بدون هدف » (1).. و حيث أن "الصح - آفة" كان من أهم أهدافها هو محاورة المخطور و المستور - كما جاء في عددها الصفرة* - و محاولة قراءة الأخبار و المعطيات الرسمية، بطريقة ثانية تسمح للقارئ بأن يرى الواقع

(1) السعيد بو معيرة، "عودة إلى فكرة فصل الواقعة عن الرأي"، عالم الاتصال، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1992)، ص: 92.

(* أنظر العدد الصفرة-الصح-آفة، ص : I (دون تاريخ).

السياسي بمنظار آخر غير المنظار الذي تعود عليه من خلال الأجهزة الرسمية، أي أنها كانت تريد أن تقول للقارئ ما تخفيه الوسائل الإعلامية الأخرى، و أن توصل له المادة الخبرية بطريقة لا يمكنها أن تصل إليه عبر باقي الوسائل (1)، فقد عمدت هذه الصحيفة إلى وضع الخبر في أطر خاصة، و ذلك ببعض التفسيرات الطفيفة، و التي في غالبها تكون في شكل تعليق أو باستعمال أسلوب فك الكلمات، مما يضيف على الخبر جاذبية خاصة، و يوحى بقراءة خاصة أيضا، ثم أن طبيعة الأسلوب الذي تحرر به الصحيفة، جعل من الضروري إرفاق الخبر بتعليق أو حتى بكلمة.

و قد تواجد الخبر في "الصح - آفة" بنسبة كبيرة و هي ثاني نسبة بعد المقال التحليلي، و من هنا كان تركيزنا على تحليل مضمون هذا الشكل، للكشف على مدى التزام "الصح - آفة" بالمبادئ و الاخلاقيات المهنية فيه، و كانت نتائج و أرقام التحليل الكمي كمايلي :

الخبر										
الأعداد الأخلاقيات	ع: 03	ع: 25	ع: 39	ع: 45	ع: 50	ع: 69	ع: 74	ع: 81	ع: المنقوع	المجموع
الدقة و الموضوعية	72	82	47	100	99	46	57	77	18	598
احترام قيم المجتمع	4-	6-	2-	1-	1-	1-	2-	1-	/	17 -
الالتزام بالتوقع	1-	4-	2-	/	/	2-	/	/	/	9 -

الجدول رقم 06 : يوضح عدد تكرار مبادئ و اخلاقيات المهنة (بالايجاب و السلب و وفقا للمؤشرات المختارة لقياس الفئات) في الخبر.

(أ) نلاحظ من خلال الجدول رقم 06 : أن عدد تكرار مؤشرات الفئة الأولى قدر ب 598 ، و هو رقم كبير، و كثافة تواجد هذه المؤشرات بالنسبة للمساحة قدرت ب 0,024، و هي ثاني نسبة كثافة بعد التحقيق، و قبل الحكم على الصحيفة و مدى التزامها بمبدأ الدقة و الموضوعية يجب أن نعلق على الرقم المسجل، حيث أن المؤشرات المختارة (-ذكر المكان، و الأسماء، و الأرقام) سمحت بتضخيم رقم التكرار، لأن مضمون الخبر في العادة يكون عبارة عن ذكر أرقام، و مرفق بأمكان أسماء، و هذا الرقم لا يجعلنا نحكم مباشرة بالتزام الصحيفة بالمبدأ، خاصة إذا علمنا أن "الصح - آفة" كثيرا ما تهمل ذكر مصدر الخبر، و هو مؤشر ينقص من دقة و موضوعية الصحيفة،

و كخلاصة، يمكن القول أن "الصح - أفة" اعتمدت على طريقة خاصة في تحرير الخبر، و على الرغم من عدم ذكرها لمصدر الخبر في كثير من الأحيان إلا أنه يمكن وصف "الصح - أفة" بأنها التزمت بمبدأ الدقة و الموضوعية بدرجة لا بأس بها و أنها كانت واثقة من صحة أخبارها مما جعلها تتخذ كشعار لها، عبارة : "بالدليل و البرهان لا بالقراءة في الفجائن"، و كثيرا من نشرت أخبارا و تحقيقات خطيرة، لم يرد بشأنها أي رد أو تكذيب.

(ب) و عن الفنة الثانية، نلاحظ أن الرقم المسجل الخاص بتكرار المؤشرات المناقضة لمبدأ الالتزام باحترام قيم المجتمع، قدر ب 17 مرة، و هو رقم يأتي بعد رقمي العمود و الكاريكاتور، و لو كان هناك فصل تام بين الواقعة و الرأي، لما تمكنت من تسجيل هذا الرقم، لأنه في حقيقته- يعبر في غالب الأحيان- عن الكلمات النابية التي كانت تعلق بها الصحيفة عن الخبر، و يمكن القول في هذا الصدد أن "الصح - أفة" وقعت في حماة البذاءة أحيانا، و كان بإمكانها تجنب هذا المطب، خاصة إذا علمنا أن تلك الكلمات التي جاءت كتعليق على الخبر، كانت في أحيان كثيرة زائدة، و كان بإمكان الصحيفة التنازل عنها.

(ج) أما فيما يخص مبدأ الالتزام بالواقع، فقد سجلت رقم تكرار للمؤشرات المناقضة للمبدأ قدر ب 9، و هو رقم ضئيل مقارنة بالمساحة التي يحتلها للخبر، و هو رقم يدعو إلى التساؤل أيضا، كيف يمكن للخبر أن يكون مجردا مثلا أو غامضا، و لتفسير ذلك، أقول أن الأمر يتعلق دائما بالتعليق المرفق للخبر، إذ أحيانا ما تورد الصحيفة تعليقا لا يفهم الغرض منه.

* مبادئ و أخلاقيات الصحافة في التحقيق :

يعتبر للتحقيق الصحفي، "الموقف الصعب" في فن التحرير" و عمل المحرر الصحفي و مهنة الصحافة، لأنه ينبغي أن يكون تحليلا واقعا للأحداث و المشكلات التي تواجه المجتمع، و تحليلا نفسيا للأشخاص الذين يتصلون بهذه الأحداث و المشكلات و استقصاء للظروف التي تحيط بها و ما لها من امتداد في الماضي و أثره في الحاضر، و ما يمكن أن يكون لها من تأثير بالنسبة للمستقبل، و لا بد أن يكون كل هذا مدعما و موضحا بالأرقام و الإحصائيات و الرسوم و البيانية و الشواهد المماثلة و آراء الفنيين و الإحصائيين حتى تكون الحقائق مؤكدة. (1)

و بعد الإطلاع على ما ينبغي أن يكون عليه التحقيق و المحقق، حاولت تحليل محتوى التحقيقات في "الصح - أفة" من أجل للنظر في مدى مطابقتها لهذه المواصفات و التي تترجم المواصفات نفسها للمبادئ و الأخلاقيات للمهنية، و قد سجلت الأرقام الآتية :

التحقيق										
الأعداد الإحصائية	ع: 03	ع: 25	ع: 39	ع: 45	ع: 50	ع: 69	ع: 74	ع: 81	ع: المنقح	المجموع
الدقة و الموضوعية	78	54	49	45	21	60	46	58	40	451
احترام قيم المجتمع	2-	/	3-	/	/	1-	2-	2-	/	10 -
الالتزام بالواقع	/	/	/	/	/	/	/	2-	/	2 -

الجدول رقم 07 : يوضح عدد تكرار مبادئ و أخلاقيات المهنة (بالإيجاب و السلب ووفقا للمؤشرات المختارة لقياس الفئات) في التحقيق.

(أ) فمن خلال الجدول رقم 07، يتضح لنا أن مبدأ الدقة و الموضوعية تكررت مؤشراته في التحقيق بعدد 451 مرة، و هو رقم مرتفع، خاصة إذا قورن بالمساحة التي يحتلها التحقيق، حيث نسجل كثافة بنسبة 0,03، و هي أعلى نسبة مقارنة بالأشكال الأخرى، و هذا دليل على أن "الصح - أفة" التزمت بالدقة و الموضوعية، بدرجة كبيرة في التحقيق، و قد كانت تدعم تحقيقاتها -إلى جانب الأرقام و الإحصائيات- بصور طبق الأصل، لبعض الوثائق التي تثبت صدق و دقة المعلومات التي تقدمها للقارئ مما يكسبها مصداقية أكثر، و تستطيع بذلك أن تكسب ثقة جمهورها.

(ب) و لم أسجل إلا عدد 10 مرات، كرقم تكرار المؤشرات المناقضة لمبدأ احترام قيم المجتمع، و كما كان الحال بالنسبة للخبر، فإن هذا الرقم سجل في التعليقات التفسيرية المرفقة، و في بعض الكلمات التي تعودت "الصح - أفة" التعليق بها على بعض المواقف. و رقم التكرار هذا، يعد ضئيلا سواء مقارنة مع الأشكال الأخرى أو مقارنته بالمساحة التي يحتلها التحقيق في الصحيفة، فقيمة الكثافة ضئيلة جدا مما يسمح بالغائها .. لكن يبقى أن نقول أنها تواجدت و ليس هناك ضرورة لوجودها، و من هنا نستطيع أن نقول أن "الصح - أفة" كان بإمكانها التخلص من بعض الأساليب، التي كانت تقدم بعض الشئ في مدى التزام الصحيفة بالمبادئ و الأخلاقيات المهنية.

(ج) و فيما يتعلق بمبدأ الالتزام بالواقع، فلم تتكرر المؤشرات المناقضة له إلا مرتان و كانتا محصورتين في العدد : "81"، أي أنها ظاهرة لم تتكرر عبر كل أعداد العينة، و هذا يدل على أن التحقيق في "الصح - أفة" يتصف بالصدق و الواقعية، و أن لغته بسيطة و بعيدة عن التجريد، و الرمز المبالغ فيه الذي يكتنفه الغموض.

نتائج الدراسة

جامعة الأمير عبد الله الثاني للعلوم الإسلامية

نتائج الدراسة

انطلاقاً من إشكالية البحث، و تساؤلاته، ثم الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة، حاولت أن ألم بأهم جوانب الموضوع، حتى أتمكن من الإجابة عن السؤال الكبير، ثم عن التساؤلات المتفرغة عنه، و كان أن انتهيت إلى النتائج التالية :

• الجانب النظري :

- أن تاريخ الصحافة الساخرة في العالم زاخر و متنوع، و أن البداية كانت مبكراً، كما أن هذا النوع من الصحافة، استطاع أن يجد لنفسه مكاناً مهماً في المجتمع، و كان له تأثير على الأحداث، و تأثر هو بدوره بها.

- أن الصحافة الساخرة في العالم لم يورخ لها كموضوع شامل، إنما كتب عن بعض جوانبها فقط، كما كتب حولها في بعض الدول دون غيرها.

- أن الصحافة الساخرة، مست كل جوانب الحياة، فتعددت اتجاهاتها، فكانت هناك صحف ساخرة سياسية، و اجتماعية، و أدبية و حتى رياضية.

- الصحافة الساخرة في العالم العربي، تعد تجربة ثرية، استفادت خاصة من التراث الأدبي الساخر، و استفادت أيضاً من ظروف القهر التي عاشتها الدول العربية تحت وطأة الاستعمار، مما جعلها تتميز بخصائص تنفرد بها.

- الصحافة الساخرة في العالم العربي، ساهمت بقسط وافر في مسيرة التحرر، التي قادتها الدول العربية ضد المستبدين، سواء كانوا حكاماً عرب، أو مستعمرين، خاصة حين جعلت من هؤلاء، مادة للتهكم و السخرية، مما يقوي الجانب النفسي عند المظلوم، و يهزم الظالم و لو نفسياً.

- أنه، إذا كانت اللغة في الإتصال، من أهم عناصر نجاح العملية ككل، فإنها في الصحافة الساخرة، العمود الفقري، الذي يجعل هذا النوع يتميز عن غيره، و يكون ذا تأثير كبير.

- ثم أن هذه اللغة تتميز بالثراء و التنوع، مما حدا بالصحافة الساخرة، أن تكون لنفسها أساليبها الخاصة، و تستحدث أساليب جديدة كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

- السخرية في الصحافة، تضي عليها بعداً عميقاً من حيث الوظيفة، و تذهب بها بعيداً في تحقيق الأهداف المتوخاة، سواء على المستوى النفسي أو الاجتماعي.. أو غيرها فإذا أضيف دور السخرية إلى دور الصحافة، كان التأثير أعمق و أنجع.

- أن علاقة التلازم بين الصحافة و السياسة، تتجلى في أسمى و أخطر صورها في الصحافة الساخرة، خاصة إذا علمنا أن الصحف الساخرة كثيراً ما تبدأ اجتماعية و سرعان ما تتحول إلى

سياسية، لتأثير الأحداث السياسية في الصحافة الساخرة، و أن أكثر الصحف معاناة من الملاحقات و المضايقات هي الصحف الساخرة، خاصة إذا كان خطها المعارض للسلطة واضحا.

- الصحافة الساخرة في الجزائر، ليست وليدة الحاضر، إنما وجدت صحف ساخرة قبل الاستقلال، كانت لها أهداف متعددة منها الدعوة إلى التحرر من قيد الاستعمار، كما أن الصحافة الساخرة قبل الاستقلال تكوّن رصيذا ثريا، يمكن للصحف الساخرة في الوقت الحاضر الاستفادة منه للتوجه نحو الأفضل.

- أن بعض الصحف الساخرة قبل الاستقلال، لم تستغد من وجودها، لتدعو إلى أهداف سامية، فوَقعت في حماة الإقذاع، و السب، مما جعل أطرافا كثيرة تتذمر منها و تدعو إلى إيقافها.

- أن الصحافة الساخرة في الجزائر -قبل و بعد الإستقلال- استفادت من الأوضاع التي أحاطت بها، خاصة الاضطرابات السياسية، التي غذتها، و مكنتها من تغطية معظم الأحداث بطريقة خاصة.

- أن معظم الصحف الساخرة في الجزائر بعد الإستقلال، لم تتمكن من رسم خط و اضح من حيث التوجه، كما لم ترسم لنفسها خطأ واضحا اتجاه السلطة -إلا في النادر منها-

- أن تجربة الصحافة الساخرة في الجزائر بعد الاستقلال، تجربة تستحق الدراسة و البحث، و أن بعض الصحف الساخرة مثل "الصح أفة" استطاعت أن تجلب اهتمام الباحثين، فكانت مادة لأكثر من بحث و في جوانب مختلفة.

- أن الصحافة الساخرة في الجزائر، عانت الكثير من الملاحقات خاصة المعربة منها شأنها شأن الصحف المعربة الأخرى، بدليل أنه لا توجد صحيفة ساخرة معربة استطاعت أن تستمر في الصدور لأكثر من سنة و نصف، على عكس صحيفة المنشار التي تصدر بالفرنسية، و التي استمرت طويلا (إلى يومنا).

- أن الصحافة الساخرة في الجزائر، لم يكن يعوزها الرصيد الفلسفي لأخلاقيات المهنة، إنما يعوزها الإيمان بهذه الفلسفة كمنطلق أساسي في ممارسة المهنة، ثم تحويل هذا الرصيد إلى موانيق أكثر ارتباطا بخصائص الصحافي الجزائري، و أكثر ارتباطا بالمجتمع الذي ينشط فيه هذا الصحافي.

- أن معظم الصحف الساخرة في الجزائر، لم تكن لها فلسفة أخلاقية معينة، و قد أكد لي هذه النتيجة، تصريح أحد مؤسسي صحيفة "الصح - أفة" بعدم اعتمادهم لفلسفة معينة، إنما كان تركيزهم الأكبر هو على كيفية الوصول إلى جمهور أكبر.

- أن الرصيد الاسلامي في مجال أخلاقيات المهنة في الصحافة الساخرة، رصيِد أثرى من غيره، و لا يتطلب إلا الإرادة، و الاقتناع بأن الجمهور الذي توجه إليه المادة جمهور مسلم، و أن الصحافيين مسلمين.

* الجانب التطبيقي

الخاتمة

جامعة الأميرة
عبد القادر
للعلوم الإسلامية

- من خلال تحليل محتوى "الصح - آفة" أستطيع أن أقول أنها متنوعة بشكل مقبول، و أن هناك بعض الأشكال أهملت، مثل "الصورة" على الرغم من الاستعمال الناجح^{لها} في بعض الأعداد، و لو أنها أخذت بعين الاعتبار تلك الأشكال، لأدى ذلك إلى إخراج الصحيفة في شكل أنجح.
- أن اعتماد "الصح - آفة" كان بدرحة كبيرة على المقال التحليلي، ثم الخبر مما يقودنا إلى وصفها بـ التحليلية الإخبارية.
- أن "الصح - آفة" لم تقع في تجاوزات خطيرة، تخرجها عن إطار احترام المبادئ و الالتزام بالأخلاقيات.
- و بالتخصيص، فإن "الصح - آفة" تلتزم بمبدأ "الموضوعية و الدقة" بدرجة لا بأس بها، و تحرص على تدعيم مقالاتها و مادتها بما ينم على اعتمادها الدقة و الموضوعية، و لعل هذا سبب يفسر سر التفاف جمهور كبير من القراء حول الجريدة.
- "الصح - آفة" لم تقع في حماة الإقذاع، و بذئ الكلام، و أنها كانت تستعمل كلمات سوقية، لطبيعة الأسلوب، كما أن الكلمات النابية التي وجدت في بعض أعدادها، تعتبر فلتات، و لا يمكن أن نطلق حكما : أن الصحيفة اتخذت ذلك الخط في التحرير.
- "الصح - آفة" و إن اكتتف بعض أعمدتها، و بعض الرسوم الكاريكاتورية فيها شيئ من الغموض، إلا أنها في باقي الأشكال خاصة الافتتاحية و المقال التحليلي، كانت تلتزم بالواقع، و لا تمعن في الرمز و الخيال.
- و أخيرا أقول أن هذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال دراسة الموضوع من الجوانب التي حددت في المقدمة، و ذلك من أجل الإيفاء بالاجابات اللازمة عن التساؤلات المطروحة، و قد حاولت توخي الموضوعية قدر المستطاع، بدليل أن هناك بعض الجوانب تغير تصويري عنها بعد الانتهاء إلى هذه النتائج و أرجوا أن أكون قد وفقت في الإجابة عن تلك التساؤلات.

الخاتمة

إن الصحافة الساخرة في الجزائر -خاصة بعد الإستقلال- تجربة تحتاج إلى التفات أكبر من طرف الباحثين، وفي هذه الدراسة التي قمت بها، حاولت أولاً إلقاء نظرة عامة على الصحافة الساخرة في الجزائر، ثم كان تركيزي على جانب، رأيت أنه من الأهمية بمكان، وهو جانب أخلاقيات الصحافة، ومدى التزام الصحف الساخرة بها، وبعد تحليلي "للصح - آفة" في هذا المجال، تأكد لدي، ما سبق أن قلته، و تأكد لدي أن "الصح - آفة" تصلح لأن تكون نموذجاً لدراسات كثيرة و متنوعة.

و لا أحد يمكن أن ينكر الأعمال الجادة التي قدمها الاعلام المكتوب في الجزائر، بعد دخوله تجربة التعددية الاعلامية، حتى أن بعض الصحف استطاعت أن تكون لنفسها، معناها المهني المختلف، لقيمة معظم الأشكال الصحفية (افتتاحية، أو خبراء، أو مقالاً، أو عموداً أو كاريكاتورا...) و استطاعت أن تحدد أيضاً أطرها الفنية، وطريقة خاصة لعرض المادة، كما حددت تصورهما عن الجمهور أو القراء -على الأقل المنتظمين منهم- مما أدى إلى تشكيل شخصية اجتماعية محددة لهذه الصحف، و من بينها بعض الصحف الساخرة.

كما ليس لأحد أن يغض الطرف عن بعض التجاوزات التي وقعت فيها بعض تلك الصحف - على جديتها و صرامتها- بتأثير من الظروف السياسية الاستثنائية التي أحاطت بها، و كادت هذه التجاوزات أن تحدث القطيعة بين الصحف و جمهورها، و أحدثت ارتباكاً عند الجمهور، الذي كان ينتظر من تلك الصحف، أن تحترم فيه ذلك الاقبال الكبير من قرائها.

لهذا كله، كان هذا البحث، الذي أردت من خلاله التركيز على بعض الحقائق، التي كان غيابها أثناء الممارسة، أحد الأسباب الهامة التي أدت إلى تلك التجاوزات، و أهم هذه الحقائق، أن حرية الصحافة -و التي كانت الصحف الساخرة أشد حرصاً عليها- بأوسع معانيها، تمثل امتداداً جماعياً لحرية كل مواطن في التعبير، المعترف بها كحق من حقوق الإنسان، فالمجتمعات الديمقراطية تهض على أساس مفهوم سيادة الشعب، الذي يحدد إرادته العامة، رأي عام مطلع، و أن حق الرأي العام في أن يعلم، هو الذي يمثل جوهر حرية وسائل الإعلام.

و في مقابل هذه الحقيقة، هناك حقيقة -لا تقل أهمية عن سابقتها- و هي ضرورة تحلي الصحفيين بالمسؤولية، التي تمثل روح الفلسفة الإعلامية الإسلامية، و تحول الصحفي المسلم أن يلتزم بأخلاقيات الصحافة، و تجعله يؤمن، بأنها لا تقتصر على إعلان المبادئ، و مطالبة الصحفيين باحترامها، إنما الأمر يتطلب جهوداً مستمرة لزيادة، الفرص الحقيقية للعمل الحر و المسؤول في الصحافة، و يتطلب أيضاً الثبات على الصفات الأخلاقيات و المهنية، التي تمكن الصحفي من الصمود

الملاحق

جامعة الأميرة
عبد القادر
للعلوم الإسلامية

في مواجهة مختلف الضغوط و المصالح، عندما تدفعه إلى تغيير أو تشويه الحقائق أو التغاضي عن نشرها، و تجعله يستفيد من حريته، و يمارس نشاطه بوعي كامل و بمسؤولية كبيرة.

أخيرا أقول أن الصحافة الساخرة في الجزائر -مع قصر التجربة- استطاعت أن تحتل مكانا مهما في الساحة الإعلامية، و أنه كان بإمكانها أن تحتل مكانة أكثر أهمية، لو حسمت في مسألة فلسفة الأخلاق كمنطلق أساسي في بداية العمل و الممارسة، و جعلت من هذه الفلسفة معالم واضحة، مما يعصمها من الوقوع في تجاوزات كان بإمكانها تفاديها، كما كان ينبغي لهذا النوع من الصحافة، أن تنظر إلى مسألة الحقوق و المسؤوليات من حيث ما بينهما من علاقات، فأى إنسان يتصرف بلا مسؤولية، يضعف حقه في المطالبة بالحرية، في حين أن من تنكّر عليه الحرية، لا يمكن مطالبته بممارسة المسؤولية، و بالأداء الأمثل، و يتهيأ الوضع الأفضل عندما لا يكون هناك احساس بأن أيّا منهما معرض للخطر في أي وقت، و هذا ما حدث للصحافة الساخرة في الجزائر خاصة المعربة منها. و في نهاية هذا البحث، لا يفوتني أن أدعو طلبة العلوم الاسلامية، إلى تناول هذه الموضوعات -و لا يعتبروها من الترف الفكري- لأنها تحتاج إلى تأصيل إسلامي، كما أن هذه الموضوعات ثرية، و جوانبها ما تزال بكرًا، تنتظر من يتناولها بجديّة و عمق، و إذا كان تناولي لأحد هذه الجوانب قد أكد هذه الحقيقة، فإنني أقول أيضا أن الجانب الواحد يحتاج إلى دراسات كثيرة، و قد لا يتمكن باحث واحد من اعطائه حقه، و من هنا فإنني لا أدعي، أنني أعطيت الموضوع كل حقه، إنما بذلت ما في الوسع و لغيري -أن يواصل في مسيرة هذا المجهود و يكمل جوانب النقص فيه مثل :

- بعض الأخلاقيات التي لم أتناولها، أو تناولتها عموما.

- التدقيق أكثر في مسألة قياس الوحدات (في الجانب التطبيقي -التحليلي-).

- تناول نماذج أخرى من الصحف.

و الله أسأل أنني وفتت -و لو نسييا- في عرض هذا الموضوع.

و بالله ولي التوفيق.

العدد (الصححة)



جريدة أسبوعية
إخبارية صادقة

[العدد : صفر - الثمن : 0]

ESSAH-AFA

الصححة

أفة
فيها
فة

الطرابندو في قانون

«تبييض» رسمي

ت الإسلامية في الجزائر

بالتنظيم

(3)

صواب وحرب / عصابات ليلة السطو على البلديات
من البلاد / الكمين والتحكم

الصحف

العدد : 03
من 20 الى
2 فبراير 1991
العدد : 5 د.ج

بالحليل
والبرهان

أسبوعية سياسية ساخنة



ملحق رقم 02 : العدد 03 من الص.ح. آفة * ويمثل العدد الأول من عينة الدراسة.

رأي الصح - آفة

منطق الحوار

افتتاح

هل أن ما حدث، كان سيحدث لو أن النتائج التي افترض إليها الدور الأول من الإنتخابات التشريعية جاءت لغير صالح الجبهة الإسلامية؟ بكل تأكيد لا. ولو أن الجبهة التي هففت سابقين الدورين لصل الرئيس على الإستقالة كانت قد إستخرفت الخريطة السياسية بالصورة التي افترضت إليها نتائج الدور الأول، لكانت سارعت في الوقت المناسب إلى تهيئة المشروع الإنتخابي إلى حين تهيئة ظروف أنسب لإنقسام السلطة بترجيح كافة الأحزاب الديمقراطية، أو أحزاب الأحزاب الإسلامية، وربما بالمرّة.

وحيث لم تعمل، فإن الضغط ما بين الدورين لصل الرئيس على الإنسحاب، مع العلم المسبق بحالة الشفور الضعيفة التي ستتربص من الإستقالة، كان هو الوسيلة الموحدة ليس فقط لإجهاض المشروع الإنتخابي، بل لتهيئة إنقلاب دستوري بأتم معنى الكلمة أمام الجيش إلى واجهة السلطة بون إسقاط الدستور، على الأقل لدى الصامة.

إنقلاب الدستوري الذي منطلق الرئيس، ومنطلق جبهة التحرير، ومنطلق الأحزاب الديمقراطية، ووجه البلاد أمام منطلق المواجهة. منطلق مؤسسة الجيش الوطني الشعبي كمؤسسة دستورية ترى أنه لها النظر في المسار الديمقراطي، ومنطلق الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي منحها الدور الأول أهمية من المصعب إنقاذها من جهلها. ومنطق الحوار الذي كان في ذلك الوقت، وحيث أن ما وقع فإنه لا يهم المواطنين معرفة الدواع التي كانت وراء هذا الإنقلاب الدستوري، كما أنه لا يعنيهم تحديد المسؤولية بقدر ما يعنيهم معرفة توفر الإدارة لدى الجبهة التي تصمى إلى تأطير حالة الشفور في المؤسسات الدستورية، ولدى الجبهة الإسلامية للإنقاذ، للإسراع بفتح الحوار، وبالكسب سرعة لإجهاض مخرج مشترك للأزمة، وتأطير للمواجهة قبل أن تقع.

حفظوا نشوء حوار بين الجهتين متوفرة، فالمجلس الأعلى للأمن الذي تولى تسيير الشفور يضم شخصيات لا أحد يشكك في وطنيتها وحرصها على سلامة ووحدة الوطن. ووجود رجل مثل سيد أحمد فزالي على رأس المجلس، يؤمن بمنطق الحوار، كاف لطمأننة الخوف الآخر على إمكانية اجتياز الأزمة السياسية الناتجة من استقالة الرئيس سلام، وإعداد تهيئة الظروف لإنطلاق المسار الديمقراطي من جديد.

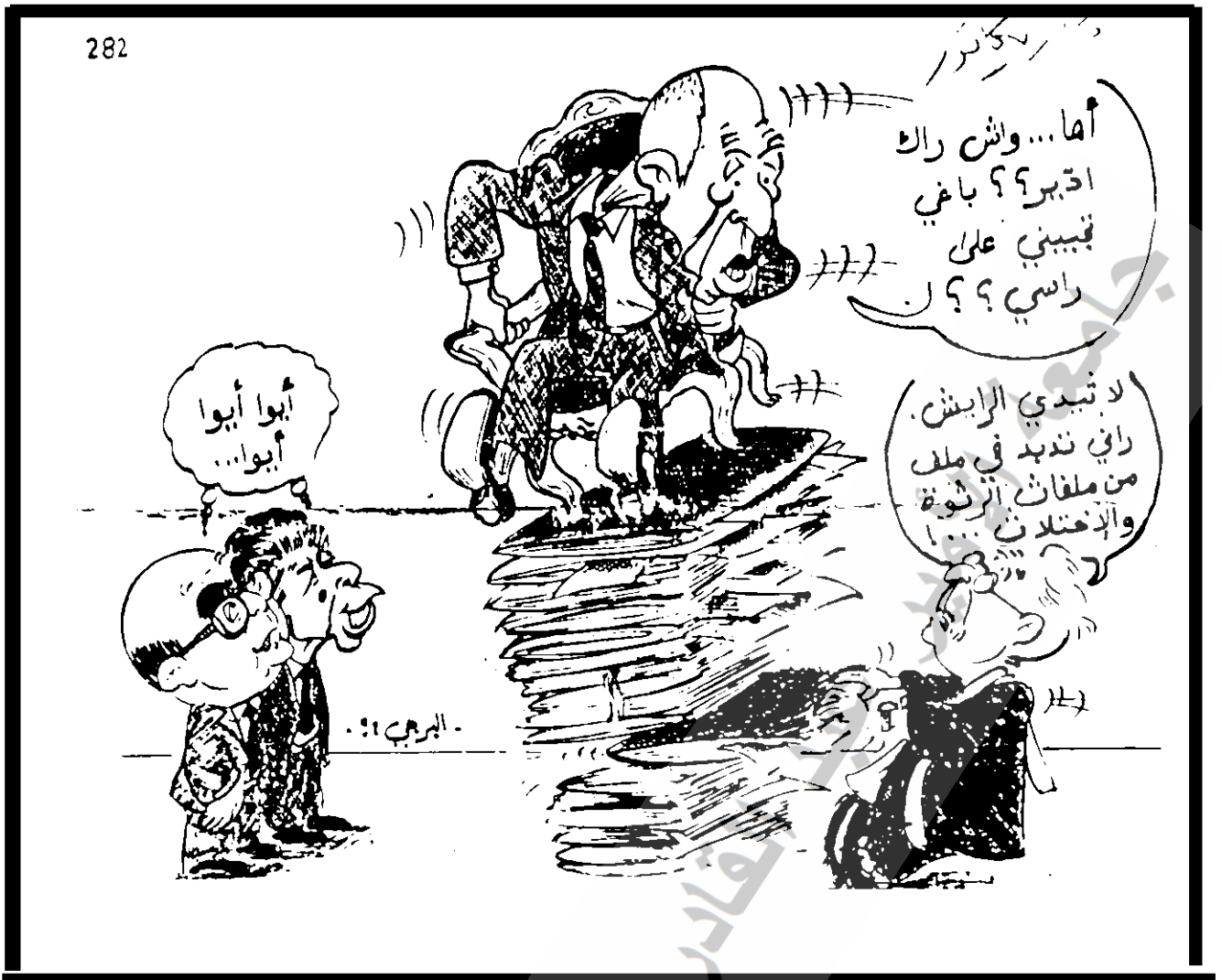
ومن جهتها قدمت الجبهة الإسلامية للإنقاذ، منذ أحداث جوان أكثر من دليل على نضج سياسي متنامي، وتوفر إرادة للحوار لدى قياداتها إذا ما قدمت لها إذا ما قدمت لها الضمانات الكافية على أن تأطير الأزمة، وتسيير حالة الشفور لا يقصد به إقصاؤها من الساحة السياسية.

ومتى تجسدت إرادات الحوار لدى الطرفين وبتركيبة من القوى الإجتماعية والسياسية المنظمة، من جيش ونيابات وأحزاب وجمعيات فإنه سيكون بوسع هذا الوطن الغيورين على وطنهم، المرعفين على سلامته ووحدة وبصرف النظر عن إنتماءاتهم وطبقاتهم السياسية المشروعة أن يجنّبوا البلد شبح المواجهة ويعيدوا ترتيب بيت الجزائر.

ملحق خاص بمقال عن أحد
الاشكالات الصحفية الموجودة
في "الصح - آفة"

- الافتتاحية -

عبد القادر العلوي



- ملحق الكاريكاتور في "الصحة - آفة"

فادان للعلوم الإسلامية

حروب وإسلاخاته التي إهمد «تعمد» فيها الإفتراء والهروب للأمام
لشد الحزام على شعب مخدوم بشن حرب ضروس ضد مجار. أطربانغو.
وكانها حرب دامس والغبراء ولم يطلع. وها هو الفزال بعيد الكرة
بالوعد والوعد ويقسم قسما ثلاثا (أوراس أولادي) حليف
المجانز...

حليف المجانز في زمن التحالفات ليس آفة من كبريات الآفة...
ولكن لما يكون الحلف (وراسو) كلام بلا أعمال فتلك هي الطامة.

رسالتك قرأناها

✽ غريش عبد القادر - مصر

رسالتك أعلناها على قسم الإشتراكات. والعدد 52 و54 فر
طريقه إليك. والعنوان رانا صحفنا.

✽ عبد القادر لطاف

لا تحزن يا ولدي فإن الدخان مضر بالصحة، وخبر لك أن تقرأ
الصحافة من أن تلهب دنانيرك دخان في الهواء.

✽ علي فتوح - الأماض

إقتراحك في تحويل الجريدة إلى مجلة يسهل الإحتفاظ بها يكتفا
كثيرا ونحن نقراء. أما الإقتراح الثاني فهو معقول إذا قمت بدورته
في العناية لنا. elgawad@alwatan.com

✽ بوطان محمد الدين - الحلفة

طلبك المجاني وضعناه في طابور المنتظرين أملي أن لا تنتظر
طويلا.

✽ ملاحظ - المنصة

شكر على التحية، قال قبلك غير مستبعدة الوقوع في ظل حال
الطوارئ. ولكنها بدون أدلة، وشعارنا بالدليل والبرهان لا بقراء
الفتنان.

✽ بلخايدي بوبكر

رسالتك القاسية قبلناها برحابة الصدر. وملف 313 يحتاج إلى
تحقيق طويل ندرجه في أعمالنا المستقبلية. وطارة خيرة وأمر
جاوباتك - نطلبناك وأمر.

✽ هبة محمد حميدة الصائغ

نرحب بمبادرتكم الطيبة لا قامه جسور التبادل الإء

أسبوعينا طريقها إليكم مستقبلا.

✽ محمد الحميد وواد - سيدي براهيم

مشروع نزع ظهور الحمبر وإستبدالها بحفر البغال يدخل في برنامج
كبير شبيه بمشروع قسطينة العظيم.

بـ حـ خـ عـ طـ خـ بـ

تعدده: طـ خـ بـ

✽ بلخير الطيب - مونت توله:

نبدأ بأسم الله هذا القول ✽ ✽ ✽ والصلاة على رسول (ص)
في مدح كاملة الطول ✽ ✽ ✽ بنتت بمن جلول
واش مثل ليها بأهل العقول ✽ ✽ ✽ تلتد رامي ورائي مهبول
نبات ساهر الليل طول ✽ ✽ ✽ مرة نكي مرة تضحك على طول
من هرامها راني مزطول ✽ ✽ ✽ تشبه ليماها خديجة بهلول
بأينة من نبات الأصول ✽ ✽ ✽ وكلت منها مقبول
الصح-آفة ما من تفهم للقول ✽ ✽ ✽ حراسها سمعة والثامن مسؤل
حتى لا يقال أننا أصبنا بالنرحسية ساكتفى بهذا القدر من
معلقتك إلى أن يبنى جدار المبكى ونعلقها هناك يا بلخير (طيب)

✽ بومدين - الحنايا

متكونون أول المدعوين عندي يوما ما. رابع ندير لكم زودة
بالمقرب ونشرط عليكم تكونوا لا يسين «الهابيون» وهذا بمناسبة
حصولي على مساعدة التي أنا في إنتظارها لحد الآن، وعدكم مباشرة
مأذوناً (المدعوين) التي فوجئت بحسب البساط من تحتها
بقرة بلغت 26 ديسمبر، فسارعت بإتخاذ مصلحتها تحت خطاء إتخاذ
الجزائر كما سأدعو (لجنة حقوق الإنسان) على طحين من لحم الفزالان.
السطاد من نواحي رقان، وتفتح إسبانيا والبنان.

يا أخي يا بومدين راك كشرت الدعوة، ولن تكفيك حتى
«حصة» التي بقات على طريق الوحدة. بختة.

✽ سليلك محمود، حمادي محمد - البويرة

إن المتتبع للصحافة الفرنكو شعوعية في الأيام الأخيرة ملاحظ
إصرارها الكبير على تلطيخ سمعة وزير التربية السيد علي بن
محمد، لا شيء إلا لأنه قال في يوم من الأيام أن التعريب عملية لا
رجعة فيها. فبعد ترويع إعانة إستقالته تم نشر الخبر في القناة
الثالثة مفاده أن إبنه يتابع دراسته باستراسبورغ بفرنسا. وها نحن
نلاحظ عملية التزوير في إمتحان الكالوريا والتضخيم الإعلامي
الذي يخيط بها. فهل إنتهت هذه المسرحية ذات الثلاثة فصول. وما
هو هدف أصحابها وإلى أين ستؤول نتائجها.

ذلك هو السؤال الذي قد يكون السائل فيه أكثر إطلاعا من
المسؤل.

✽ يوسف بصير - بسكرة

المتتبع لسياسة البلاد والعماد و«ذاهر» هي عبارة عن الأعب
بإحترام قانون اللعبة. شعارها هيا تلعب: الحاسر مرمح، والرابع

ملحق بريد القراء في «الصح - آفة»

إفلاس المفلسين في فلسفة الباك

تتلمذ الدعوة من جديد (في شباب بن جديد) وتزحل المعطلة بأسابيع، وتتداخل فروع البلاد السياسية، وتكون لجنة مع.. على شرار مشران لجان التبع.. في القيمات.

ولأن الإعادة ليس في بال بالضرورة إعادة، ينتج 75 ألف تراجع وناجحة ويقال لـ 300 رأسب ودأسبه (ماعلش تكر و تنساها).

الكشير من الذين شاركوا في التصحيح (الشوي) أدركوا من البداية، ان فيه أشياء، وأشياء فالسادة التي طبعت طريقة إعلان النتائج على مستوى مركز لطفي بوهران (مثلا)، أثارت الأعصاب، وكادت ان تزدي السى سالاحمد عليها.. وزادت الغوضى في عمل

اللحان، التي تخصصت في إرهاب المعتلين وتهليلهم بالحرمان من الامتحان خمس سنوات إن هم واصلوا الاحتجاج) زادت الطين بلة. وتؤكد الجميع ان التعليمات سائرة من لسان الى أذن لمنع الاحتجاج والقبول بواقع الأمر المر. ولاحظ الملاحظ والملاحظة، ان نقاط الفلسفة والأدب كان عليها نقطة اتفاق.

جعلها حبيسة أصغر النقاط حتى ينجع المفلس من التفلسف والتأولع. فكانت النقطة في مركز لطفي لتتراوح في مستوى 6.5 من 20 على سبيل المثال.

السباسة لم تهرج المكان، وتمكنت من عمل اللجان فأوكلت للباكس في وهران رئاسة اللجان. وكان واضحا

من البداية حسب شهادات العيان المبهوتين أن جميع المصححين يتأذون العلامات العالية، ويقفون بالمرصاد أمام التبرع بين أبناء شعب لخدم. ويصح الكل في إبعاد شعب الإحتجاج، وترويض الطلبة والأولياء على الأذهان والصمت وقبول الأمر الواقع دون كثرة الكلام.

وكانت النتيجة النهائية كما كان منتظرا تلهقرا كبيرا في الشعب الأدبية، فمن نسبة 22 إلى 49 في المائة خلال السنة الماضية إلى 6 و 10 خلال هذا العام وأدرك الجميع أن ذلك كان مقبرا للضرب بيد من حديد على كل مشاريع التفلسف وكثرة الكلام المنمق لقطع الطريق أمام تنوع الزعامات الروحية التي قد

تفرد الشارع الملآن، وتضع الرأي العام بالإلتعاق والترغيب باستعمال الميكروفون أو المنبر، وتقف بالمرصاد أمام المخططات الرسي الذي أهلكته مشاكل البلاد. وسحلت بالمقابل ارتفاعات طفيفة في الشعب العلمية فكانت نسبة العلوم بين 17 و 27 في المائة بزيادة 6 في المائة عن السنة الماضية وتراوحت نسبة النجاح في الرياضيات بين 10 و 17٪. وهكذا أصبح كل شيء، يشير إلى أن الطريق مقطوع أمام تنوع زعامات التفلسف. ووجهت النسب الكبرى من الناجحين للتلالل إلى الشعب العلمية بشي حسن الأرقام والمخابر، وهو الذي يبرهن أنه قادر على إغراق الشارع، وقصص الجمع في الأخير ليتسلم الغائب غصصة الأحياط من فشل نيل البكالوريا وحرز تفويت فرصة المعطلة بلا داعي، ويشن النكر من لغة التبع في قبب الساك التي لم تغل لائق ولا تان منذ إنشائها في ذلك العام للبحث عن خلفيات التسيب التي جعلت علي بن محمد قائد ثورة الزنج بحال لتنصب بعيد... وهو الذي غضب في العام الماضي عندما كانت 3 نسبة النجاح في حدود 23 في المائة فما كان يبتفوله دوانه حضر مأساة نسبة الـ 2٪ باحسرة!

ط. خيرة



مدحوق، التحقيق في "الصحة- آفة"

رفعا للم (عد) نويات

هي حواء لا تلتفح ولا تتحول فسلطتها الدائمة دموع (التماسيح) . أو
انفسنة ، الفخ ، لا زلتا وسيلتين سارينا المفعول (به وعليه) لكن مع تلف
المفعول له ، تبعاً للموصول لاحله

... هناك حيث يتحول ، العباس والحسين . اخترت حواء المتعدوات ، الامريكيات
انفسنة الفواية لرمية ، الموز ، سهام الاتارة حتى تحبى منهم نار ، الرحلة ، لحافها
السكود واخطاط ، اليز ، فيحولون ال خاتم ، ماريوت ، (سليمش) لي اصابعهن
بالانفسنة نزال حواء الحلفاء ، كل ما نشاء وتسمى بواسطتها للافاء على
الاطراء والافراء ولة الاخاء من جهة الاحماء . فوسط 400 ألف هندي لا ينتمون الى
القهود الوردية الا لهم مطلق رجالية . لحاول اراءة بعض الخفات من الحرير الارتفاع
الى حسن ظن العسكرك بال حجم من الخسائر . الطفولية . خاصة وان ، اليز ،
استعملوا كل ، الوافقيات الإنجليزية ، لوقية فوامات وشفتانهم من حفات الرمال .
عوض استعمالها لما صنعت لاحله . وهو كبح جماح القائل المسئلة للرضع
لكم نذرة عن استعمالات انفسنة حوائهم . التي فرمتها حواؤنا . واما الششاء .
وهي لهدى انفسنتها الحنون مودعة انها الطبيب المتطوع وضمن المعلة المتوجهة
الى بغداد ولسانها لا يكف عن الدعاء والانهال باسم المولى . واعجابها بشجاعة ابنها
وتمنياتها بالفوز للحسين ، والحسين وحتى وان غلب عنها الرة عينها الذي تمنى له
عودة ميمونة الى حضن امه .. الحنون .

خديجة - ب

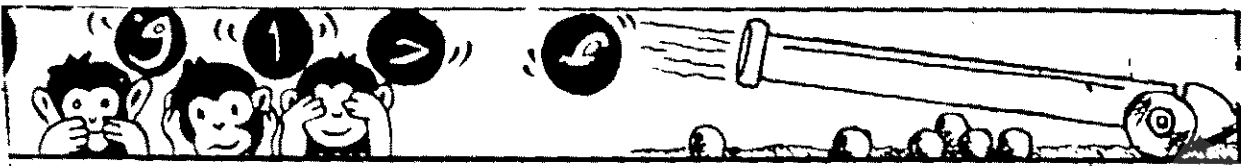
«أصداء» «بشيتة» القراء

أصداء ، بيضاء وصلتنا من القراء الكرام من مختلف الولايات (المتحدة) الجزائرية نفتخ منها هذه
القررات (الموسيقية) نودها كما يلي بطوبتها :

- ميراث محمد (إهدان بجاية) :
- الى الامام نمو التقدم بالقول الصبح ومحاربة ، الفسني ، فاسي انتظر شرمكم (نقل لك شكرنا عن هذا
التشجيع ودمت لنا) :
- طيمي عن - خللار الطيب (البيضاوي)
- وردت ان الصعكم وانهمكم عن صلکم التميز خاصة الجانب الترفيهي المبني ذي العبرة العميلة والتي يتقاضي
على القلب .
- (تسمياتنا لكما وشكرا لافكارهما الشيطانية)
- حبيبست سعدون بو عبد الله (المواظنت)
- تنتنى للمواد الجديد طول العمر وان يطفه لك من عين الصناد والة يصيهم طيه . (امين) من بعد لرمي
باصديقا دمت لنا)
- حسين بن منصور (البيضاوي)
- اصارحكم . لكن لا تمشروا صراحتي مقيمة . انها اول مرة لي حياتي الفراصيلة من صلغتها الازل الى
الاجية عين ان شرف نفسي ، الله (مرحبا بك معنا دائما .. والله شكر على الشكر الذي اخطانا)
- ابو عدي الفلاح
- جبالغ الانتان والعزة ، فقلت نيا اصداركم اسبوعية ، الصبح اداء وحصل لي القدر الاطلاع على العدد
الاول وقد وجدت لي جل لركان متقلسا لي (دمت صحيفا لنا)
- محمد عملي (الركن)
- دامي الوحيد وهو ان تتراكم المصالح العنية تراصلون طريقكم لي الصحالة اه (امين يارب الطوبى)
- موني (بظيرة)

ملحق خاص بممثال عن أحد الأشكال الصحفية الموجودة

في الصبح - آفة - العمود -



حرب الخليج الإعلام الغربي يدق الطبول لحرب بشمال إفريقيا

أحمد

هل فمنا بسهولة بأن وما تبقى في الألفية - أحمدهم سرا بزورياً ومحبته وما التفات أ محطة يا سمرة يوم استعادة أصبحت الضياع وأ حملها أن ويقتل دعا المتعمد وأ الصغار بدو دمة الرجة مرة - وفي وكية - يد كية بعد حشرة بانغن وأ ذاكرة الأ الهاربة من هذا الله الاضطراب يشل بعض احمد ا صندوق ا ابي واس متحركة أ بعض الأ بحركات وهو الدم من مشد جيب الصندوا

الألمسي مدينتي طرابلس وبنغازي ولكن الأمور قد تغيرت، بالجزائر منذ انذاك تغيرت التي رجحاً ان "قائمة الثوار" التي اليوم التي وضع يشاري بلعب الدور الذي اضطلعت به مصر في عملية تكسير العراق فالجزائر غارقة في الديون حتى الأذنين وتسلم الأمة - في فيها حل الأمر والنهي... وتدرجت بها حرية الرأي والمعتقد التي حد أصبحت فيه فهاشة اليتامى مثلاً تتبع ثكنيات "سنان" حين استدرجت حملة "حوراء" (من قسد أو خطأ) القذافي التي شبك أزمة مع الجزائر، عشية انطلاق العملة الغربية على بلاد النهر المعلق، وحين أتى بعد ذلك "هجوم لمار" وما أحاط من تضخم وتزمار وتلميح إلى أن المهاجرين الإسلاميين - يكونون قد أتوا من بلاد عمر المختار. وأخيراً، هذا خبر، خرج من معظم المصالح العسكرية الفرنسية ليطمئن الفرنسيين بأن الحرب عملية اقتصادية مربحة كأي عملية تجارية أخرى، فقد ذكر تقرير للجنة الدفاع بالبرلمان الفرنسي، في سياق ذكر تقرير للجنة الدفاع بالبرلمان الفرنسي، في سياق هذه العملة، ان العرب الغربية - العبرية ضد العراق قد نزت على فرنسا 1.2 مليار دولار... دلفتها الكويت والسعودية... واليابان وألمانيا... | بخاري



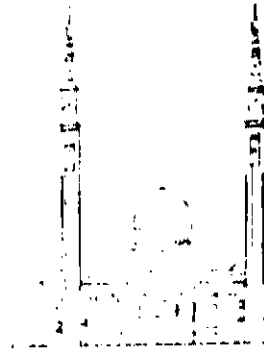
ما هو الهمستير وما الغنصوبة الفسادة للعرب، وعاروت القنات الفاسقة للتلفزيون الفرنسي لفتح الإستبدوبات التي رافقت منها التحضيرات النفسية، في خريف وضيف السنة الماضية، عملية التحضير لسحق العراق، نفس الديكور، بجمهور كاد يكون هو نفسه أيضاً لولا غياب مغير السعودية، حملة "القائمين هم دائماً على خطأ" "Les Absents ont toujours tort" كان يضيؤها الشريفون : مغير إسرائيل (بطبيعة الصالح)، وممثل للمخابرات الفرنسية "SDEC" وميشال جوبير، لبيبا كانت بحق في هذه الحملة على خطأ لأنها هببت، فهايت، فكانت كجسد فرصة بين أنياب الضواري العاهرون الدمور لتستعين طبول الحرب ضد "نظام القذافي"، تلاقوا من قمل "مفلساً" مفصلاً بنتانغ "تحقيق" المصالح الأمريكية والبريطانية في سماء لوكربي بإيرلندا، وسقوط الطائرة الفرنسية في صحراء تينيري بالنيجر، التحقيق - يقول بنوريط أحقاد "عمر المختار" ويشير بأصبع الإتهام إلى ان لبيبا ماتزال تمثل أحد مصادر "الفطر القادم من الجنوب" «رجال القانون» الذين استمدوا لعزف صفوفية وهم نسيجا التحقيق والمطالبة برأس القذافي، خرج من صفهم رجل من الإجماع ليقول بأن الملاحظ لأوجه تشابه مآلات

المسلك الليبي في التحليل الذي أمدته أمريكا وبريطانيا لفرنسا تلقه بقع من الشك، فكاد يندم على طول لسانه ويتحول إلى ضحية، لأنه لم يكن يعلم أن حق اختلاف الرأي غير مسموح به في سياق كهذا يطغى فيه الطبع على التحليل صوت آخر ارتفع ليحذر بأن الفطر الداهم في المستقبل قادم من اسلام آسيا (الفانستان وباكستان) بعد ان كان حليفاً ضد الإتحاد السوفياتي، ومن الجمهوريات الإسلامية السوفياتية ومن بعض بلدان أمريكا اللاتينية، ليستغرب الملاحظ لأوجه تشابه مآلات

ملحق خاص بأحد الأشكال الصحافية المعتمدة في الصح - أفة •
المقال التحليلي



ملحق : الصورة في «الصحافة»



الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وعلو الله وصحبه ومن والاه وبعد
فضيلة

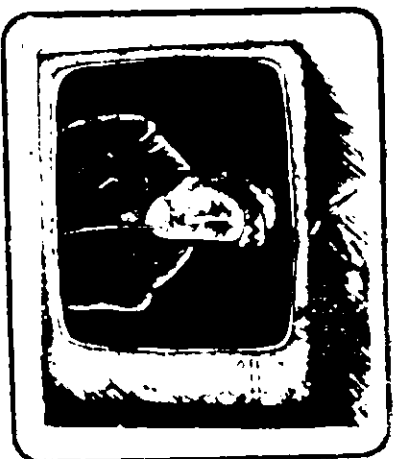
يسر السيدة كريمة عرامة ، طالبة بقسم الماجستير، دعوة و اعلام
بمعهد الدعوة وأصول الدين - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية -
قسنطينة "الجزائر" أن تتصل بكم ، وهي بصدد إعداد بحث حول :
الصحافة الساخرة في الجزائر ، دراسة تحليلية ، تحت إشراف
الدكتور عبد الرحمن عزوي - من الجزائر .

فمن بين ما أتناوله في هذا البحث ، مبحثاً يتعلق بالضوابط الشرعية
للصحافة الساخرة ، لهذا فأناني حاجة ماسة إلى آراء العلماء في هذا الموضوع
وسأدرج هذه الآراء كملاحق تابعة للبحث مما سيسعطي قيمة علمية كبيرة
فارجو تلبية طلبي هذا ، وأتمنى أن تكون آراؤكم حول :
- الضوابط الشرعية لا سلوب السخرية في الصحافة ، بكل أنواعه
نثراً - شعراً - رسماً فنياً - (كاريكاتوراً) .
- أهمية هذا الأسلوب .

وفي انتظار ردكم في أقرب الأجل والذي أدعو الله أن يكون وافياً
لكم مني أرقى عبارات التقدير والاحترام .

العدد الثاني عشر
التاريخ 226 يوما
بمعد التغيير في التجميع

الأصحاح



أسلاميو تونس في ذمة الأيرسيدي

19 «غنيو شيا» معروضون للاعدادام

مستشرق في جامعة تونس

ما عدا هذا، كل حقوق
الإنسان محفوظة. بيت لنا
تحقيق حقوق ضيو ر التجميع
واللهمات، والمسرديين، والمبراو
الأساطير...

أثره في إدارة علي، بتعليم الاستقلال
وأعماله السانج. (ما حل الرقة الأولى
بمن خارج)...

مع هذا التجميع... المسترسل
والاعتمادات في صورت الاسلامي له
على عريتهم وبيل منها صا زان نشاط

معاصلا في درحة أن الغير بالرين
اليعقظ أطر محفوظ (علم) وقدر الله
المرتبعة في... مسترسل...

على... مسترسل... مسترسل...
في... مسترسل... مسترسل...
المرتبعة في... مسترسل...

في... مسترسل... مسترسل...
المرتبعة في... مسترسل... مسترسل...
في... مسترسل... مسترسل...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الى السيدة كريمة عرامة
بواسطة الاستاذ عبدالحق ربيعي

المخترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

تلقيت رسالتك المرسلة بالبريد المسجل تطلبين فيها رأيي في موضوع السخرية
والصحافة الساخرة والنضوابط الشرعية فيها .
وانيك فيما يلي جوابي . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مصطفى أحمد الزرقاء
مستشار

الرياض في ١٤١٧/٧/٢هـ

الثلاثاء ١٣/١١/١٩٩٦م

ملاحظة :

تأخر جوابي لهذا بسبب انه رسالتك مرسلتة الى كلية الشريعة بالجامعة
الأردنية التي انتهت عملي فيها منذ سنوات ، ثم حولت الرسالة الى مقر عملي
الآن في الرياض بالمملكة السعودية ، فعمدرة

ملحق رقم 11 ، رد على رسالة وجهت الى مجموعة من علماء الاسلام ، وعلماء
الاعلام - وهذا الرد من امضاء : مصطفى أحمد الزرقاء .

النظر ابط الشرقيه

طوب السخرية نري التهانة

السخرية (بضم السين وتخفيف الياء وتشديدها) لغة هي المزه او الاستهزاء . يقال: سخر منه وبه ، اذا هزىء به أي استهزأ .

وطريقتها العملية: التعبير بكلمات أو خطاب في صورة مدح أحد يراد به ذمه . كقولنا مثلاً فلان علامة مفضال ، ومقصودنا انه جاهل ، وانما وصفناه بالعلم استهزاء وسخرية . اعتماداً على القرينة من اسلوب التعبير ، أو بعض الاشارات تجريها اشكله خلال كلامه تشعر بأنه ساجر غير حاد .

والسخرية بهذا المعنى توحى بدم مؤذ من الساجر للمسخور منه . وقد يكون المسخور منه صالحاً على عكس ما توحى به السخرية من الذم ، فيكون حينئذ ايذاء واضحاً وافتراء . وبذلك تكون السخرية من الاسباب التي تورث العداوة بين الساجر والمسخور منه ، سواء آكانت بالحق أو بالباطل بقطع النظر عن كون المسخور منه مستحقاً للسخرية أو لا ، لان الايذاء بالاستهزاء يدفع المستهزأ به الى معاداة المستهزىء في جميع الأحوال .

من ثم كانت السخرية منهيأ عنها بوجه عام بنص القرآن العظيم حيث جاء في سورة الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّتَابِ نِسِ الْأَسْرِ الْفَسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

وهكذا يبدو من هذه الآية الكريمة أن السخرية من قبيل الفسوق في نظر الإسلام اذا كان الساجر قاصداً ايذاء المسخور منه . ويخرج من هذا الحكم ما اذا كان مازحاً ويعلم المسخور منه أنه مازح . لكن يبقى على كل حال ان السخرية من الغير هي سلوك غير مباح .

هل ينطبق حكم السخرية على اسلوب انكاريكاتور المنصور في الصحف والمجلات اليوم ؟

لاشك ان التصوير الكاريكاتوري الشائع في الجرائد والمجلات ، وفي الصحافة بوجه عام هو

فن خاص ليس مرادفاً للسخرية بمعناها المشروح آنفاً ، ولو أن بعض الصحفيين يسميه : الصحافة الساخرة .

ذلك ان فن الرسم الكاريكاتوري يقوم على أساس تضخيم بعض الخصائص في خلقه الشخص وهيته للدلالة على شخصه بصورة فيها شيء من الهزل . وربما لا يقصد بها معنى الايذاء ، بل مجرد تعبير هزلي . والهزل غير السخرية ، فان السخرية توحى بالذم بينما الهزل لا يوحي بأي ذم ، ولكن يراد به الفكاهة في التعبير ، مثل المزاح بين الاصدقاء . فالكاريكاتور التصويري يستعمل في حالات التعبير بوجه عام للدلالة على الشخص بالصورة التي تجسم بعض خصائص هيته وطبيعته . فلا يأخذ الكاريكاتور حكم السخرية ، ولا سيما اذا أصبح مألوفاً في الصحافة كما عليه حاله اليوم في التصوير التعبيري ، لكن قد يكون الكاريكاتور في بعض الحالات والقرائن دالاً على معنى السخرية والظعن والذم فيأخذ عندئذ حكمها .

الضابط الشرعي:

نخلص من ذلك الى أن السخرية الحقيقية هي دائماً أسلوب ممقوت بالنظر الشرعي الاسلامي لا ينبغي للمسلم أن يلجأ اليه في سلوكه التعبيري . أما الكاريكاتور التصويري الهازل فلا بأس به بحسب المقصود به كما أوضحت ، اذا لم تدل القرائن على ان المراد به السخرية والاستهزاء ، وانما هو مجرد تعبير هزلي للفكاهة لاغير . هذا مايدرو لي والله سبحانه أعلم ..

مصطفى أحمد الزرقاء

مصطفى أحمد الزرقاء

لِئِمَّةِ الرَّحْمَةِ الرَّحِيمِ

رَأَيْتُ النَّاصِلَةَ كَرِيمَةَ عَرَامَةَ

بِمَاتِي رَيْدِ :

اقتلت برسائلك موقراً بطريقتك غير مباشرة من "الوجه الآخر" واعتذرت لي لم أجبتك منذ
هذه الوقت بسبب تأخر رسائلك من العاصفة منذ الجريدة مع العلم أن عنواننا الموهبي لا يزال قائماً على
سنة أميرية الصحاح (13 نهج ستاح مديرة - دهرا)

استرك على الرسالة وعلى القاموس الموضوع في الأفرقهتم به، ولرباب المهينة، مساباب الأكاديمية
صحيح ما قيل لك: لقد كتب بالفعل قد سحلب موضوعاً لكوران الدولة معية الآداب مانعة، هناك عدد
الأدب السامر من خلال الصحافة المورث في الجزائر، لكنها لا سبب إدارته مية، ارتقت على ترك الموضع
يا مياره منعدلاً على المايستر في السامه الشفيه، راسي في الأدب، لا سحلب موضوعاً آخر، رغم هذا أنا مؤمن
بموضوع الصحافة السافرة، وان كنت لا أستطيع أن أساعدك بالقدر الكافي.

مع هذا أود أن أشير إلى أن القاموس يالكامة اب فرد في الجزائر قد يجعلك تعرفت برضول في تجربتي
واحدة فامه بإسناد الرضي هي، الصحاح (أما التجارب الأخرى: المشار (بالنشد) - الفرانس -
التابعه ليريه الجبر والتي توقفت عنه الصد رسيب فمثل و التحوير أو الترخي الفقرة هبة الكسيرة عبد بوزنار
رضي "الوجه الآخر" هي تجارب استعدت برصد من الصحاح. التوكات، رندون منازع اول حمية سافرة
ومعاصره من آه واحد خلال كل العهد: نيل رندون الاستلال، رندون العودن، ال تار مع الصحافة الوطن
الطوية و قلال ارتيقدة الكات يالكائنه الوطنيه بالعاصمه بالاعتماد على صولفان د. حمة ناصر ل
الصحافة الجزائره رة مؤلفات الرسير رتبعه الامام "تاريخ الصحافة في الجزائر، لقيدي الأخير
أن التيريه الوصية "السافرة" والتوكات تأخذ لتفسر لعت: الجريه والناقدة "هي تجربتي

ملحق رقم 12: رسالة من طرف أحد مؤسسي "الصحاح- آفة"، "عمار يزلج" رد على
مراسلة موضوعها التعرف بالجريدة.

أستاذنا الأستاذ الهادي، الأديب العمودي، "المجيبم"، والتي احدث عنادتين أجري هـ و الصميم
وعنايته أروى لفتن الجريدة التي اوقفتها السلطات الفرنسية أكثر مما مده لأكثر من النافذ الأذيع عند
المدوح الوحيد من اعطاني العنايه ان اوره والي بجه من آ ناراحه خلال تاريح العنايه الجرائد
معهد الاكاديميا .

هذا ما عكز ان اقصه من الوقت الراصد . لكن مع القعاصك شيمر من الصبح انة . التي تحتيت ان
يكون اجتهادك قد وقع على "الصحافة" ثم ذاتاً ، يمكن ان اسامك بالشكر يا عمي من احد مؤسسي
الاصبوية وروحه السافرة " رأيتي كيف الرصد من الطرسين الذي كانا نكتبون بطريق سافرة قبل
هذا الوقت من الصنانه وحتى من الميال الايديعي . فارد وقعه قصيره كتبته كان عمره 20 سنة وانا ازال
المسحه في تاريخي كانه تصه سافرة مشوره ياخذ اعداد عمليه اكمال سنه 73 . ومعظم الرصد
التي كتبت في تاريخي : "ساعده الطوفان" وهي محيrote معصيه صادرة عنه لسنه 84 ، ومحركه
" البصاات " الصادرة عن ENAC سنه 86 ، المحركه الرصد الثالثه " الغدبان " التي
سنة 1974 عن CPD ، جعلت ارضف السعريه من الكتابيه العنايه خاصته بعد التورير في
جريدة الجمهوريه .

ما لسعريه من الصبح . انه كتب ويدون اذ في شكه وهذا ياخذ ان كل للرسين آنا الذي وصف لعناوينه
وسنتت اساليب غير يا من الصبح السافرة (الرصد الآفر - الفرانسي . الم)
قاله : انه لغير مدبره حفيفه من الميال الكتابيه ان افره وهذا ما جعلني آقول ان انه كان بإمكان
وصفه من الناحيه المنهاقيه ان يظفر من مؤتملك في نموذج واحد كما يكون العناين مثلا : العنايه
المعويه السافره من الجزائر . الصبح انة نموذجاً . وهذا يجعلك اذلا قد من نطو صوغ الر العنايه
المعويه ثم يظفر الموضع من نموذج واحد تعبيريه موقماً . مما في عملك غير مدعمه على البيت المدهق
من الصبح الآفره وتوزقن جهودك في ده قانس المصدر في قولك من الآخر سبت طين من التقويم لانك
سكيدن تسلك من الآخره قد مرات العشرت ، بل المئات أو الآلاف من السعح للصفحه القديمه
لذخر صب يفضل أو آمل قد لا يتجاوزت به الهجوت السابقه وهذا سبب ضعف من عملك الآكاديمي
لهذا . تسفينه ان تفردني للعنايه السافره من الجزائر . اتار كيه . سنالك . تيار اندرسم اساليسر
ماليادل فضلا أو طلب كما كفقاريه سبقيه من التعليل الملقق والمدهق للعنايه السافره من
نموذج الصنانه السافرة معهد الاكاديميا . وهذا سكون مساعده الاك في الوفوق على كثير من دقاوق

الأقلام مرفعة الكفاية العفوية وطريقة دلائل السير السميولوجية والبيولوجية. طبعاً سياندا
مؤيداً أرسيفنا الحاضر بالسبعين الص. أمة.

أخيراً نشكر من قامت الصدور والأفهام

أعدت
تكملة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهان في 7 حويلية 1946

لسم الله الرحمن الرحيم

ولا تحب العاصلة الاكساده كرهية عرابه

سلام اليه علينا وبعد:

اقتلت رسالتك اليوم تقطعا فمن انى لم آخذ ارباد كثيرا على صغر الخربة ولا لهما كى ووضع
اللسان اللذات لا طرقت. حتى حيت بالاستعداد الامر "الى البيت عن طريق الرميل ارسين بخارج
زذرت سائلا منى بالفعل قد رسلتك مرتين اولانا. لا اذكر. وكلم. انتم ان تضللك الامار
للعلوب. فقط ارجو منك الاعتقاد هذه الاعمار لك تعيدهم الي بعد الاستدراج والاستدم.
لانك قد استلنت هذه الاعمار من السنة الرصيدة للجمع الاعمار. التوامدكم. اما ما طرقت
فقللة الاعمار. انتم يؤمنون الاعتقاد سياتي ولا سيموتون الا بالمطالعة عند المكان.
لهذا ارجو منك ان تعيد لي الاعمار السنة بعد الاعمار منك.

1- اما شان الاستفسار الاول بشأن فلسفة الاطلاق فاقول ان. كانه عند ما يدانا التفكير مثل
الخربة لم تكن تفكر ساعتها الا في كيفية الوصول الى الجوز. كانت الشريحة بيديك لا تخاف وذل
معين ان الاطلاق العامة التي تشمل من لغة الاعلام. يا اخلاق المهنة كانت التزم الرصيدة التي شغلنا
على انبالم تكلمت فكر وماله الاطلاق. ولا في فلسفتك غير ان افهم باننا كنا ضد الاطلاق بالعكس
كنا نرفض كل الاقليات المهينة التي هو وجه ذاتك. الاضرام لعود القارى. اخلاقنا ومهنتنا فاهية
يا عفتنا ان تحرير خطاب كاذب ومزور والسقوط في «الاستعمال» *nonipulshon* بما هي الكبر العيوب
الاخلاقية عند الهامة. ولم يكن عيب اخلاقى يواجه به الصالحا قدام. هذه هي فلسفتنا الاقليات الخربة.
اذ لم تكن تعرف بين الاطلاق المهينة. الرقى الاطلاق العامة. وبين المهنة الاقليات. واقرام ذوق وسعد
القارى واقرامه كان همتنا وفلسفتنا. اقلاقنا. التي هي الاطلاق الاسلامية والانسانية عامة.

2- السخرية عندنا انخذناها كأسلوب للتعاطي ولتحرير الخطاب الاعلامي والسلي. لم يكن ايديا نبيتا ان نحرقي
به الاطلاق العامة. بل انبالم تفكر فذل اهلا وما الحوادث الا اقلياته التي فرت سوء عن طريق
الكابك شير اوعى طريق النصف. الاقليات كانت محمولة تحت ضغط ونسب الواقع وسيخافته ونوازيه
ثم ان الحرية التي كانت ممنوعة لكل صنف للرسمين. لم تكن. فاعفاني. ممنوعة لاني اهد والهدف الاخرى
وذلك الاعتماد الخربة في الداس على الاسلوب الديمقراطي والتعامل. طبقا كل للمواضع كانت تناقض وتبرهن
في اجاباتنا فخرية. ولكن. وباعتباري كنت رئيس في رها ووقت من الاوقات. واعفد لي للرئيس الاول
لاسلوبنا السافر. لم اقم يوما بغير رقابة على موضوع او رسم او صورة. على العكس. كان الصنفون الاقليات
يرعونني كل وقت موضع او صورة. لكني كنت اقدس وامر الرسم. على ما فيه. بلصحة ولا اخلاقا احيانا.
لكن الاحداث وتقل وسرعة. وتوانتها والطون الصعبة والحافظة. مما ناضية الرضى والسبان صه
الرض والخبر وراه آخر الاحداث والتعاطل. كانت لا تعطينا وقتا لدراسة بعض المواضع او الرسومات. فكانت
نهر صكنا ونفعل العمل دون رقابة. مما اعطى الخربة نوعا من الحرية الا اخلاقية.

عبراً عن هذه المبادئ... بل وليس مقراً فيه الهداية... ان الشرح في هذا الصدد...
أهنا... وكل ما كان يتبع ما يمكن ان نسميه "تقاربات"
أما ما ناقشه الاطراف الثلاثة الرقعة تبين، فلا نعتقد أننا نعلمنا ذلك - وان حدث ياتوا كان دفاعاً
عن الفكر الاسلامي والاخلاص الاسلامي نفسه. سلكنا لاصرها

ولعلنا بيان الحرية لم تكن حرية "اسلاموية" بل حرية "ليبرالية" بكل ما ملكته الليبرالية من فلسفة
ومرجعية... تلك هذه الليبرالية كانت ليبرالية ص ذات المجتمع الاسلامي، الليبرالية الغربية، ولم تتصل الحرية
بانحياة الرقعة الاسلامية الا مع بروز الطرح المفضل بين الكثرة الاثنية الشيوعية والكثرة الوضعية...
والكثرة الاسلامية، عندها فعلاً كان علينا ان نقتار مواقفنا - ونما نأخذ المشرق الاسلامي، لا حتى
حزب معين. ولكنه، فقد كانت الحرية في نفس عناصر غير ضريبين اي غير منتمين لاي حزب - ولم يتبعوا
ولا يباين. لهذا كان الرلم الاول والحرية (البرخي) يسارياً... ثم انه كان مجرد حامل وليس مؤسس
الشيء للامام محمد حياض تكا كفة، والذين كان مراسلاً آخر - لم نعرفه ولم نلتق به طيلة هذه الرحلة
والذين كان شبه لسان حال للسيل المهتم العاقل الراقف للظلم - والذين لم يكن بالفرود من مؤدعي
السوداء المكرة التي يفرح صرحه دائرة الاطلاع العادية - وهو العكس للواقع، لان ما يقال وما يثبت
وما يتم به لغة الشاري لا يمكن ان تقارن بلغة رسومات الحرية... مطلقاً... انما كانت محادثة تشبه
لا مضمون "عن هذه الاحتمات" العادية.

3/ اضافة كانت واقعة: تحرير طاب آفر سوازي للخطاب الرسمي... قراره افر من الخطبات الرسمية
(ارتام، آفيا، الخليل... طراه ثابته سمع للقارئ ان يرى الواقع السيكولوجي...
غير المطلق... الذي يقابل الاضطره المستلقة ثم مره... الخاضعة والخاصة...
ان فلا نأخذ عين ومولم افر... اصعد ذلك انه قد "اطيع به" ورضر علينا ان تبين ذلك...
نظية... وبالذات او التمايل الممكزة... تلك المعلومات... معطيات... اما الشرح فليس تهوراً...
كل المجالات... على صمم الأصعدة... وان شحرت... هذه البريالات...
حوض السياسة العاطلة... الشرحية... نشر تشكل...
كانت قليلة... فاملت والديت... كما...
بما كان التويل... فقلنا...
الويل الربن (كوب الخليج...)
وكما نرى...
صواته...
او وطني...
(...)

4/ الالفاظ النائية... كانت قليلة... فاملت والديت... كما...
بما كان التويل... فقلنا...
الويل الربن (كوب الخليج...)
وكما نرى...
صواته...
او وطني...
(...)

الفهارس

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

أخيراً أتمنى أن أكون قد اهتبت وباتقنظاب شديد على بعض الاستغاثات
 وأخذتتتتت أن لم أظن أننا اليوم .. منه متهه به سنتتتت ومدهف بآعمال الأتتتتت
 والأصغنا .. والبصغات الميامصتتت .. والقوات .. والأخضر لحارة فلك من سلعصات
 خلال هذا الصغ.

.. أتمنى التوبصك والبرحام أمم الله .. بركه ساء أوصل الهمنة

والسلام
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مراجعة

مراجعة الرسائل للاعداد .. أتمنى أن تُرسلتم على العنوان التالي (ويكون أن تكون الرسالة
 صغته .. لأنني أتزعج من البريد الذي آذالتم بصله السامر برك لله الأستتتتتتتتتتتت
 المساتتتتتتتتتتتت بالبريد الاستلام الرسالة ..
 - فبئلا رقم لذك صي السلام .. وهراء ..

جامعة الإمام
 العلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة التي وردت فيها	رقمها	الآية	رقمها	السورة
17	37-36	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم، قلنا اهبطوا منها جميعا، فإما ياتينكم مني هدى، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.	1	البقرة
196	256	لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم	1	البقرة
218	286	لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت..	1	البقرة
213	104	و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون.	2	آل عمران
214 و 218	110	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر، و تؤمنون بالله و لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم، منهم المؤمنون، و أكثرهم الفاسقون.	2	آل عمران
14	138	هذا بيان للناس، و هدى و موعظة للمتقين.	2	آل عمران
217	1	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا و نساء، و اتقوا الله الذي تساعلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا.	3	النساء
207	83	و إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلا.	3	النساء

رقم الصفحة التي وردت فيها	رقمها	الآية	رقمها	السورة
223	147	لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، و كان الله سميعا عليما.	3	النساء
217	35	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، و ابتغوا إليه الوسيلة، و جاهدوا في سبيله، لعلكم تفلحون.	4	المائدة
26	94	فاصدع بما تؤمر و اعرض عن المشركين.	15	الحجر
17	35	.. فهل على الرسل إلا البلاغ المبين.	16	التحل
14	89	.. و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء..	16	التحل
223	36	و لا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا.	17	الإسراء
190	30	إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات إننا لا نضيع أجر من أحسن عملا.	18	الكهف
221	19	إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا و الآخرة، و الله يعلم و انتم لا تعلمون.	24	النور
14	31	.. و لا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن..	24	النور
26	214 - 215 - 216 -	و انذر عشيرتك الاقربين، و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، فإن عصوك فقل إنني بري مما تعملون.	26	الشعراء
10	51	و لقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون.	28	القصص
217	77	و ابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة، و لا تنس نصيبك من الدنيا، و أحسن كما أحسن الله إليك، و لا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين.	28	القصص
229	18	و لا تصعر خدك للناس، و لا تمشي في الأرض مرحأ، إن الله لا يحب كل مختال فخور.	31	لقمان

رقم الصفحة التي وردت فيها	رقمها	الاية	رقمها	انسورة
226	58	و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و ائماً مييناً.	33	الأحزاب
223	70	يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله و قولوا قولا سديداً.	33	الأحزاب
59	54	إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون.	36	يس
223	06	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.	49	الحجرات
207	10	إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم..	49	الحجرات
58 ، 226 و 207	11	يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، و لا نساء من نساء، عسى أن يكن خيراً منهن، و لا تلمزوا أنفسكم، و لا تتابزوا باللقاب، بيس الاسم الفسوق بعد الايمان، و من لم يتب فأولئك هم الظالمون.	49	الحجرات
225	12	يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم..	49	الحجرات
185	18	ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.	50	ق
14	4-3-2-1	الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان.	55	الرحمن
231	04	و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، و إن يقولوا تسمع لقولهم، كأنهم خشب مسندة، يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فاحذرهم، قاتلهم الله أنى يوفكون.	63	المنافقون
17	23	إلا بلاغاً من الله و رسالاته..	72	الجن
155	14 - 13	إن الأبرار لفي نعيم، و إن الفجار لفي جحيم.	82	الانفطار
59	31	و اذا انقلبوا إلى اهلهم انقلبوا فاكهين.	83	المطففين

قائمة المراجع

جامعة الأمير
بدر القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المراجع

1) القرآن الكريم

* التفسير

- 2 - الزمخشري، تفسير الكشاف، ط:1، (مصر : مطبعة محمد مصطفى 1354 هـ) ج : 4.
- 3 - سيد قطب، في ظلال القرآن، ط:3 (بيروت : دار احياء التراث العربي، 1961)، و ط:10 (مصر : دار الشروق 1402 هـ - 1982)، و ط:15، (مصر : دار الشروق، 1408 هـ 1988 م) 6 أجزاء.
- 4 - علي الصابوني، صفوه التفاسير، ط : 4، (بيروت : دار القرآن الكريم، 1402 هـ - 1981 م) 3 مجلدات
- 5 - أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، (الجزائر : دار الشهاب)، (دون ضبعة، دون سنة).

* السنة النبوية الشريفة

- 6 - صحيح البخاري، طبعة إدارة الطباعة المنيرية، مصر.
- 7 - صحيح مسلم، ط:2، (بيروت : دار إحياء التراث العربي، 1972) 5 أجزاء.
- 8 - سنن الترمذي
- 9 - سنن ابن ماجه، (الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع) جزئين.
- 10 - سنن النسائي، ط:1، (المطبعة المصرية بالأزهر، 1348 هـ - 1930 م) 8 أجزاء.
- 11 - موطأ الإمام مالك
- 12 - مسند أحمد بن حنبل
- 13 - مجمع الزوائد و منبع الفوائد، مكتبة القنس، القاهرة، 78/8.
- 14 - المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، ط : 2، 1404 هـ - 1984.
- 15 - ابن التبع الشيباني، تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث، ط:2، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، 1403 هـ - 1983.
- 16 - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، (عن الكتب الستة، و عن مسند الدرامي، و موطأ الإمام مالك، و مسند أحمد بن حنبل) كتبه ليف من المستشرقين، نشره، د: أ. ي ونسك: A.J.WENSINCK مكتبة بريل في مدينة ليدن، 1936) 7 أجزاء.

* المراجع العربية

الكتب

- 17 - أبو الأعلى المودودي، الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، (لبنان: مؤسسة الرسالة) (دون طبعة، دون سنة)
- 18 - أبو الأعلى المودودي، القانون الإسلامي و طرق تنفيذه، (الجزائر : دار الوفاء للنشر و التوزيع) (دون طبعة، دون سنة).
- 19 - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، إعجاز القرآن، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط: 1 (بيروت : مركز الخدمات و الأبحاث الثقافية : 1411 هـ - 1991 م).
- 20 - إجلال خليفة، اتجاهات حديثة في التحرير الصحفي، ط: 1 (مصر : دار الهنا للطباعة، 1972) ج : 1.
- 21 - أحمد بدر، أصول البحث العلمي و مناهجه، ط: 5، (مصر : دار المعارف، 1989 م).
- 22 - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح - مذكرات - القسم الثاني في الجزائر 1925 - 1954، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع) (دون طبعة، دون سنة).
- 23 - أحمد عطية الله، سيكولوجية الضحك، (سوريا : دار إحياء الكتب العربية، عيسى البياي الحلبي و شركاه) (دون طبعة، دون سنة).
- 24 - أرنوف.ف.وينتج، مقدمة في علم النفس، سلسلة ملخصات شوم، ترجمة عادل عز الدين الأشول و آخرون، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية) (دون طبعة، دون سنة).
- 25 - اميل يعقوب، كيف تكتب بحثًا أو منهجية البحث، (لبنان : جروس برس) (دون طبعة، دون سنة).
- 26 - أنور الجندي، شبهات التعريب في غزو الفكر الإسلامي، (بيروت المكتب الإسلامي) (دون طبعة، دون سنة).
- 27 - بكير بن سعيد أعوش، أضواء على الأخلاق الإسلامية و المعاصرة، ط: 1، (قسنطينة: دار البحث للطباعة و النشر، 1405 هـ - 1984 م).
- 28 - جمال الدين الرمادي، صحافة الفكاهة و صانعوها : مذاهب و شخصيات، (القاهرة : الدار القومية للطباعة و النشر) (دون طبعة، دون سنة).
- 29 - جون ميرل، رالف لوينشتاين، الإعلام وسيلة و رسالة، تعريب ساعد خضر العرابي، (الرياض : دار المريخ للنشر، 1409 هـ - 1989 م) (دون طبعة).
- 30 - جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1971) (دون طبعة).

- 31 - حسن عماد مكاوي، أخلاقيات العمل الإعلامي، ط:1، (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 1414 هـ - 1994م).
- 32 - حسن مغنية، فكاهة العرب، (لبنان : مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، 1982م) (دون طبعة).
- 33 - حسين فوزي النجار، الإعلام المعاصر، سلسلة اقرأ 495، (مصر : دار المعارف، يناير 1984م).
- 34 - حلمي خضر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للشباب و التغير في مجمل الصورة، ط:1، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 1988م).
- 35 - حمدي حسن، مقدمة في دراسة وسائل و أساليب الاتصال، (القاهرة : دار الفكر العربي، 1987م) (دون طبعة).
- 36 - رولان كايرو، الصحافة المكتوبة و السمعية البصرية، ترجمة محمد مرشلي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984) (دون طبعة).
- 37 - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982 م) 6 أجزاء (دون طبعة).
- 38 - زهير إحدان، مدخل لعلوم الإعلام و الإتصال، ط:2، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م).
- 39 - سامية محمد جابر، الإتصال الجماهيري و المجتمع الحديث : النظرية و التطبيق، (مصر: دار المعرفة الجامعية) (دون طبعة، دون سنة).
- 40 - سمير محمد حسين، الإعلام و الإتصال بالجماهير و الرأي العام، ط:1، (القاهرة : عالم الكتب، 1984).
- 41 - السيد ياسين، و آخرون، تحليل مضمون الفكر القومي العربي: دراسة إستطلاعية، ط:3، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، مارس 1985م).
- 42 - شون ماكبرايد، و آخرون، أصوات متعددة و عالم واحد : الإتصال و المجتمع اليوم و غدا، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع : 1981) (دون طبعة).
- 43 - عبد الحليم حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، 1987م) (دون طبعة).
- 44 - عبد الرحمن عزي، (إشراف)، فضاء الإعلام، سلسلة الدراسات الإعلامية، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1994م).
- 45 - عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، ط:2 (القاهرة : دار الكتاب المصري، بيروت : دار الكتاب اللبناني، 1409 هـ - 1989 م).

- 46 - عبد اللطيف حمزة، الإعلام و الدعاية، (مصر : دار الفكر العربي 1404 هـ - 1984) (دون طبعة).
- 47 - عماد زكي، تحضير الطفل للعام 2000، (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، 1990) (دون طبعة).
- 48 - عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر : دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954 - 1962، (القاهرة : معهد البحوث و الدراسات العربية، 1987) (دون طبعة).
- 49 - فاروق أبو زيد، الصحافة المتخصصة، ط:1، (القاهرة : عالم الكتب 1986م).
- 50 - فاروق أبو زيد، فن التحرير الصحفي، ط:2، (جدة : دار الشروق للنشر و التوزيع و الطباعة، 1404 هـ - 1984م).
- 51 - فضيل دليو، أسس البحث و تقنياته في العلوم الإجتماعية : 130 سؤالاً و جواباً، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1998).
- 52 - فضيل دليو (إشراف)، دراسات في المنهجية، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1995).
- 53 - كمال الدين إمام، النظرة الإسلامية للإعلام : محاولة منهجية، ط:2 (الكويت : دار البحوث العلمية، 1403 هـ - 1983م).
- 54 - ماجي الحلواني، عاطف العبد، الأنظمة الإذاعية في الدول العربية، (القاهرة : دار الفكر العربي، 1987) (دون طبعة).
- 55 - محمد أبو خضور، النكتة الصهيونية، ط:1 (بيروت : دمشق دار الحكمة للطباعة و النشر، 1410 هـ - 1990م).
- 56 - محمد أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط:1، (الجزائر : دار الثقافة للنشر و التوزيع، 1411 هـ - 1991م).
- 57 - محمد الأخضر السانحي، ألوان بلا تلوين، ط:3، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع) (دون سنة).
- 58 - محمد الغريب عبد الكريم، دليل الباحث في المنهجية و كتابة الرسائل الجامعية، ط:2، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990م).
- 59 - محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية و الفكرية في تونس، (تونس : الدار التونسية للنشر، 1972) (دون طبعة).
- 60 - محمد حسنين هيكل، بين الصحافة و السياسة، ط:5، (بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، 1984م).

- 61 - محمد زيان عمر، البحث العلمي : مناهجه و تقنياته، ط:4، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1986م).
- 62 - محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، ط:2، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب 1986م).
- 63 - محمد عبد الحميد، بحوث الصحافة، ط:1، (القاهرة : عالم الكتب 1412 هـ - 1992م).
- 64 - محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1987) (دون طبعة).
- 65 - محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام و تأثيره بالإعلام و الدعاية، (بيروت : مكتبة لبنان مساحة رياض الصلح، 1973م) (دون طبعة).
- 66 - محمد فريد محمود عزت، دراسات في فن التحرير الصحفي في ضوء معالمة قرآنية، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1984م) (دون طبعة).
- 67 - محمد ناصر، أبو اليقظان و جهاد الكلمة، ط:2، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م).
- 68 - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية : من 1847 إلى 1939م، (الجزائر : الشركة الوطنية لنشر و التوزيع، 1980م) (دون طبعة).
- 69 - محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي و تطبيقاته العلمية، ط:1، (القاهرة : مكتبة الخاتجي، الرياض : دار الرفاعي، 1984).
- 70 - مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، عالم المعرفة : 94 (الكويت : محرم 1407 هـ - أكتوبر 1985م) (دون طبعة).
- 71 - نبيل محمد توفيق السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي و نظمه : دراسة في علم الإجتماعي الإسلامي، ط:2 (جدة : دار الشروق للنشر و التوزيع و الطباعة، 1406 هـ - 1985م).
- 72 - نبيل محمد توفيق السمالوطي، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، دراسة في علم الإجتماع الإسلامي، ط:2 (جدة : دار الشروق للنشر و التوزيع و الطباعة، 1406 هـ - 1985م).
- 73 - هيربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة : عبد السلام رضوان، عالم المعرفة : 106، (الكويت : محرم 1407 هـ - أكتوبر 1986م) (دون طبعة).
- 74 - ولبرشرام، أجهزة الإعلام و التنمية الوطنية، ترجمة : محمد فتحي، مراجعة: يحي أبو بكر، (القاهرة : الهيئة المصرية للتأليف و النشر، 1390 هـ - 1970م) (دون طبعة).
- 75 - يوسف محي الدين أبو هلاله، الإعلام نشأته، أساليبه، و سائله ما يؤثر فيه، (مصر : مكتبة الرسالة الحديثة) (دون طبعة، دون سنة).

76 - يحيى بسيوني مصطفى، البدائل الإسلامية لمجالات الترويج المعاصرة، (مصر : دار المعرفة الجامعية) (دون طبعة، دون سنة).

التواميس و المناجد و الموسوعات :

77 - ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة : دار المعارف) 6 مجلدات.

78 - محب الدين الفيروزابادي، القاموس المحيط، ط:3 (مصر: المطبعة الميرية، 1302هـ).

4 أجزاء.

79 - كرم شلبي، معجم المصطلحات الإعلامية انجليزي - عربي، ط:1 (بيروت : دار

الشروق، 1409 هـ - 1989م).

80 - الزبيدي : تاج العروس في جواهر القاموس، (بيروت : منشورات مكتبة الحياة) مجلد :

8. (دون طبعة، نون سنة).

81 - حسين العودات، يسين الشكر، الموسوعة الصحفية العربية، بلدان المشرق العربي

(سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن)، (تونس: المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، إدارة الثقافة،

1990) (دون طبعة).

81 - محمد فريد محمود عزت، قاموس المصطلحات الإعلامية، انجليزي - عربي، ط:1

(جدة: دار الشروق 1404هـ-1984م).

82 - المنجد في اللغة و الاعلام، ط: 25، (بيروت : دار المشرق، 1981).

المقالات و الدراسات :

83 - حسام الخطيب، "لغة الثقافة و لغة الإعلام" مجلة الثقافة الجزائرية س:14، ع:81،

(شعبان - رمضان 1404 هـ - مايو - يونيو 1984 م).

84 - حسن رجب، "ادب الإسلام و علم الاتصال"، مقالات في الدعوة و الإعلام، كتاب الأمة:

28، ط:1، (قطر: رجب 1411 هـ - 1991م).

85 - زهير إحدادن، "الصحافة الجزائرية، من بدايتها إلى الاستقلال" عالم الاتصال سلسلة

الدراسات الإعلامية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1992).

86 - حسن فضل المولى، "الدور التربوي لوسائل الإعلام"، مقالات في الدعوة و الإعلام،

كتاب الأمة :28، ط:1، (قطر : 1411 هـ - 1991م).

87 - سجاد غازي، "حرية الرأي والصحافة في الوطن العربي"، (مصر : المؤسسة العربية

للدراسات و النشر).

- 88 - السعيد بو معيزة، "الخدمة العامة و الصحافة المكتوبة"، المجلة الجزائرية للاتصال، ع: 8 (شتاء 1992).
- 89 - شفيق جبيري، "خبث المتكلمين" مجلة الثقافة، القاهرة : س : 1، ع: 29 (الثلاثاء 1 جمادى الآخرة 1358 هـ، 18 جويلية 1939).
- 90 - الطاهر بن خرف الله، "واقع الصحافة في افريقيا" عالم الاتصال، اشرف عبد الرحمن عزي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية : جانفي 1992).
- 91 - طلعت منصور، "سيكولوجية الاتصال"، مجلة عالم الفكر الكويتية، ع: 2، (جويلية - أوت 1980، مجلد : 11).
- 92 - عبد الرحمن عزي، "في التوضيح و الصحافة و علم المعاني"، حوليات جامعة الجزائر، ع: 5 (1990 - 1991)، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 93 - عبد الرحمن عزي، "وسائل الاتصال الجماهيرية في العالم العربي : بعض الاستشرافات الأولية" المجلة الجزائرية للاتصال، ع: 8، (شتاء 1992).
- 94 - عبد العزيز شرف، "ماهية التحرير الإعلامي" مجلة عالم الفكر الكويتية، ع: 2، (جويلية - أوت 1980 م) مجلد 11.
- 95 - عبد الله بوجللال، "دور الإعلام في تشكيل الرأي العام" حوليات جامعة الجزائر، ع: 6، (1991-1992)، ديوان المطبوعات الجامعية، ج: 1.
- 96 - عزة عجان "التأثير التربوي لوسائل الإعلام و الدعاية الجماهيرية" حوليات جامعة الجزائر، ع: 6، (1991 - 1992)، ديوان المطبوعات الجامعية، ج: 1.
- 97 - علي قسايسية، "التشريع الإعلامي و طبيعة القواعد المهنية"، المجلة الجزائرية للاتصال، ع: 8، (شتاء 1992).
- 98 - عواطف عبد الرحمن : "الصحافة الإفريقية بين التبعية و الإستقلال"، مجلة عالم الفكر الكويتية، ع: 4، (جانفي - فيفري - مارس 1984).
- 99 - فاروق شوشة، "الجاحظ و لغة الجماهير"، مجلة العربي، ع: 156 (رمضان 1391 هـ - نوفمبر 1971 م).
- 100 - كامل زهيرى، "تطورات على حرية الصحافة"، (مصر : المؤسسة العربية للدراسات و النشر).
- 101 - محمد رجب النجار، "الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك" مجلة عالم الفكر الكويتية، ع: 1، (أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1986) مجلد 14.
- 102 - محمد شطاح، "الصحافة الساخرة : من البستان إلى الصح-آفة"، يومية الحياة الجزائرية، (السبت 29 فيفري 1992).

- 103 - محمد لعقاب، "الصحافة الجزائرية و الدفاع عن حرية المدح" جريدة الحرية الجزائرية، ع:81، س:2، (من 22 إلى 28 جويلية 1996).
- 104 - وديعة طه نجم، "الجاحظ و الكتابة للعامّة" مجلة العربي (شوال 1404هـ - جويلية 1984م).
- 105 - ش-ت، "إعلامنا من منظور تقويمي : نحو إعلام مسؤول في مجتمعنا" أسبوعية الإرشاد الجزائرية، ع:13، (من 8 إلى 14 أوت 1995).
- 106 - أسبوعية "الصبح-أفة"
- 107 - صحيفة "المنشار" EL MANCHAR
- 108 - صحيفة "الوجه الآخر"
- 109 - صحيفة "بوزنزل"
- 110 - صحيفة " للموعد"
- 111 - صحيفة "للحرية"
- 112 - صحيفة "المجاهد الأسبوعي"
- 113 - صحيفة "الحقيقة"
- 114 - صحيفة "للنبا"
- 115 - صحيفة "السبيل"

- 116 - Christian Baylan, Xavier Mignot, La Communication Série "Linguistique", dirigée par Henri Mitterand, (France : Nathan 1991).
- 117 - Freind Wolfgang S., La presse Ecrite au Maghreb Réalités et Perspectives, (Institut des recherches et d'études sur la communication, Université de Paris, Deusches Orient Institut, Hambourg, 1989).
- 118 - Hanna Elias, Elias, La Presse Arabe, (Edition : Maisonneuve et Larouse, Paris, 1993).
- 119 - Houidi Fethi, Nadjar Ridha, Presse, Radio, Télévision en Tunisie, (Tunisie : Maison tunisienne de l'édition, Janvier 1983).
- 120 - Ihaddaden, Zahir, Histoire de la presse indigène en Algérie, des origines jusqu'au 1930, (Algérie, Entreprise Nationale du livre, 1980).
- 121 - Philippé Jones, La Presse Satirique illustré entre 1860 - 1890, (Institut Français de Presse).
- 122 - Kirat Mohamed, The Communicators : a portrait of Algerian journalists and their work, (Algérie : Office des publications Universitaires, 1993).
- 123 - Mucchielli Roger, L'analyse de Contenu, 5^{ème} Edition, (Paris : E.S.F 1984).
- 124 - Charles, Presse, The Political Cartoon, (U.S.A, by Associated University Presse, 1981).
- 125 - Ragon, Michel, La caricature et le dessin humoristique en France, (Paris : Edition de Seuil, Janvier 1992).
- 126 - Fernand Terrou, L'Information, 6^{ème} édition, Coll "Que sais-je", (Paris : Presse Universitaire de France, Avril 1983).
- 127 - Muhamed, Az-Zwawi, Ein libyscher Karicaturist, Vorge stellt Von Faat, (Mattes/all Warfalli, Edition wuqûf Scheessel 1984).
- 128 - Alliouche Kerbouâ Kamel, La Libre circulation de l'information, Aspects juridiques et techniques, thèse de doctorat d'état, Droit public, (Université Robert Schuman, Strasbourg, 1990) (Non Publié).

129 - Le Petit Larousse Illustré, Paris : 1991.

130 - Le Petit Larousse en couleur, Paris : 1983.

المقالات

131 - Aly Ashry and Richard Pennell, "Mosaic : A caricature of their Art. The Middel East, (England : March 1981).

132 - Brahim Brahimi, "La doctrine libéral et la doctrine leniniste de l'information : Essai de définition" Revue Algérienne de l'information, (N°: 8, hiver : 1992).

133 - Gerald Steig, "Deux oiseaux qui souillent leur propre nid" Austrica; (volume:12, N°:22 France :1981).

134 - Rudel Zaldivar; "La satire sous le socialisme". Le journaliste démocratique, (Revue de l'organisation internationale des journalistes, Année : 33, N°:1 Janvier, 1986).

القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

المقدمة:

الصفحة:

- 1..... اشكالية البحث -
- 3..... تساؤلاته -
- 4..... دوافع و أسباب اختيار الموضوع -
- أهداف البحث.
- 5..... أهميته -
- الدراسات السابقة.
- منهج الدراسة.
- 6..... الخطة -

الفصل الأول : (تمهيدي) وسائل الإعلام و الإتصال

- 10..... المبحث الأول : تعريف مصطلحي : إعلام و إتصال
- 20..... المبحث الثاني : أهمية الإعلام
- 26..... المبحث الثالث : التطور التاريخي و التكنولوجي لوسائل الإعلام
- 42..... المبحث الرابع : الوظائف الأساسية لوسائل الإعلام

الفصل الثاني : الصحافة الساخرة

- 57..... مدخل تعريفى
- المبحث الأول : نشأة و تطور الصحافة الساخرة في العالم.
- 63..... المطلب الأول : في دول أوربا و الولايات المتحدة الأمريكية
- 74..... المطلب الثاني: في بعض الدول العربية
- المبحث الثاني : لغة الصحافة الساخرة و أهدافها.

- المطلب الأول : لغة الصحافة الساخرة.....86
- المطلب الثاني : أهدافها.....98
- المبحث الثالث : الصحافة الساخرة و السياسة.....107

الفصل الثالث : الصحافة الساخرة في الجزائر نشأتها و تطورها

المبحث الأول : الصحافة المكتوبة في الجزائر.

- المطلب الأول : قبل الاستقلال.....124
- المطلب الثاني : بعد الاستقلال.....136
- المبحث الثاني : الصحافة الساخرة في الجزائر.
- المطلب الأول : قبل الاستقلال.....150
- المطلب الثاني : بعد الاستقلال.....169

الفصل الرابع : الضوابط الأخلاقية للصحافة الساخرة

- المبحث الأول : فلسفة الأخلاق في الصحافة.....183
- المبحث الثاني : محاولات وضع قواعد و أخلاقيات مهنة الصحافة...198
- المبحث الثالث : أخلاقيات الصحافة من وجهة نظر اسلامية.
- المطلب الأول : الضوابط الإسلامية للإعلام.....213
- المطلب الثاني : الضوابط الإسلامية للصحافة الساخرة.....228

الفصل الخامس : الدراسة التطبيقية

المبحث الأول : مجتمع الدراسة.

- (1) تمهيد : البحث في مجال وسائل الإعلام.....235
- (2) الدراسات السابقة.....239
- (3) العينة :

243.....	ا - إطار العينة.....
245.....	ب - حجم العينة.....
246.....	ج - نوع العينة و طريقة إختيارها.....
247.....	(4) منهج الدراسة.....
	(5) تصميم كشف الدراسة.....
253.....	ا - فئات التصنيف.....
254.....	ب - وحدات التحليل.....
257.....	ج - العد و القياس.....
	المبحث الثاني : عرض البيانات و تحليلها.....
259.....	(1) الأشكال الصحفية المتواجدة في "الصح - آفة".....
	(2) عرض و تحليل البيانات الخاصة بمبادئ و أخلاقيات الصحافة و مدى التزام "الصح - آفة" بها.....
264.....	- مبادئ و أخلاقيات المهنة في المقال الافتتاحي.....
266.....	- مبادئ و أخلاقيات المهنة في الكاريكاتور.....
267.....	- مبادئ و أخلاقيات المهنة في المقال التحليلي.....
268.....	- مبادئ و أخلاقيات المهنة في العمود.....
269.....	- مبادئ و أخلاقيات المهنة في الخبر.....
271.....	- مبادئ و أخلاقيات المهنة في التحقيق.....
274.....	نتائج الدراسة.....
277.....	الخاتمة.....
279.....	الملاحق.....
298.....	الفهارس.....
302.....	قائمة المراجع.....
312.....	فهرس الموضوعات.....